القزويني

بهاء الدين أبو محمّد طاهر بن أحمد

ابن محمّد القزويني المعروف

بالنجّار

(493 – 580هـ/ 1099 – 1184م)

سراج العقول

في منهاج الأصول

تحقيق

عبد المولى هاجل

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

1447هـ / 2025م

القزويني

بهاء الدين أبو محمّد طاهر بن أحمد

بن محمّد القزويني المعروف

بالنجّار

(493 - 580هـ/ 1099 - 1184م)

سراج العقول في منهاج الأصول

تحقيق

عبد المولى هاجل

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

1447هـ/ 2025م

كتاب سراج العقول في

منهاج الأصول

Sirāǧ l-`uqūl fī minhāǧ l-uṣūl	**سراج العقول في منهاج الأصول**
Author: *Bahā' ad-dīn Abū Muḥammad Ṭāhir b. Aḥmad b. Muḥammad al-Qazwīnī*	**المؤلف:** بهاء الدين أبو محمّد طاهر بن أحمد بن محمّد القزويني المعروف بالنجّار
Editor: *Abdelmoula HAGIL*	المحقق: عبد المولى هاجل
Classification: *Dogmatic theology*	التصنيف: علم الكلام
Year: *1445 H / 2025 AD*	سنة الطباعة: 1447هـ/ 2025م
Pages: 556	عدد الصفحات: 556
Size: 17x24 cm	القياس: 24 x 17سم
Printed in: *France*	بلد الطبع: فرنسا
Edition: Second *Edition*	الطبعة: الثانية

gzoulasafi@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الغاية من هذه الطبعة إخراج سراج العقول منهاج الأصول في حلة جديدة خالية قدر الإمكان من أي تحريف أو خطأ أو نقص. ولتحقيق ذلك، حرصنا على عرض نصوص سراج العقول بنسختها الأصلية، استناداً إلى النسخ المحفوظة في المكتبات التركية، والتي لم نتمكن من الحصول عليها في طبعتنا الأولى. وقد انتهزنا هذه الفرصة لمراجعة الطبعة الأولى، وإثراء حواشيها وتوسيعها، ومن ثم، أصبح هذا الكتاب عملًا حيويًا وسهل المنال، يتيح للقارئ، بفضل الأدوات المُسخّرة لهذا الغرض، تحقيق هدفه، والحصول على الرضا، والاستفادة من مزاياه بأقل جهد.

أما النسخ التي اعتمدنا عليها لإعداد هذه الطبعة والتي استفدنا منها في مراجعة الكتاب وتنقيحه فهي كما يلي:

<u>النسخة التي رمزنا لها بحرف: (ج):</u>

هي نسخة محفوظة في مجموع ولي الدين جار الله بمكتبة السليمانية بإسطنبول، برقم 484، (باب أصول الفقه). كتبت بخط نسخ، عدد أوراقها 140 ورقة، يتراوح عدد سطور الصفحة الواحدة ما بين 15 و18 سطرا، باستثناء الصفحات الأولى التي لا يتجاوز عدد سطورها 13 سطرا. كتبت الأبواب والفصول والخواتيم بلون أحمر، ووضع على الكلمة الأولى من كل فقرة واستشهاد سطر أحمر.

على هذه النسخة هوامش وتصويبات واستدراكات وبعض اقتباسات من داخل النص ربما وضعت للاستعانة بها على فهرسة الكتاب والوقوف على بعض المضامين والاستشهادات خُصوصا منها أحاديث النبي ﷺ. تتفق هذه النسخة مع النسخ الأخرى في كثير مما شابها من السقط.

نقرأ على الورقة الأولى من هذه النسخة ما يلي:

إذا رمت الزواج فخذ عروسا ... تسرك طفلة حسناء حــرة

وإن رجعت إلى عقل وديــن ... وأصل فهي جوهرة ودُرة[1]

ثم بعد ذلك:

وكنا كغصني بانة ليس واحد ... يزول على الخلان عن رأي واحـــد

تبدل بي خلا فخاللت غيـره ... وخليته لما أراد تباعـــــــــــــدي

فلو أن كفي لم تردني أبنتهـا ... ولـم يصطحبها بعد ذلك ساعـــــدي

ألا قبح الرحمن كل مـماذق ... يكون أخا في الخفض لا في الشدائد[2]

على يسار هذه الأبيات، ورغم تآكل أطراف الورقة، نقرأ ما يلي:

سناوك؟؟ شعنين زنجبيل [...] (وتحت كل كلمة من السطر الأول أرقام هي لتعين القيمة بالدرهم: (سناوك؟ 40 درهم، شعنين 10، زنجبيل 5، و...3) ومغل الجميع إما سكر وهو الات [...] وإما عسل ناقص ثلاث مرات [...]والاستعمال منه جوزة بو [...] وهذه نسخة مركبة ركبها بن؟ [...] اتصال، بالله نافعة لكل مرض من أي جهة كانت من الأخلاط ...

---

[1] البيتان لشرف الدين حسين بن ريان الحلبي، انظر محمد بنات وحسن عبد الهادي، شرف الدين حسين بن ريان الحلبي (شعره ومقاماته)، جمع وتحقيق محمد بنات وحسن عبد الهادي، بيروت دار الكتب العلمية، 1439هـ/ 2018م، ص 24- 24.

ويروى البيت الثاني كالتالي:

وإن رجعت إلى أصل ودين ... فقد كملت لخاطبها المسرة

[2] لا يعرف قائل هذه الأبيات ولا يعرف لها راو إلا أبو بكر بن دريد كما ذكر القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم البغدادي، في أماليه، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1395- 1396هـ/ 1975- 1976م، ج 2، ص 204؛ واستشهد أبو حيان التوحيدي بالأبيات: 1؛ 2؛ 4، الصداقة والصديق، تحقيق إبراهيم الكيلاني بيروت / دمشق، دار الفكر المعاصر / دار الفكر، 1419هـ/ 1998م، ص 307؛ وأما ابن السراج القاري، جعفر بن أحمد بن الحسين البغدادي، فقد ذكر القصة التي كانت سببا لإنشاد هذه الأبيات، مصارع العشاق، بيروت، دار صادر، د. ت.، ج 1، ص 168.

وأسفل الأبيات، المذكورة آنفا، وتحديدا في وسط الصفحة، ختم متشابه مع الختم الموجود في نهاية الكتاب هذا نص ما فيه: "وقف هذا الكتاب لله أبو عبد الله ولي الدين جار الله، بشرط أن لا يخرج من خزينة جامع السلطان محمد القسطنطينية سنة ..."

على الورقة الثانية من (ج)، في الركن الأيمن العلوي ما يلي: من ألطف نعم الله على أبي عبد الله ولي الدين جار الله سنة 1143هـ" وعلى يسار هذه العبارة ختم بيضاوي الشكل ورد فيه:" أوله مظهر اسم الله ثم حبيب رسول الله يوله توفيق لطف الله ولي الدين جار الله".

وجاء تحتهما عنوان الكتاب واسم مؤلفه كالتالي: "كتاب سراج العقول في منهاج الأصول للشيخ الإمام العالم العلامة أبو حامد [كذا] أحمد بن ظاهر [كذا] القزويني تغمده بالرحمة والرضوان".

وكتبت أبيات متفرقة وسط الورقة هي على التوالي:

فلا تحسبن الدر في البحر وحده ... فقد تخرج الأفواه من لفظها درا[1]

وبعده:

بذا قضت الأيام بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد[2]

يليه:

وكل امرئ يولي الجميل محبة ... وكل مكان يُنبت العز طيب[3]

وتلاه:

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفوا من الأقذاء والأكدار

---

(1) البيت الثالث من قصيدة للشاعر أبي الفضل علي بن الحسن بن علي الكاتب البغدادي الشهير بصَرَّدُرَّ المتوفى سنة 465هـ/ 1073م، من قصيدة مطلعها:

إذا نثرَ الناسُ الهِرَقْليَةَ الصُّفْرا ... نثرتُ على عليائك الحمدَ والشُّكرا

ديوان صَرَّدُرَّ، تحقيق محمد سيد علي عبد العال، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1429هـ/ 2008م، ص 104.

(2) البيت 32 من قصيدة للمتنبي مطلعها:

عَواذِلُ ذاتِ الخالِ فِيَّ حَواسِدُ ... وَإِنَّ ضَجيعَ الخَودِ مِنّي لَماجِدُ

ديوان المتنبّي، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1403هـ/ 1983، ص 320.

(3) البيت 28 من قصيدة للمتنبي أيضا مطلعها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب ... وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

ديوان المتنبي، ص 468.

ومكلف الأيام ضد طباعهـــا ... متطلب في الماء جذوة نـار

وكتب بخط مائل بيت متمم لهذين البيتين على الهامش الأيمن للورقة قريبا من الأبيات المذكورة أعلاه:

وتَلَهُّبُ الأحشاء شيَّبَ مفرقي ... هذا الشعاع شواظ تلك النار[1]

ثم أضيف بيت آخر:

تصحيف أخ الوالد ما فارقني ... مذ لاح أخ الأم على وجنته[2]

وأسفله، بخط مائل، قريبا من الركن الأيسر أسفل الورقة قيد تملك هذا نصه:

"إلى نوبة المفتقر إلى مولاه الباري عبده مصطفى بن محمد الزيباري والبلقيني[3] بلدة ومنشأ. من حلب المحروسة بقيمة قدرها غرشان أسـ... في آخر؟؟ شهر جمادي الأولى من شهور سن خمس وتسعـ ...[1]"

---

[1] الأبيات 2 و 3 ثم 64 للشاعر أبي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي من قصيدة مطلعها:

حكم المنية في البرية جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قرارِ

ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن الربيع، الرياض، مكتبة المعارف، 1402هـ/ 1982م، ص 308 و 315.

[2] لم نقف على قائل هذا البيت وقد استشهد به شراح ديوان ابن الفارض.

[3] مصطفى بن محمد بن الحسن الزيباري البلقيني، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، توفي بعد سنة 1094هـ /1683م، لم تذكر المصادر التي ترجمت له اسمه الكامل وإنما اكتفت بذكر مصطفى الزيباري ويرجع الفضل للمخطوط الذي اعتمدنا عليه لتحقيق سراج العقول وللملاحظات الدقيقة التي سجلها المستشرق الألماني Wilhelm Ahlwardt عند وصفه للمجموع رقم 4688 في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية، في ضبط اسمه الكامل. وأما راغب الطباخ فذكره باسم مصطفى بن الحسن الزيباري معتمدا في ذلك والله أعلم على ترجمة محمد بن حسن الزيباري الكردي الشهير بحاشيته على شرح عصام الدين على السمرقندية في الاستعارة. والصحيح ما أثبتناه. أخذ العلم عن مصطفى بن محمد الزيباري الأديب والشاعر ابن قضيب البان (ت 1069هـ/ 1685م)، وله شعر ذكر بعضه المحبي والطباخ. المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة، المطبعة الوهبيّة، 1284هـ/ 1868م، ج 3، ص 71؛ نفسه، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1388هـ/ 1968م، ج 2، رقم: 134، ص 639- 641؛ الطباخ، راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، حلب، دار القلم العربي، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1988م، ج 6، ص 383- 3386، رقم: 1009، وفيه محمد بن حسن الزيباري؛ وانظر أيضا فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الفقه الحنفي، وضع محمد مطيع الحافظ، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1401هـ/ 1980م، ج 1، ص 87.

ويقابله على الركن الأيمن السفلي حال تآكل الورقة دون قراءة أغلب ما ورد في الأشطر المتممة للأبيات:

لمالكه مصطفى المذكور ارتجله بعد مطالعـ...(لعلها مطالعته).

لعمرك هذا سراج العقول ... لهدي الغمر عن سنن الاهتداء؟؟؟

فمقتديا كن بأقواله ... فيا لك من ...

نعم هو فيهم كما وسموه ... ولكنه هو

سقا جدثا حل في شقه ... مؤلفه و...

وأرجو المسامحة ممن وقف على هذه الأبيات فإنها ارتجاله من فرحـ ...

وقد فُصل بين قيد التملك وهذه الأبيات بثلاثة أختام صغيرة الحجم بيضاوية الشكل لم نستطع فك رموز محتواها.

ينتهي متن كتاب سراج العقول عند وجه الورقة 140 من المخطوط،

وآخره: ""تم الكتاب بعون الله تعالى وحسن تيسيره وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين؛ وقد فرغ منه كاتبه وصاحبه العبد الفقير الراجي عفو الله وغفرانه أحمد بن إبراهيم بن محمد بن الحسن الساوي أحسن الله عاقبته ببلد أبهر في الخانكاه [كذا] المنسوب إلى شير كبير رحمه الله في شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة (570هـ)"

وتجد على ظهر الورقة المذكورة الأبيات التالية:

قف على بـاب كـريم كلـــمـــــا ... طَرَقَ الطارق بـالـخـيـر فتـــح

وإذا ناديت يوماً ســـــــيـــــدي ... قال لبيك وأعــطـى ومـنـــح

وإذا أذنبت ذنباً فاحشــــــــــــاً ... سَتَرَ الذنب وإن تُبت صفـــح[2]

يا بعيد الدار لكم هذا الجفـــــا ... وزناد الشوق في القلب قـدح

Ahlwardt Wilhelm, Die Handschriften-verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin, Berlin, A. ASHER & C°., 1892, vol. 4, p. 189.

[1] المرجح أن تطابق سنة 1095هـ وهو ما تؤكده المصادر المذكورة في الهامش أعلاه.

[2] ويروى "ستر العيب".

نحن ما نعشق إلا واحـــــــــدا ... غلب الوجد علينا فشطـــــح

واغنموا الكاسات في جنح الدجى ... هيا هيا يا نديمي لا بـــــــراح[1]

على يسار الأبيات السابقة في هامش الورقة كتب البيتان التاليان:

بعث الهدايا ينـــدب ... فيها الرسول مرغب

فأقبل وقابل بالرضى ... والتبر منكم يطلـــب[2]

ثمّ:

مِراض نحن ليس لنا طبيـــــب ... ومهجورون ليس لنا حبيـــــب

فداء الحبّ ليس لـــــــه دواء ... ولو كان المسيح له طبيـــــب

فوا عطشا وهذا الماء جـــاري ... ووا أسفا ومن أهوى قريـــــب

حبيبي أنت أم عـــــــــدوي ... فِعالك ليس يفعلها حبيـــــب

حبيب ليس يعدله حبيـــــب ... ولا لسواه في قلبي نصيـــــب

حبيب غاب عن نظري وسمعي ... ولكن عن فؤادي لا يغيـــــب

فقالوا هل لداك مــــــن دواء ... فقلت بلى إلى وصل الحبيـــب

شبابك راعني والشيب ولـــــي ... وحبك قادني قودا خبيـــــــب

أنت حبيب قلبي من زمــــــان ... براني الحب ليس لي من طبيب

وصرت متيما لاحـــــــــــد ... بليت بحب من أهوى قريـــب

بليت بحب ظبي وهو ســـاري ... وغير الحب ما لي من حبيـــب

طبت بهم وطابوا لي زمانـــــا ... وما طيب الأحبة والحبيـــــب

أحبك لا أحب سواك شخصـا ... فتهجرني فذا شيء عجيـــــب

إذا كان المحب قليل حـــــظ ... فما حسناته إلا ذنـــــــــوب

واستدرك بيتان من نفس القصيدة على يسار هامش نفس الورقة:

---

[1] الأبيات لمحمد بن أبي الحسن البكري (930-994هـ/ 1524-1586م)، ترجمان الأسرار، تحقيق مصطفى عبد الغفار مغازي ز آدم عبد الحميد صبرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1442هـ/ 2021م، ص 118- 119.

[2] لم نقف على قائلهما.

ولو بيد الحبيب سقيت سمــــا ... لكان السم من يده يطيــب
وكم في الناس من حسن ولكن ... ألذ العيش ما تهوى القلوب[1]

أما الورقة التي تليها فنجد فيها:

يا راحلين إلى منى بقيـــــادي ... شوقتموا يوم الرحيل فـــؤادي
وحرمتموا جفني الرقاد لبُعدكـــم ... يا ساكنين المُنحنى والـــوادي
سرتم وسارت عيسُكم يا وحشتي ... العيس أطربني وصوت الحـادي
وإذا وصلتُم سالمينَ فبلّغـــــوا ... منّي السلام أُهَيْلَ ذاك الـــوادي
وتذكّروا عند الطواف متيمـــــاً ... صبّاً؟؟ براه الشوق والإبعـــــادِ
لي في رُبا أطلال مكّة مرهـــــم ... فعسى الإلهُ يجودُ لي بمـــرادي
ويكون لي ما بين زمزم والصفـــا ... عند المقام سمعت صوت منادي
ويقول لي يا نائماً قم للسُـــــرى ... عرفاتُ تجلو كلّ قلبٍ صـــادي
من نال من عرفات وقفة حجـــة ... نال السرور ونال كل مــــرادي
لو تنظر العالمين عند عشيـــــة ... والركب منتشر كنشر جـــراد
لله ما أحلى المبيت على منــــى ... في يوم عيد أشرف الأعيـــــاد
الناسُ قد حجّوا وقد بلغوا المنـى ... وأنا حججتُ ولا بلغتُ مــرادي

---

[1] هذه القصيدة شطرها أبو الهدى الصيادي وأخرج لنا قطعة قال في مقدمتها: وقلت مشطرا قول بعض العارفين أصحاب نوابغ الإفادات...، و مطلعها:

أتمرضنا وأنت لنا طبيب ... وتبعدنا وأنت لنا قريب

وللمقارنة بينهما انظر كتابه سمير الغرباء ونديم الأدباء، تحقيق عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط، حماة، 1410هـ/ 1990م، ص 95- 96، وتوجد نفس القصيدة في كتابه هذا ديوان الدر المنتظم مختصر براهين الحكم، استانبول، 1322هـ/ 1904م، ص 42- 43.

وفي القصيدة أبيات تشبه تلك التي ذكر صاحب فوات الوفيات وعزاها لمنصور بن محمّد بن علي، أبو نصر الخباز المعروف بالنيري، (ت 450هـ/ 1058م) وهي:

حبيبي ما يفارقك الرقيـــب ... ولا لي منك يا سكني نصيب
ولا تخلوا وأخلوا معك يوماً ... فأملي من حديثك ما يطيـب
أحب لا أحب سواك خلقــاً ... وتبغضني وذا شيء عجيـب

انظر ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1393هـ/ 1973م، ج 4، ص 172.

نحروا ضحاياهُم وسالت دماؤُهـــا ... وأنا لأجلهم نحرتُ فـــؤادي
حلقوا رؤوسَهم وقصّوا شعرَهُـــم ... أمر المُهَيمنُ صحة الأجســادِ
يا ربِّ أنت وصلتَهُم وقطَعتنـــي ... بحياتهِم يا ربّ فك قيـــادي
بالله يا زوّارَ قبرِ محـمّـــــدٍ ... من كان منكُم صادرا أو غـادِي
أن تُبلغوا المُختارَ ألفَ تحـيّـــةٍ ... من عاشقٍ متفتت الأكبـــادِ
ثم الصلاة على النبي محـمـــد ... ما سارَ ركبٌ أو ترنَّمَ حـــادي[1]

على يسار هذه القصيدة نجد البيت التالي متبوعا بتعليق عليه:

تثلث محبوبي وقد كان واحدا ... كما صيروا الأقنام بالذات أقنما[2]

لأنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم: الأب والابن وروح القدس، ولم يعلموا بأن الأب الذات، وبالابن العلم وبروح القدس الحياة ولله در رجال حققوا هذا الشيء. والله أعلم

على ظهر الورقة قصيدة هذا نصها:

صلى عليك الله يا علم الهـــدى ... يا سيد الكونين يا خير الـــــورى
ما هبت الأرياح في وادي منـــى ... وزمزم الحادي وما ركب ســـــرى
يا من يصيد بلحظه أسد الشـــرى ... وسبي الغزالة والغزال الأحـــــورا
جسمي يذوب لطول هجرك بالضـنى ... [بالحب منك][1] والقلب من نار الغرام تفطّرا

---

[1] القصيدة لعبد الرحيم بن أحمد بن علي البُرَعي الهاجري اليماني، توفي سنة 803هـ/ 1400م كما ذكره أحمد خيري بك في إزالة الشبهات عن قول الأستاذ: كنا حروفا عاليات، مخطوط مكتبة أحمد خيري، رقم 50 تصوف، ص 70؛ وهي في ديوانه وقد اختلفت طبعات الديوان في عدد الأبيات إلا أن الراجح هو ما ورد هنا، مع بعض الاختلاف في ترتيب الأبيات وسقوط بعضها واختلاف في تركيب بعض العبارات واختيار الكلمات. انظر ديوان البُرَعي، الطبعة القديمة بالقاهرة، المطبعة المحمودية، ربيع الثاني 1315هـ/ أغسطس 1897م، ص 150. ونشر بعد ذلك بعناية إبراهيم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1391هـ/ 1971م، ص 75.

[2] البيت الرابع من قطعة لابن عربي مطلعها:

بذي سلم والدير من حاضر الحمى ... ضباء تريك الشمس في صور الدما

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، دمشق، دار اليقظة العربية، 1387هـ/ 1968م، ج 1، ص 290.

حيرتني في الحب فيك وكم فتـــى ... فيه مدا الزمان تحـــيـــــــــــرا
وهديتني بالوجد ثم أخذتني عمـــا ... سواك نصرة أنت ولا مـــــــــــــرا
طال الصدود وما عهدتك هكـــذا ... من ذا الذي لك يا حبيبي غيّـــــــــرا
زرني ولو في النوم يا كل المنـــى ... واسمح لطيف الطيف يأتي بالكــــــرى
ما كنت ضمن! من صدودك والجفـــا ... يسلو هواك ولا يروم تغيـــــــــــــرا
شاع الحديث بأنني بك مغـــــرم ... تاالله ما هذا الحديث بمفتـــــــــــرا
يا عادلي خل لملامة في الهـــوى ... واسمع مقالي في الغرام وما جـــــــرى
جسمي يذوب من الضنى وحشـــ ... ـاشتي محشوة نارا ودمعي قد جـــــرى[2]
كم ليلة ليلاء لست أنامهـــــــا ... والفرقدان بما جرى لي أخبـــــــــرا
من يوم سار الركب ضلت مهجتـــي ... [عني][3] وحادي العيس أعنف بالســـــرى[4]

تحت هذه القصيدة الختم الذي أشرنا إلى صنوه في بداية وصف هذه النسخة ونصه كما ذكرنا:
"وقف هذا الكتاب لله أبو عبد الله ولي الدين جار الله، بشرط أن لا يخرج من خزينة جامع السلطان محمد القسطنطينية سنة ...".

كتب أعلى الورقة الأخيرة بلون أحمر: "من عز قنع" وبنفس اللون قبالة هذه العبارة كلمة: "شعر" ثم بعد ذلك بقلم أسود وخط مغاير أربعة أبيات باللغة الفارسية ختمها ناسخها بعبارة "رباعيات في النصيحة" كتبت على اليسار تحت البيت الأخير.

منال لذت دنيا كراندام نفس آمد ... وقتست كه لاشه [...]لك من خسته
حو در كف مساس آبد مضاعف كرد دوخاه ... بر آخر خاص او ليس سته
[...]س خاريدم وديدم ... وين بلبل خوش نواكه روحش
كزان خارس بحر سورش دكر سودى نمى داره ... روزى دوازنى نبد قفس

---

[1] ما بين المعقوفتين استدرك بالهامش متبوعا برمز "صح".

[2] على هامش هذين البيتين عبارة "تأمل هذين البيتين".

[3] استدرك فوق السطر.

[4] لم نقف على صاحب هذه القصيدة.

تلا هذه الأبيات بيتان آخران باللغة الفارسية، أيضا واحد على اليمين والآخر على اليسار؛ لم نستطع فك كل رموزها إما للمحو الذي أصاب الورقة أو لتآكلها، وهذا ما استخلصناه منها:

[...] بروما لبدم وديدم ... سخر [...] وليكى سلامي داره

يكن كارى كه خوا هى كردن امر[...] ... بفرد امفكنش [...]

واختتمت الورقة بمتفرقات جاءت كالتالي:

كفاني يا حبيبي ما أعا[...] ولعلها: "أعاني".

العِزُّ في العزلةِ لكنهُ ... [لا بُدَّ للناسِ من الناسِ]

فائدة: قال الأفقهسي[1]: "المياه المكروهة: المشمس، وشديد الحرارة والبرودة، وماء ديار ثمود إلا بئر الناقة، وماء المؤتفكة وهي ديار قوم لوط، وماء بئر برهوت وهي بين حضرموت من أرض اليمن، وفي الحديث: خير بئر في الأرض زمزم، وشر بئر في الأرض بَرَهوت، وماء الأرض [كذا] بابل، وماء بئر ذروان". نقلت من حاشية الزركشي[2] على الأنوار[3].

---

[1] شهاب الدين أحمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي أبو العباس الأَقْفَهْسي ثم القاهري الشافعي الشهير بابن العِماد الأَقْفَهْسي (توفي سنة 808 هـ/ 1406 م) فقيه لغوي كثير النظم خصوصا في المسائل الفقهية، أفرد له أبو الخير السخاوي ترجمة ضافية ذكر فيها الكثير من مشايخه وكتبه ونظمه وانتقاداته لمن سبقه من العلماء خاصة في المسائل الفقهية، وله: "التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان"، و"تلخيص تسهيل المقاصد لزوار المساجد" و"أخبار نيل مصر" وغيرها. ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن محمّد الكناني العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانيّة، 1388هـ/ 1968م.، ج 2، ص 332؛ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، مكتبة القدسي، 1353هـ/ 1934م، ثمّ صوّرته دار الجيل في بيروت ونشرته سنة 1412هـ/ 1992م، ج 2، ص 47- 49، رقم: 137؛ ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر ومحمّد الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، 1414هـ/ 1993م، ج 9، ص 110.

[2] لعله بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ الشافعي، اشتغل بالحديث والفقه والتفسير واشتهر كثيرا بعد طباعة كتابه البرهان في علوم القرآن، وهو شيخ معاصر للأفقهسي، توفي سنة 794هـ/ 1392م، السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1387هـ/ 1967م، ج 1، ص 437، رقم: 182.

[3] هو كتاب الأنوار لأعمال الأبرار لجمال الدين يوسف بن إبراهيم الأردبيلي المتوفى سنة 799هـ/ 1397م، عن عمر جاز التسعين سنة. ذكر الأنوار حاجي خليفة وأشار إلى بعض الشروح والتعاليق عليه ولم يذكر له حواشي، ولكن الوصف الذي تجده في فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية، القاهرة، 1308هـ/ 1891م، ج 5، ص 127، ضم إشارة إلى حواشي وضعت على هذا المؤلف. من بين الحواشي على أنوار الأردبيلي المعروفة حاشية البوشي، نور الدين علي بن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد الأنصاري

على ظهر نفس الورقة هذه الأبيات:

"... حقائق زاهرات ... مبرهنة بأخبار الرسول؛ ... يضيء به خفيات البرايا؛ ... به سراجا للعقول؛ سراج دهنه لطف المعاني؛ ... وزجاجته أرق من الشمول؛ ربنا من كل حيف؛ ... فاتعب ذهنه في ذا الفضول". قد تم الكتاب.

ثم بعدها:

"...نظر فيه واستفاد منه أن يدعو خيرا لصاحبه الكاتب ...المؤمنين وللناس ...غفر الله له ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ... محمد وآله الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين".

وبخط مائل كتب أسفل هذه الدعوات على اليمين: "عن عائشة رضي الله عنها ... وتغالطه..."

وعل اليسار: "

أما والذي لا يعلم الغ[يب غيره] [...][1]

أما والذي أبكى وأضـ[حك][2]

ثمّ:

شعر أخذت بالجمة رأسا أزعرا

وبالثنايا الواضحـــات دردرا

الشافعي، (791- 856هـ/ 1388- 1451م)؛ وحاشية الأُشْموني نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى بن يوسف (838- 900 هـ / 1435- 1495 م)؛ وحاشية الدَّوَّاني، جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي (830- 918هـ/ 1427- 1512م).

[1] جزء من بيت من مقطوعة لحاتم الطائي:

أما والذي لا يعلم الغيب غيـــــره ... ومن هو يحيي العظم وهي رميم

لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهى ... محافظة من أن يقال لئيـــــــم

وهي في ديوانه، انظر ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعة يحيى بن مدرك الطائي ورواية هشام بن محمد الكلبي، تحقيق عادل سليمان جمال، القاهرة، مطبعة المدني، 1401هـ/ 1380م، ص 184، رقم: 27. والبيت الأول من الشواهد الشعرية المنتشرة المشتهرة في كتب التفسير والنحو واللغة.

[2] الشطر الأول من البيت التاسع من قصيدة لابن صخر الهذلي، عبد الله بن سهم السلمي، حسب رواية أبي سعيد السكري، انظر شرح ديوان الهذليين، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج ومحمود محمّد شاكر، القاهرة، مطبعة دار العروبة، 1384هـ/ 1965م، ج 2، ص 957؛ الأصفهاني، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرون، بيروت، دار صادر، 1423هـ/ 2002م، ج 24، ص 69.

وبالطويل العمر عمرا حيـــدرا

كما اشترى المسلم إذ تنصـــرا[1]

ثمّ بعده:

الله الله الله الله هو السميع المجيب

زارني حبي وطابت أوقاتي ... وسمح لي الحبيب

عفا عن جميع زلا ... تي على كيد الرقيب[2]

وسرني مؤنسي وزال الباس ... وسمح بالوصال

حضر حضرتي ودار الكاس ... وبلغت الآمال[3]

شربنا وطابت الأنفاس ... خمرة قد جلت مسراتي[4]

دون عنب دون تزبيب

جمعت؟ أداتي وعصيت الرقيب[5]

أي خلاعة أي خمر أي خمار أي طرب أي غـ...

كؤوس تبسمت أزهار وأديرت لنا

فوق سوق منابر الأشجار بينا[6]

---

[1] البيتان 12 و 13 من رجز لأبي النجم أوله:

تريك جسما في الثياب عبهرا

انظر ديوان أبي النجم العجلي، جمع وشرح وتحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1427هـ/ 2006م، ص 178.

[2] لم نقف على قائله

[3] نفسه.

[4] نفسه.

[5] نفسه.

[6] نفسه.

النسخة التي رمزنا لها بحرف (ص):

وهي التي سبق وأن تحدثنا عن جوانب منها في مقدمة طبعتنا الأولى للكتاب نظرا لعدم تمكننا آنذاك من الحصول على صورة منها؛ وهي محفوظة بمكتبة آيا صوفيا تحت رقم 1848. تتكون هذه النسخة من 304 ورقة، وقد كتبت بخط واضح وجميل، تحتوي كل صفحة منها على 13 سطرا، عدد الكلمات في السطر الواحد يتراوح من 6 إلى 9 كلمات. كتب الناسخ عناوين الأبواب الرئيسية والفرعية بخط غليظ أسود، وتميزت الآيات القرآنية بخط أحمر فوقها، على حواشيها تصويبات واستدراكات لما سقط منها، وقد أشير لموضع الخطأ أو السقط في المتن بخرجة. والنسخة على العموم جيدة مقروءة ومصححة، يعتريها في بعض الأحيان بعض السقط أو التصحيف، وقد أشرنا إليها في الهوامش.

على الغلاف عنوان الكتاب: "سراج العقول في منهاج الأصول"

وكتب على الورقة الأولى بخط آخر واضح وجلي: "كتاب سراج العقول في منهاج الأصول في نوبة من يثق بربه ذي الجود والبر محمد بن محمد بري[1] لطف الله به". وتحته، في وسط الصفحة ختم وقف السلطان: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وقف محمود خان بن مصطفي خان". وعلى الختم بلون أحمر بخط مغاير لا إله إلا الله. وأسفل الختم تقييد وقف الكتاب: "قد وقف هذه النسخة الجليلة: سلطاننا الأعظم، والخاقان المعظم، مالك البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، السلطان بن السلطان، السلطان الغازي محمود خان؛ وقفا صحيحا شرعيا. حرره الفقير: أحمد شيخ المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين، غفر لهما".

---

[1] لعله شمس الدين محمد بن محمد بن بري الدمشقي. نعته الغزي، الذي أفرد له ترجمة، بالعبد الصالح، وقال "كان من أهل الخيرات". توفي سنة 916هـ/ 1510، وكان قد أوصى ولده الشهابي أحمد بعمارة جامع مسلوت بحارة زقاق البركة بدمشق بعد أن آل إلى الخراب. الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م، ج 1، ص 19، رقم: 21. وقد نسب كتاب سراج العقول إليه في فهرست مكتبة صوفيا حيث كتب اسمه كالتالي محمد بن محمد البري. انظر دفتر كتبخانة آيا صوفيا، إستانبول، دار سعادت، 1304هـ/ 1886م، ص 111.

تحت هذا الوقف ختم جلله الحبر الأسود لم نتمكن من فك رموزه إلا أنه يشبه كثيرا ما وجدناه في مخطوطات كثيرة ضمتها مكتبة آيا صوفيا وهو لمحرر الوقف المفتش أحمد شيخ زادة ونصه: "يا رب ربو وتوفيق تمنا كند أحمد".

أما آخر الكتاب فكان كالتالي:

"نجز الكتاب وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين، في صبيحة يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة ست وسبعين وخمسمائة، وكتبه أضعف خلق الله وأحوجهم إلى مغفرته عبد الرزاق بن عبد الغفار بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي مصليا ومسلما ومستغفرا".

النسخة التي رمزنا لها بحرف: (ع):

نسخة مصوّرة من محفوظات مكتبة شهيد علي باشا بإستانبول، وهي ضمن مجموع يحمل رقم: 1216. سبق لنا اعتماد هذه النسخة لتحقيق بعض الرسائل التي نشرنا منها "كتاب في المعرفة المسمى بنور الحقيقة ونور الحديقة"[1] و "مصفاة الصفات في الرد على النفاة و رسالة بدء الخلق وتنزيه الحق"[2]، وقد كان وصفنا للمخطوطة كالتالي: "يتكوّن المجموع من 158 ورقة، 21 × 15 سم، عدد سطور الصفحة الواحدة 31 سطرا، وعدد كلمات السطر الواحد يتراوح ما بين 10 و13 كلمة. خطّه فارسي، وكاتبه كما جاء في خاتمة النسخة محمد بن صالح الكدوسي. كتبت بعض عناوين الرسائل والكتب التي ضمها المجموع بالحبر الأحمر، وكذلك الشأن بالنسبة لعناوين الأبواب والفصول والمسائل؛ كما فصل الناسخ بين كلام المؤلف وبين الآيات بوضع خط أحمر على ما استشهد به من كتاب الله عز وجل. وقد تمّ نسخ هذا المجموع كما هو واضح من الورقة 68 في شهر رجب سنة 1039هـ/ مارس 1630م.

---

[1] باريس، 1445هـ/ 2024م.
https://archive.org/details/20240504_20240504_1852/mode/2up

[2] بيروت، دار الكتب العلمية، 1446هـ/ 2025م.

على واجهة الكتاب وبالتحديد، في الزاوية اليسرى من الورقة ختم كتب داخله: "من كتب الفقير عليّ غفر له". يتلو هذا الختم أسماء أبواب وفصول وفواتح وخواتيم الرسائل والكتب التي ضمها المجموع مع إيراد رقم الورقة تحت كل عنوان، وقد استمر هذا الجرد حتى طال ظهر واجهة المخطوطة.

يوجد في وسط وجه الورقة الأولى ختم هذا فحواه: "مما وقفه الوزير الشهيد على باشا رحمه الله بشرط ألا يخرج من خزانته". وهو نفس الختم الذي نجده في آخر ورقة من الكتاب. على نفس الورقة الأولى تملُّك حاولنا فك رموزه، لكننا لم نتمكن إلا من حلّ بعضه، لأن فوقه وقف بخط مغاير لم نهتد أيضا لقراءته كاملا، وجاء نص التملك كالتالي: "ملكه العبد الفقير مصطفى بن شيخ [كذا] محمد بن صالح بن عبد القدير...".

سقطت من هذه النسخة عدة أبواب من كتابيْ *نور الحقيقة ونور الحديقة* وكتاب *سراج العقول في منهاج الأصول*، وقد ترك الناسخ محل هذا السقط بياضا شمل:

آخر الورقة 47؛ و48 -49؛ وهذا البياض هو ما تعلق بكتاب *نور الحقيقة*.

سقط من هذه النسخة أيضا بداية كتاب سراج العقول ولم يترك الناسخ بياضا للإشارة لعدد الأوراق التي فقدت، في حين أومأ إلى باقي ما ضاع من الكتاب بتركه بياضات: آخر ورقة 77؛ والورقة 88؛ وآخر ورقة 142؛ (وهو ما يقابل قسما من الباب 24) وكذلك 143- 145 -146، والتي تخص الأبواب 25 إلى 27. وانتهت المخطوطة عند بداية الباب السادس والثلاثين، وبهذا سقط المقدمة من كتاب سراج العقول، والأبواب 25 إلى 27- وأخر الباب 37 إلى 40 والخاتمة. هناك رسالة أخرى حواها نفس المجموع اعتراها نفس العطب فسقط آخرها وهو البياض الذي نجده آخر الورقة 76.

يصل عدد الكتب والرسائل التي شملها هذا المجموع إلى عشرة، وقد وردت هذه المصنفات على الترتيب التالي:

1- *تنزيه الحق وبدو الخلق*. (من الورقة 1 إلى الورقة 9)؛ وقد أورد الناسخ بعدها مباشرة حديث الصحابي حارثة رضي الله عنه الذي سأله النبي ﷺ: كيف أصبحت يا حارثة؟"[1].

2- *الإبانة عن معنى الإغانة*. (من الورقة 9و إلى الورقة 11ظ).

3- *شرح تسبيحة الأبدال ومعنى الجلال والجمال*. (من الورقة 11ظ إلى الورقة 15و).

4- *بيان النحو في علم البدو*. (من الورقة 15و إلى الورقة 19ظ).

5- *حل العَيبة عن حال الغَيبة*. (من الورقة 19ظ إلى الورقة 24و).

6- *الياقوت في تسبيح الملك والملكوت*. (من الورقة 24و إلى الورقة 37و).

7- *مصفاة الصفات والرد على النفاة*. (من الورقة 37ظ إلى الورقة 46و).

8- *نُور الحقيقة ونَور الحديقة في إثبات المعرفة*. (من الورقة 46و إلى الورقة 68و) وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

9- *الرسالة الواوية*. (من الورقة 68ظ إلى الورقة76ظ).

10- *سراج العقول في منهاج الأصول*. (من الورقة 77و إلى الورقة 158ظ).

لم ترد كل هذه الرسائل والكتب بعناوينها في هذه النسخة، بل إن ناسخها قد أغفل ذكر بعضها، ما دفعنا إلى الاستعانة بالمخطوطة الثانية لضبط بعض العناوين، والتي سنتفرغ لوصفها بعد الفراغ من (ع)؛ فالناسخ على سبيل المثال لم يورد عناوين الرسائل الثلاثة الأولى، ولا حتى عنوان كتاب *سراج العقول*، بل إنه ترك مواضع عناوين بعض أبواب سراج العقول سيما الأخيرة منه فارغة،

---

[1] رواه ابن المبارك، عبد الله المروزي، كتاب الزهد والرقائق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1425هـ/ 2004م، ص 125، رقم: 314؛ وابن الأعرابي، أحمد بن بشر، معجم ابن الأعرابي، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، جدة، دار ابن الجوزي، 1418هـ/ 1997م، ج 1، ص 130- 131، رقم: 206؛ والطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد، القاهرة، مكتبة ابن تيمية،1397هـ/ 1977م، ج 3، ص 302، رقم: 3367؛ وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة، مكتبة الخانجي، طبعة 1416هـ/ 1996م، ج 1، ص 242؛ نفسه، معرفة الصحابة، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن للنشر، 1419هـ/ 1998م، ج 2، 777- 778، رقم: 2069؛ البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق محمّد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1421هـ/ 2000م، ج 7، ص 363، رقم: 10591؛ نفسه، الزهد الكبير، تحقيق عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الجنان/ مؤسسة الكتب الثقافية، 1408هـ/ 1987م، ص 355، رقم: 973.

بينما أولى عناية خاصة لكتاب *نور الحقيقة* حيث حرص على تثبيت عنوان الكتاب مقرونا باسم مؤلفه على النحو التالي:

كتاب *نور الحقيقة ونور الحديقة*، تأليف الشيخ الإمام الأجل العالم بهاء الدين مجد الإسلام شرف الأفاضل أبو محمد طاهر بن أحمد بن محمد القزويني، حرس الله جماله، وزاد أفضاله، مكتوب على قبره بقزوين:

أعجوبة من عجب الدهر ... إطباق لوحين على بحر[1]

في نوبة كاتبه محمّد بن صالح الكدوسي متعه الله به وأصلح شأنه".

النسخة التي رمزنا لها بحرف: (س):

وقد اعتمدناها أيضا عند تحقيقنا لنور الحقيقة و"مصفاة الصفات" و"تنزيه الحق" وقد ذكرنا عند وصفنا لهذه النسخة في مقدمنا لهذه الرسائل ما يلي:

نسخة مصوّرة من محفوظات مكتبة أسعد أفندي بإستانبول، وهي ضمن مجموع يحمل رقم: 1363 (وقد سبق ذكرها والإشارة إليها في مقدمة الطبعة الأولى)، وقد رمزنا إليها هنا بحرف (س). يتكوّن المجموع من 221 ورقة؛ 21 × 15 سم؛ عدد سطور الصفحة الواحدة 23 سطرا، وعدد كلمات السطر الواحد يتراوح ما بين 11 و13 كلمة. خطّه نسخي معتاد، وكاتبه كما جاء في أماكن متعددة من المخطوطة هو أحمد بن محمد القرماني، وهو كما حكى عن نفسه: "خطيب بمسجد هزار دينار".

. كتبت عناوين الرسائل والكتب التي ضمها المجموع بالحبر الأحمر، وكذلك الشأن بالنسبة لعناوين الأبواب والفصول والمسائل؛ ولم يُفَوِّت الناسخ على نفسه الفرصة ففصل هو أيضا بين الفقرات بوضع خط أحمر على الكلمة الأولى من كل فقرة.

---

[1] ذكر أبو الحسن الهروي (ت 611هـ/ 1214م) في كتاب الإشارات الى معرفة الزيارات، عند حديثه عن قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعي أنه رأى "في مشهده مكتوبا على الحائط شعرا:

أعجوبة من عجب الدهر ... إطباق لوحين على بحر".

الإشارات إلى معرفة الزيارات، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ/ 2002م، ص 38.

على وجه الورقة الأولى من الكتاب ختم كتب داخله: "الكتب التي أوقفها العبد الفقير إلى كرم ربه الصمد شيخ زاده محمد أسعد حين كونه نقيبا للأشراف، أنجاه الله سبحانه مما يخاف". يتلو هذا الختم جرد لأسماء الرسائل والكتب التي ضمها المجموع مع إيراد رقم الورقة تحت كل عنوان، فجاءت كالتالي:

1- *تنزيه الحق وبدو الخلق*. (من الورقة 1ظ إلى الورقة 10ظ).

2- *سراج العقول في منهاج الأصول*. (من الورقة 11و إلى الورقة 117ظ).

3- *الياقوت في تسبيح الملك والملكوت*. (من الورقة 118و إلى الورقة 135ظ).

4- *مصفاة الصفات والرد على النفاة*. (من الورقة 136و إلى الورقة 147ظ).

5- *نُور الحقيقة ونَور الحديقة في إثبات المعرفة*. (من الورقة 148و إلى الورقة 172ظ).

6- *حل العَيبة عن حال الغَيبة*. (من الورقة 173و إلى الورقة 179ظ).

7- *شرح تسبيحة الصوفية وأسرارهم*[1]. (من الورقة 180 وإلى الورقة 199و).

8- *شرح تسبيحة الأبدال ومعنى الجلال والجمال*. (من الورقة 200 وإلى الورقة 205ظ).

9- *أسئلة عجيبة وأجوبة غريبة*[2]. (من الورقة 206و إلى الورقة 210ظ).

10- *الرسالة الواوية*. (من الورقة 211و إلى الورقة 220ظ).

ومما تجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه وجود رسالة أخرى للقزويني في هذا المجموع أقحمها الناسخ ضمن كتاب سراج العقول في منهاج الأصول وجعل منها الباب الخامس من الكتاب الشيء الذي أخل بترتيب أبواب هذا المؤلف وهذه الرسالة هي "الإبانة عن معنى الإغانة" (من الورقة 25و إلى الورقة 27ظ). وهي الرسالة الثاني في ترتيب المجموع السابق الذكر (ع): (من الورقة 9و إلى الورقة 11ظ).

وردت جميع الكتب والرسائل التي هي من تأليف القزويني في النسخة (س) بعناوينها، ولم يذكر الناسخ عنواني الرسالة 7 و9 إلا في الجرد الذي نجده على الورقة الأولى من المخطوطة، وهما

---

[1] هذه الرسالة ليست للقزويني وسوف نبين ذلك.

[2] رسالة لا صلة لها بالقزويني وسنذكر أسباب ذلك فيما بعد.

رسالتان ليست لهما صلة بالقزويني، وقد تحفّظ الناسخ من نسبتهما إليه، مما يفند بعضا من تلك المآخذ التي أخذها عليه محقق *نور الحقيقة* حين ذهب إلى حد نعته بالعبث بكتب القزويني وهو أمر فيه نظر[1]، وذلك لأن العبث يكون مقصودا، وهذا شيء يتطلب منا الاطلاع على السرائر.

استهل الناسخ جميع الرسائل والكتب بوصيته التي يقرر فيه وقف كل كتاب ورسالة على العلماء من أبناءه الذكور ...، وهذا نص الوصية التي قد طمست في بعض المواضع سطور منها:

"وقفت هذا الكتاب وقفا شرعيا مرعيا لا يباع، ولا يوهب، ولا يرهن، ولا يودع، ولا يؤجّر، ولا يورث، طلبا لمرضاة الله العفو والغفور. واشترطت وقفيته لعلماء أولادي الذكور مع التولية، فإن انقرضوا فعلماء أولاد ذوي الأرحام مع التولية، فإن انقرضوا فعلماء أولاد العصبات مع التولية، فإن انقرضوا، فالرأي إلى الحاكم، ﴿فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم﴾ (البقرة؛ 181). ولعنة الله على من غيّر شروطنا، وأنا خصمه يوم القيامة شكوت إلى ربنا ونبينا. وأنا الفقير أحمد بن محمد القرماني، الخطيب بجامع هزار دينار".

وردت هذه الوصية في المجموع على الورقة الأولى ولكنها طمست ليوضع مكانها أو فوقها ختم مكتبة أسعد أفندي، ثم أعيدت كتابتها على الورقة (11و) حيث طمس أولها (مقدار سطرين)، لكنها جاءت مقرونة هذه المرة بختم تملك، بيضاوي الشكل، كتب داخله: "وقفه أحمد القرماني لعلماء أبنائه ثم الأرحام ثم العصبة". ثم جاء ذكر هذه الوصية متبوعة بالختم المذكور ثماني مرات: (الأوراق: 118و- 136و- 148و- 173و- 180و- 200و- 206و – 211و).

حوى هذا المجموع كما ذكرنا عشرة عناوين ما بين كتاب ورسالة، ثمانية منها من تأليف القزويني، وقد عزاها الناسخ أيضا إليه، بينما ظلت الرسالتان السابعة والتاسعة دون عزو، والحقيقة أنّ الرسالتين ليستا لمؤلف سراج العقول وإنما هما لغيره.

الرسالة الأولى:

عنوانها كما ذكرنا في القائمة السابقة هو: *شرح تسبيحة الصوفية وأسرارهم*. (من الورقة 180 وإلى الورقة 199و).

---

[1] انظر ص 92؛ وسوف نقف عند هذه النقطة عند عرضنا لوصف كتاب نور الحقيقة كما جاء في النسخة الثانية.

ذكرها حاجي خليفة في موضعين من كشف الظنون دون نسبة في المرة الأولى تحت عنوان "أسرار الطالبين"[1] وقال في وصفها: "رسالة في الأخلاق والتصوف، أولها: الحمد لله القادر العليم إلخ. رتب على أربعة وعشرين فصلا بعدد حروف لا إله إلا الله". وعزاها في المرة الثانية لأبي المحاسن يوسف بن هبد الله بن عمر الكردي الكوراني العجمي[2]، وسماها: بيان أسرار الطالبين[3].

وقد نشرها الأب إغناطيوس عبده خليفة اليسوعي في مجلة المشرق[4] تحت عنوان "رسالة في التصوف". لم نتمكن من الاطلاع على القسم الأول من هذه النشرة لتعذر حصولنا عليه، بينما استطعنا الحصول على القسم الثاني الذي يبدأ من الفصل الحادي عشر وينتهي بالفصل الرابع والعشرين، وهو خاتمة الرسالة، وعند مقارنتنا للنسختين تبين لنا أنّ نسختنا ناقصة لسقوط الأبواب 17- 18- 19 منها، وقد ترتب عن هذا النقص اضطراب في ترقيم الفصول.

وقد عبثَ بنشر هذه الرسالة تدليسا وتحريفا وعَزْوا شلة من المحققين المعاصرين! تحت عناوين مطاطية تزيد وتنقص، قاسمها المشترك عبارة: "سر الأسرار". ومن هؤلاء المحققين:

- أولا: خالد محمد عدنان الزرعي ومحمد غسان نصوح عزقولي[5]

---

[1] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستانبول، 1360هـ/ 1941م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1401هـ/ 1980م، ج 1، ص 83.

[2] انظر بشأنه ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن محمّد الكناني العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، 1349هـ/ 1930م ج 4، ص 463، رقم: 1267؛ ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، وزارة الثقافة، 1383هـ/ 1963م، ج 11، ص 94- 95؛ كحالة، عمر، معجم المؤلفين، تراجم مصنّفي الكتب العربية، بيروت، مكتبة المثنّى، 1376هـ/ 1957م ج 13، ص 313- 314.

[3] نفسه، ج 1، ص 260. وانظر خصوصا ما ذكره يحيى عثمان حول نسبة الرسالة لابن عربي وغيره، في بحثه: مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها، القاهرة، ترجمة أحمد حسن الطيب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1422هـ/ 2001م، ص 223- 224، رقم: 135، المالح، محمد رياض، الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي: سلطان العارفين وإمام المحققين وبقية المجتهدين، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 1428هـ/ 2007م، ص 142؛ نفسه، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، قسم التصوف، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربي بدمشق، 1398هـ/ 1978م، ج 2، ص 59- 60، رقم: 1108.

[4] نُشر القسم الأول في: عدد 3/ السنة 54، 1960م، ص 196- 234؛ وتلاه القسم الثاني: في عدد 3/ السنة 54، 1960م، ص 298- 316.

[5] سر الأسرار، دمشق، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، 1411هـ/ 1991م.

- وثانيا: أحمد فريد المزيدي[1]

- وثالثا: عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة[2]

والجميع اطمأن لعزوها للإمام عبد القادر الجيلاني. وليس لنا من تعليق على هذا الأمر الذي ابتلى به الله تراث المسلمين إلا أن نردد مع من قال قديما: " إذا لم تستح فافعل ما شئت".

الرسالة الثانية:

ورد عنوانها في المجموع كالتالي: "أسئلة [كذا] العجيبة وأجوبة الغريبة" (من الورقة 206و إلى الورقة 210ظ)، والصواب الأسئلة العجيبة والأجوبة الغريبة، وهي رسالة لم نقف لا على مؤلفها ولا على شبه نسخة لها غير التي حواها مخطوط (1363). وموضوع الرسالة قصة تدور حول مجموعة من الأسئلة بعث بها قيصر الروم لمعاوية بن أبي سفيان وتولى الإجابة عنها الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه. ولهذه القصة نواة تجدها بعضها في كتب الأدب كعيون الأخبار، والعقد الفريد، وبعضها الآخر في كتب الحيوان[3]؛ وقد يمتد بعض مواردها إلى حكايات ألف ليلة وليلة[4].

ماذا عن الحواشي؟

ما يمكن استنتاجه من الحواشي التي تناثرت بكثرة على أطراف أوراق النسخة الثانية:

تُظهر حواشي رسائل هذا المجموع أن الناسخ بذل جهدًا كبيرًا في إتقان واستيعاب التعاليم والآراء الواردة في مختلف الكتب والرسائل. ولهذا الغرض، جمع مكتبة تضم أكثر من ستين مؤلفًا، تشهد، بل تكشف، عن شغفه بكتب التفسير والفقه، ولا سيما الفقه الحنفي. لذلك، تنوعت نقوله بتنوع مصادره، فهي تارة لشرح أو توضيح ما استرعى انتباهه أثناء قراءته لهذه الرسائل والكتب، وتارة لنقل درس أو حكاية يحتاج إليها، أو حتى لنشرها.، أو ربما سعيا منه لنشرها تعميما للفائدة.

---

[1] سر الأسرار ومظاهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار، بيروت، دار الكتب العلمية، 1428هـ/ 2007م.

[2] سر الأسرار ومظهر الأنوار " رسالة في التصوف "، القاهرة، دار الثقافة الدينية، 1418هـ/ 2008م.

[3] الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمّد بن موسى بن عيسى الشافعي، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر، 1426هـ/ 2005م، ج 4، ص 213- 214.

[4] انظر على سبيل المثال لا الحصر ما دار بين شهريار وشهرزاد في الليلة 453.

وقد اعترى هذه النسخة أيضا سقط وتحريف وطمس في مواضع كثيرة، والملاحظ أن السقط الذي عانت منه النسخة الأولى فيما يخص كتاب سراج العقول هو نفسه الذي لاحظناه في هذه المخطوطة مع فارق مهم بين النسختين يكمن في تميز ناسخ المخطوطة 1216 (ع) بالدقة على الأقل في توثيق النص المنقول، وهو أمر لا نلمسه عند ناسخ (س)، بل إن الأمر تجاوز حد السقط إلى البلبلة والتشويش بإدخال فقرات أو فصول لبعض الأبواب في أخرى لا تمت لها بصلة، وإقحام فقرات من كتب للمؤلف ولغيره في متون كتب ورسائل أخرى، وفي ما يلي بعض النماذج مما قلل من قيمة هذه النسخة التوثيقية:

1- الخلط الذي جعل من رسالة القزويني "الإبانة عن معنى الإغانة" بابا خامسا لكتاب سراج العقول، بل تجاوز الأمر حد الخلط إلى حد التلفيق حيث "اختلق" الناسخ لهذا الباب مناجاة لم نجدها لا في نص الرسالة المُقحمة في السراج ولا في السراج نفسه.

2- ختم الناسخ الباب التاسع دون فصله الأخير وأضاف إليه مناجاة مخالفة لما في باقي المخطوطات لم نعثر على بعض عباراتها إلا في كتب الشيعة الإسماعيلية.

3- تتميز هذه النسخة بوجود بعض النصوص التي لا توجد في غيرها من النسخ، كما هو الحال في الباب العاشر المتعلق بخلق آدم عليه السلام.

4- ختم الناسخ ما نقل من الباب 24 بمناجاة معظمها مستقى من مقدمة كتاب المحبة في إحياء العلوم لحجة الإسلام الغزالي.

5- أورد الناسخ الباب 27 ناقصا وختمه بمناجاة ملفقة أولها آيات من سورة النجم وآخرها دعاء مستقى من حديث لكنه صيغ بغير ما ورد به الحديث الأصل؛ ثم تلاه عنوان الباب الثامن والعشرين حسب ترتيب النسخة نفسها وهو "في المعجزات".

6- قسّم الباب 40، والذي يحمل حسب ترتيبه رقم 39، إلى قسمين ووضع بعد هذه القسم العنوان التالي: "الباب الأربعون في تفاريق مسائل التكفير". ولم يتردد في وضع مناجاة من عنده. وقد كان ذلك دأبه في مواضع أخرى من الكتاب.

وقد أشرنا إلى كل هذه التحريفات في الهوامش.

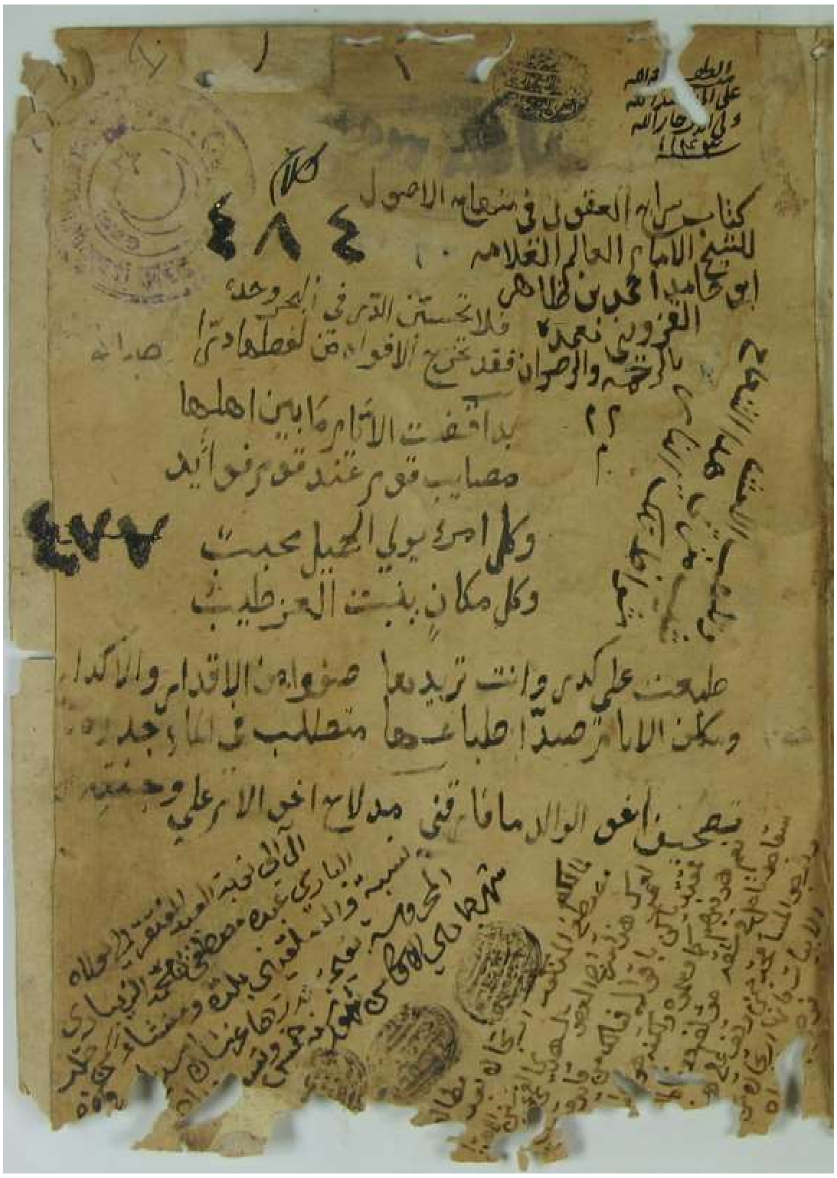
يتضح من هذا كله أن نسخة (س) غير موثوقة، لأن ناسخها حرف كل شيء حتى تظهر روايته لسراج العقول كأنها غير ناقصة ولا محرفة. ولولا وجود روايات أخرى تثبت صحة رواية هذا الكتاب، لنجحت هذه الخطة، ولوصل إلينا هذا العمل محرفًا تحريفًا شديدًا.

النسخة التي رمزنا لها بحرف (ي):

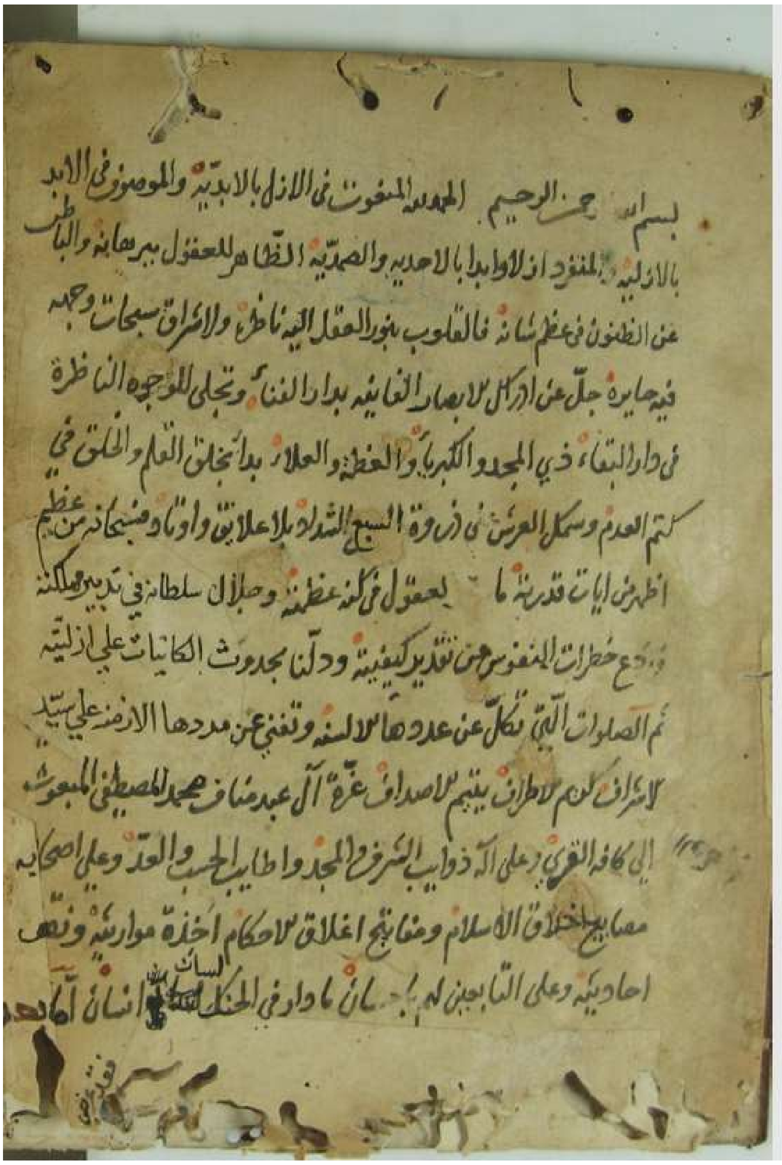
باب مستل من كتاب سراج العقول عثرنا عليه ضمن المجموع المحفوظ بمكتبة يني جامع (الجامع الجديد) أو جامع والدة السلطان (بالتركية: Yeni Cami) وهي داخل المكتبة السليمانية في إستانبول، يتكوّن المجموع من 166 ورقة، واختلفت أعداد السطور من رسالة إلى رسالة وكذلك عدد كلمات في السطر الواحد. يشمل هذا الجزء الباب الحادي عشر من كتاب سراج العقول، عدا المناجاة، (من ورقة 119 إلى ورقة121)، وعنوانه: "في أخذ الميثاق على الذرات" أما العنوان كما ورد في هذه النسخة فقد جاء كالتالي: "رسالة السؤالات من المشكلات في أخذ الميثاق على الذرات" وهو مخالف لما جاء في لائحة فهرسة الرسائل التي حواها المجموع والتي أثبتت في أول المخطوط، حيث جاء مطابقا لما ورد في سراج العقول. يضم هذا المجموع ما يزيد على 27 رسالة ذكر أغلبها في الجرد المثبت على الورقة الأولى من المخطوط، معظمها في التفسير والاستعارة والتصوف وبعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالمذهب الحنفي.

على ظهر الورقة الثانية ووجه الأخيرة (ورقة 166) من المجموع ختم السلطان أحمد الأول: (1026-1012هـ/1603-1617م) وهو ختم مستدير الشكل فيه: (وقف سلطان أحمد خان بن سلطان غازي محمد خان). يحتوي المجموع أيضا على هوامش وتعليقات وتصويبات بالإضافة إلى بعض الفقرات والفوائد والتراجم المتناثرة هنا وهناك كفواصل بين الرسائل. وهذه النسخة رغم اقتصارها على باب واحد من السراج إلا أنها كثيرة السقط، والتصحيف، والتحريف، بل إنها أسوأ النسخ تصحيحا وضبطا.

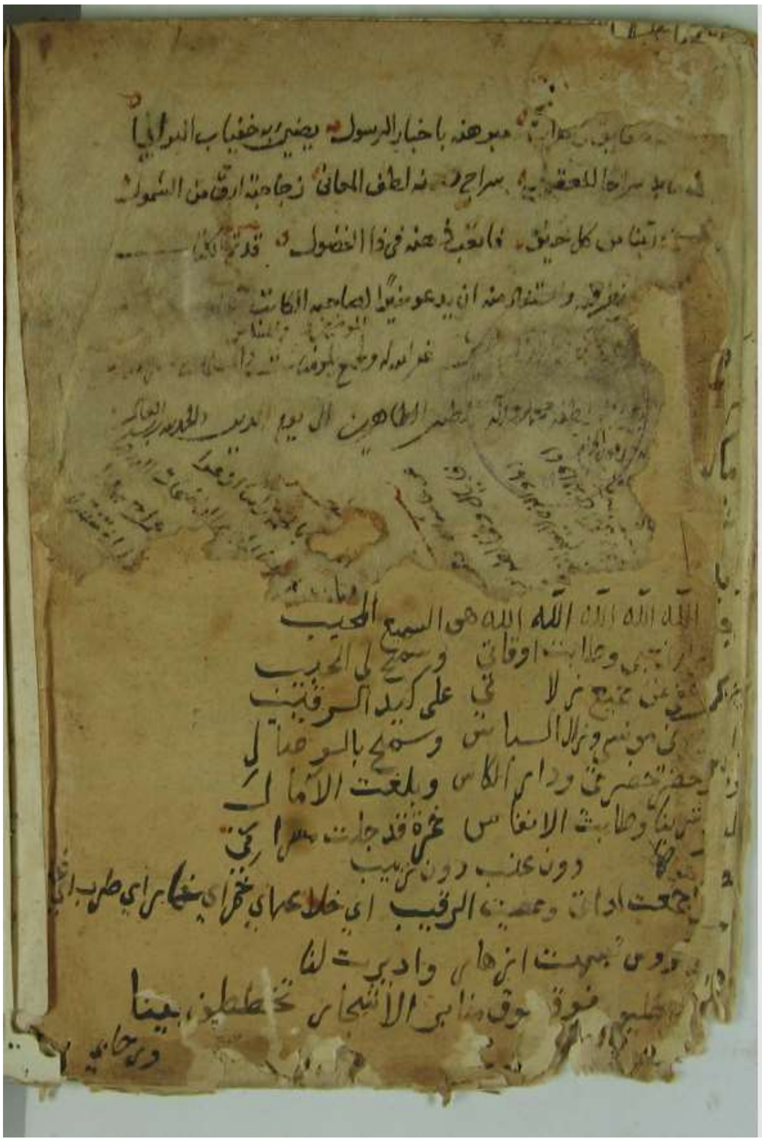
نماذج من نسخ
الكتاب الجديدة



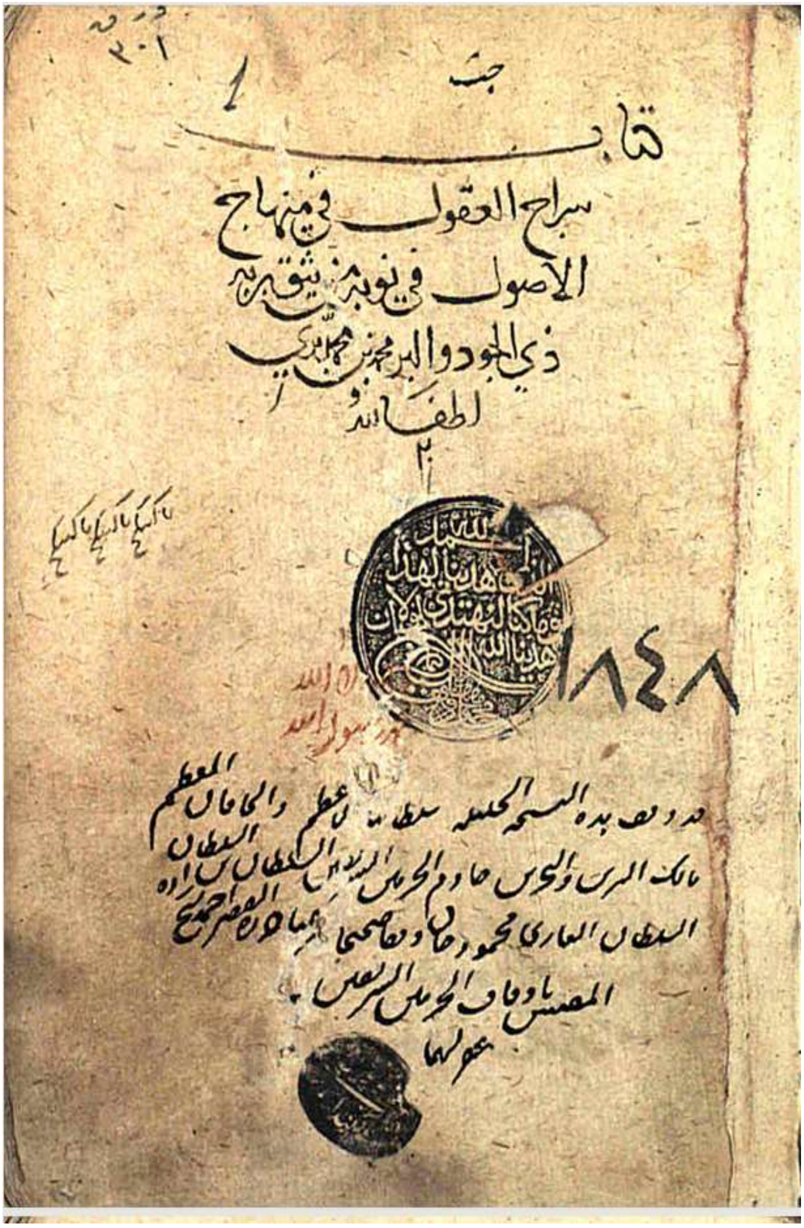
الصفحة الأولى من نسخة مكتبة جار الله 484



الصفحة الثانية من نسخة مكتبة جار الله 484



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة جار الله 484

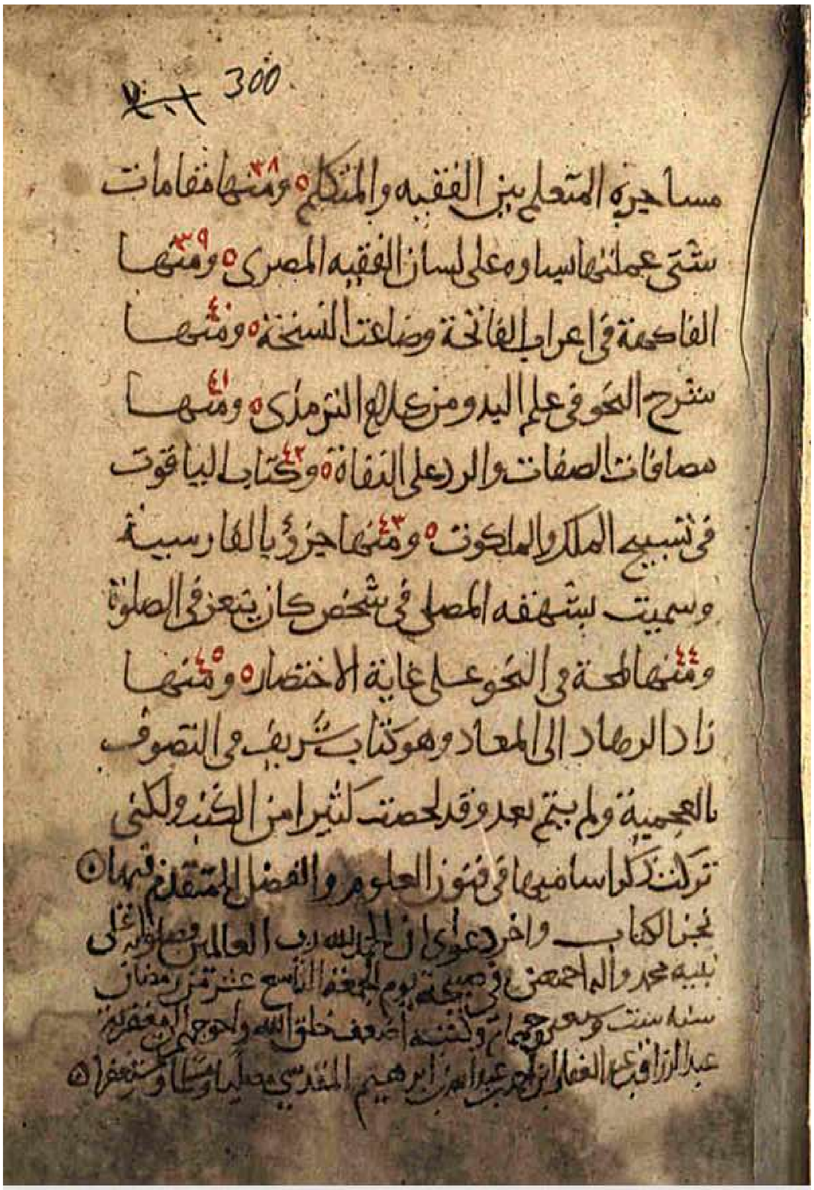


الصفحة الأولى من سراج العقول نسخة آيا صوفيا (1848)



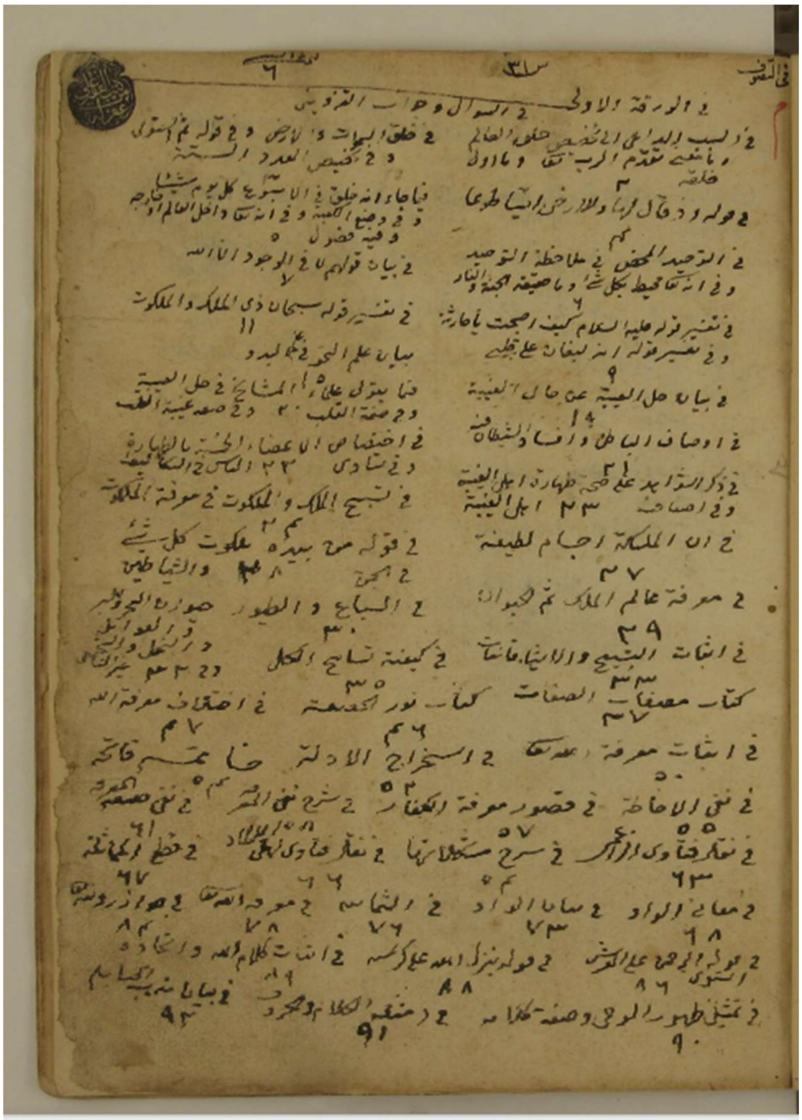
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المنعوت في الازل بالابدية والموصوف
في الابد بالازلية والمتفرد ازلا وابدا بالاخروية
والصمدية الظاهر للعقول ببرهانه والباطن
عن الظنون في شانه فالقلوب بنور العقل اليه
ناظرة ولاشراق سبحات وجهه فيه حايرة
جل عن ادراك الابصار الفانية بدار الفنا
وتجلي للوجوه الناظرة في دار البقا ذي المجد
والكبريا والعظمه والعلا الذي برا
بخلق القلم والخلق في كتم العدم
وسمك العرش على ذروة السبع الشداد
بلا علايق واوتاد فسبحانه من عظيم اظهر
من ايات قدرته ما حير العقول في كنه
عظمته وجلال سلطانه في تدبير مملكته
اما

الصفحة الثانية من سراج العقول نسخة آيا صوفيا (1848)

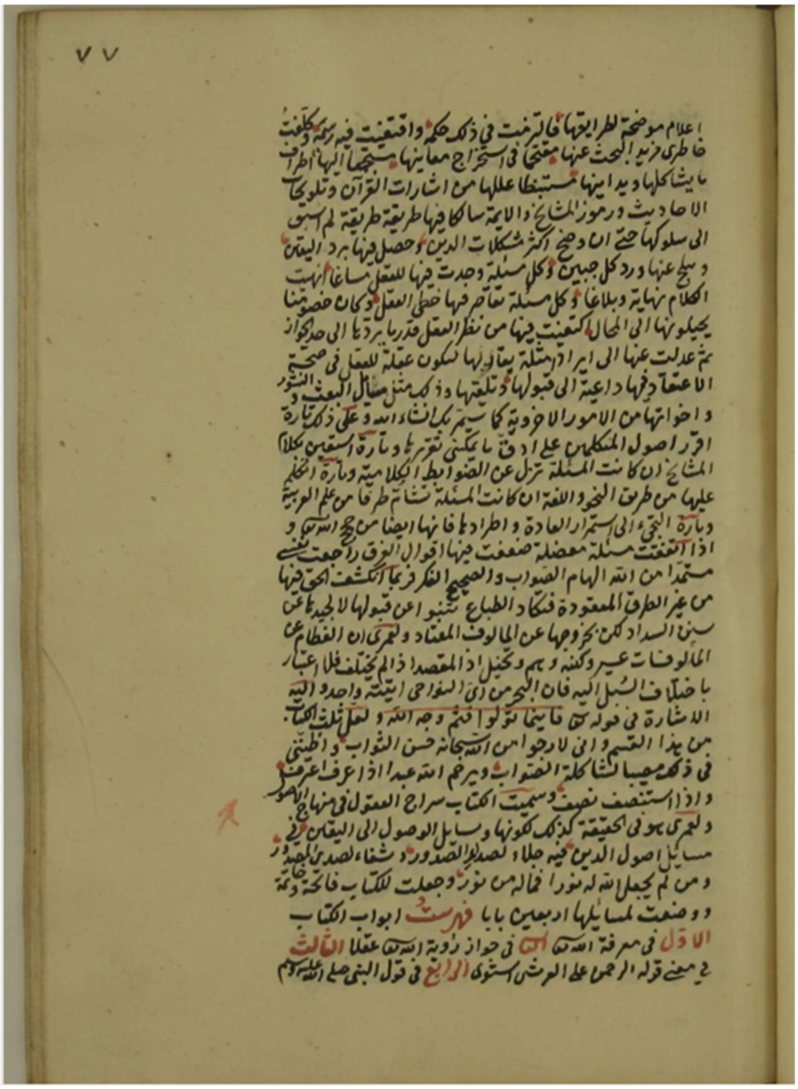

300

مساجرة المتعلم بين الفقيه والمتكلم ٣٨ ومنها مقامات
شتى عملتها اسيا وعلى لسان الفقيه المصري ٣٩ ومنها
الفاحمة في اعراب الفاتحة وضاعت النسخة ٤٠ ومنها
شرح النحو في علم اليد ومن علل الترمذي ٤١ ومنها
مصافات الصفات والرد على النفاة ٤٢ وكتاب الياقوت
في تسبيح الملك والملكوت ٤٣ ومنها اجوزة بالفارسية
وسميت بشهفه المصلي في شخص كان يتعزى في الصلوة
٤٤ ومنها لمحة في النحو على غاية الاختصار ٤٥ ومنها
زاد الرهاد الى المعاد وهو كتاب شريف في التصوف
بالعجمية ولم يتم بعد وقد لحصت كثيرا من الكتب ولكني
تركت ذكر اساميها في فنون العلوم والفضل المتقدم فيها
تم الكتاب واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلواته على
نبيه محمد واله اجمعين في ضحى يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان
سنة ست وعشرين وسبعمائة وكتبه اضعف خلق الله واحوجهم الى مغفرته
عبد الرزاق بن عبد الغفار بن احمد بن عبد الله بن ابرهيم المقدسي مصليا مسلما ومستغفرا

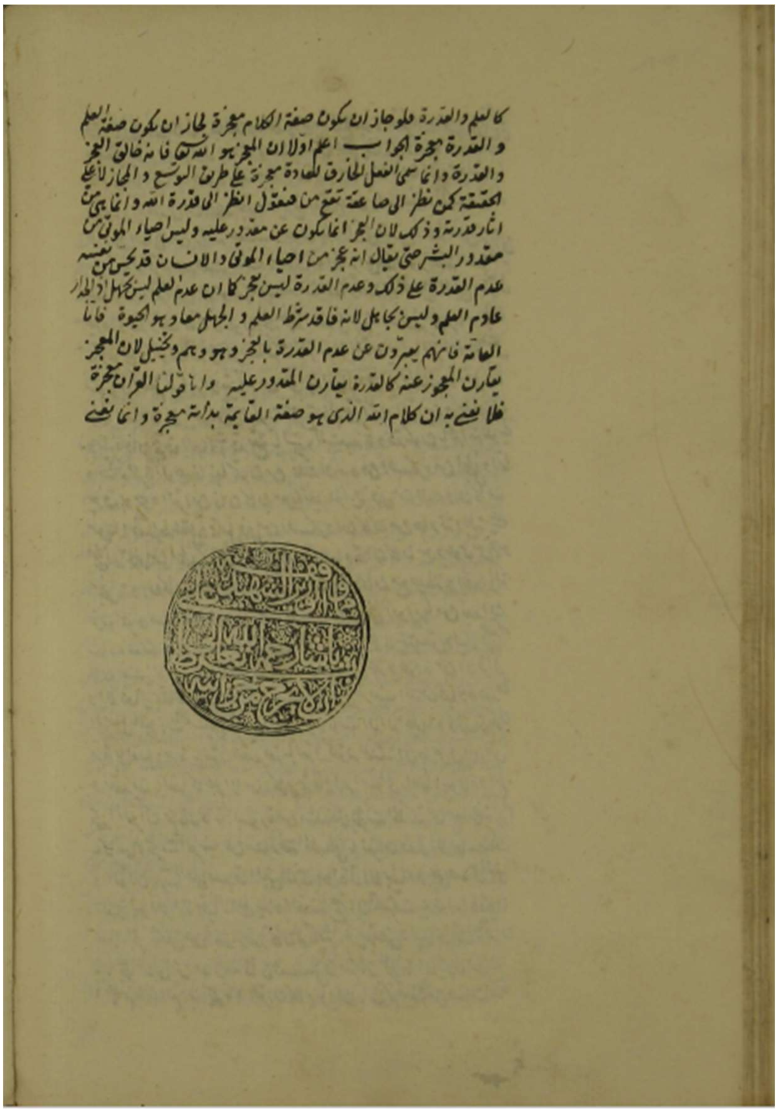
الصفحة الأخيرة من سراج العقول نسخة آيا صوفيا (1848)



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة شهيد علي باشا رقم (1216)

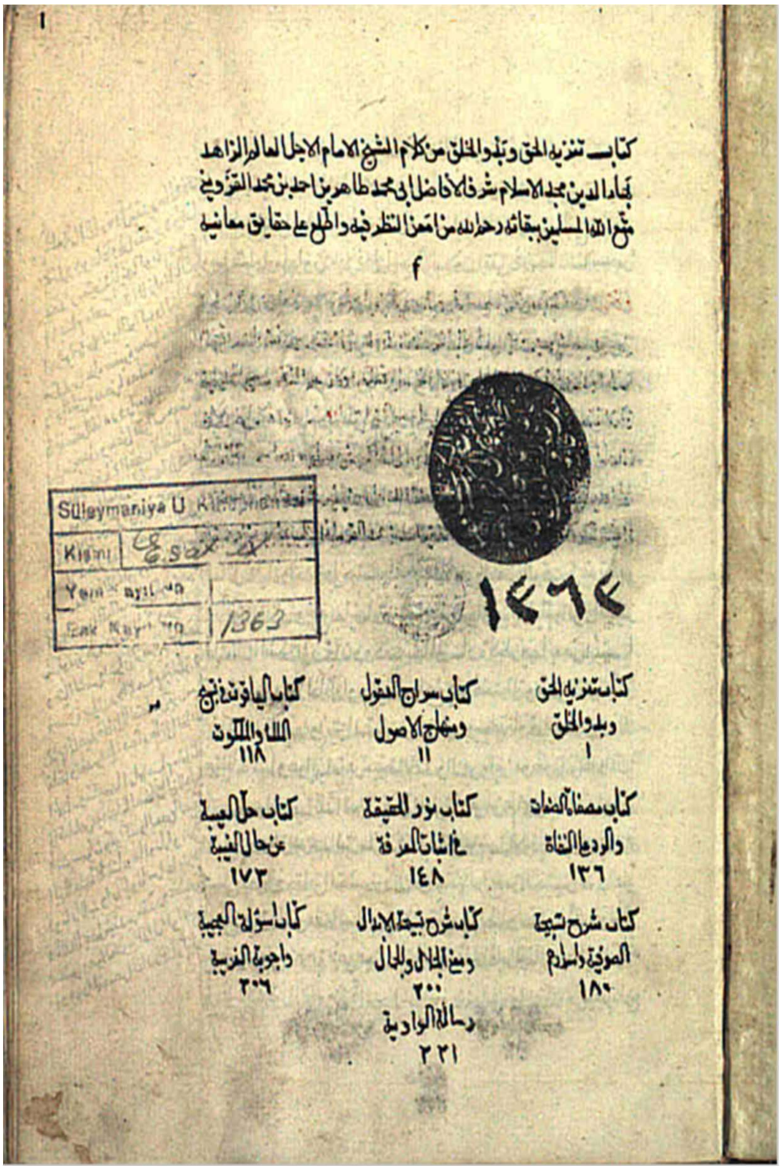


صفحة بداية كتاب سراج العقول من نسخة مكتبة شهيد علي باشا (1216)



كالعلم والقدرة فلو جاز ان يكون صفة الكلام معجزة لجاز ان يكون صفة العلم
والقدرة معجزة الجواب اعلم اولا ان المعجز هو الله تعالى فانه خالق العجز
والقدرة وانما سمي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز لا على
الحقيقة كمن نظر الى صناعة تعجب من صنعه فيقول انظر الى قدرة الله وانما هي من
اثار قدرته وذلك لان العجز انما يكون عن مقدور عليه وليس احياء الموتى من
مقدور البشر حتى يقال انه عجز من احياء الموتى والان قد يحيى من نفسه
عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما ان عدم العلم ليس بجهل اذ الجماد
عادم العلم وليس بجاهل لانه فاقد شرط العلم والجهل معا وهو الحيوة فاما
العامة فانهم يعبرون عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل لان العجز
يقارن المعجوز عنه كالقدرة يقارن المقدور عليه واما قولنا القران معجزة
فلا نعني به ان كلام الله الذي هو صفة القائمة بذاته معجزة وانما نعني

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة شهيد علي باشا (1216) وهي أيضا آخر ما نقل من سراج العقول



كتاب تنزيه الحق وبدو الخلق من كلام الشيخ الامام الاجل العالم الزاهد
بهاء الدين مجد الاسلام شرف الافاضل ابي محمد طاهر بن احمد بن محمد القزويني
متع الله المسلمين ببقائه رحم الله من امعن النظر فيه واطلع على حقايق معانيه

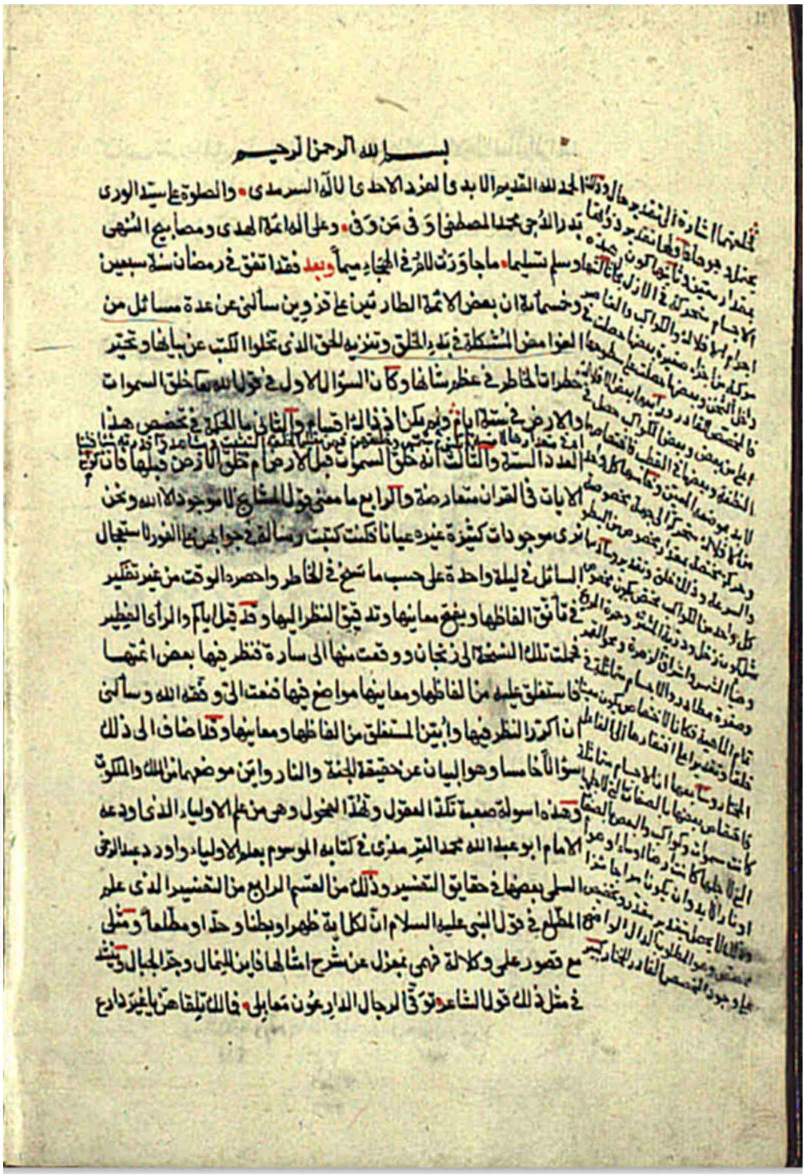
كتاب تنزيه الحق وبدو الخلق ١ — كتاب سراج العقول ومنهاج الاصول ١١ — كتاب الياقوتة في تبيين اللاهوت والملكوت ١١٨

كتاب صفاء الفؤاد والورع الشاة ١٣٦ — كتاب نور الحقيقة في اثبات المعرفة ١٤٨ — كتاب حل العيبة عن حال الغيبة ١٧٣

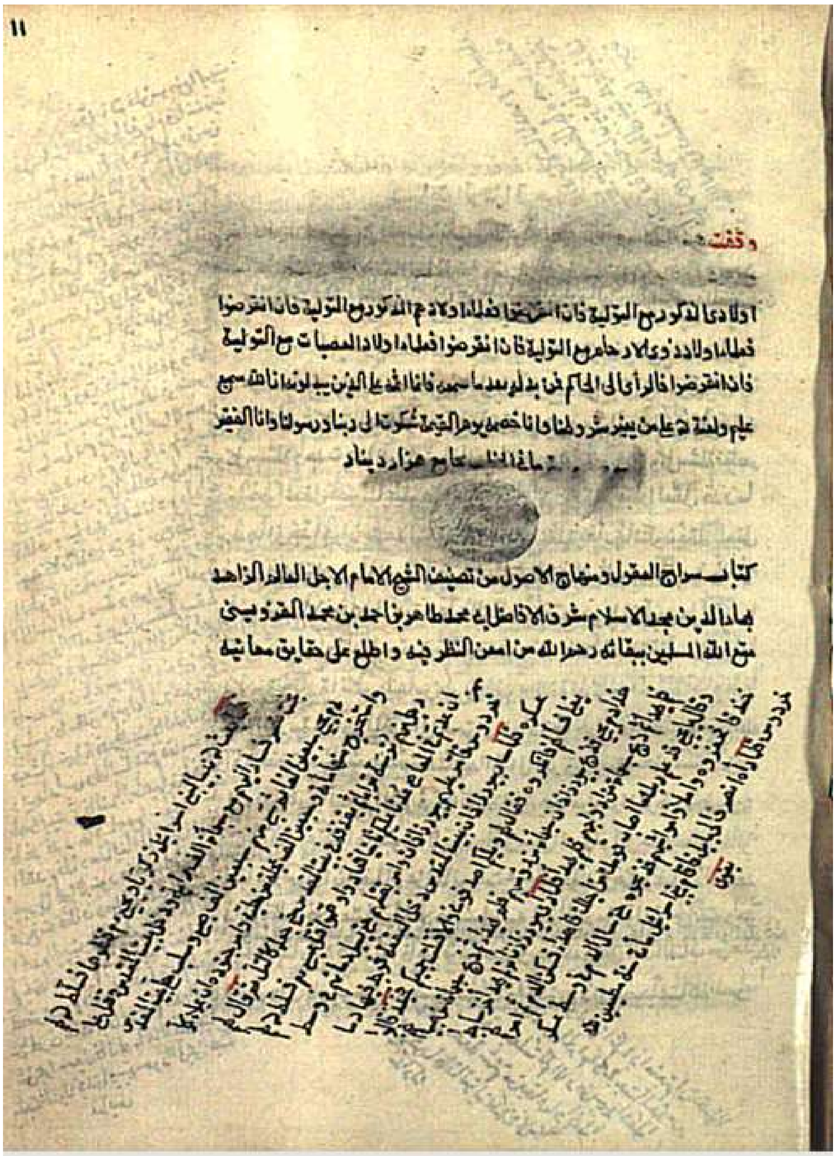
كتاب شرح تسمية الصوفية والسلام ١٨٠ — كتاب شرح تسمية الابدال ومعنى الجلال والجمال ٢٠٠ — كتاب اسولة العجيبة واجوبة الغريبة ٣٠٦

رسالة الوادية ٢٢١

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة أسعد أفندي (1363)


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله القديم الابدي الفرد الاحدي الاله السرمدي والصلوة على سيد الورى
بدر الدجى محمد المصطفى اوفى من وفى وعلى الائمة الهدى ومصابيح الدجى
وسلم تسليما ما جاوزت المزن في الحجاء يمياً وبعد فقد اتفق في رمضان سنة سبعين
وخمسمائة ان بعض الائمة الطارئين على قزوين سألني عن عدة مسائل من
الغوامض المشكلة في بدء الخلق وتنزيه الحق الذي تخلوا الكتب عن بيانها وتحير
خطرات الخاطر في عظم شانها وكان السؤال الاول في قول الله تعالى خلق السموات
والارض في ستة ايام ولم يمكن اذ ذاك ايام والثاني ما الحكمة في تخصيص هذا
العدد الستة والثالث انه خلق السموات قبل الارض ام خلق الارض قبلها فان نوع
الايات في القرآن متعارضة والرابع ما معنى قول المشايخ لا موجود الا الله ونحن
نرى موجودات كثيرة غيره فيا انا كنت كتبت رسالة في جوابها على الفور استعجال
السائل في ليلة واحدة على حسب ما سنح في الخاطر واحضره الوقت من غير تفكير
في تأنق الفاظها وتنقيح معانيها وتدقيق النظر فيها وقد قيل ايام والرأي الفطير
فحملت تلك النسخة الى زنجان ووقعت منها الى سارة فنظر فيها بعض ائمتها
فاستغلق عليه من الفاظها ومعانيها مواضع فيها فبعث الي وفقه الله وسألني
ان اكرر النظر فيها وابين المستغلق من الفاظها ومعانيها وقد اضاف الى ذلك
سؤالا خامسا وهو البيان عن حقيقة الجنة والنار واين موضعهما من الله والملكوت
وهذه اسولة صعبة تكد العقول وتحير الفحول وهي من علم الاولياء الذي اودعه
الامام ابو عبد الله محمد الترمذي في كتابه الموسوم بعلم الاولياء وداود وعبد الرحمن
السلمي بعضها في حقائق التفسير وذلك من القسم الرابع من التفسير الذي علم
المطلع في قول النبي عليه السلام ان لكل اية ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ومثلي
مع قصور علمي وكلالة فهمي بمعزل من شرح امثالها فاين للبغال وجر الجبال والذي
في مثل ذلك قول الشاعر وتوقى الرجال الدارعون معابلي فالك تلقاهن بالغير دارع

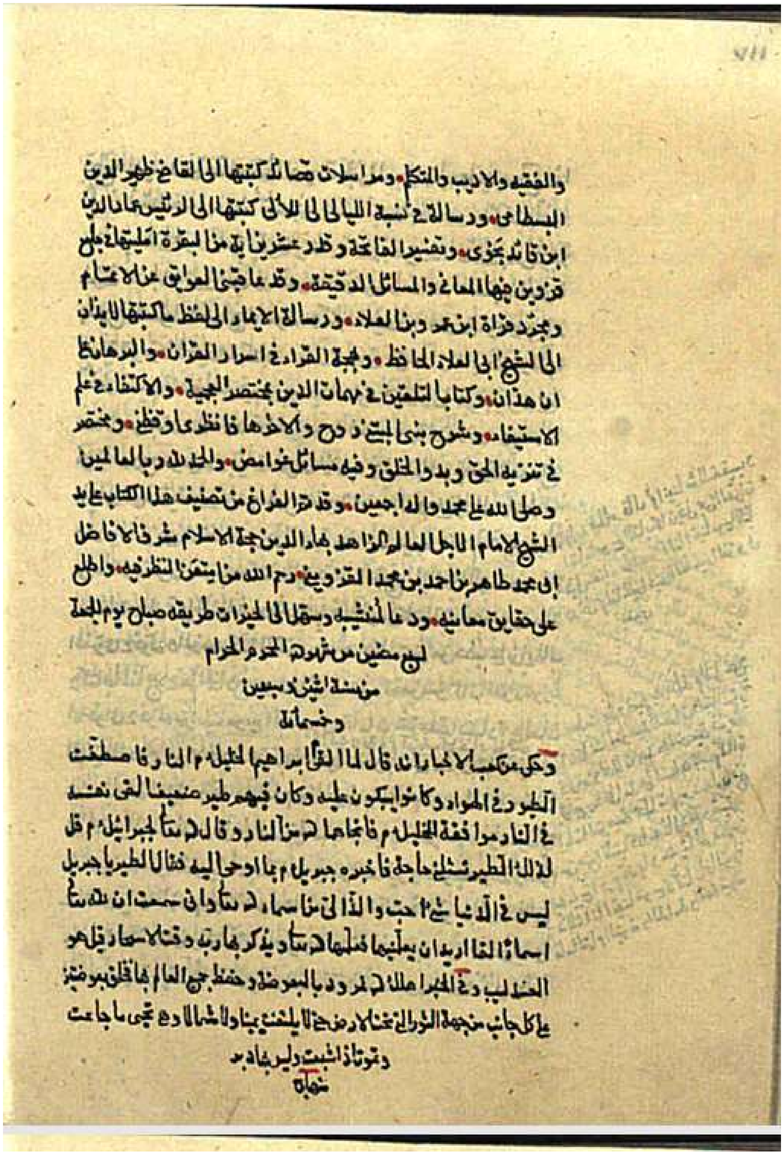
الصفحة الثانية من نسخة مكتبة أسعد أفندي (1363)



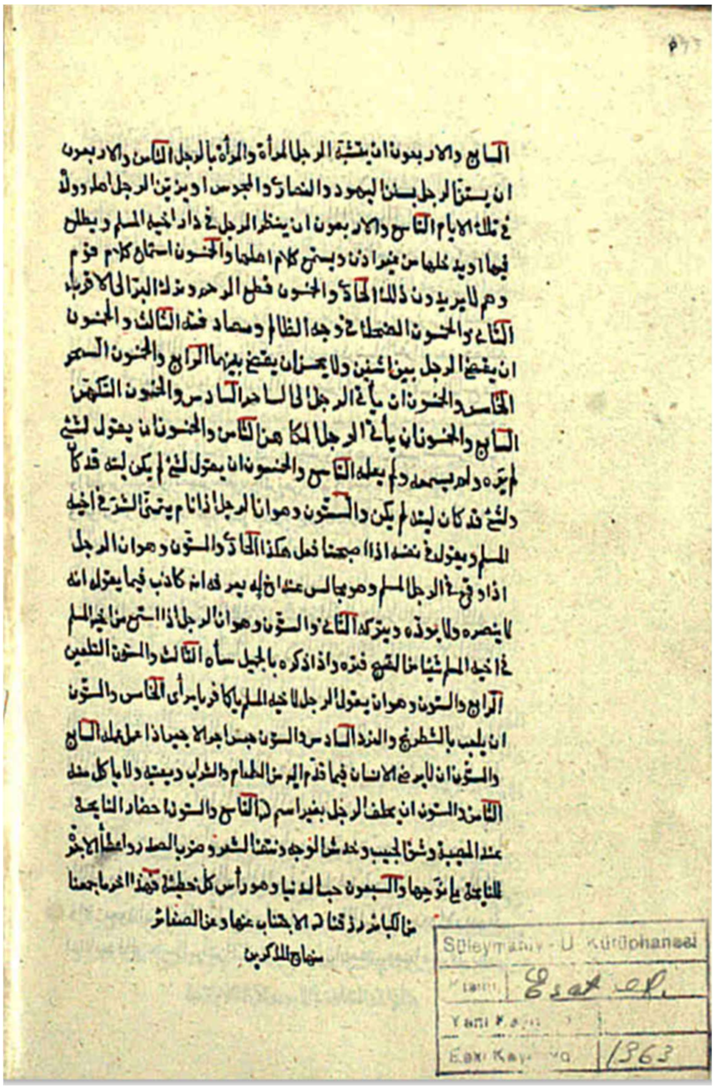
صفحة بداية كتاب سراج العقول من نسخة مكتبة أسعد أفندي (1363)



الصفحة الثانية من سراج العقول من نسخة مكتبة أسعد أفندي (1363)

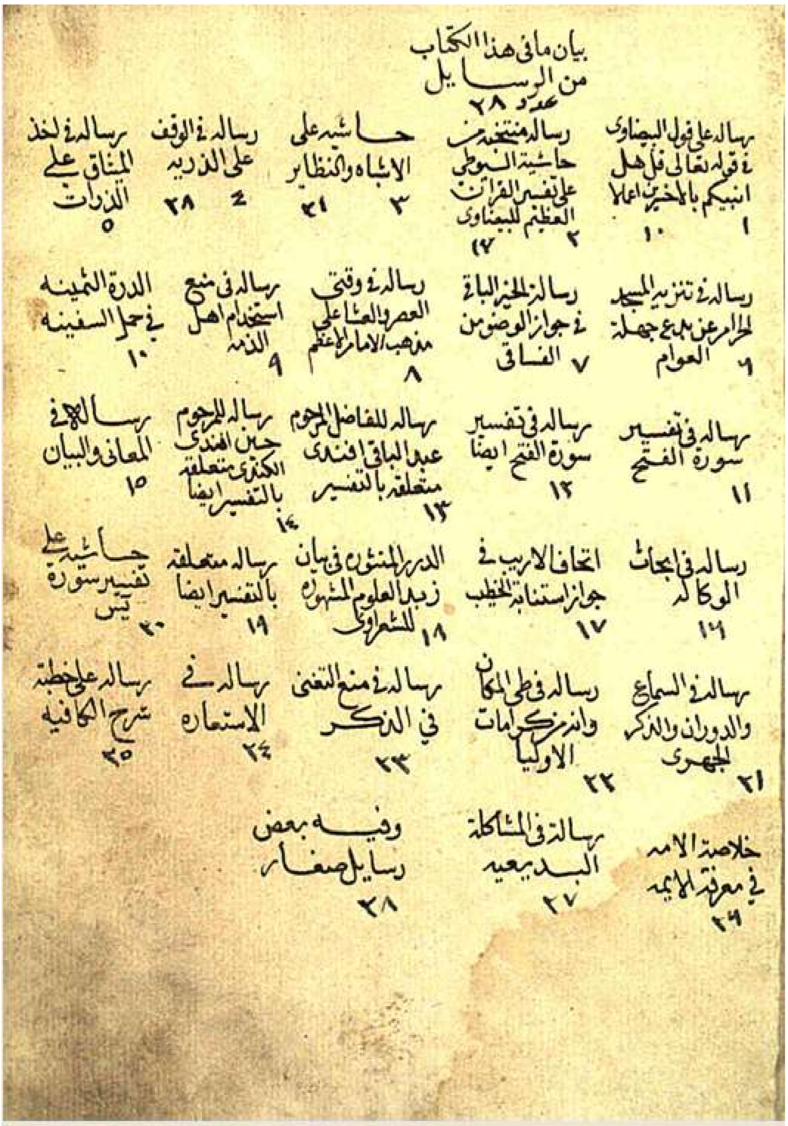


الصفحة الأخيرة من سراج العقول من نسخة مكتبة أسعد أفندي (1363)



السابع والاربعون ان يتشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل الثامن والاربعون
ان يتسمى الرجل باسماء اليهود والنصارى والمجوس او يزين الرجل اهله وولده
في تلك الايام التاسع والاربعون ان ينظر الرجل في دار اخيه المسلم ويطلع
فيها او يدخلها من غير اذن ويستمع كلام اهلها والخمسون استماع كلام قوم
وهم لا يريدون ذلك الحادي والخمسون فعل الوحدة وترك البر الى الاقرباء
الثاني والخمسون الضحك في وجه الظالم ومصادقته الثالث والخمسون
ان يفضل الرجل بين اثنين ولا يحسن ان يقضي بينهما الرابع والخمسون السحر
الخامس والخمسون ان يأتي الرجل الى الساحر السادس والخمسون التكهن
السابع والخمسون ان يأتي الرجل الكاهن الثامن والخمسون ان يقول لشيء
لم يره ولم يسمعه ولم يعلمه التاسع والخمسون ان يقول لشيء لم يكن ليته قد كان
ولشيء قد كان ليته لم يكن والستون وهو ان الرجل اذا نام يتمنى الشر في اخيه
المسلم ويقول في نفسه اذا اصبحنا فعل هكذا الحادي والستون وهو ان الرجل
اذا وقع الرجل المسلم وهو جالس عنده [illegible] انه كاذب فيما يقول انه
لا ينصره ولا يرده ويتركه الثاني والستون وهو ان الرجل اذا استمع من اخيه المسلم
في اخيه المسلم شيئا من القبيح فتره واذا ذكره بالجميل ساءه الثالث والستون [illegible]
الرابع والستون وهو ان يقول الرجل لاخيه المسلم يا كافر يا مرائي الخامس والستون
ان يلعب بالشطرنج والنرد السادس والستون [illegible] السابع
والستون ان لا يرضى الانسان فيما قدم اليه من الطعام والشراب ويعيبه ولا ياكل منه
الثامن والستون ان يحلف الرجل بغير اسم الله التاسع والستون احضار النائحة
عند المصيبة وشق الجيب وخدش الوجه ونتف الشعر وضرب الصدر واعطاء الاجر
للنائحة على نوحها والسبعون حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة فهذا اخر ما جمعنا
من الكبائر رزقنا الله الاجتناب عنها وعن الصغائر
[illegible]

الصفحة الأخيرة من مخطوط مكتبة أسعد أفندي (1363)



بيان ما في هذا الكتاب
من الرسايل
عدد ٢٨

رسالة على قول البيضاوي في قوله تعالى قل هل انبيكم بالاخسرين اعمالا ١ ١٠

رسالة منتخبة من حاشية السيوطي على تفسير القرآن العظيم للبيضاوي ٢ ١٢

حاشية على الاشباه والنظاير ٣ ٢١

رسالة في الوقف على الذريه ٤ ٢٨

رسالة في اخذ الميثاق على الذرات ٥

رسالة في تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام ٦

رسالة الخير الباقي في جواز الوضوء من الفساقي ٧

رسالة في وقتي العصر والعشا على مذهب الامام الاعظم ٨

رسالة في منع استخدام اهل الذمة ٩

الدرة الثمينة في حمل السفينة ١٠

رسالة في تفسير سورة الفتح ١١

رسالة في تفسير سورة الفتح ايضا ١٢

رسالة للفاضل المرحوم عبد الباقي افندي متعلقة بالتفسير ١٣

رسالة للمرحوم حسن افندي الكنزي متعلقة بالتفسير ايضا ١٤

رسالة في المعاني والبيان ١٥

رسالة في ابحاث الوكالة ١٦

اتحاف الاريب في جواز استنابة الخطيب ١٧

الدر المنثور في بيان زبد العلوم المشهورة للشعراوي ١٨

رسالة متعلقة بالتفسير ايضا ١٩

حاشية على تفسير سورة يس ٢٠

رسالة في السماع والدوران والذكر الجهري ٢١

رسالة في طي المكان وانه من كرامات الاوليا ٢٢

رسالة في منع التغني في الذكر ٢٣

رسالة في الاستعاره ٢٤

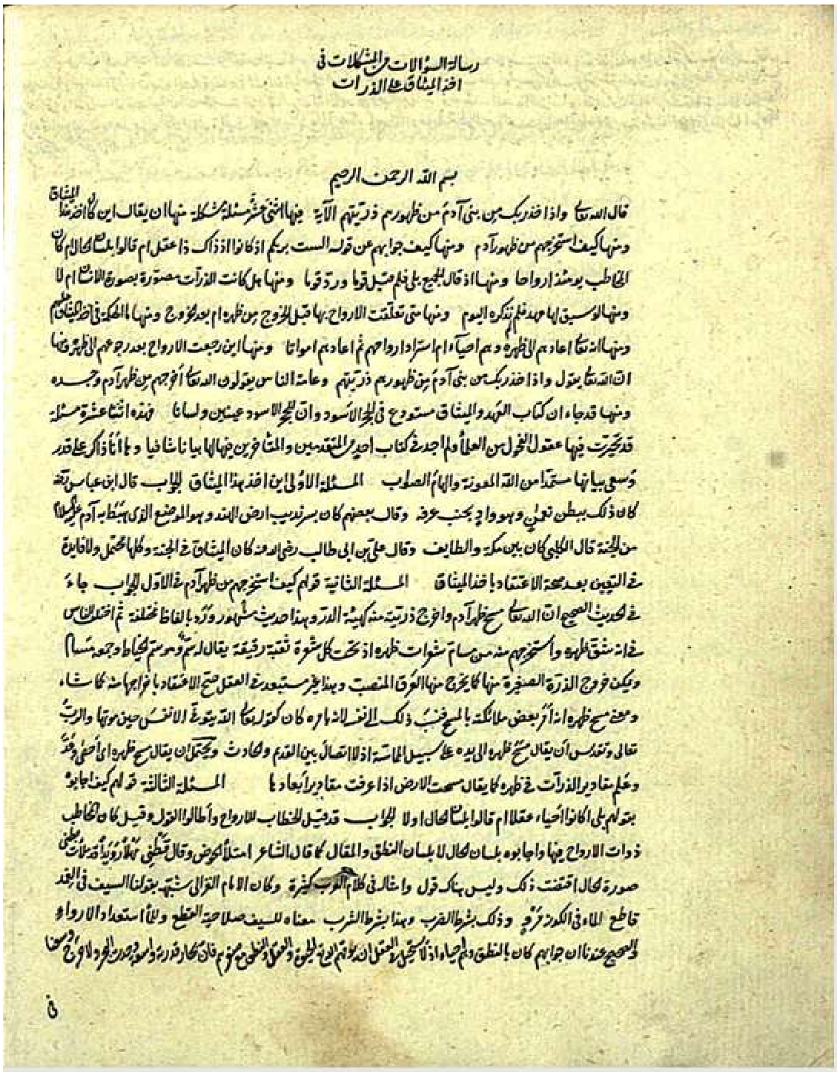
رسالة على خطبة شرح الكافيه ٢٥

خلاصة الامه في معرفة الايمه ٢٦

رسالة في المشاكلة البديعيه ٢٧

وفيه بعض رسايل صغار ٢٨

الصفحة الأولى من المجموع المحفوظ بمكتبة يني جامع (1182)

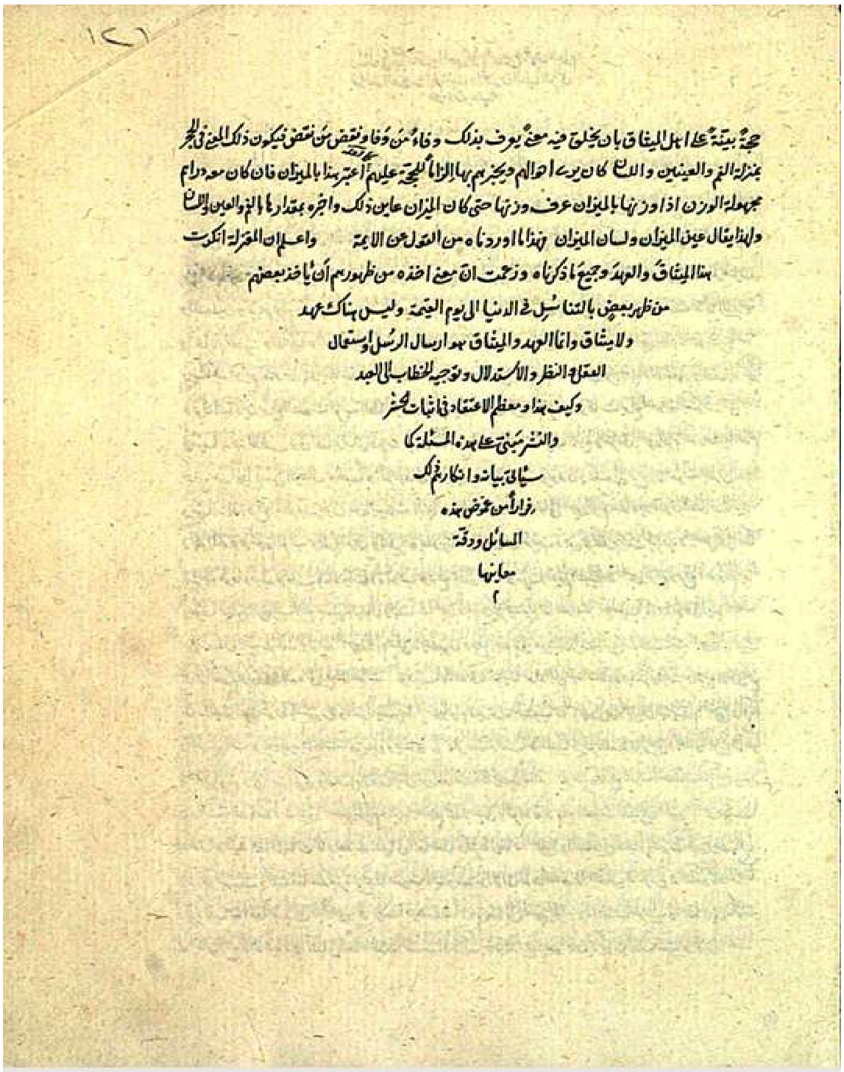


رسالة السؤالات والمشكلات في
اخذ الميثاق على الذرات

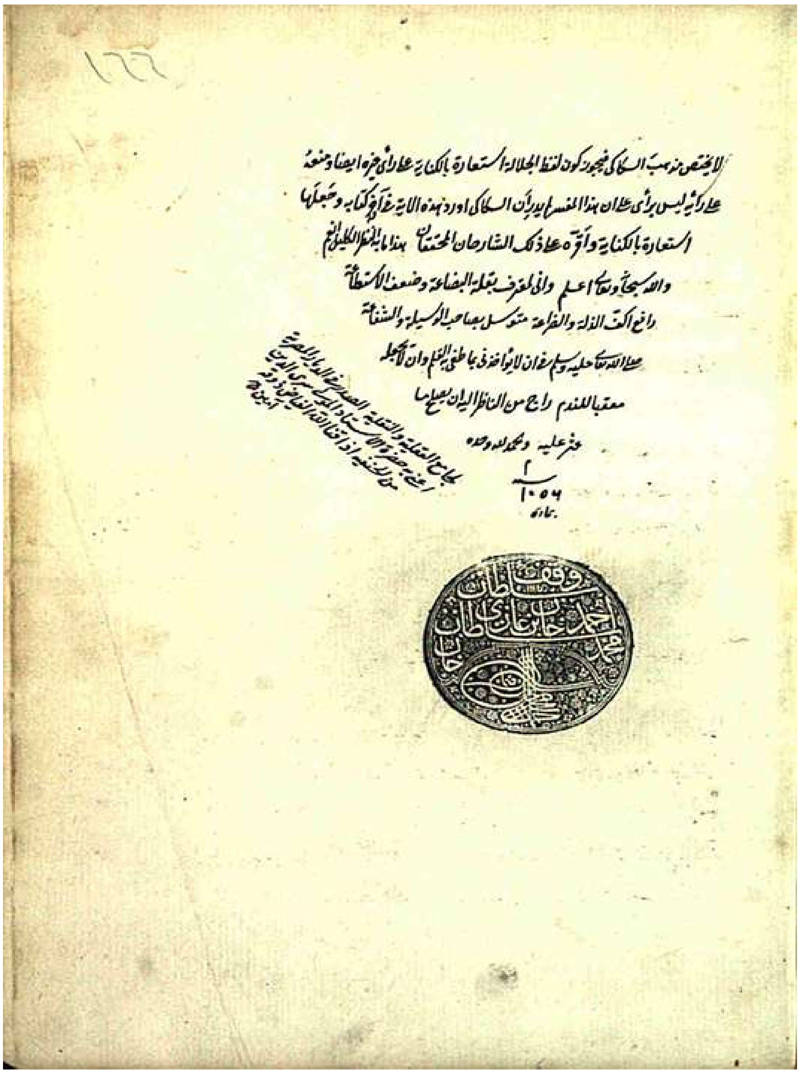
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية

الصفحة الأولى من الرسالة المستلة من سراج العقول من المجموع المحفوظ بمكتبة يني جامع (1182)


حجة بينة على اهل الميثاق بان يخلق فيه معنى يعرف بذلك وفاء من وفا ونقض من نقض فيكون ذلك المعنى في الحجر
بمنزلة الفم والعينين واللسان كان يرى احوالهم ويخبرهم بها الزاما للحجة عليهم اعتبر هذا بالميزان فان كان معه دراهم
مجهولة الوزن اذا وزنها بالميزان عرف وزنها حتى كان الميزان عاين ذلك واخبره بمقدارها فالفم والعين واللسان
ولهذا يقال عين الميزان ولسان الميزان هذا ما اوردناه من النقل عن الائمة واعلم ان المعتزلة انكرت
هذا الميثاق والعهد وجميع ما ذكرناه وزعمت ان معنى اخذه من ظهورهم ان يأخذ بعضهم
من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا الى يوم القيمة وليس هناك عهد
ولا ميثاق وانما العهد والميثاق هو ارسال الرسل واستعمال
العقل في النظر والاستدلال وتوجيه الخطاب الى العبد
وكيف هذا ومعظم الاعتقاد في اثبات الحشر
والنشر مبني على هذه المسئلة كما
سيأتي بيانه وانكارهم ذلك
فرارا من غموض هذه
المسائل ودقة
معانيها

الصفحة الأخيرة من الرسالة المستلة من سراج العقول من المجموع المحفوظ بمكتبة يني جامع (1182)



الصفحة الأخيرة من المجموع المحفوظ بمكتبة يني جامع (1182)

مقدمة الطبعة الأولى

مقدّمة التحقيق

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمّد رسول الله،

بينا أنا أطالع كتاب اليواقيت والجواهر للشيخ عبد الوهاب الشعراني، إذ لفت نظري عنوان كتاب سراج العقول للقزويني، ولم أكن سمعت به من قبل، فدفعني ما نقله الشعراني من هذا الكتاب بخصوص مسألة الاستواء[1] إلى البحث عنه لاقتنائه، أو على الأقل لمعرفة ما آل إليه. فسارعت إلى *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون* فإذا بحاجي خليفة، في معرض حديثه عن الشروح التي افردها العلماء لكتاب *منهاج الأصول إلى علم الأصول* للبيضاوي[2]، يطلع علينا بهذا النبأ: "وشرحه الإمام محمّد بن طاهر القزويني المتوفّى سنة...[كذا] وسمّاه *سراج العقول إلى*[كذا] *منهاج الأصول*...".[3] فاتخذت من هذه الإشارة منطلقا، وتابعت مسيرتي باحثا عن الكتاب

---

[1] قال الإمام الشعراني في كتابه *اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 1، ص 182: "وقد رأيت في كتاب *سراج العقول* للشيخ أبي طاهر [كذا القزويني رحمه الله كلاما نفيسا في مسألة الاستواء على العرش، وها أنا ملخص لك عيونه فأقول..."

[2] *منهاج الوصول الى علم الأصول*، تأليف قاضي القضاة عبد الله بن عمر البيضاوي، ومعه تخريج أحاديث المنهاج للحافظ زين الدين العراقي، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، بيروت، مؤسّسة الرسالة، دون تاريخ.

[3] *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، إستانبول، 1360هـ/ 1941م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 2، ص 1880، حيث ذكره حاجي خليفة ضمن شروح *منهاج الأصول* للبيضاوي. ولم أتبيّن أنّ حاجي خليفة ذكر هذا الكتاب إلاّ عندما شاء الله أن أطّلع، بعد أن انتهيت من تحقيق الكتاب، على الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من *كشف الظنون*، والتي خصّصت لاستدراك الأخطاء، حيث جاء ذكر *سراج العقول*، فرجعنا إلى الصفحة المشار إليها فوجدنا ما يلي: "شارح القفول [كذا]: شراج [كذا] العقول لأبي طاهر القزويني المتوفّى سنة 576، وهو كتاب نفيس مشتمل على أربعين مسألة من مشكلات علم الكلام. عقد لكلّ مسألة بابا جمع فيه أقوال المتقدّمين والمتأخّرين، كذا ذكره الشعراني في المنن. "فسارعنا إلى كتاب الشعراني المعروف بالمنن الكبرى فوجدناه يقول: "قرأت على الشيخ الإمام المحقّق الشيخ نور الدين المحلّي... وكتاب *سراج العقول* لأبي طاهر[كذا] القزويني وهو كتاب نفيس مشتمل على أربعين مسألة من مشكلات علم الكلام، عقد لكلّ مسألة بابا جمع فيه نُقول المتقدّمين والمتأخّرين، وما رأيت أطول في علماء الكلام باعا منه".

ومؤلّفه، فوجدت أنّ محمّد بن طاهر هذا قد أصبح عند إسماعيل البغدادي في *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*، بهاء الدين أبو محمّد طاهر القزويني، وأنّه نحوي، وأنّه توفي سنة 756هـ/1355م. ثمّ شرع صاحب الإيضاح يحدّثنا عن *سراج العقول* فقرّر أنّ موضوعه علم الكلام، وهذه عبارته: "*سراج العقول في الكلام لبهاء الدين أبي محمّد طاهر بن أحمد بن محمّد القزويني النحوي المتوفّى سنة 756هـ*".[1]

انطلاقا من هذه المعطيات، أصبح معتمدي على مدخل آخر للبحث عن ضالّتي، ألا وهو أنّ اسم مؤلِّف السراج قد يكون طاهرا، نما ذكر البغدادي، وقد يكون محمّدا كما زعم حاجي خليفة؛ وأنّ الكتاب الذي أبحث عنه قد يكون مجرد شرح *لمنهاج الأصول* للبيضاوي، أو هو مؤلَّف مستقل، موضوعه علم الكلام كما ذكر صاحب *إيضاح المكنون*. بادرت بعد ذلك إلى معجم المؤلفين، فوجدت أنّ رضا كحّالة أتى بنفس الخبر الذي ساقه إسماعيل البغدادي فقال: "*طاهر بن أحمد بن محمّد القزويني، (000 - 756 هـ) (000 - 1355 م) ويعرف بالنجّار (بهاء الدين، أبو محمّد) أديب، نحوي، صرفي، مشارك في عدّة علوم. من آثاره: سراج العقول في الكلام، غاية التصريف، لب الألباب في مراسم الإعراب.*"[2] حينئذ تبيّن لي من هوامش *معجم المؤلفين*، بعد المقارنة، أنّ كحالة اعتمد في ترجمته لكاتبنا على *الوافي بالوفيات* للصفدي، وإيضاح المكنون للبغدادي. وعندما رجعت *للوافي بالوفيات*، ووقفت على سنة وفاة القزويني، وجدت أنّها أصبحت سنة 580هـ، وليس 756هـ كما كان في تقدير البغدادي، فاستغربت من موقف كحّالة، ولم أدر لم آثر

الشعراني، *لطائف المنن والأخلاق بوجوب التحدّث بنعمة الله على الإطلاق*، تحقيق أحمد عزّو عناية، دمشق، دار التقوى، 1425هـ/ 2004م، ص 71- 72. حاجي خليفة، *كشف الظنون*، ج 2، ص 1020.

[1] *الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، إستانبول، 1366هـ/ 1947م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 2، ص 7، ص 139، ص 400. *هدّية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين*، إستانبول، وكالة المعرفة، 1375هـ/ 1955م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 1، ص 431.

[2] كحالة، *معجم المؤلّفين*، تراجم مصنّفي الكتب العربية، بيروت، مكتبة المثنّى، 1376هـ/ 1957م، ج 5، ص 33.

أنْ يحتفظ بما أورده البغدادي، دون أن يشير على الأقل، إلى السنة التي ذكرها الصفدي[1] رغم أنّه عدّه من بين مصادره. ثمّ بدا لي بعد ذلك أنّ المعلومات التي جمعتها لحدّ الآن ما زالت في حاجة إلى التمحيص والاختبار لكي ينجلي الأمر وتُتَبيّن حقيقة هذا الكتاب، أعني سراج العقول، وبالتالي الإفصاح عن هويّة مؤلِّفه.

وانطلاقا من المعلومات التي اختارها ابن أيبك الصفديّ للتعريف والترجمة لكاتبنا[2] أخذت أبحث في أمهات الكتب عن طاهر القزويني فوجدت له ذكرا عن ياقوت الحموي، صاحب كتاب "*إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*" المشهور عند القراء باسم *معجم الأدباء*،[3] وعندما أمعنت النظر فيما ساقه ياقوت من معطيات عن القزويني، اتّضح لي أنّ كلّ ما جاء به صاحب الوفيات قد أُخِذ أخذا من معجم الأدباء، بل إنّك لو قابلت بين الترجمتين في الكتابين لوجدت أنّ الصفديّ لم يحد عمّا أورده الحمويّ بخصوص القزويني قيد أنملة. زد على ذلك أنّ المؤلِّفيْن، رغم اهتمامهما بصاحب سراج العقول، لم يذكرا له ولو عنوانا واحدا. فمن أين إذاً أمكن لحاجي خليفة والبغدادي إسماعيل أن يحيطا علما بما ألّفه القزويني؟ وكيف استطاعا الحصول على ما أورداه من عناوين كتب هذا العالم؟

من حسن الحظّ أنّ مدينة قزوين حباها الله بأحد الأعلام الذين أخذوا على عاتقهم التأريخ لعلمائها، وذكر أعلامها سواء منهم من رأى النور بها أو من استقر بها واختارها موطنا. وأقصد بهذا العالم عبد الكريم بن الفضل الرافعي الشافعي[4]، إذ لولا ما ذكره هذا المؤرخ في تدوينه[1]،

---

[1] سيما وأنّ كحالة، كما سنرى فيما بعد، قد قام بنشر الفهرس الذي طُلب منه وضعه لمخطوطات مكتبات المدينة المنوّرة، وأنّ بمكتبة عارف حكمت يوجد مخطوط يحمل عنوان سراج العقول في الأصول (هكذا ذكره كحالة) وعزاه لأبي طاهر[كذا] القزويني. انظر "المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة"، *مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق*، عدد 48/ 1، 1392هـ / 1973م، ص، 48.

[2] الصفدي، *الوافي بالوفيات*، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/ 2000م، ج 16، ص 225، ترجمة: 5661.

[3] ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بـ: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1413هـ/ 1993م، ج 4، ص 1456، ترجمة: 611.

[4] أبو القاسم عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن بن الحسين الرافعي القزويني الشافعي (555-623هـ / 1160- 1226م)، فقيه، أصولي، محدّث، مفسّر، مؤرّخ، من تصانيفه فتح العزيز على كتاب الوجيز للغزالي (16مجلد). الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1401هـ/ 1981م، ج 22، ص 252-255. السبكي، *طبقات*

لطمست عنّا أخبار العديد من الأعلام وعلى رأسهم طاهر القزويني، وليس أبو طاهر كما ذُكر من قبل، ولَمَا تَمَكنّا من الوقوف على بعض أطوار حياته ورحلاته وأسماء بعض من تلقّى عنهم العلم. يقول الرافعي في كتابه *التدوين في أخبار قزوين* عن صاحب سراج العقول[2]: " *طاهر بن أحمد بن محمّد القزويني المعروف بالنجّار، فاضل كامل متفنّن، وعلمه الذي كان يشتهر به العربيّة، لكنّه صاحب حظّ تامّ في سائر العلوم، وطَبع قويم، وقوّة نظر واستنباط، وحسن جمع وتأليف، وتصانيف سائرة، ونظم ونثر فائقين.*" [3] هذه الشهادة الصادرة عن الإمام الرافعي بخصوص طاهر بن أحمد القزويني لها وزن خاصّ بحيث أنّها حدّدت لنا بإيجاز الصفات التي تميّز بها القزويني، والإمكانات التي كان يتمتّع بها ويفوق بها ربّما بعض معاصريه، والتي تجلّت، كما سيتضح لنا، فيما ألّفه من كتب، وما تطرّق له من مواضيع إضافة إلى ما نظمه من شعر، فهي إذاً بمثابة التزكيّة له لأنّها أجملت لنا بكلمات يسيرة ومقتضبة الأثر الذي تركه صاحب سراج العقول في القرنين السادس والسابع الهجريين. وبهذا تكون هذه السطور المعدودة قد قدّمت لنا انطباعا شاملا وملمّا عمّا جادت به قريحة كاتبنا من شعر ونثر. ثمّ يضيف الرافعي بعد ذلك قائلا: " وقد وصف (يعني طاهر القزويني) رحمه الله تعالى، تحصيله للعلوم وتدرّجه فيها في رسالة له موسومة *برسالة بثّ*

الشافعيّة الكبرى، تحقيق محمّد محمود الطناحي وعبد الفتاح محمّد الحلو، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1383هـ/ 1964م، ج 8، ص 281-293، ترجمة: 1192. كحالة، معجم المؤلّفين، ج 6، ص 3.

[1] وهو الذي نشر تحت عنوان *التدوين في أخبار قزوين*، تحقيق عزيز الله العطاردي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1408هـ/ 1987م. والطبعة هذه مليئة بالتصحيف والتحريف والأخطاء الإملائية مما دفع بنا لطلب مخطوطات الكتاب الأصلية والوقوف على بعض النصوص التي احتجنا للتأكد منها. منها مخطوط أولى محفوظة بمكتبة بغداتلي وهبي برقم (1058)، وعنوانها التدوين في تاريخ قزوين وهو مخطوط ناقص الأول سقط منه الجزء الأول بكامله وبعض الجزء الثاني، وسقط آخره، توقف عند ترجمة النضر بن بندار بن المرزبان، والثانية محفوظة بمكتبة لالالي تحت رقم: 2010. وعنوانها (التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين). والثالثة محفوظة بنفس العنوان بدار الإفتاء السعودية (801/ 86).

[2] ذكر الرافعي في معرض حديثه عن أحد الأعلام واسمه خليفة بن أميركا الخرّاط الزاهد، أنّ هذا الرجل قد ذكره أبو محمّد البخاري [كذا] في *سراج العقول*، وجاء بنفس الحكاية التي أوردها صاحبنا القزويني. ولا شكّ أنّ نسبة سراج العقول إلى أبي محمّد البخاري تدفعنا إلى القول بأنّ القزويني كان يعرف أيضا بالبخاري، فكنيته أبو محمّد، ولربّما أنّ أصله كان من بخارى، وهذا ممّا نحن عاجزون عن إثباته أو نفيه لغياب المصادر التي تمكّننا من التحقق من هذا الأمر، وهذا ما صدّنا عن طرق باب هذا الموضوع في هذه المقدّمة. التدوين في أخبار قزوين، ج2، ص 494-495.

[3] *التدوين في أخبار قزوين*، ج 3، ص 96.

الشكوى فقال: " *أنفقت شطرا من عنفوان العمر على حفظ القرآن حتّى أتقنت تلاوته، وأُشْرِبْتُ في قلبي حلاوته، فجذبني إلى تعلّم القراءات، وَتَفَهُّم الوقوف والمئات، والتَّلَقُّن لحسن الأداء بمعرفة الحروف في الإخفاء والإبداء، وتعرُّف المتشابهات، وتعَدُّد الكلِم والآيات.*

ثمّ تَرَقَّيتُ إلى علم العربية فتحَفَّظت الكتب المتداولة كالألفاظ[1]*، والفصيح*[2]*، وكتب الصفات*[3]*، وعدة من المصنّفات*[4]*، وهلمّ جرّا إلى ما فوقها من الكتب المبسوطة كأدب الكاتب*[5]*، والإصلاح*[6]*، وما يجانسهما من المجلّدات الصحاح؛ فحصلت إذ ذاك على مفردات الألفاظ، ثم آثرت مركباتها بالاحتفاظ، فعنيت بحفظ ما عنّ لي من الرسائل، والمقامات، والأمثال، والحكايات، والخطب المنثورة، والحكم المأثورة.*

ثم أقبلت همتي إلى تحفُّظ الأشعار من دواوين المتقدمين، والمخضرمين، والمحدثين، والعصريين، حتّى انتهيت منها إلى زهاء مائتي ألف بيت. وكنت في خلال ذلك أشدو من علم النحو طَرَفا، وأعلق من غوامضه طُرَفا، فحظيت منه بتلويحات لا تُقْنِع، ونُتَيفات لا تُشبع.

ثم أَبتْ نفسي إلّا التغلغل في غوامضه، والعثور على خصائصه، وأشفِ الغليل من عِلَلِه، واستيفاء النظر إلى تفاصيله وجُمَله، فوافقت المقادير هذا التدبير، وَأَدْمَتْ لي كلّ وَعْر، وارتويت منه من كل نهر.

---

(1) كتاب *الألفاظ* لابن السكيت، نشره الأب لويس شيخو تحت عنوان كنز الحفّاظ في تهذيب الألفاظ، بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة، 1313هـ/ 1895م.

(2) كتاب *الفصيح* لأبي العباس ثعلب، نشره عبد المنعم خفاجي مع شروحه بالقاهرة، المطبعة النموذجيّة، 1369هـ/ 1949م.

(3) يعني بها مجموعة من الكتب اللغويّة التي ألّفها أصحابها وجمعوا فيها مفردات اللغة التي تدور حول موضوع واحد، مثل كتاب خلق الإنسان للأصمعي الذي نشره أوغست هافنر (في الكنز اللغوي)، بيروت، 1342هـ/ 1923م. وكتاب *الخيل* للأصمعي، تحقيق نور حمدي القيسي، مجلة كلّيّة الآداب، بغداد، 1388هـ/ 1969م. وتجدها مجموعة في كتاب *المخصّص* لابن سيده، طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق، تحت إشراف وبتصحيح الشيخ الشنقيطي، 1317-1321 هـ/ 1899-1903م.

(4) *الغريب المصنّف* لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق المختار لعبيدي، بيت الحكمة، قرطاج، 1408-1413هـ/ 1989-1993م.

(5) هو لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمّد شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1386هـ/ 1966م.

(6) *إصلاح المنطق* لابن السكيت، تحقيق أحمد محمّد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، 1369هـ/ 1949م.

ثمّ لمّا هجمت بساوة على بعض المغاربة يعرف بالشيخ أبي الفتح بن سلامة،[1] *أطلعني على الطريقة الأخيرة للإمام عبد القاهر الجرجاني*[2] *رحمه الله تعالى، وهي طريقته المودعة في شرح الإيضاح*[3]*، فوجدتني فيها دخيلا، لا أعرف منها كثيرا ولا قليلا، لكنّ الله تعالى سهّل عليّ، فعلقت تلك الطريقة عليه، ولبثت مدّة لديه، حتّى سمعت في غمار الجماعة سرّ الصناعة*[4]*.*

ورأيت بالريّ الشيخ العلامة أبا القاسم محمود بن عمر الزمخشري[5] *واستفدت منه، وسمعت من تصانيفه عليه. وقرأت هناك كتاب الكافي في العروض والقوافي*[6] *للخطيب التبريزي*[7] *على*

---

[1] لم نقف لهذا العالم على ترجمة فيما توفر لدينا من أمّهات الكتب. وليس المقصود به أبو الفتح أحمد بن سلامة الدممي الذي أرسل إليه الغزالي رسالته الوعظية، انظر عبد الرحمن بدوي، *مؤلفات الغزالي*، الكويت، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، 1398هـ/ 1977م، ص 190، حيث ذكرت هذه الرسالة بعنوان: رسالة إلى أبي الفتح أحمد بن سلامة الدممي بالموصل.

[2] في مخطوط بغداتلي "الزنجاني" وهو تصحيف. وأبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الشافعي، هو عالم النحو والبلاغة والكلام، له أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والرسالة الشافية أيضا في إعجاز القرآن وغيرها من المؤلّفات القيّمة التي بيّنت مدى سعة علمه وبراعته في فنون شتّى، توفي ما بين 471هـ/ 1078م و474هـ/ 1081م. الذهبي، سير، ج 18، ص 432- 433؛ السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، ج 5، ص 149-150، ترجمة: 467؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 34- 35، رقم: 7170؛؛ حاجي خليفة، سلّم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق، محمود عبد القادر الأرناؤوط، أكمل الدين إحسان أوغلي، إستانبول، مكتبة إرسيكا، 1431هـ/ 2010م، ج 2، ص 293، رقم: 2690؛ كحالة، *معجم المؤلّفين*، ج 5، ص 310.

[3] لا ندري أيّ الشروح يقصد القزويني بهذا العنوان إذ للجرجاني ثلاثة شروح على الإيضاح في النحو للزجّاجي، أوّلها *المغني في شرح الإيضاح* وهو شرح طويل، وثانيها *المقتصد في شرح الإيضاح* اختصر فيه شرحه الأوّل، أي المغني، وقد حقّقه ونشره كاظم بحر المرجان، بغداد، 1402هـ/ 1982م، وثالثها *الإيجاز*. وللجرجاني أيضا ذيل على الإيضاح سمّاه التكملة.

[4] *سرّ صناعة الإعراب* لأبي الفتح بن جنّي، تحقيق حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، 1413هـ/ 1993م.

[5] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467- 538هـ/ 1075-1144م) صاحب *الكشاف* في التفسير، *والمفصّل* في النحو، جاور بمكّة مدّة، كان معتزلي العقيدة، وهو أحد أئمة اللغة والنحو، وله نثر وشعر فائقين. اشتغل الناس بتفسيره فتكاثرت عليه الردود والحواشي، واهتبل العلماء بمفصله في النحو حتى إن شروحه لا تكاد تحصى. ولا أعلم معتزليا عدا الجاحظ، لاقى مثل هذا الإقبال. توفي بخوارزم. السلفي، أبو طاهر، الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، تحقيق محمد خير البقاعي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/ 1991م، ص 134- 135، رقم: 28؛ ياقوت، *معجم الأدباء*، ج 6، ص 2687، ترجمة: 1142، الذهبي، سير، ج 20، ص 150- 156؛ كحالة، *معجم المؤلّفين*، ج 12، ص 186-187.

[6] نشر بتحقيق الحسني حسن عبد الله، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1415هـ/ 1994م.

[7] أبو زكريا يحيى بن عليّ بن محمّد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب، من أئمّة العربيّة، عالم بالشعر، أخذ عن أبي العلاء المعرّي، شرح ديوان الحماسة، وديوان المتنبي، وسقط الزند للمعري وأشياء أخرى، توفي سنة 502هـ/ 1109م. ياقوت، *معجم الأدباء*، ج 6، ص 2823، ترجمة: 1233؛ الذهبي، سير، ج 19، ص 269- 271؛ كحالة، *معجم المؤلّفين*، ج 13، ص 214.

الشيخ الزاهد أحمد بن محمّد التبريزي[1] رحمه الله، مع سرّ الأدب[2] والمصادر[3] للقاضي الزوزني[4]. وقرأت السامي في الأسامي[5]، والهادي للشادي[6] على فتى من تلامذة الشيخ أحمد بن محمّد الميداني[1]، وهو أبو الفتوح بن الحسن بن سعد الكاتب[2]، وهو قرأهما على المصنّف.

---

[1] الشيخ الزاهد أحمد بن محمّد التيري، هكذا ورد ذكره في *التدوين في أخبار قزوين* المطبوع، وفي بعض المخطوطات التي تحمل عنوان التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين ورد دون تنقيط السرى، والصواب ما أثبتناه اعتمادا على نسخة مكتبة بغداتلي وهبي، ورقة 72و، سطر 23. يتعلق الأمر بأبي خليل أحمد بن محمد بن عبد الملك الأشعري التبريزي، من علماء القرنين الرابع والخامس الهجري، ولا تلق بالا لما ذكره المشرفون على طبعة فهرست المكتبة الخديوية ومن تبعها في ذلك مثل كحالة والتي اعتبرته من علماء القرن الثاني عشر الهجري، لأن صاحب فهرست مكتبة كوبرلي وقف على مخطوطة سراج القلوب الذي هو من تأليف التبريزي ترجع كتابتها للقرن العاشر. وقد زعم مؤلفا معجم التاريخ التراث الإسلامي، أنه من علماء القرن الخامس الهجري، وهو على ما نظن أقرب للصواب إذا أخذنا بعين الاعتبار ما ورد في رسالة بث الشكوى للقزويني. من مؤلفات التبريزي سراج القلوب المذكور آنفا وهو من العناصر التي يمكن الاعتماد عليها لإثبات صفت الزاهد التي حلاه بها القزويني، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد اللطيف محمد العبد في القاهرة بمكتبة الأنجلو المصرية سنة 1398هـ/ 1978م؛ وله أيضا كتاب الفتوة، منه نسخة في آيا صوفيا مسجلة تحت رقم: 8/2049. وله أيضا باللغة الفارسية كتاب مفتاح بدائع در صنائع شعرية، ورد ذكره على واجهة مخطوط سراج القلوب المحفوظ بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية-جامعه طوكيو، مجموعة دبير، مخطوط lMs.67 [2136].

[2] هو كتاب "سر الأدب في مجاري كلام العرب" لأبي منصور الثعالبي، وهو المنشور المتداول بين الناس تحت عنوان فقه اللغة وأسرار العربية. وله أيضا أسماء أخرى متداولة منها: "شمس الأدب"= الشمس، "معرفة الرتب فيما ورد من كلام العرب"، "المنتخب من سنن العرب"، كما اشتمل الكتاب المذكور على قسم ثالث نشر تحت عنوان "لباب الآداب" وقد طبع منفصلا تحت هذا العنوان. وقد اعتبرها البعض عناوين لكتب مختلفة. انظر

Bilal Orfali, The Anthologist's Art: Abū Manṣūr Al-Tha`ālibī and His Yatīmat Al-Dahr, Leiden, Brill, 2016, p. 49, 53.

[3] نشره تقي بينش، مشهد، جاب طوس، 1381هـ/ 1961م.

[4] أبو عبد الله حسين بن أحمد بن حسين الزوزني القاضي، من أهل زوزن، بين هرّاة ونيسابور، توفي سنة 486هـ/ 1093م، له شرح المعلّقات السبع، وترجمان القرآن بالعربيّة والفارسية، والمصادر وغيرها. ياقوت، *معجم الأدباء*، ج 3، ص 1038، ترجمة: 369. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، 1384هـ/ 1964م، ج 1، ص 531، رقم: 1102؛ كحالة، *معجم المؤلّفين*، ج 3، ص 309.

[5] هذا الكتاب والذي يليه لأبي الفضل الميداني، نُشر *السامي في الأسامي* عدّة مرّات آخرها بتحقيق محمّد موسى هنداوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1418هـ/ 1998م.

[6] هو الكتاب المعروف *بأساس العربيّة*، وهو كتاب في النحو مع تعليقات وشروح بالفارسية، ألّفه صاحبه بعد كتاب السامي.

ثمّ رأيت بتستر القاضي الإمام أبا بكر الأرجاني[3] رحمه الله شيخا قد خنق التسعين، وقد فاق الأعشيين[4] بشعره، وأربى على الوزيرين[5] بنثره، فتحببت[6] من بحر فضله القرب، وأحكمت عناج الشعر عنده والكرب. هذه علوم أفانين الأدب وقوانين كلام العرب.

وأمّا ما سواها نحو غريبي القرآن والحديث، وعلم الفقه والمواريث، وغرر التفاسير، وعلم الوعظ والتذكير، ومسائل الخلاف، وصحاح المسانيد، وعلم الأصول، ودلائل التوحيد، وطريق مشايخ الصوفيّة، وحلّ رموزهم وإشاراتهم الخفيّة، فلي بحمد الله بكل فنّ منها معرفة، وفي كل قدر من ألوانها مغرفة، أنشر بُروزَها عند أصحابها، وأجلو عرائسها على خطّابها"[7].

---

[1]أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد الميداني النيسابوري، أديب من علماء العربيّة، اشتهر بمؤلّفه "مجمع الأمثال"، توفي سنة 518هـ/ 1124م. انظر أبو البركات الأنباري، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*، تحقيق إبراهيم السامرّائي، مكتبة المنار، الزرقاء، (الأردن)،1405هـ/ 1985م، ص 288-289. كحالة، *معجم المؤلّفين*، ج 2، ص 63-64.

[2] لم نقف لهذا العالم على ترجمة فيما توفّر لدينا من أمّهات الكتب.

[3]ناصح الدين أبو بكر، أحمد بن محمّد بن الحسين بن علي، الأرّجاني (بتشديد الراء والجيم المفتوحة) الشافعي، قاضي تستر، درس بالمدرسة النظامية وكان شاعر زمانه، جمع بين اللفظ والمعنى في شعره بشهادة النقاد، والذي دون من شعره لا يكون العشر كما ذكر الذهبي، توفي بتستر سنة 544هـ/ 1149م. له ديوان طبع بإشراف قدري مايو، بيروت، دار الجيل، 1418هـ/ 1998م. ابن خلكان، وفيات الأعيان *وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1398هـ/ 1978م، ج1، ص 151- 155، رقم: 63؛ الذهبي، سير، ج 20، ص 210-211، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 7، ص 243- 247، رقم: 1025.

[4]كثير هم الشعراء الذين يحملون لقب الأعشى، ولعلّ القزويني يقصد بهذه المقارنة أعشى قيس ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل الذي عرف بالأعشى الكبير، وهو الملقب أيضا بصنّاجة العرب صاحب المعلّقة واللامية، وأعشى باهلة، أبو قحفان عامر بن الحرث بن رباح، له رائية اشتهر بها في رثاء أخيه من أمه المنتشر بن وهب. الجمحي طبقات الشعراء، تحقيق جوزيف هِل، ليدن، بريل، 1336هـ/ 1916م، بيروت، دار النهضة العربيّة، ص 48. الأصمعي، *الأصمعيات*، تحقيق أحمد محمّد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، 1375هـ/ 1955م، ص 87، قصيدة 24.

[5]أوّلهما الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمّد بن الحسين الشهير بابن العميد، توفي سنة 360هـ/ 970م. وثانيهما الوزير الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد، صاحب الحضرة المشهورة التي جمعت أساطين العلم والأدب خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) (326-385هـ/ 938-995م) الثعالبي، *يتيمة الدهر*، تحقيق مفيد محمّد قميحة، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1403هـ/ 1983م، ج 3، ص 183-337.

[6] في معظم مخطوطات التدوين وردت هذه اللفظة كالتالي "فحست" دون تنقيط التاء الأخيرة. وفي 3584؛ و1، ضبطت كالتالي: " "فتحببت" وهو الصواب لأن معنى تحبب هنا "امتلأ" وهذا المعنى ورد في قصة الأصمعي مع الأعرابية التي توسل عندها ماء فسقته اللبن والماء والتي يقول فيها "فشربت حتى تحببت ريا". انظر القصة كاملة عند القالي، الأمالي، ج 2، ص 8.

[7]*التدوين في أخبار قزوين*، ج 3، ص 98.

لم تصل إلينا *رسالة بثّ الشكوى* للقزويني حيث أنّنا لم نجد لها ذكرا في ما توفّر لدينا من فهارس الكتب والمخطوطات التي أتيح لنا فحصها، لكن بفضل هذا النصّ الذي حفظه لنا الرافعي، والذي يعدّ بمثابة السيرة الذاتية للكاتب، علمنا أنّ القزويني بدأ أوّلا، كدأب كلّ طالب علم، بحفظ القرآن، هذا الاهتمام بالقرآن وعلم القراءات كان الشغل الشاغل للقزويني منذ البداية، ويؤكّد ذلك أيضا ما أشار إليه القزويني عند سرده لأسماء كتبه في نهاية *سراج العقول* حين أخبرنا أنّه شرع في التأليف في هذا الموضوع منذ صغره: "...وكتاب *مجرّد قراءات* أبي عمرو بن العلاء[1]، وهو أوّل ما جمعته في الصبى"[2]. ولقد كان لهذا الاهتمام بعلم القراءات ثمرته الخاصّة إذ عُدّ صاحب السراج فيما بعد من أئمّة القراء. يقول عنه ابن الجزري في كتابه غاية النهاية في طبقات القرّاء: "إمام مقرئ"[3]. زد على ذلك أنّ الرافعي في آخر الورقات التي خصّصها لصاحب السراج ذكر أنّ هذا الأخير سمع '*التلخيص في القراءات الثمان*[4] *لأبي معشر الطبري*[5] *من الأستاذ أبي إسحاق الشحاذي*[6] *بسماعه منه. والتصحيف والتحريف*[7] *لأبي أحمد الحسن بن عبد*

---

(1) أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العريان التميميّ، ثمّ المازنيّ البصريّ، شيخ القراء والعربيّة وأحد القُرّاء السبعة، أخذ عن جماعة من التابعين وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد، والحسن البصري، وعاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير المكيّ وغيرهم. ذكر غير واحد أنّ وفاته كانت سنة 154هـ/ 774م. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق محمّد عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، 1418هـ/ 1998م، ج 1، ص 320- 321. الذهبي، سير، ج 6، ص 407-410.

(2) انظر خاتمة *سراج العقول*.

(3) *غاية النهاية في طبقات القرّاء*، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1427هـ/ 2006م، ج 1، ص 339، رقم: 1474.

(4) تحقيق محمّد حسن عقيل موسى، جدة، الجماعة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم، 1389هـ/ 1970م.

(5) عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمّد بن عليّ بن محمّد القطّان أبو معشر الطبري الإمام في القراءات وغيرها من التفسير، واللغة والتاريخ، روى تفسير الثعلبي عنه، وله كتب أخرى منها "عيون المسائل في القرآن العظيم". توفي بمكة بعد سنة 470هـ/ 1077م. ابن الصلاح، تقي الدين أبو عمرو عثمان الشهرزوري، طبقات الفقهاء الشافعيّة، تهذيب الإمام النووي، تبييض الإمام المزّي، تحقيق محيي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1413هـ/ 1992م، ج 2، ص 560- 561، رقم: 210. ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القرّاء*، ج 1، ص 401، ترجمة: 1708.

(6) إبراهيم بن عبد الملك بن محمّد بن إبراهيم الشحاذي الأستاذ أبو إسحاق المقرئ القزويني، شيخ عالي الإسناد كما ذكر الرافعي، معمّر، قرأ القرآن بمكّة على أبي معشر الطبري وسمع منه الكثير من تصانيفه وغيرها، توفي سنة 531هـ/ 1139م. *التدوين في أخبار قزوين*، ج 2، ص 114-115.

(7) نشر تحت عنوان *شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف*، تحقيق عبد العزيز أحمد، القاهرة، البابي الحلبي، 1383هـ/ 1963م.

الله بن سعيد العسكري[1] *من القاضي أبي القاسم عبد الملك بن أحمد بن محمّد بن المعافى*[2] *عن السيد أبي محمّد الحسن بن زيد بن صالح*[3] *عنه*"[4].

إلّا أنّ القزويني كان مع اشتغاله بالقراءات ما يزال به حنين إلى علوم العربيّة، لذلك بادرها كما ذكر بحفظ المتون، وتدرّج فيها بدءا بما بسط فيها من الكتب التي كان على كلّ من أراد إتقان العربيّة وكشف أسرارها أن يعاجلها بالحفظ والدرس والتحصيل. ولقد أقبل، كما جاء بعد ذلك في رسالة بثّ الشكوى، على استظهار الرسائل والمقامات وما توفّر لديه من كتب النثر التي انتقاها فوعى منها ما أمكنه حفظه، واعتمد في ذلك على ما اشتهر منها لدى العلماء والأدباء وأصحاب العربيّة في ذلك الوقت. ولم يفت القزويني ذكر ما حفظ من دواوين الشعراء وقصائدهم، ممّا مكنّه من نظم الشعر فأصبح ممّن يعتدّ بشعره ولو أنّه لم يصلنا منه إلّا الأبيات القليل المعدودة. ومن إنصاف كاتبنا ونزاهته صرّح لنا بوضوح كيف أنّه كان في بداية أمره بعيدا كلّ البعد عن معرفة علم النحو، وكيف أنّه سلك فيه مسلكا مغايرا بحيث اضطره توقه لهذا العلم إلى الانتقال إلى مدينة ساوة، والاتصال بأحد أساتذة النحو المعروفين هناك، فلزمه، وسمع منه شرح الإيضاح الذي هو من وضع علم من أعلام العربية في النحو والتصريف والبلاغة والإعجاز، ألا وهو الإمام عبد القاهر الجرجاني. ثمّ إنّ القزويني يصف لنا بدقّة وإيجاز كيف كانت حالته عندما أقبل على هذا العلم الذي لم يكن له مفرّ منه إذا أراد إتقان العربية والوقوف على مفاتيحها فيقول: "فوجدتني فيها دخيلا لا أعرف منها كثيرا ولا قليلا. لكنّ الله تعالى سهل عليّ"[5].

بعد هذا العرض للمسار العلمي لكاتبنا، نجد، ودائما من خلال رسالة بثّ الشكوى، أنّ من بين الأعلام الذين تتلمذ القزويني على أيديهم، محمود بن عمر الزمخشري صاحب *الكشاف* في

---

[1] أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن زيد بن حكيم العسكري اشتهر بالأدب والشعر، وعرف بكتاب الصناعتين (293-382هـ/ 905-992م). ياقوت، *معجم الأدباء*، ج 2، ص 918-922، ترجمة: 323؛ الذهبي، سير، ج 16، ص 413- 415. كحالة، *معجم المؤلّفين*، ج 3، ص 240.

[2] *التدوين في أخبار قزوين*، ج 3، ص 260-268.

[3] *نفسه*، ج 2، ص 411.

[4] *نفسه*، ج 3، ص 102.

[5] *نفسه*، ج 3، ص 98.

التفسير، *والمفصّل* في النحو، *والفائق* في الحديث، *والأساس* في اللغة، وغيرها من الكتب. هذا الاحتكاك بأحد أئمّة الاعتزال في زمانه جرى بمدينة الريّ التي أتاحت الفرصة لصاحب السراج للاطلاع على فنون أخرى، والاتصال كما ذكر، ببعض تلامذة علماء آخرين ممن تركوا أثرهم في ميادين شتّى كالتبريزي، والزوزني، والميداني، والعسكري وغيرهم. ثمّ انتقل عالمنا بعد ذلك إلى بلدة تستر ليلتقي بأحد الشعراء والأدباء المفلقين حسب قوله، ألا وهو الإمام أبو بكر الأرّجاني قاضي تستر آنذاك وشاعر عصره. برفقة هذا الشيخ المسنّ أحكم القزويني كما ذكر عناج الشعر، أي صنعته وملاكه، وأتقن من علوم الأدب ما لم يكن بمتناوله من قبل. وحتى تكون الصورة لدينا كاملة، لم يهمل صاحبنا ذكر ما تحصّل عليه من علوم أخرى حملته نفسه على طلبها حتّى لا يفتقر لشيء منها، فتعلّم غريب القرآن، وحفظ بعض متون الحديث التي كانت متداولة في تلك المنطقة من بلاد الإسلام في عصره. وليس أدلّ على ذلك ممّا ذكره الرافعي عند نهاية ترجمته للقزويني بخصوص سماعاته الحديثية، إذ قال: "كان قد سمع الأحاديث الرضويّة[1] من أبي الحسن إسماعيل بن الحسن بن عبد الله القصري[2] بروايته، عن أَبي عثمان إسماعيل بن محمّد الأصبهاني، عن أبي منصور عبد الرزاق بن أحمد بن عبد الرحمن، عن أبي بكر محمّد بن عليّ الغزال، عن عليّ بن محمّد بن مهرويه، عن داود بن سليمان الغازي[3] عن الرضا[4]. وتلقى الأشجيّات[1] من

---

[1]ترد هذه الأحاديث في المصادر بأسماء مختلفة منها: الصحيفة، صحيفة أهل البيت، مسند عليّ بن موسى الرضا، أحاديث عليّ بن موسى الرضا، الأحادية الرضويات إلخ. وصاحب *التدوين في أخبار قزوين* يعمد لمختلف هذه الأسماء للإشارة لمسند عليّ بن موسى الرضا، وهي مذكورة في مواضع مختلفة من هذا الكتاب.

[2] ذكره ياقوت في معجم البلدان وقال "أبو إبراهيم أسماعيل بن الحسن بن عبد الله القصري (من قصر روناش) أحد العباد المجتهدين". معجم البلدان، ج 4، ص 357.

[3]داود بن سليمان بن يوسف الغازي أبو أحمد القزويني، شيخ اشتهر بالرواية عن عليّ بن موسى الرضا. الرافعي، *التدوين في أخبار قزوين*، ج 3، ص 3-4.

[4] أبو الحسن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، اشتهر بمناظراته التي كان يعقدها المأمون بينه وبين كبار علماء الأديان والمذاهب الأخرى. وُلد في المدينة المنوّرة في 11 ذي القعدة 148 هـ / 28 نوفمبر 765م وتُوفّي في طوس في صفر 203 هـ/ 17 أغسطس 818م. الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، د. ت.، ج 8، ص 554- 568؛ الذهبي، سير، ج 9، 387-393.

أبي المعالي إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن نفيس الأنصاري. وذكر أنّه سمعه منه بالريّ سبع عشرة مرّة. وسمع النسطوريّات[2] من السيّد أبي عليّ الحسن بن عليّ بن الحسين الحسني الغزنوي بسماعه، عن أبي حفص عمر بن الحسن، عن جعفر بن نسطور [3]، عن أبيه نسطور[4]"[5].

أضف إلى ذلك أنّه كانت للقزويني، حسب ما ذكر في رسالته بثّ الشكوى، معرفة بالفقه، وعلم الفرائض، وعلم الأصول ودلائل التوحيد المعروف بعلم الكلام، ولم يفته اقتحام طريق الصوفيّة، وحلّ رموزهم وإشاراتهم الخفيّة كما قال، وهذا ما سيطلع عليه القارئ من خلال قراءته لكتاب سراج العقول وشرح مؤلفه لبعض أبواب كتاب منازل السائرين لأبي إسماعيل الهروي

---

[1] هي ما ينسب للأشجّ المغربي، عثمان بن الخطّاب أبو عمرو البلوي المغربي أبو الدنيا الأشجّ ويقال: ابن أبي الدنيا، ويقال عليّ بن عثمان بن الخطّاب أو عليّ بن الخطّاب. قال الذهبي في الميزان: "أبو الدنيا الأشجّ المغربي، كذّاب، طرقي، كان بعد الثلاثمائة، ادّعى السّماع من عليّ بن أبي طالب.. واسمه عثمان بن خطّاب، أبو عمرٍو، حدّث عنه محمّد بن أحمد المفيد بأحاديث، وأكثر الأحاديث متون معروفة ملصوقة بعليّ." ويضيف الذهبي: "وبعضهم سمّاه أبا الحسن عليّ بن عثمان البلويّ، وبكلّ حال فالأشجّ المُعمّر، كذّاب من بابة رتن الدجال، وجعفر بن نسطور، وخراش، وربيع بنِ محمود المارديني، وما يعنى برواية هذا الضرب، ويفرح بعلوها إلّا الجهلة". الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق عليّ محمّد البجاوي، بيروت، دار المعرفة،1382هـ / 1963م، ج 3، ص 33. ابن حجر، *لسان الميزان*، تحقيق عبد الفتاح أبو غدّة، بيروت، مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1423هـ/ 2002م، ج 5، ص 380-387، ترجمة: 5110.

[2] ما ينسب لنسطور الرومي. انظر الهامش التالي.

[3] جاء في *الإصابة في تمييز الصحابة*: "جعفر بن نسطورٍ الروميّ، أحد الكذابين الذين ادّعوا الصحبة بعد النبيّ ﷺ بمئين من السنين، قرأته بخط مغلطاي مستدركا على ابن الأثير، وكذا استدركه بن الدباغ على ابن عبد البرّ، وكذا استدركه الذهبي في التجريد، لكن قال: الإسناد إليه ظلمات، والمتون باطلة، وهو دجّال أو لا وجود له، رؤي بناحية فاراب من أرض الترك في سنة خمسين وثلاثمائة". انظر ابن حجر، *الإصابة*، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1415هـ/ 1995م، ج 1، ص 648-649، ترجمة: 1345.

[4] قال ابن حجر: "نسطور الرومي، أحد الكذّابين، زعم أنّه عاش بعد النبيّ ﷺ أكثر من ثلاثمائة سنة، روى حديثه خطيب الموصل عبد الله بن أحمد الطوسي عن أبي المظفّر ميمون بن محمود، عن إبراهيم بن إسحاق المرغيناني". ابن حجر، *الإصابة*، ج 6، ص 398، ترجمة: 8913.

[5] *التدوين في أخبار قزوين*، ج 3، ص 102.

الأنصاري[1]. ثم إنّ حياة القزويني لم تكن على ما يبدو بالهادئة، فقد ذكر في كتاب سراج العقول أنّه كان يلقي دروسا في التفسير بجامع قزوين ولم يتمّها لأن الظروف حالت دون ذلك[2].

بلدتا خُوي وهمذان محطّتان ثانيتان ذكرهما القزويني في معرض حديثه عن مؤلّفاته، وبذكرهما يتبيّن لنا أنّ صاحب السراج كان ممّن جابوا الأمصار إمّا طلبا للعلم، وإمّا سعيا وراء نشره ومشاركة أهل العصر من العلماء والأكابر، فكان له بذلك الحظوة والشأن لذى العلماء وغيرهم، وليس أدلّ على ذلك من شهادات المشايخ المعاصرين له والتي حفظ لنا منها الرافعي بعض النماذج فقال: "وقد أثنى عليه بعض أهل العلم في عصره من الشيوخ والكهول، واعترفوا له بالتقدّم والتبريز في المستنبط والمنقول، فكتب الإمام أبو سليمان أحمد بن حسنويه الزبيري[3] رحمه اللّٰه على كتابه المعروف بنور الحقيقة ونور الحديقة، حين فرغ من تأليفه وتبويبه وترصيفه:

كتابك نور للحقيقـــــــة لائـــــح ... وفحواه نور للحديقة فائح
وذكرك في شرق البلاد وغربـــــــه ... يسير به بالخير غاد ورائـــح
بقيت لكشف المعضلات موفّقـا تـ ... بينها مَا باح بالحقّ بائـــــح

وكتب الإمام محمّد بن خليفة الصائغ[4] رحمه الله: "طالعت هذه الأجزاء فصادفتها على الحقيقة

---

[1] أبو إسماعيل، عبد الله بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن عليّ بن جعفر بن منصور بن مت الأنصاري الهروي، شيخ خراسان من ذريّة صاحب النبيّ ﷺ أبي أيوب الأنصاري. كان أبو إسماعيل الأنصاري على حظّ تام من معرفة العربيّة والحديث والتواريخ والأنساب، وكان إماماً في التفسير، حسن السيرة في التصوّف. له تصانيف باللغتين العربية والفارسية منها: ذم الكلام، الفاروق في الصفات، الأربعين في التوحيد، سيرة الإمام أحمد، - إلهي نامه (منتخب من مناجاته) في التصوّف (بالفارسية). توفّي سنة 481هـ/ 1089م. الذهبي، سير أعلام، ج18، ص503- 518. ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر ومحمّد الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، 1414هـ/ 1993م، ج5، ص349.

De Laugier de Beaurecueil, Chemin de Dieu, trois traités spirituels, Paris, Sindbad, 1985, Actes Sud, 1997, pp. 11- 34.

[2] انظر خاتمة *سراج العقول*.

[3] أحمد بن حسنويه بن حاجي الزبيري القزويني الشافعي، إمام نسيب، متفنّن، فقيه، مناظر، عارف بالعربيّة، شاعر، توفي سنة 564هـ/ 1169م. التدوين في أخبار قزوين، ج 2، ص 160-162.

[4] لعلّه أبو بكر محمّد بن خليفة بن المعالي بن أبي سهل المتوي الصائغي القزويني، فقيه جليل بارع ورع، جميل السيرة، حميد الأخلاق، تفقّه بقزوين ونيسابور وغيرهما. لم يذكر صاحب التدوين تاريخ وفاته، *التدوين في أخبار قزوين*، ج 1، ص 281.

نور الحقيقة، وتنزهت منها في جنة عالية، وتسترت من الشبه بجنة واقية، فما ترك صاحبها صدعا في الفؤاد إلّا شعبه، ولا انكشفت غمّة إلّا كان سببه؛ ففيض الإله على خاطر ينظم مثل تلك الحقائق، وأيّدت بالتوفيق يد تكتب مثل تلك الدقائق، وهي وإن انخرطت ألفاظها في أصغر عقد، واندبجت في أقرب حدّ، فإنّ وراءها نكتا خفايا، وأسرارا للمعاني خبايا، وقى الله ساحة صاحبها عادية الحدثان، وبقّاه غرّة في جبهة الزمان".

وكتب الإمام أبو عبد الله محمّد بن عبد الرحمن الورائني[1]:

هذا الكتاب الذي يبقى لصاحبـه ... ذكر يسار به في البدو والحضـر
مَا تستنير النجوم الزهر في فلـك ... إنارة الحقّ من ألفاظه الـــغــرر
لم يبق في أمّهات الكتب معضلة ... إلّا وأوضحها فيه على خطـــر
نور الحديقة بل نور الحقيقة في... التحقيق يزرى بنور الشمس والقمر

وكتب حمزة بن أبي القاسم بن حمزة المعروف بابن باب الأصبهاني:

قد استضاءت بنور الحقيقة ... واقتطفت من نور الحديقة
فبهر بسناه طرف الفـــؤاد ... ونغم برياه أنـف الاعتقـاد

وقلت فيه:

نور الحقيقة من ذراها ساطـع ... يهدى النهى في ظلمة التقليـد
يبقى بها الدين عمر بهائهـــا ... وبهاؤها يبقى علـــى التأبيـد
ليحيل قيد المشكلات بلفظـه ... ويشد طوق ثنائها فـي الجيـد

قال ابن الساعي في ختام ذكره لمؤلّفات القزويني: "وكان منقطعا في بيته قلّ أن يخرج منه إلّا لصلاة الجمعة"[1].

---

[1] محمّد بن أبي مسلم عبد الرحمن بن المعالي بن منصور بن الحسين بن أحمد الورائني، فقيه، أديب، شروطي، ذكي، قويم الطبع، (520- 611هـ/ 1126-1223م). *التدوين في أخبار قزوين*، ج 1، ص 314-316.

سنة وفاة القزويني:

سبق وأن لاحظنا بأنّ حاجي خليفة ترك محل ذكر سنة وفاة القزويني فارغا، وأنّ إسماعيل باشا البغدادي اختار سنة 756هـ/1355م[2] وتبعه في ذلك كحّالة. وأغلب خزانات ومكتبات المخطوطات العربية التي ذكرت للقزويني أو سراج العقول في منهاج الأصول تعتمد على هذه السنة للإشارة لسنة وفاة القزويني، ويدخل في هذه الزمرة أغلب المواقع على شبكة الأنترنت إن لم نقل كلّها. كلّ هذا الذي قدّمناه يضحده ويفنده ما أورده الرافعي المتوفي سنة 623هـ/1226م، والذي لقي بعض أقارب القزويني، إذ يثبت في تدوينه أنّه: "توفي رحمه الله سنة خمس وسبعين وخمسمائة في جمادى الآخرة".

ثمّ إنّك تجد هذه السنة التي ذكرها الرافعي تتعارض مع ما أكده ياقوت الحموي[3] الذي يثبت أنّها كانت سنة 580هـ/1184م. والظاهر أنّ صاحب *معجم الأدباء* الذي وافاه الأجل سنة 626هـ/1229م هو الأقرب من الصواب[4] ويشهد على ذلك ما جاء في كتاب سراج العقول نفسه، إذ أكدّ مؤلفه إثر تعليقه على حديث النبيّ ﷺ: "يخرج الدجّال في الثمانين." والذي ذكره في الباب الثامن، وتعقيبا على أقوال العلماء أنّ الدجال: "لمّا لم يخرج في ثلاثمائة وثمانين، ولا في أربعمائة وثمانين، فيوشك أن يخرج في خمسمائة وثمانين، وهذه السنة لم يخرج." وهو يعني بها دون شكّ، سنة 580هـ/1184م، هذا إذا استبعدنا أن تكون هذه الإشارة من إضافات النسّاخ.

---

[1] ابن الساعي، الدر الثمين في أسماء المصنّفين، تحقيق أحمد شوقي بنبين ومحمّد سعيد حنشي، تونس، دار الغرب الإسلامي، 1430هـ/ 2009م، ص 402.

[2] لو تمعّن القارئ بعض الشيء في الأرقام التي تتكوّن منها هذه السنة، للاحظ معنا أنّها إلى حدّ ما لا تختلف عن الأرقام التي جعلت رقم خمسة في المئات وسبعة في العشرات... فالذي أظنه هو أن البغدادي أو من نقل عنه، ربّما وقعت منه زلة قلم فذكر 756هـ بدل 576هـ، وقد يكون ذلك من عمل النساخ والله أعلم.

[3] مما يؤكد ذلك أيضا سيرة ياقوت نفسه حيث جاب المناطق التي مرّ بها القزويني نفسه، واطلع على ما حوته مدينة مرو من المكتبات، فلربّما سنحت له الفرصة عندما كان يطلع على بعض كتبها واستنساخها الوقوف على ما دفعه لاختيار سنة 580هـ للإشارة إلى سنة وفاة صاحب *سراج العقول*، انظر *معجم الأدباء*، ج7، 2894-2895.

[4] يذكر خضر سلامة في مصدر مخطوطات المسجد الأقصى، ج 2، ص133، 666 هـ/ 1267م كسنة وفاة للقزويني، ولست أدري ما كان معتمده في تقرير ذلك.

أمّا بخصوص سنة مولد القزويني فإنّ الرافعي يزعم أنّ ذلك كان سنة 493هـ/1099م وعزاه لعليّ بن عبيد الله بن بابويه[1]، أي عند نهاية القرن الخامس الهجري، حيث كانت منطقة قزوين تحت حكم السلاجقة الذين اتخذوا من مرو عاصمة لملكهم، وأسّسوا المدارس التي عرفت فيما بعد بالنظامية، نسبة إلى نظام الملك (485-408هـ/ 1018-1092م) وزير ألب أرسلان وابنه ملكشاه، والتي كان لها الدور الفعال في الدفع بعجلة العلم إلى الأمام، فتخرج منها كبار العلماء المسلمين. فكانت بغداد، والبصرة، ودمشق، والموصل، وآمل، والريّ، وطبرستان، وبلخ، ونيسابور، وهراة، منارات للعلم يقصدها الطلاب ليتلقّوا العلوم على يد أمثال أبي حامد الغزالي، وأبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر بن الصباغ، والخطيب التبريزي وغيرهم. في ظلّ هذا الجوّ ولد ونشأ القزويني وتعلّم، وألّف الكتب، ونظم الشعر، وألقى الدروس، وكاتب العلماء، ونكاد نجزم بأنّ صاحب السراج ما ترك ميدانا إلّا وطرقه بقلمه. وهذا ما سنتبيّنه من خلال عرض عناوين كتبه.

آثار القزويني:

من حسن الحظ أنّ التاريخ حفظ لنا ثلاث لوائح بأسماء ما ألّفه القزويني، لكن من سوئه أيضا أنّ معظم هذه المؤلّفات لم يصلنا ولم نطلع منه لحدّ الآن، رغم البحوث والتحريّات، إلّا على كتاب *سراج العقول في منهاج الأصول*، وكتاب يواقيت *العلوم ودراري النّجوم* الذي نُشِر في إيران ونُسِب لمؤلف مجهول[2]. يقول صاحب *الذريعة إلى تصانيف الشيعة* عن هذا الكتاب: "دائرة معارف فارسية لبعض الأصحاب من علماء القرن السادس، وقد نسب إلى الغزالي[3] والفخر

---

[1] منتجب الدين عليّ بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه، (504- 585هـ/ 1110-1189م). من كبار علماء الحديث سماعاً، وضبطاً، وحفظاً، وجمعاً. قال الرافعي عنه: "قلَّ من يدانيه في هذه الأعصار في كثرة الجمع والسماع، قرأت عليه بالريّ سنة 584هـ/ [1188م]". كان أديبا بارعا في النحو والتصريف. الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج 3، ص 372-378؛ ابن الفُوَطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، (إيران)، 1416هـ/ 1986م، ج 5، ص 513، رقم 5599.

[2] *يواقيت العلوم ودراري النجوم*، تصحيح محمّد تقي دانش پژوه. طهران، بنياد فرهنگ إيران، 1345هـ/ 1966م.

[3] انظر *كشف الظنون*، ج 2، ص 2053.

الرازي أيضا. ألفّه باسم مظفر الدين طغرل تكين بيك ألب أرغون بن براقش. فيه ثلاثون علما 1) أصول الدين. 2) أصول الفقه.... 20) العروض. 21) الخط.... 25)النجوم. 26)الحساب. 27) الفأل. 28) المساحة. 29) الطب. 30) الفلاحة...."[1].

لدينا كما ذكرنا قائمة أولى بأسماء كتب القزويني عثرنا عليها عند ابن الساعي عليّ بن أنجب، في كتابه الموسوم *بالدرّ الثمين في أسماء المصّنفين*، (ص 401-402). وبحوزتنا أيضا روايتان اثنتان لأسماء هذه الكتب كما أوردها القزويني نفسه كذيل لكتابه *سراج العقول*. الرواية الأولى نجدها في المخطوط المحفوظ بمكتبة آيا صوفيا تحت رقم (1848ش) الذي رغم أنّنا لم نتمكن من الحصول عليه، فإنّ البحث الذي نشره حسن أنصاري[2] بخصوص يواقيت العلوم، والذي اعتمد فيه على ما ذكره القزويني من مؤلفاته في هذه النسخة، هو الذي سهل علينا إمكانية المقارنة بين ما ورد من عناوين كتب القزويني في نسخة المكتبة التركية وبين أسماء الكتب التي في نسخة القدس التي اتخذناها، كما سنبيّنه، كأصل لتحقيق سراج العقول في منهاج الأصول.

عندما قارنا بين هذه اللوائح الثلاث، وجدنا أنّ نسختنا والتي سنرمز لها ب (ق) هي التي ضمّت العدد الأكبر من العناوين (أربعة وخمسون ما بين كتاب ورسالة)، تليها قائمة نسخة صوفيا (تسعة وأربعون عنوانا) وتحتلّ لائحة ابن الساعي المرتبة الأخيرة بثلاثة وأربعين مؤلّفا.

ما اتفقت على ذكره النسخ الثلاث:

1- *سراج العقول في منهاج الأصول*.

2- نور الحقيقة ونَور الحديقة[3]

---

(1) أغا بزرك الطهراني، *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الثالثة، 1363هـ/ 1983م، ج 25، ص 294- 295.

(2) حسن أنصاري، "*سراج العقول* وچند كتاب ديگر أز نويسنده يواقيت العلوم" مجله بررسى هاى تاريخى، أغسطس، 1432هـ/ 2011م. وتجده على موقع: ansari.kateban.com.

(3) قال عنه القزويني: "كتاب لطيف في المعرفة". جاءت هذه العبارة في النسختين ولم ترد عند ابن الساعي. ولقد ذكره القزويني مرّة ثانية في سراج العقول في الباب الأول: في معرفة الله تعالى. انظر أيضا ما جمعه الرافعي من تقريظات المشايخ إشادة بهذا الكتاب، وقد أوردنا بعضها في معرض حديثنا عن المؤلّف. وقد عثرنا على مخطوطتين للكتاب وعليهما تمّ اعتمادنا لنشره تحت عنوان: "إثبات المعرفة المسمّى نور الحقيقة ونَوْر الحديقة". سنة 2024.

3- مسالك البحث عن مدارك البعث[1]

4- نقض التعليم وكشف التفهيم[2]

5- يواقيت العلوم ودراري النجوم

6- ذخر الخواصّ في تفسير سورة الإخلاص[3]

7- رسالة قوت الروح[4]

8- صوان الأدب في لسان العرب[5]

9- رفع الخيال عن رؤية الهلال[6]

10- شرح تسبيحة الأبدال ومعنى الجمال والجلال[7]

11- حلّ العيبة عن حال الغيبة[8]

12- جزءان من مساءلات قوت القلوب[9]

13- الياقوت في تسبيح المَلَك والملكوت

---

(1) ذكر ابن الساعي هذا العنوان مكتفيا بعبارة: مسالك البحث. وقد أشار القزويني إليه في موضعين من كتابه سراج العقول: في الباب الخامس عشر والباب التاسع عشر.

(2) ذكره ابن الساعي وقال التعاليم، وأضاف أنّ هذا الكتاب ألّفه بالفارسية، وهو ما عبّر عنه القزويني في نسخة (ص) "بالعجمية".

(3) وصفه القزويني في (ص) فقال: "فيه نكت عجائب ونتف غرائب".

(4) ذكرها ابن الساعي بالجمع وقال: "قوت الأرواح لأهل الفتوح". وأضاف التعليق نفسه الذي جاء أيضا في (ص): "فيها رموز وإشارات عجيبة".

(5) جاء في نسخة (ص) وعند ابن الساعي الملاحظة التالية: "أودعت فيه أصول الأسماء والأفعال المتجانسة، وأصول الأدوات، والتصريف، والنحو، مجدولا في ثلاث جداول على ترتيب لم أسبق إليها [كذا]. ويضيف في مخطوطة (ص): وقد شاعت نسخة في هذه الناحية، غير أن المعلّمين قد نسخوها بالتصحيف، وأنا أتبرأ منه".

(6) رفع الحال عند ابن الساعي. ونجد في (ص) الإضافة التالية: "في مسألة وقعت".

(7)

(8) سقط هذا العنوان من نسخة (ص)، وقد عبّر القزويني عن موضوع الكتاب بعبارة "في كلام المشايخ" واختار ابن الساعي جملة: "في فنّ التصوّف".

(9) في نسخة (ص): "جزء في شرح كلمات مشكلة من قوت القلوب." وعند ابن الساعي: "كتاب شرح كلمات مشكلة من قوت القلوب." و "*قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد*" كتاب في التصوف يشتمل على ثمانية وأربعين فصلاً موزعة على مجلدين، من تأليف أبو طالب المكي المتوفى سنة 386هـ/ 996م، نشر بتحقيق محمّد الرضواني، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1422هـ/ 2001م.

14- مصفاة الصفاة والردّ على النُّفاة[1]

15- شرح بدء النحو من كلام الترمذي[2]

16- رسالة الفتوى في قوله ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ (الفتح؛ 26)

17- شرح كلمات شتى من خطب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[3]

18- المناهج في علم المخارج.

19- المسائل المستدركة من سؤالات القرآن[4]

20- زبدة الأقوال في قوله ﴿ثمّ آتينا موسى الكتاب تماما﴾ (الأنعام؛ 154)[5]

21- مقامات شتّى عملتها بساوة على لسان الفقيه المصري[6]

22- الإفادة عن ترجمة الشهادة[7]

23- جزء في مقاربة القضيّة عن مقارنة النيّة[8]

24- حدر اللثام عن الحرف والكلام[9]

25- رسالة الاستيجاب عن الأحوال الثلاث[10]

26- لباب الألباب في مراسم الإعراب[1]

---

(1) ورد العنوان عند ابن الساعي دون عبارة والردّ على النفاة. وسيصدر بتحقيقنا عن دار الكتب العلمية قريبا.

(2) لم يذكر ابن الساعي هذا العنوان. وجاء في نسخة (ص) هكذا: "شرح النحو في علم البدء من كلام الترمذي." وقد نشرت بتحقيق Mehmet Faruk Çifçi, e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi, (JOSR), April-2017 Volume : 9, Issue (17), p 453- 470.

(3) ذكر ابن الساعي ما جاء في نسخة (ص) بأنّ هذا الشرح كان موضوعه التوحيد.

(4) ذكر عند ابن الساعي بهذه الصيغة ولعلّها تصحيف: "المسائل المستدركة من سور آيات القرآن".

(5) ورد هذا العنوان في (ص) بهذه الصيغة: جزئية زبدة الأقوال...

(6) فات ابن الساعي ذكر هذه المقامات.

(7) لا ذكر لهذا الكتاب في نسخة (ص).

(8) لم يذكره ابن الساعي.

(9) سمّاه ابن الساعي: حذر اللثام عن الحرف والكلام. وجاء في (ص) ما يلي: ومنها جزء أمليتها (كذا) بأردبيل بالفارسية وسمّيته: "تحذير اللثام عن الحرف والكلام".

(10) قال ابن الساعي بعد ذكر هذا الكتاب: "عنى بذلك حال المتكلّمين والنحاة والصوفيّة." وقد وردت نفس المعلومة في نسخة (ص) على لسان القزويني.

27- غاية التعريف في علم التصريف[2]
28- جملة الحديث عن التذكير والتأنيث[3]
29- الدرّ المنظوم في التعديّة واللزوم
30- الأصول والفصول
31- النكت في النحو[4]
32- اللمحة في النحو[5]
33- الرائقة في التصريف
34- الفائقة في شرح الرائقة في التصريف
35- رسالة في مشاجرة المتعلّم والفقيه والأديب والمتكلّم[6]
36- مراسلات وقصائد كتبتها إلى القاضي ظهير الدين البسطامي
37- رسالة في نسبة الليالي إلى اللآلئ[7]
38- تفسير الفاتحة وقدر عشرين آية من البقرة[1]

---

(1) أورده ابن الساعي ولكن بدل لباب ذكر لبّ.

(2) في إيضاح المكنون: "غاية التصريف"، وعند ابن الساعي "غاية التوقيف". وفي معجم التاريخ التراث [كذا] الإسلامي في مكتبات العالم: "غاية التصريف في علم الصرف". وأضاف مؤلفا معجم التاريخ بأنّ هناك نسخة لهذا الكتاب بالمكتبة الوطنية بقسطموني (تركيا) رقم 1607/ 1 ورقة 62؛ وأخرى بالمكتبة الوطنية ببالكسير (تركيا) 8276، ورقة 158-205، 666هـ ورقم 590/ 2، ورقة 161-208.انظر علي رضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، *معجم التاريخ التراث [كذا] الإسلامي في مكتبات العالم*، قيصري، دار العقبة، 1422هـ/ 2001، ج 2، ص 1304، ترجمة: 3570، رقم 3. ولقد أضاف القزويني في مخطوط (ص) بخصوص "لباب الألباب" و"غاية التعريف" بأنّهما كتابان مرتّبان كافيان في هذين العلمين فيهما نكت وإشارات غريبة.

(3) ذكره ابن الساعي بهذا النحو: حملة الحديث عن التدليس والتأليف.

(4) لم يذكره ابن الساعي.

(5) فات ابن الساعي ذكر هذا الكتاب. وذكر القزويني في نسختنا المعتمدة أنّ هذا الكتاب جاء على غاية من الاختصار.

(6) جاء هذا العنوان في (ص) كالتالي: "مشاجرة المتعلّم بين الفقيه والمتكلّم." وذكره ابن الساعي بهذه الصيغة: "بشارة المتعلّم في الفقه والأدب والمتكلّم".

(7) أضاف القزويني أنّه كتب هذه الرسالة كما جاء في نسختنا، أو المراسلات كما ورد في (ص) وعند ابن الساعي، ببلدة خوي إلى رئيسها عماد الدين ابن قائد، ولقد فات ابن الساعي ذكر هذا الإشارة الأخيرة.

39- مجرّد قراءة أبي عمرو بن العلاء[2]

40- رسالة الإيماء إلى لفظ ما[3]

41- شرح بيتي المتنبّي: "روح تردّد[4]" والآخر "ها فانظري أو فظنّي بي"[5]

42- الرسالة في نقض أحكام النجوم[6]

ما تفرّدت به المخطوطة التي اعتمدنا عليها لتحقيق سراج العقول:

1- الإبانة عن معنى الإمالة[7]

2- الشمّة في النحو

---

[1] لم يورد ابن الساعي ما ذكره القزويني في النسختين (ق) و(ص)، بخصوص هذا الكتاب، حيث قال القزويني: "أمليتها في جامع قزوين، فيها المعاني والمسائل الدقيقة، وقد عاقتني العوائق عن الإتمام." وجاء في نسخة (ص) قدر عشر آية [كذا]. ولقد اتفقت نسخة (ص) مع ما ذكره ابن الساعي من أن المفسّر من سورة البقرة عشر آيات وليس عشرين.

[2] زاد القزويني في (ص): "وهو أوّل ما جمعت في الصبى".

[3] لم يذكرها ابن الساعي. وعلمنا من خلال نسختنا (ق) أنّ القزويني كتبها إلى الشيخ أبي العلا الحافظ، وأكّد في النسختين أنّه كتبها بهمذان.

[4]ذكر في الدر الثمين بعنوان: " تكميل الهلال في شرح قول المتنبي وفي نسخة (ص) تكملة الهلال في روح تردّد " وهو شرح للبيت السابع من قصيدة للمتنبي مطلعها:

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني ... وفرّق الهجر بين الجفن والوسن

روح تردّد في مثل الخـــلال إذا ... أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

ديوان المتنبي، ص 7.

[5]لم يذكر ابن الساعي هذا الشرح وجاء في (ج) و(ص) تحت عنوان: "نزهة الناظرة ونزهة الخاطرة". وقد أفرده القزويني على ما يظهر لشرح بيت آخر للمتنبّي وهو:

ها فانظري أو فظنّي بي تري حرقا ... من لم يذق طرفا منها فقد وألا

وهو من قصيدة للمتنبي مطلعها:

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا ... والبين جار على ضعفي وما عدلا

ديوان المتنبي، ص 17.

[6] عند ابن الساعي "إبطال أحكام النجوم".

[7] لعلّه الكتاب الذي ذكره ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القرّاء، ج 1، ص 339، بلفظ "الإيماء إلى..." وترك محقّق "*غاية النهاية*" بياضا محلّ كلمة الإمالة.

3- قاعدة في النحو

4- جوهرة التصريف على الحروف

5- بهجة القرّاء في أسرار القراءات

6- البرهان على ﴿إنّ هذان.﴾ (طه؛ 63)

7- التلقين في مهمّات الدين. (مختصر بالعجميّة: أي الفارسيّة)

8- الاكتفاء في علم الاستيفاء

9- مختصر في تنزيه الحقّ وبدء الخلق: (فيه مسائل غوامض)[1]

10- الإفادة في تسهيل الولادة

11- الرسالة بثّ الشكوى[2]

ما تفرّد به ابن الساعي ومخطوطة صوفيا = (ص):

1- كتاب *الموازنة بين نجوم الأرض ونجوم السماء:* (في ذكر النبيّ ﷺ والخلفاء).

2- كتاب *إبطال القول بوجوب وجود العالم* (بالفارسيّة).

3- الرسالة *الواوية* [3]

4- كتاب *الفاكهة في إعراب الفاتحة* [1]

---

[1] هكذا ورد ذكرها في سراج العقول وأما في المخطوطتين اللتين اعتمدناها لإخراج هذه الرسالة فقد جاء العنوان كالتالي: "رسالة بدء الخلق وتنزيه الحق". وستصدر قريبا بتحقيقنا مع "رسالة مصفاة الصفات" عن دار الكتب العلمية.

[2] وهي التي ذكرها الرافعي في *التدوين* واعتمد عليها في ترجمته للقزويني.

[3] ذكرها ابن الساعي باسم "الرسالة الوردية" وهو تصحيف لأن صاحب الدر الثمين أورد نفس التعليق الذي نجده في (ص) بخصوص هذه الرسالة وهو أنّ "فيها إشارات معنوية ونكت لغوية". أضف إلى ذلك أنّ القزويني ولو أنّنا لم نجدها ضمن جرده لأسماء مؤلفاته في نسختنا (ق) إلّا أنّه أحال عليها في الباب الثامن من سراج العقول عندما تحدث عن مدّة العالم ونقض النجوم. وأشار إليها أيضا في الباب الواحد والعشرين بهذه العبارة: "تسمى واو الثمانية ولنا فيها رسالة عجيبة". وتجدر الإشارة هنا بأن عليّ رضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط ذكرا في معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم أن موضوع هذه الرسالة هو الصرف والنحو. ثم إن المؤلّفين دلا على مكان وجود مخطوط لهذه الرسالة: "مكتبة نجيب باشا في تيرة بإزمير (تركيا) 658/ 6 ورقة 76-83." *معجم التاريخ التراث الإسلامي*، ج 2، ص 1304، ترجمة 3570، رقم: 1. وقد تم نشر الرسالة لأول مرة بعناية حجازي سليم، حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود) العدد الثاني والثلاثون -المجلد الخامس)، جامعة الأزهر، 1441هـ/ 2019م، ص 5131-5267.

5- كتاب *شهقة المصلّي*. (بالفارسية)

6- كتاب *زاد الزّهّاد إلى المعاد* في التصوّف[2]

جاء في نسخة صوفيا ما يدلّ على أنّ للقزويني مؤلفات أخرى حيث ختم فهرست كتبه بقوله: "وقد لخّصت كثيرا من الكتب وتركت ذكر أساميها في *فنون العلوم والفضل للمتقدّم فيها*".

في نسبة سراج العقول في منهاج الأصول للقزويني:

بعد أن تعرّفنا على الكاتب، وتأكّدنا من اسمه، وعرضنا بعضا من مراحل حياته، بقي لنا أن نتحدث عن كتابه سراج العقول الذي نسبه إليه الرافعي كما ذكرنا وابن الساعي، والشعراني[3]، وحاجي خليفة، وإسماعيل البغدادي وغيرهم. إلّا أنّه لا بدّ من الإشارة قبل ذلك إلى من نسب هذا الكتاب لمفتي الشافعية أبي منصور محمّد بن محمّد بن محمّد بن سعد البروي صاحب التعليقة في الخلاف[4]. والظاهر بعد مقارنة المعطيات التي أمكن جمعها أنّه ليس لهذا الكتاب صلة بالبروي ولا بغيره، لأنّ هذا الالتباس لم يكن ليقع لولا اعتماد من جاء بعد بروكلمان، على ما ذكره هذا الأخير في كتابه تاريخ الأدب العربي، بخصوص سراج العقول إلى[كذا] منهاج

---

(1) أضاف القزويني في نسخة (ص) بخصوص هذا الكتاب أنّه ضاعت النسخة التي كانت لديه.

(2) هو كتاب ألّفه القزويني بالفارسية وذكر في نسخة (ص) أنّه لم يتمّه بعد.

(3) يقول جميل بك مصطفى في معرض حديثه عن الشعراني: "وقرأ على الشيخ نور الدين المحلي... سراج العقول للقزويني..." انظر عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر، بيروت، المطبعة الأهلية، 1325هـ/ 1908م، ج 1، ص 318-319. وهكذا يكون بمقدورنا فهم الأسباب التي جعلت الشعراني ينقل من *سراج العقول* كثيرا كما هو واضح في *اليواقيت والجواهر* وكتابه الآخر الموسوم *بالطبقات الكبرى*.

(4) يُذكر أنّ البروي قدم بغداد وأقبل عليه الناس كثيرا فتولّى المدرسة البهائية، وسعى للتدريس في النظامية، فلم يحصل له ذلك. شغّب على الحنابلة فأهدوا له صحن حلوى مسمومة فأصبح ميّتا هو وزوجته وابن له. كان إليه المنتهى في علم الكلام، والنظر، والجدل، والبلاغة. توفي سنة 567هـ/ 1172م. الرافعي، *التدوين*، ج 2، ص 9-10. ابن الساعي، *الدرّ الثمين*، ص 154-155؛ السبكي، *طبقات الشافعيّة*، ج 6، ص 389-391، ترجمة: 696؛ البغدادي إسماعيل، *هديّة العارفين*، ج 2، ص 96.

الوصول [كذا]، إذ عزاه إلى شخص يدعى محمّد بن محمّد البُرّي [كذا] وذكر أنّ وفاته كانت سنة 576هـ/1180م، ووقع العزو في كتاب تاريخ الأدب العربي في موضعين اثنين:

1) الجزء الأول ص 436.

2) الجزء الأول من ملحق تاريخ الأدب (1937م) ص 780[1].

ولقد تابعه في ذلك كحّالة في معجمه واكتفى بذكر اسم سراج العقول دون بقيّة العنوان تحت النبذة التي خصّصها لكاتب يدعى البُوري دون تشديد، وأحال على ملحق بروكلمان، ولم يزد على ذكر سنة الوفاة كما جاءت في تاريخ الأدب العربي، وختم حديثه بالإشارة إلى أن الكاتب صوفيّ، وهي ترجمة حرفية لتعليق بروكلمان.[2] ثم إنّ المعلومات التي جمعها بروكلمان بخصوص سراج العقول هي التي دعت، فيما أعتقد المسؤولين على قسم المخطوطات العربية في تشستر بيتي بإيرلندا، ومن أخذ عنهم، إلى عزو كتاب سراج العقول في منهاج الوصول [كذا] إلى محمّد بن محمّد البروي. وهذه هي المكتبات والمراكز التي تنسب سراج العقول للبروي:

1) مكتبة تشستر بيتي بمدينة دبلن (إيرلندا) رقم الحفظ: 3895 /4[3]

2) مكتبة المخطوطات بالكويت: رقم الحفظ:2394 (عن تشستر بيتي: 3895) [4]

3) مكتبة جامعة أمّ القرى بمكة المكرمة، رقم الحفظ: [1180]576[5].

---

[1] تساءل بروكلمان في الملحق عمّا إذا كان البرّي هو جمال الدين محمّد بن محمّد بن محمّد البرّي المالكي (توفّي سنة 474هـ) صاحب مواهب الفتاح في آداب النكاح. ملحق ج 1، ص 780.

Brockelmann, Carl, *Geschichte der arabischen Literatur*, Weimar, Verlag von Emil Felber, 1998, band 1, p 436. Brockelmann, Carl, *Geschichte der arabischen Literatur*, Leiden, E.J. Brill, 1937, Supplement, band 1, p 780.

[2] كحالة، *معجم المؤلّفين*، ج 11، ص 201.

[3] تجد هذه المعلومات على موقع المكتبة الشاملة (خزانة التراث، فهرس المخطوطات) وكذلك على موقع جامع المخطوطات الإسلامية.

1955-1964, Arberry, A.J. *The Chester Beatty Library, A Handlist of the Arabic Manuscripts*, Dublin, .vol 4, p 52

[4] موقع المكتبة الشاملة (خزانة التراث، فهرس المخطوطات).

[5] عن موقع الفهرس العربي الموحد.

4) مكتبة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، رقم الحفظ [1176]576[1].

5) مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، رقم الحفظ: 243003[2].

فهذه المكتبات كلّها تنسب سراج العقول في منهاج الأصول، وليس الوصول كما هو مثبت، إلى أبي منصور البروي، وأغلب من ذكر الكتاب يزيد على ذلك بجعله شرحا لمنهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، بالرغم من أنّ البروي توفي قبل البيضاوي بما يزيد على قرن من الزمن (مات البيضاوي ما بين 685هـ و691هـ / 1291م و1298م).

يظهر إذا ممّا سبق:

1) أنّك لا تجد أحدا، ممّن سبق بروكلمان من الكتّاب المسلمين، حسب معلوماتنا، ينسب سراج العقول لغير القزويني.

2) أنّ بعضا ممّن سبق المستشرق الألماني التبس عليه أمر سنة وفاة القزويني، وأمر موضوع كتاب سراج العقول، فاعتبره مثلا حاجّي خليفة شرحا لمنهاج الوصول كما سبق ذكره، هذا رغم أنّه يذكر الكتاب منسوبا لصاحبه في موضع آخر بعنوان محرّف (شارح القفول: شراج العقول) ويعلّق عليه بوصف اقتبسه من منن الشعراني كما ذكرنا سابقا.

3) الالتباس الذي وقع فيه بروكلمان بشأن مؤلّف الكتاب ربّما كان نتيجة عدم تمكّنه من فكّ، أو بالأحرى لم يكن بوسعه تمييز حروف اسم المؤلف في المخطوط الذي اعتمد عليه، إذ لو قارنا بين اسمي القزويني والبروي للاحظنا التقارب الذي قد يحصل بين رأسي حرف القاف والباء، ولتمكنّا من إدراك الالتباس الذي قد يحصل بين {يني} و {ـوي} سيما إذا كان الخطّ رديئا. وهذه بعض النماذج التي تمكِّن المطَّلِعين على بعض أنواع الخطوط التي كتبت بها المخطوطات العربية أن يدركوا مقصدنا من ذكرها: {البروي -البروبي -البرسي} وكلّها يجب وضعها في إطار ما كتب

---

[1] نفس المصدر.

[2] موقع مركز جمعة الماجد الذي سهّل لنا الحصول على هذه النسخة، وتجدر الإشارة إلى أنّ فهرسة المركز تملك أيضا نسخة مصوّرة عن مخطوطة القدس للقزويني. لكنّك إذا أديت الواجب للحصول عليها من المركز فإنّ الصورة التي تصلك تكاد تكون منعدمة الفائدة لرداءة التصوير ولأنّ الأصل الذي يمكن الاطلاع عليه من مكتبة القدس قد عرض بالألوان لذا فتصويره بالأسود والأبيض يحول دون الوصول إلى المبتغى لمن أراد قراءة مخطوط *سراج العقول*.

باليد أو بالأحرى بالأقلام، أي تصوّرها مكتوبة على ورق تقادم عليه العهد، وبخطّ كاتب غير متمرّس، أو رديء الخطّ، أو ذو كتابة تماثل أثر ما يتركه دبيب النمل على الرمال.

المكتبات التي تملك نسخة من مخطوط سراج العقول في منهاج الأصول منسوبة للقزويني:

ثمّ لا بد بعد هذا كلّه من ذكر المكتبات الأخرى التي تملك نسخة من مخطوط سراج العقول في منهاج الأصول منسوبة إلى مؤلّفها الحقيقي، أي القزويني فنجد:

1) نسخة بمدرسة جامع النبيّ شيت بالموصل، والتي ضُمّت كتبها إلى مكتبة الأوقاف العامّة بالموصل، رقم الحفظ بمكتبة الموصل (208/3)[1].

2) مخطوط بمكتبة عارف حكمة بالمدينة المنوّرة وهي، حسب ما ذكر رضا كحالة في المنتخب من مخطوطات المدينة المنوّرة، نسخة مذهبة تاريخ نسخها 1192هـ/1778م، وعدد صفحاتها 334، مسجّلة تحت رقم 145 توحيد[2].

3) نسخة بمكتبة الشؤون الدينية بأنقرة (ديانت)، مسجّلة تحت رقم 676، 1347هـ/ 200 ورقة [3].

4) نسخة بمكتبة آيا صوفيا، ضمن المكتبة السليمانية بإستانبول، رقم الحفظ 1848. [4] وقد وجدنا في مقال لحسن أنصاري الذي اطلع حسب ما ذكر على هذه المخطوطة، بعض المعلومات. وممّا جاء في آخرها: "نجز الكتاب وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين، فصلواته على نبيّه محمّد وآله أجمعين. في صبيحة يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة ستّ وسبعين

---

[1] سالم عبد الرزاق أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل*، الموصل، مؤسّسة دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1403هـ / 1982م، ج 2، ص 159-160.

[2] كحالة، "المنتخب من مخطوطات المدينة المنوّرة"، *مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق*، عدد 48/ 1، 1392هـ / 1973م، ص، 48.

[3] انظر علي رضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، *معجم التاريخ التراث [كذا] الإسلامي في مكتبات العالم*، ج 2، ص 1304، ترجمة: 3570 رقم: 2.

[4] نفس المصدر.

وخمسمائة. وكتبه أضعف خلق الله وأحوجهم إلى مغفرته، عبد الرزاق بن عبد الغفّار بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي مصلّيًا ومسلّما ومستغفرا"[1].

5) نسخة أسعد أفندي ضمن المكتبة السليمانية بإستانبول مسجلة تحت رقم 1363[2].

6) نسخة مصوّرة محفوظة بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة.

عدد أوراقها: 301، (13 سطر).

أولها: بعد البسملة "الحمد لله المنعوت في الأزل بالأبديّة، والموصوف في الأبد بالأزليّة، والمنفرد الآن وأبدا بالآخريّة والحمديّة، الظاهر للعقول ببرهانه، والباطن عن الظنون في شأنه... أمّا بعد قد عرض عليّ بعض الأئمّة، وفّقه الله لمرضاته، أربعين مسألة اختارها من غوامض الأصول ومباحث العقول، فكلّفني التورّد في مضايقها...."

آخرها: "ومنها لمحة في النحو على غاية الاختصار، ومنها زاد الزهاد إلى المعاد، وهو كتاب شريف في التصوّف بالعجميّة ولم يتمّ بعد، وقد لخّصت كثيرا من الكتب ولكنّي تركت ذكر أسمائها في فنون العلوم والفضل للمتقدّم فيها، نجز الكتاب".

نسخ: عبد الرزاق بن عبد الغفار بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي[3].

7) نسخة مصوّرة محفوظة بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة.

تاريخ نسخها: 1172هـ [1758م].

عدد أوراقها 135 ورقة (21 سطر)

أولها: بعد البسملة "الحمد لله المنعوت في الأزل بالأبديّة والموصوف في الأبد بالأزليّة، والمنفرد أزلا وأبدا بالأبديّة والصمديّة... أمّا بعد فقد عرض عليّ بعض الأئمّة... أربعين...

---

[1] حسن أنصاري، "*سراج العقول وچند كتاب ديگر أز نويسنده يواقيت العلوم*". مجله بررسى هاى تاريخى، أغسطس، 1432هـ/ 2011م. وتجده على موقع: ansari.kateban.com.

[2] نفس المصدر.

[3] عن موقع الفهرس العربي الموحد، رقم ضبط: 10202576408. وهذه النسخة هي صورة للمخطوط المحفوظ بمكتبة آيا (ص) إذا قارنا المعلومات التي قدّمت لوصفها بتلك التي حصلنا عليها بخصوص نسخة آيا (ص)، سيما عدد الأوراق واسم الناسخ.

آخره: "ولقد كفنت جوارحي عن أن ترى... إليك مخافة أن تهلك، وصرفت وجهي عن جنابك غيرة منّي عليك مخافة أن أشرك علم الحقيقة في الخليقة... تمّت الرسالة للشيخ... يوسف".

عليها حواشي قليلة[1].

8) نسخة مصوّرة محفوظة بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة 1192هـ/ [1778م]

135 ورقة (21 سطر) الصفحات مرقمة من: 1-135.

أوّلها: بعد البسملة... الحمد لله المنعوت في الأزل بالأبديّة... أما بعد فقد عرض عليّ بعض الأئمّة... أربعين مسألة اختارها من غوامض الأصول".

آخرها: "رحم الله امرأ أمعن نظره في هذا الكلام، وأنصف من نفسه، إذ هو العلم القليل الذي أعطاه الخلق بقوله: "وما أوتيتم من العمل إلّا قليلا". وصلّى الله على..."

نسخ: أبو بكر نصرت

نسخة تامّة، مجدولة، واضحة التصوير. بأوّلها أشعار بالفارسية[2].

وقد قمت بتحقيق الكتاب معتمدا على النسختين الآتيتين[3]:

نسخة المسجد الأقصى بالقدس الشريف:

نسخة مصوّرة عن مخطوطة محفوظة بمكتبة المسجد الأقصى بالقدس الشريف تحت رقم [1397][4]، وهي نسخة تامّة تتألّف من سبع ومائة ورقة، وصفحاتها مرتبطة بطريقة التعقيبة، وقد وضعت على الموقع الذي أخذناها عنه بالألوان، ممّا سهّل بعض الشيء من صعوبة قراءة خطها وفكّ بعض رموزه. وهي التي أشرنا إليها بحرف (ق).

---

[1] نفس المصدر، رقم ضبط: 11202834536.

[2] نفس المصدر، رقم ضبط: 11202807352.

[3] ثقة مني بما يعلمه من يمارس فنّ التحقيق، لن أذكر الظروف التي حالت بيني وبين حصولي على هذه النسخ المختلفة، وإنما ذكرتها هنا ليعلم القارئ أنّي كنت على علم بوجودها، وربّما هناك غيرها، وأنّي لم آل جهدا في طلبها، ولكن دون جدوى، هذا إذا استثنينا مركز جمعة الماجد الذي استجاب لطلبنا.

[4] والمعلومات الكاملة هي كالتالي: [1397] سراج العقول 43/ 1/ EAP 521.

على الورقة الأولى منها عنوان الكتاب، واسم المؤلف ثلاث مرات بخطين مختلفين: خطّ مقروء وواضح، وآخر دقيق يظهر من خلاله أنّ من قرأ اسم الكاتب معتمدا فقط على هذه الإحالة، قد يتعذر عليه فكّ رموزه وبالتالي قراءة البروي عوض القزويني أو البرّي كما ذكر بروكلمان.

وعلى الورقة الأولى أيضا علامات تملّك باسم:

1- سليمان بن السيّد حسن الجعفري الحسيني الحنبلي.

2- عبد الرحمن بن سليمان بن السيّد حسن الجعفري الحسيني الحنبلي.[1]

3- عبد الرحمن بن السيّد القاضي حسن بن محمّد.

4- حسن الحسيني الخلوتي المفتي بالقدس الشريف 1205هـ.

والمخطوط حالته متوسطة، والخط مقروء لولا ما طرأ على الأوراق من تأثير التصاق بعضها ببعض. وقد كتب المخطوط بخطين مختلفين (من الورقة الأولى حتّى وجه الورقة 33 بخطّ دقيق صعب القراءة غير مشكول، وفي أغلب الأحيان غير منقوط، ومن ظهر الورقة 33 إلى أخر المخطوط بخطّ واضح مشكول في بعض الأحيان، وتامّ التنقيط) وقد وردت عناوين الأبواب بالخط الأحمر السميك، ومسطرتها 24 سطرا وقياساتها 24،5×16سم، وكلمات السطر تتراوح بين سبع عشر وعشرين كلمة بالخطّ الأوّل، ولا تتجاوز السبع عشرة كلمة بالخطّ الثاني.

أوّل المخطوط:

"بسم الله الرحمن الرحيم، استعين على الابتداء والإتمام.

الحمد لله المنعوت في الأزل بالأبديّة، والموصوف في الأبد بالأزليّة، والمنفرد أزلا وأبدا بالأحديّة والصمديّة".

وعلى الصفحة الأخيرة من هذه النسخة دعاء وشهادة التوثيق وتاريخ الكتابة:

---

[1] قد ذكر اسم هذا الرجل مرّتين، مرّة بصيغة مختصرة كما أوردناه، ومرّة ثانية بنسبه كاملا. ونذكره هنا تعميما للفائدة مستعينين بما ورد في الموقع الرسمي للسادة الجعفريّين: "في نوبة العبد الفقير الضعيف النحيف عبد الرحمن بن السيّد الشريف القاضي سليمان بن السيّد الشريف القاضي حسن بن السيّد الشريف القاضي محمّد محيي الدين بن السيّد الشريف القاضي محبّ الدين بن السيّد الشريف القاضي إبراهيم برهان الدين بن السيّد محمّد بدر الدين بن السيّد الشريف بن [كلمة مطموسة] عبد القادر الجعفري [كلمة مطموسة]، الحنبلي الإمام بباب حطّة بالمسجد الأقصى...

"رحم الله امرأ أمعن نظره في هذا الكلام، وأنصف من نفسه إذ هو العلم القليل الذي أعطاه الخلق بقوله تعالى: "﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾ (الإسراء؛ 85). وصلّى الله على محمّد وآله وصحبه وسلّم كثيرا إلى يوم الدين.

وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الجمعة خامس عشر، شهر جمادى الأولى، سنة ثمانمائة، بالقدس الشريف، والحمد لله رب العلمين".

ولا بد من الإشارة إلى أنّه قد كُتِب على آخر صفحة من هذه النسخة من الكتاب ثلاثة أحاديث من صحيح البخاري بخطّ مخالف جاءت كالتالي:

1) "البخاري حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، قال ابن شهاب: "يُصلّى على كل مولود مُتَوَفّى وإن كان لِغَيَّة من أجل أنّه وُلد على فطرة الإسلام، يدّعي أبواه الإسلام، أو أبوه خاصّة، وإن كانت أمّه على غير الإسلام، إذا استهل صارخا صُلِّيَ عليه، ولا يُصلّى على من لا يَسْتَهِل، من أجل أنّه سِقْطٌ، فإنّ أبا هريرة رضي الله عنه كان يحدّث: قال النبيّ ﷺ: "ما من مولود إلّا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء." ثمّ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ (الروم؛ 30) الآية[1].

2) "حدّثنا عبدان: أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهريّ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن: أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مولود إلّا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء". ثمّ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم﴾ (الروم؛ 30)[2].

---

[1] البخاري، صحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، حديث: 1292. كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله، حديث: 4497.

[2] البخاري، صحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، حديث: 1293.

حدّثنا آدم: حدّثنا ابن أبي ذئب، عن الزهريّ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: "كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء"[1].

ونجد على نفس الصفحة بعد هذين الحديثين حاشية أشرنا لها قبل قليل وجاءت كالتالي:

"نظرت في كتاب سراج العقول ورأيت بأنّ كلامه معقول مقبول، وأنا الفقير أضعف الضعفاء أحمد بن أبي الصفا، الراجي شفاعة محمّد المصطفى سنة 1065هـ".

نسخة تشستر بيتي:

والنسخة الثانية مصوّرة عن ميكروفيلم محفوظ بمكتبة تشستر بيتي بدبلن (إيرلندا) تحت رقم 4/3895، وعن هذا الميكروفيلم أخذت الصورة الموجودة في مكتبة المخطوطات الكويت: رقم الحفظ 2394. وقد رمزنا لها ب (ش). وهي نسخة منسوبة خطأ، كما ذكرنا، لمحمّد بن محمّد البروي. عدد صفحاتها، إذا أخذنا بعين الاعتبار ما اعتراها من نقص، 182 صفحة، وقد ضمّت كلّ صفحة من الصورة التي لدينا من هذا المخطوط الظهر والوجه من كلّ ورقة.

والمقاس حسب ما ذكر في الجذاذة التي تصاحب النسخة (12،1×12،2سم). وهذا الوصف رُبّما يطابق الأصل، ونحن كما ذكرنا لا نملك إلّا صورة منه. وهي مكتوبة بخطّ واضح ومشكول.

ولقد ضاعت بعض أوراقها فكان هذا الخلل هو الذي دفعنا، رغم تقدمّ هذه النسخة زمنيا، إلى عدم اتخاذها كأصل. ونحن نبيّن الأماكن التي اعتراها هذا النقص:

1) ضاع أوّل المخطوط فكانت البداية في المقدّمة من: "... فإنّ البحر من أيّ النواحي أتيته واحد، وإليه الإشارة في قوله تعالى: "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله." ولعلّ ثلث الكتاب من هذا القسم...".

2) سقط من الباب الأول مقدار ما يزيد على صفحة حسب حجم صفحات المخطوط وذلك من: "ويضلّ من يشاء" إلى: "كتاب ديانات العرب".

---

[1] البخاري، صحيح، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث: 1319.

3) من نهاية الباب السابع من وسط المناجاة عند عبارة "ورمت جوهرة إلى الظهور مجّاجة" سقط مقدار صفحة، ليستأنف بعد عدّة أسطر من بداية الباب الثامن، عند جملة" في آخرها ألفا".
4) ضاع من هذا المخطوط أيضا آخر الباب الثامن عشر من: "فإن قُطِعَت وآمن الكافر... إلى نهاية الباب، وسقطت الأبواب: التاسع عشر: "في محصول البدء والإعادة على الإيجاز"، والعشرون: "في السبب الداعي إلى إنكار الآخرة لمنكريها"، والحادي والعشرون: "في الأوّليات العظائم المخلوقة للبقاء"، وبداية الباب الثاني والعشرين إلى منتصف الفصل الثالث منه، عند عبارة: "راجعة إلى اختلاف أشكال المرائي". ثم سقط من هذا الباب أيضا، أي الثاني والعشرين، بعض الفصل الرابع من: "فكما أنّ الكلام الأزليّ..." إلى آخر الباب وبداية الباب الثالث والعشرين، عند الأصل الثالث منه حيث يستأنف الكلام من: "القدر تقدير الله الأشياء..."
5) ويعتري الباب الثالث والعشرين نقص آخر يبدأ بعد عبارة: "الدعاء مثل الترس والدرع الحائلين..." إلى: "أن يوقن بالإجابة ويتحقّقها..." من نفس الباب.
6) نهاية الباب السادس والعشرين تنقصها تتمّة المناجاة، ويستمرّ النقص إلى نهاية الباب السابع والعشرين قبل المناجاة بقليل عند جملة: "المدينة أيّام عمر بن الخطاب..."
7) ثمّ يأتي بعد ذلك نقص آخر يشمل بداية الباب الثامن والعشرين من: "فاعلم أنّه قد أتى..."، والباب التاسع والعشرين الذي خصّصه المؤلّف لطلوع الشمس من مغربها، وبداية الباب الثلاثين. ويستأنف الكلام بعد جملة: "إنّك تبكي خوفا ممّن بعثك..."

وآخر المخطوط: ثمّ أبرز روحه من الغيب عند تهيّؤِ الجسد لقبولها، فعند ذلك تعلّقت به الروح وصار حيّا، وانقلب التراب لحما ودما".

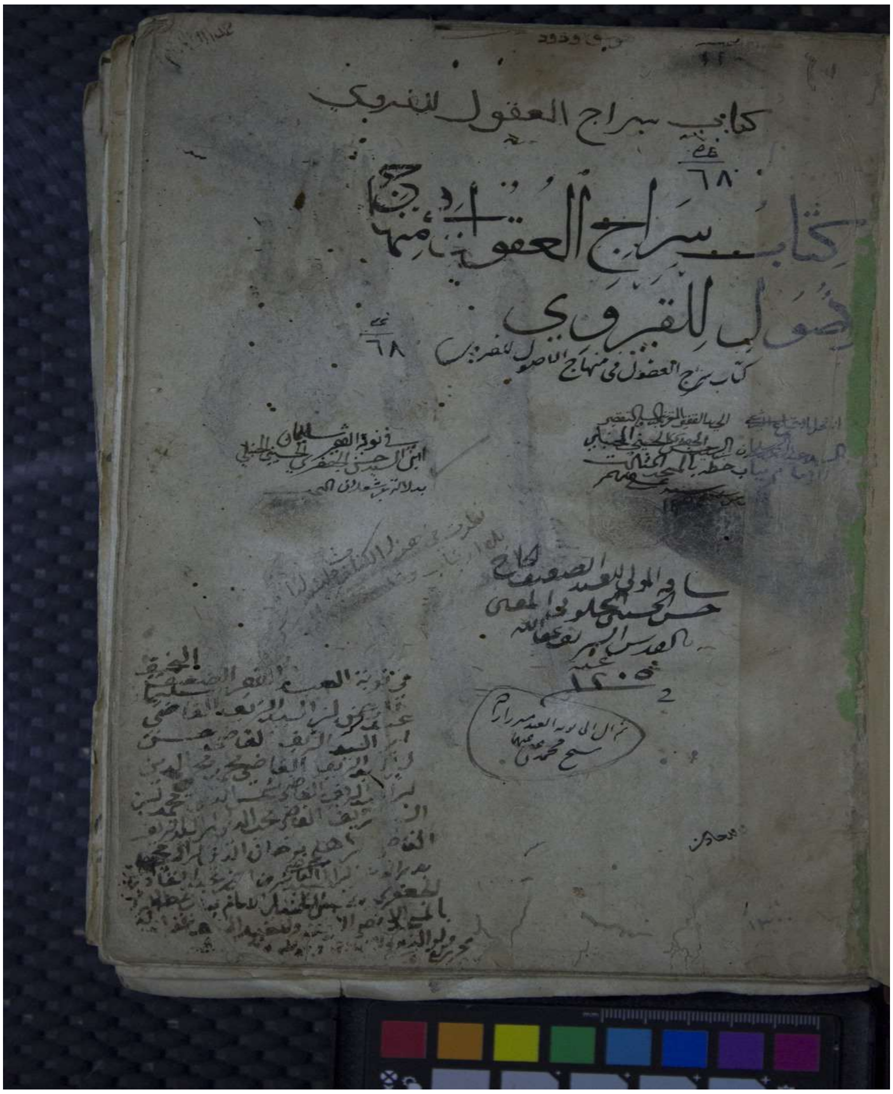
ويظهر من خلال هذه العبارة أنّ نسخة تشستر بيتي سقط منها بقيّة الاستدراك الذي ختم به المؤلف كتابه، ويؤكّد ذلك ما انتهت به نسخة المسجد الأقصى، إلّا أنّه لا سبيل إلى معرفة مقدار هذا النقص.

وأكثر ما يميّز هذه النسخة هي الحواشي والتعليقات، ففيها حواش وتعليقات نعتقد أنّها للمصنّف، وتميَّزت أيضًا عن (ق) من حيث وضوح الخطّ، وتحديدُ أماكن التعليق في المتن. أمّا الحواشي التي وجدناها في (ق) فلا ندري من هو كاتبها، ولقد وضعناها كهوامش وبيّنا مكانها.

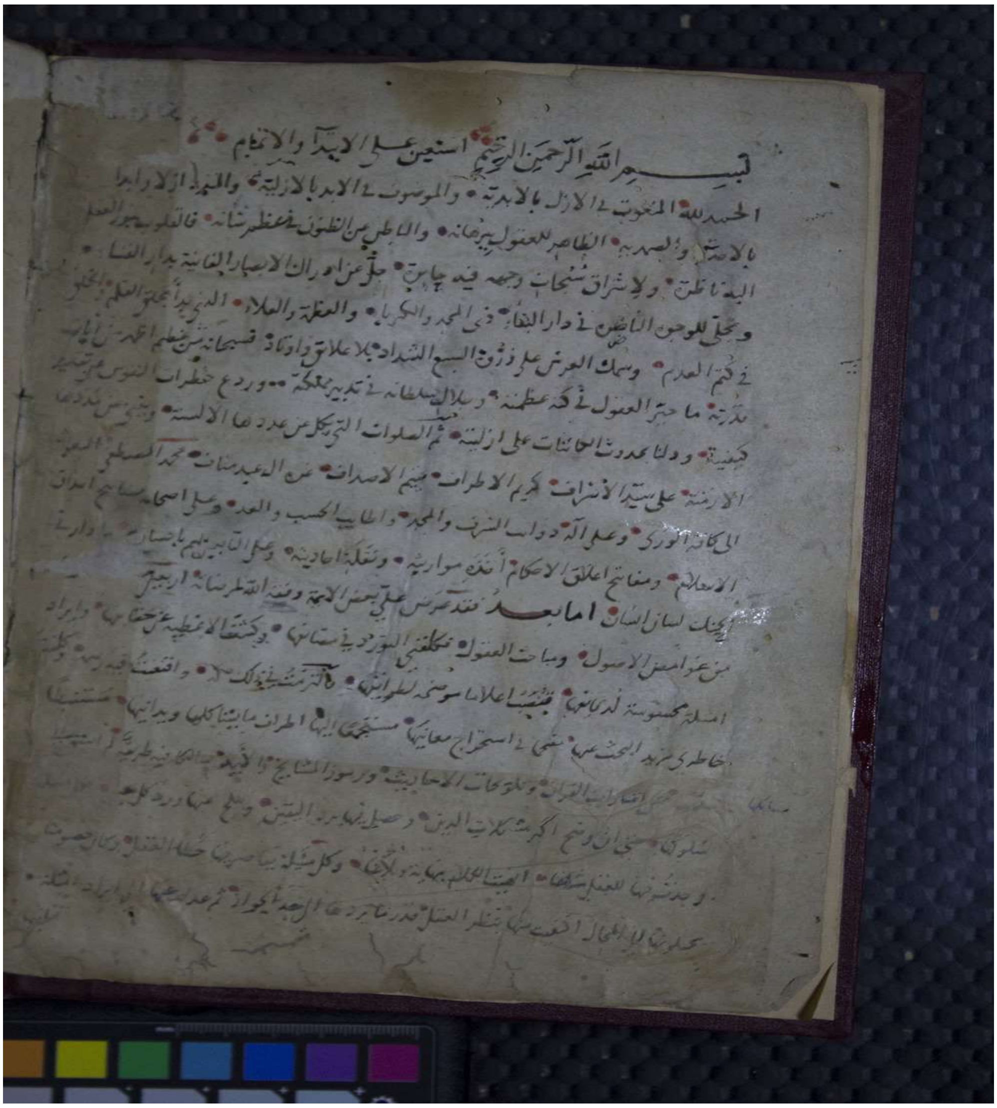
النسختان اللتان وصفنا ههنا واعتمدنا عليهما لإخراج هذا الكتاب يشيع فيهما التصحيف، والتحريف، والخطأ، والسقط، وقد بدلنا جهدنا معتمدين على الله تعالى ثمّ على هذه النسخ في التحقيق والتصحيح، وهذا لا يعني على أيّة حال أنّ "جهيزة قطعت قول كلّ خطيب"، فما يزال في هذا الكتاب مجال لمزيد استيفاء لبعض الأعلام والشواهد التي قصر جهدنا عن تحقيقها لغياب مصادر مراجعتها، فتركناها عسى أن نعود إليها غدا إن شاء الله. ولا بدّ أن الغيورين على التراث العربي سيلقون هذا الكتاب فرحين مستبشرين بمؤلف يعدّ حلقة هامّة في سلسلة كتب علم الكلام، حسبنا دهرا أنّه ممّا اغتالته العصور، والحوادث وأفنته الخطوب. "والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل".

كلمة شكر:

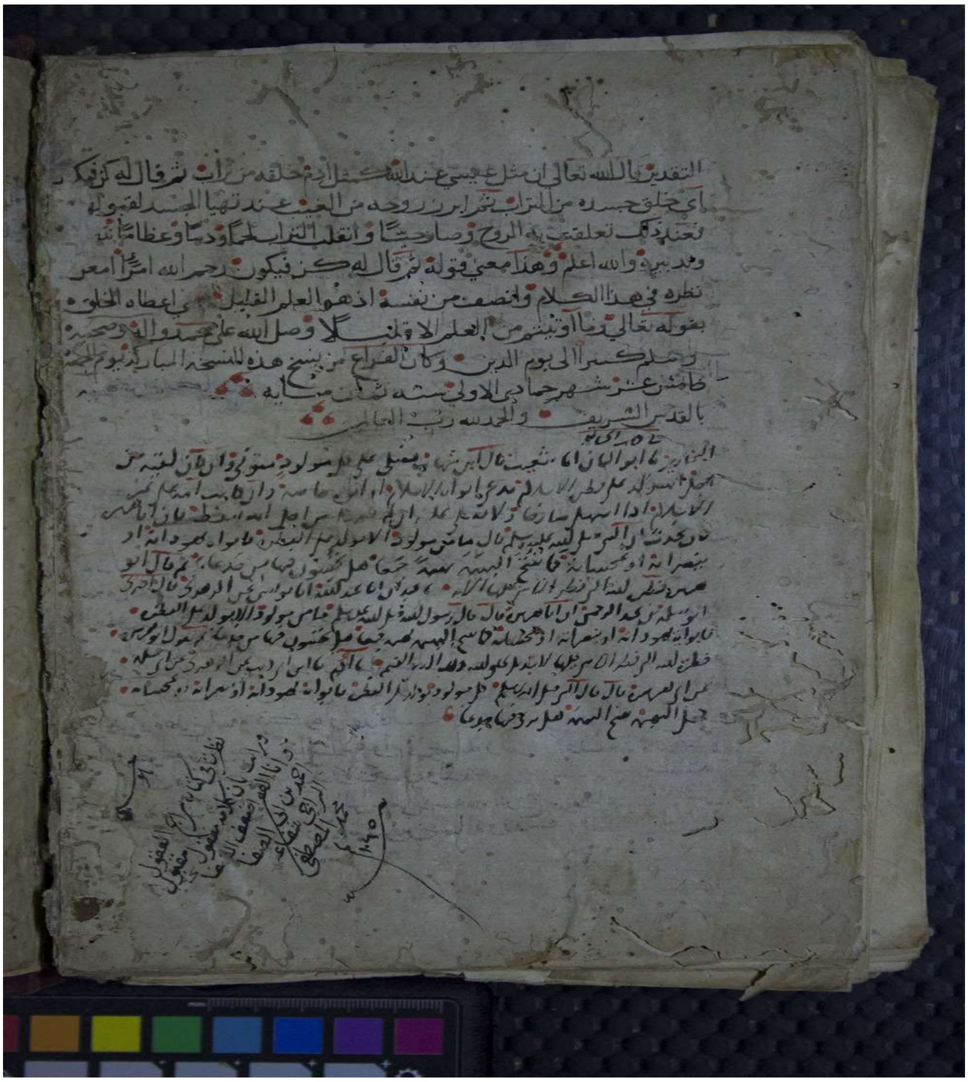
لم أكن لأبذل هذا المجهود لإخراج هذا النص لولا إلحاح أخي وصديقي الدكتور الضعيف الحسن وإصراره وتشجيعه لي حتّى تمّ لي إنجاز هذا العمل وتحقيق سراج العقول في علم الأصول، فليجد في هذه الكلمة اعترافي له بجميله عليّ، فله الشكر، على هذا الجهد الذي قام به طيلة مدّة التحقيق، وعلى كل النصائح التي جاد بها عليّ وإن كان الشكر لا يحيط بجزيل معروفه. وفي مسك الختام أثني ثناء حسنا على صديقيّ عبد الفتاح بالبوخاري، وعبد الباسط مرداس وعلى ابني تيمية وابنتي مريم الذين ما بخلوا بملحوظاتهم القيمة عليّ والتي استفدت منها. فجزاهم الله حسن الجزاء، والحمد لله ربّ العالمين.



الصفحة الأولى من نسخة المسجد الأقصى (ق)



الصفحة الثانية من نسخة المسجد الأقصى (ق)



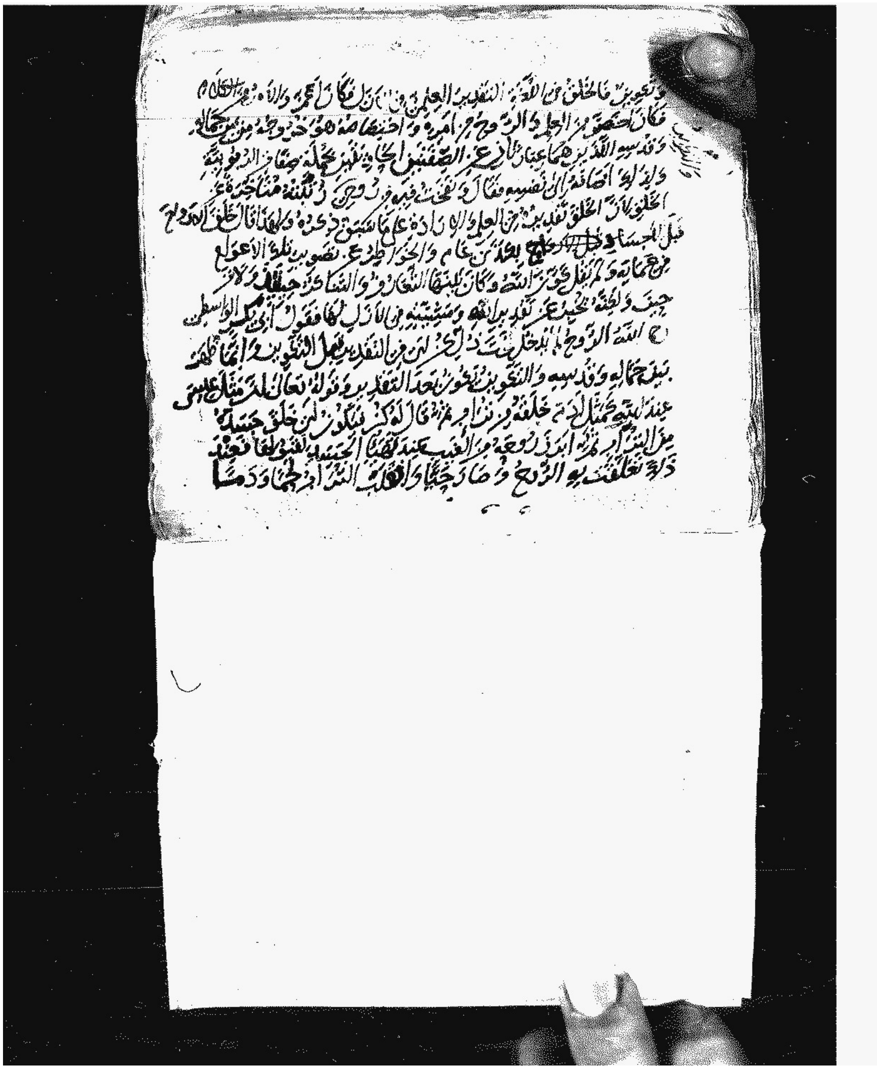
الصفحة الأخيرة من نسخة المسجد الأقصى (ق)



الصفحة الأولى من تشستر بيتي (ش)



الصفحة الثانية من تشستر بيتي (ش)



الصفحة الأخيرة من تشستر بيتي (ش)

سراج العقول
في منهاج الأصول

[تمهيد]

بسم الله الرحمن الرحيم

استعين على الابتداء والإتمام

الحمد لله المنعوت في الأزل بالأبديّة، والموصوف في الأبد بالأزليّة، والمنفرد أزلا وأبدا بالأحديّة والصمديّة، الظاهر للعقول ببرهانه، والباطن عن الظنون في عظم شأنه، فالقلوب بنور العقل إليه ناظرة، ولإشراق سبحات وجهه فيه حائرة، جلّ عن إدراك الأبصار الفانية بدار الفناء، وتجلّى للوجوه الناضرة[1] في دار البقاء، ذي المجد والكبرياء، والعظمة والعلاء، الذي بدأ بخلق القلم والخلق في كتم العدم، وسمك العرش على ذروة السبع الشداد بلا علائق وأوتاد، فسبحانه من عظيم أظهر من آيات قدرته ما حيّر[2] العقول في كنه عظمته، وجلال سلطانه في تدبير مملكته، وردع خطرات النّفوس عن تقدير كيفيّته، ودلّنا بحدوث الكائنات على أزليّته.

ثمّ الصّلوات التي تكلّ عن عددها الألسنة، وتفنى عن مددها الأزمنة، على سيّد الأشراف، كريم الأطراف، يتيم الأصداف، غرّة آل عبد مناف، محمّد المصطفى المبعوث إلى كافّة الورى[3]، وعلى آله ذوائب الشرّف والمجد، وأطايب الحسب والعدّ، وعلى أصحابه مصابيح أحداق[4] الإسلام، ومفاتيح أغلاق الأحكام، أخذة مواريثه، ونقلة أحاديثه، وعلى التابعين لهم بإحسان ما دار في الحنك لسان إنسان.

أما بعد:

---

[1] في باقي النسخ "ناظرة" لكن السياق يوحي بأن ما ورد كتصحيح في (ق) هو الصواب والله أعلم.

[2] بياض بـ (ج).

[3] في (ج) "القرى".

[4] في (ج) "أخلاق".

فقد عرض عليّ بعض الأئمة -وفّقه الله لمرضاته- أربعين مسألة اختارها من غوامض الأصول، ومباحث العقول، فكلّفني[1] التورُّد في مضايقها، وكشف الأغطية عن حقائقها، وإيراد أمثلة محسوسة لدقائقها، ونصب أعلام[2] موضِحة لطرائقها[3]، فالتزمت في[4] ذلك حُكمه، واقتفيت فيه رسمه، وكلّفت خاطري مزيد البحث عنها، مقتحما في استخراج معانيها، مستجمعا إليها أطراف ما يشاكلها ويدانيها، مستنبطا عللها[5] من[6] إشارات القرآن، وتلويحات الأحاديث، ورموز المشايخ والأئمّة، سالكا فيه طريقة لم أسبق إلى سلوكها، حتّى أنْ وَضُح أكثر مشكلات الدين، وَحَصل فيها برد اليقين، وتبلج عنها ورد كلّ جبين[7].

فكلّ مسألة وجدتُ فيها للعقل مساغا أنهيت الكلام بنهاية وبلاغة، وكلّ مسألة تقاصر [كذا] فيها خطى العقل، وكان[8] خصومنا يحيلونها إلى المحال، اكتفيت فيها من[9] نظر العقل قدر ما يردها إلى حدّ[10] الجواز، ثمّ عدلت عنها إلى إيراد أمثلة[11] تقاربها لتكون عقلة ||2[12] للعقل في صحّة الاعتقاد فيها، داعيه[13] إلى قبولها وتلقّيها، وذلك مثل مسائل البعث والنشور وأخواتها من الأمور

---

[1] في (ح) "وكلفني".

[2] في (س) "ننصب أعلاما". من هنا تبدأ نسخة (ع) وقد سقط منها كل ما سبق.

[3] في (ص) "ونصب أعلام الدخول موضِحة لطرائقها" وفي (ح) و " بنصب أعلام موضحة لطرائقها".

[4] في (ص) "من".

[5] في (ق) "مسائلها".

[6] من هنا تبدأ نسخة (س) وقد لفق لها الناسخ بعض السطور كافتتاحية وكأنها بداية الكتاب، وكذلك سيفعل في وسط هذا المؤلف وفي نهايته. وهذا ما جاء في مقدمته: "الحمد لله الذي كتب في قلوب الأنام بأقلام الإلهام عجائب الحكم وغرائب الكلم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وآتاه من كل شيء وأنعم، والصلاة على نبيه السيد السند المصطفى محمد، صلاة متصلة عراها إلى الأبد وسلم تسليما كثيرا. وبعد، فقد سألني بعض الإمة الكبار من إشارات القرآن...".

[7] في (س) "جنين".

[8] سقط من (س).

[9] في (ق) "منها" وسقط "من".

[10] في (س) "جد".

[11] مقدار كلمتين مطموستين في (ق).

[12] استعننا بالرمز || مرفقا برقم الصفحة للإشارة إلى بداية صفحات مخطوطة (ق).

[13] في (س) "داعيةً".

الأخرويّة، [كما سيمّر بك إنْ شاء الله تعالى.][1] وعلى ذلك، تارة أقرّر أصول المتكلّمين على أدقّ ما يمكنني تقريرها؛ وتارة أستعين بكلام المشايخ، إنْ كانت المسألة تَزّلُّ عن الضوابط الكلامية؛ وتارة أتكلّم عليها من طريق النحو واللغة إنْ كانت المسألة تشامّ طرفا[2] من علم العربية؛ وتارة ألتجئ إلى استمرار العادة واطّرادها فإنّها أيضا من حجج الله تعالى. وإذا اتفقت مسألة مُعضلة ضَعُفَت فيها أقوال الفرق، راجعت نفسي مستمدّا من الله تعالى[3] إلهام الصواب وصحيح الفكر، فربّما انكشف الحقّ فيها من غير الطرق المعهودة، فتكاد[4] الطباع تنبوا عن قبولها، لا لحيدها[5] عن سنن السداد، لكن لخروجها عن المألوف المعتاد.

ولعمري إنّ الفطام عن المألوفات عسير، ولكنّه وهمٌ وتخييل[6]، إذ المقصد إذا لم يختلف، فلا اعتبار باختلاف السبل[7] إليه، فإنّ[8] البحر من أي النواحي أتيته واحد، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾ (البقرة؛ 115)، ولعلّ ثلث الكتاب من هذا القسم. وإنّي لأرجو من الله سبحانه[9] وتعالى حسن الثواب، وأظنّني في ذلك مصيبا لشاكلة[10] الصواب. ويرحم الله عبدا إذا عرف اعترف[11]، وإذا استُنصف أنصف[12]. وسمّيت الكتاب "*سراج العقول في منهاج الأصول*". ولعمري هو[13] في الحقيقة كذلك لكونها وسائل الوصول إلى اليقين في مسائل

---

[1] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[2] في (س) "طربا".

[3] سقط من (ق).

[4] في (ق) فيكاد والصواب ما أثبتناه.

[5] في (س) "يجيدها" وفي (ع) "لجيدها".

[6] في (س) و(ع) "زتخيل".

[7] في (ق) السبيل والصواب ما أثبتناه.

[8]من هنا تبدأ نسخة تشستر بيتي المنسوبة خطأ كما بيّناه للبروي والتي رمزنا لها ب (ش).

[9]بهذه العبارة تبدأ النسخة المحفوظة بجامعة أم القرى والمنسوبة هي أيضا للبروي حسب المعلومات التي جاد بها علينا موقع جامعة الإمارات العربيّة المتحدة، والتي وردت في الوصف الذي خصص للنسخة المذكورة.

[10] في (ج) و(س) "لمشاكلة".

[11] في (س) "واعترف".

[12] في (س) انصرف".

[13] في (ق) فهو.

أصول[1] الدين. فيه[2] جلاء لصدأ الصدور، وشفاء لصدر[3] المصدور، ومن لم يجعل الله له [نورا][4] فما له من نور. وجعلت للكتاب فاتحة وخاتمة، ووضعت لمسائلها أربعين بابا.

[1]في (ش) الأصول.

[2] بياض في (ق).

[3] في جميع النسخ عدا (س) "لصدى".

[4]جاءت كاستدراك في هامش (ش).

فهرست أبواب الكتاب

الأول: في معرفة الله تعالى.

الثاني: في جواز رؤية الله عقلا.

الثالث: في معنى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه؛ 5).

الرابع: في قول النبيّ ﷺ[1]: "ينزل الله على كرسيّه...".

الخامس: في إثبات كلام الله [تعالى من غير حرف وصوت][2].

السادس: في إثبات الكسب [وخلق الأفعال][3].

السابع: في حدث العالم[4].

الثامن: فيما جاء من مدّة العالم وفيه[5] نقض النجوم[6].

التاسع: في بدء الخلق[7].

العاشر: في خلق الأرض وخلق آدم منها عليه السلام[8].

الحادي عشر: في أخذ الميثاق[9].

الثاني عشر: في صفة آدم ومقادير أعمار أولاده[1].

---

[1] في (ش) عليه السلام، والنسخة كلّها كما ذكرنا في المقدّمة، ليس فيها إلّا عبارة صلّى الله عليه دون التسليم لهذا سنستثني من الهوامش هذه الإشارة.

[2] في (س) "في إبانة الإغانة"، سنرى كيف أقحم ناسخ (س) في كتاب سراج العقول رسالة أخرى للقزويني فاختلف ترتيب الأبواب في هذه النسخة فأصبح الباب الخامس هو السادس إلخ. وسقط ما بين المعقوفتين من (س).

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (س). في داخل النصّ يتحوّل العنوان في جميع النسخ إلى الباب السادس في خلق الله أعمال العباد وإثبات كسبهم. وهذا الباب هو 7 في (س).

[4] في داخل النصّ يصبح عنوان الباب: في إثبات حدث العالم على الاختصار، ونفي العلّة في خلقه. وهذا الباب هو 8 في (س).

[5] ليست في (ش) ولا داخل النصّ.

[6] وهذا الباب هو 9 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في مدة العالم".

[7] وهذا الباب هو 10 في (س).

[8] وهذا الباب هو 11 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في خلق آدم ع س".

[9] في النصّ في أخذ الميثاق على الذرّات. وهذا الباب هو12 في (س).

{الثالث عشر: في خلق الجنين [من النطفة[2].

الرابع عشر: في تصوير الجنين][3] في قرار مكين[4].

الخامس عشر: في الأرواح وما قيل فيها والمعاد[5].

السادس عشر: في تهيئة الأجساد لقبول الأرواح[6].

السابع عشر: في صورة الصُّور وإحياء من في القبور[7].

الثامن عشر: في شُبَه المنكرين للبعث[8].

التاسع عشر: في محصول البدء | | 3 والإعادة على الإيجاز[9].

العشرون: في السبب الداعي إلى إنكار الآخرة لمنكريها[10].

الحادي والعشرون: في الأوّليات العظائم المخلوقة للبقاء[11].

الثاني والعشرون: في الرؤيا ورؤية الله تعالى ورسوله في المنام[12].

الثالث والعشرون: في استجابة الدعاء[13].

الرابع والعشرون: في حقيقة حبّ العبد لله تعالى وحبّ الله تعالى للعبد[1].

---

[1] وهذا الباب هو13 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في مقادير الأعمار".

[2] في النص يصبح عنوان الباب في جميع النسخ "في خلق الجنين والنطفة". وهذا الباب هو 14 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في خلق الجنين". أما النسخ (ع) فقد سقط منها باقي الفهرس وفاتحة السراج عدا 16 سطرا بمقاييس هذه النسخة.

[3] ما بين المعقوفتين جاء مستدركا على هامش (ص).

[4] وهذا الباب هو 15 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في تصوير الجنين".

[5] وهذا الباب هو 16 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في الأرواح والمعاد".

[6] وهذا الباب هو 17 في (س).

[7]على هامش (ش) تجد القبور. وهذا الباب هو 18 في (س).

[8] وهذا الباب هو 19 في (س).

[9] لم ترد عبارة على الإيجاز داخل النصّ. وهذا الباب هو 20 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في محصول الإعادة".

[10] سقط من (س). وهذا الباب هو 21 في (س).

[11] وهذا الباب هو 22 في (س).

[12] وهذا الباب هو 23 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في الرؤيا".

[13] وهذا الباب هو 24 في (س).

الخامس والعشرون: في إثبات الجنّ.
السادس والعشرون: في صفة الثور والحوت الحاملين للأرض.
السابع والعشرون: في الزلزلة والهدّات والصواعق.
الثامن والعشرون: في نزول عيسى عليه السلام[2].
التاسع والعشرون: في طلوع الشمس من مغربها[3].
الثلاثون: في صفة الصراط[4].
الحادي والثلاثون: في صفة قراءة الكتب[5].
الثاني والثلاثون: في صفة الميزان[6].
الثالث والثلاثون: في نقل الحسنات[7] من الظالم إلى المظلوم[8].
الرابع والثلاثون: في صفة الجنّة ونعيمها[9].
الخامس والثلاثون: في بعثة الأنبياء عليهم السلام[10].
السادس والثلاثون: دلائل النبوّة[11].
السابع والثلاثون: في الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة[12].

---

(1) ورد العنوان داخل الكتاب كالتالي: "في حقيقة الحبّ لله وحبّ الله للعبد". وهذا الباب هو 25 في (س). واختصر هذا العنوان فيها فأصبح "في حقيقة المحبة".
(2) وهذا الباب هو 26 في (س). وسنشير إلى الأبواب التي سقطت من (س) والتي لا تظهر عناوينها في هذه الفهرسة.
(3) وهذا الباب هو 27 في (س).
(4) وهذا الباب هو 28 في (س).
(5) وهذا الباب هو 29 في (س).
(6) وهذا الباب هو 30 في (س).
(7) في (س) "الحساب".
(8) وهذا الباب هو 31 في (س).
(9) سقط من (س). وهذا الباب هو 32 في (س).
(10) وهذا الباب هو 33 في (س).
(11) وهذا الباب هو 34 في (س).
(12) سقط من (س). وهذا الباب هو 35 في (س).

الثامن والثلاثون: في الفرق بين المعجزة، والكرامة، [والكهانة، واستحالة المعجزة على يد الكاذب][1].

التاسع والثلاثون: في إثبات نبوّة نبيّنا محمّد ﷺ[2].

الأربعون: في تكفير الفرق[3].

هذه جملة مسائل الكتاب وأبوابه، وبالله العصمة والتوفيق.

---

(1) على هامش (ش) تجد عبارة المعجزة على يد الكاذب. وسقط ما بين المعقوفتين من (س). وهذا الباب هو 36 في (س).

(2) وهذا الباب هو 37 في (س). وفيه "في إثبات نبوة المصطفى عليه السلام". وقد قسمه ناسخ (س) قسمين واستخرج منه الباب 38 وسماه "في المعجزات". وسنشير إلى ذلك في موضعه.

(3) وهو الباب 39 في (س) وقد قسمه صاحب هذه النسخة إلى قسمين ليختلق منه الباب 40 وسماه "تفاريق في مسائل التكفير".

الفاتحة للكتاب[1]

في بيان أنّ حقائق[2] أمور الآخرة هل تدرك بالعقل

اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى جعل آدم وبنيه خلائف الأرض [وعمّارها، فقال تعالى: ﴿*وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض*﴾ (فاطر؛ 39)][3]، وقال تعالى: ﴿*هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها*﴾ (هود؛ 61). ولمّا رشّحهم للخلافة فيها، آتاهم من كلّ آلة يدبّرون بها أمور دنياهم وأسباب معاشهم، وقد خلقهم في الدنيا للآخرة، فأعطاهم العقل والنطق فضيلة لهم، فكان العقل والنطق لهم آلتين يتوصّلون بهما إلى تدبير معاشهم في الدنيا، وتهيئة أسباب معادهم حسبما جاءتهم به الرسل عليهم السلام. فأمّا ما يتعلّق بأمور الآخرة من معرفة كيفيّة الثواب والعقاب، وأوصاف الجنّة والنار بحقائقها، ودرك دقائقها، وكيفيّة سؤال الملكين وجوابهما، وكيفية الحشر والنشر، والصراط، والميزان، وقراءة الكتب، وكيفيّة الحوض، والشفاعة، وتفاضل لذّات الثواب، وآلام العقاب[4] التي تستغرق فيها النفوس، لذّة كانت أو ألما، سيما لذّة النظر إلى وجه | |4 الله تعالى الكريم، وألم الفزع الأكبر- نعوذ بالله منه - فإنّ العقل بمجرّده لا يستقلّ بدركه، إذ[5] كان العقل آلة للعبودية، به يدرك تفاصيل[6] الأوامر والنواهي في دار التكليف، وتعرف به مصالح المعاش ومفاسده. وقال بعض الأجلّة من المشايخ: "إنّ الألسنة عن ذكر[7] حقائق أمور الآخرة محتبسة، والعقول عن درك[8] معانيها مختنسة، وإنّما أخبرنا الكتاب والسنّة عن الآخرة على[1] طريق

---

[1] في (س) "الفاتحة" وهي مقتبسة من نور الحقيقة وهي فاتحة القسم الثالث من هذا الكتاب. انظر تحقيقنا لها، ص 146- 149.

[2] في (ق) شقائق.

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ح).

[4] في (ش) "والألم العقاب".

[5] في (ص) "إذا".

[6] في (ق) تفاضل، والصواب من (ش).

[7] ورد بهامش (ق).

[8] في (ص) "دكر".

الإجمال والإرسال بما يقرب من الأفهام معانيها، فغاية النطق الإخبار عنها على الجملة إيجابا بالإيمان بها، وغاية العقل البحث عن تجويزها أو استحالتها. فإذا أخبر بها الصادق مجملة، واستجازها العقل مرسلة، وجب الإيمان بها صدقا، والاعتقاد لها حقّا. ثمّ يجب كفّ الفكر عن البحث عن كيفيّاتها، وردعه عن أن يشرئب للطمع في درك حقائقها، فإنّ الفكر عن ذلك مصدود، كما أنّ البصر عن سماع الصوت مردود، اللّهم إلّا أنْ يكاشف بعض الأولياء من أحوال الآخرة بشيء في حال غيبته عن الخلق وشهوده للحقّ، فإنّه في ذلك الوقت يكون مسلوب النطق، مغلوب العقل، إذ يشاهد أمورا لا تتّسع لها ظروف الحروف، ولا تنتهي إليها خطى العقول كما قلت:

وإنّ قميصا خيط من نسج تسعة ... وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

ومن تأمّل هذا المعنى انكشف له كثير من الغوامض التي درج عليها المتقدّمون، مكلّفين عقولهم ما ليس في وسعها طمعا في أن ينالوا ما لا يُنال، فكانت عاقبتهم الحيرة والضلال. وإنّ من هذا القبيل قراءة أهل العرصات الكتب المكتوبة بخطّ الملائكة الكرام، ولاشكّ أنّها بخلاف كتابة أهل الدنيا، ولهذا يقال لكتابة لا يقدر على قراءتها إنّها خطّ الملائكة. ومن ذلك ما يخلق الله تعالى من إدراك لذّات كثير من نعيم الجنّة، مطعومها، ومشمومها ومشروبها[2]، وملبوسها، ومنكوحها، على حالة لا يوجد مثلها في الدنيا، كما ورد في الأحاديث الكثيرة في ثواب[3] الأعمال. وتلك الإدراكات [بلذّاتها لا تضاهي شيئا من الإدراكات][4] التي تدرك بها اللذّات الدنيويّة، فإنّها وإنْ كانت تشاكلها في الجنسيّة والتسميّة، كانت لها اختصاصات عجيبة[5] تَكَلّ العقول عن دركها. وقول ابن عبّاس رضي الله عنه: "ليس في الجنّة شيء يشبه ما في الدنيا إلّا الأسماء."[6] أصل كبير

---

(1) في (ص) "عن".

(2) في (ق) " ومشروبها ومشمومها ".

(3) في (ق) أبواب.

(4) سقط ما بين المعقوفتين من (ج).

(5) ورد لفظ "عجيبة" في هامش (ش).

(6) في جميع النسخ "بأسمائه"، وذكره أبو نعيم في *كتاب صفة الجنّة*، تحقيق عليّ رضا بن عبد الله، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية، 1415هـ/ 1995م، باب ذكر اتّفاق أسماء ما فيها من النعيم، بلفظ "إلا الأسماء". ج،1 ص،147 حديث: 124. وانظر أيضا ما

في[1] هذا الباب. ولعدم تلك الإدراكات في الدنيا لا نجد في أنفسنا لذّة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم وغير ذلك من اللذّات الموعودة في الجنّة، كما لا يجد الصبي في نفسه ||5 لذة الجماع[2] لأنّه لم يخلق له إدراك ذلك. والدليل على هذه الجملة قول النبيّ ﷺ عن ربّ العزّة جلّت قدرته: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعتهم عليه." ثمّ قرأ: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين﴾ (السجدة؛ 17)[3]. وهذه خطّة ضلّت فيها الفلاسفة فأنكروا أمور الآخرة.

فصل

قد صحّ لك أنّ العقل لا يطلّع على كنه حقائق الأشياء الغيبيّة، ولا يبلغ منتهى سرائرها، بل غايته أنْ يقيس ما لم يره على ما رآه بأدنى شَبَه بينهما. وقد جاءت الشرائع بأشياء يعجز العقل عن معرفة عللها وكيفيّاتها، ولكن إذا حكم بإيجابها وجب الإيمان بها كالحشر، والنشر في الآخرة، وكالنزول، والوجه، والقِدَم [في صفات الله تعالى][4]. وكذلك معرفة مقادير الشرائع والعبادات. وقد درج السلف الصالح والتابعون لهم على التصديق بها جزما، ومنعوا أصحابهم[5] عن[6] البحث

حشره الطبري في تفسيره من روايات كلها بلفظ إلا الأسماء". جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القاهرة، دار هجر، 1422هـ/ 2001م، ج 1، ص 416.

[1] في (ص) "وفي".

[2] في (ش) و (ص) تجد "الجاه" عوض "الجماع" ولعلّها تحريف لكلمة الباه.

[3] البخاري، صحيح، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث: 3072؛ مسلم، صحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث: 2824.

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ج).

[5] في (ق) "أصحابها".

[6] في (ح) "عن"، وفي (ص) "على".

عنها، وردّوها إلى سرّ القَدَر المنهيّ عن الخوض فيه، وقالوا: "}[1] أمرُّوها كما جاءت بلا كيف"[2]. ولم تجد الشُّبه إلى عقائدهم سبيلا لقوّتها وصلابتها، وذلك لغضاضة الإسلام، وقرب العهد بزمان الوحي، ومشاهدة التنزيل، ومهبط جبريل [عليه السلام][3]. فلمّا أنْ درج القرن الأوّل، ثمّ الذين يلونهم، وهم خير القرون، نبغت[4] الأهواء من كلّ صُقع، وباض الشيطان بكلّ قُطر، ونفث في عقد القلوب، وجال في الخواطر بخطواته، حتّى تزلزلت العقائد، واضطربت الآراء، وكثرت مقالات أهل الأهواء كالقرامطة، والزنادقة خذلهم الله، إذ ألّفوا الكتب في الضلالات، وبثوها[5] في الأمصار، ودعوا إليها الأغبياء[6]، فشاعت[7] البدع، وفشا الشرك، وانحلّت عقد العقائد، وذلك لبعدها عن زمان المبعث. قال الله تعالى: ﴿فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ (الحديد؛ 17). ولهذا قال الصدّيق رضي الله عنه: "طوبى لمن مات في النأنأة[8]"[9].

والمعتقدون اليوم وإنْ صحّت عقودهم، وراجت نقودهم، فكثيرا ما تتخالج في ضمائرهم خواطر الشكوك من كثرة ما يقرع مسامعهم من شُبَه أولئك الأضاليل. ولعلّ أحدهم يموت على وخز بين ضلوعه من الشُّبه وهو لا يجسر أن يسأل عنه، أو لا يجد أحدا يشفي غلّته بجوابه، فلا يزال يخفيه عن نفسه فكيف عن غيره. فساقني هذا السبب إلى إيراد أمثلة كثيرة محسوسة من مضايق المشكلات، وكشف ما يمكنني من المعضلات، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. | |6

---

[1] سقط ما بين القوسين المزهرين من (ع) كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وقد وضع ناسخ (س) محل هذه الفاتحة وهدا الفصل فاتحة أخرى استلها من كتاب نور الحقيقة للقزويني.

[2] البيهقي، *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد*، تحقيق أحمد عصام الكاتب، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1401هـ/ 1981م، ص 118: "سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا: "أمرّوها كما جاءت بلا كيفيّة".

[3] الزيادة من (ش).

[4] في (ص) و(ع) "نبعت". وفي (ج) "نتعت" مع نقطة تحت العين.

[5] في (ج) و(ص) "وثبوتها".

[6] في (ص) "الأغسيا" وفي نسخ أخرى "الأغنياء" ((س)).

[7] في جميع النسخ "فشاع"، والصواب ما أثبتناه.

[8] في (ج) و(ص) "النانات".

[9] ابن المبارك، الزهد، ص 117، حديث 281. أبو نعيم، *حلية الأولياء*، ج 1، ص 33؛ وشرحه عند ابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث*، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، 1383هـ/ 1963م، ج 5، ص 3.

الباب الأول[1]

في معرفة الله تعالى

اعلم أنّ الحقّ المطلق هو الله جلّ جلاله، والصدق المحض معرفته والإقرار بوحدانيّته[2]. والمعرفة عند أئمّة الأصول: هي العلم بالله وصفاته كما سنذكره، وعند مشايخ التصوّف: المعرفة صفة من عرف الحقّ بأسمائه وصفاته، ثمّ صَدَقَ الله في جميع أفعاله وأقواله وأحواله، وانقطع إليه بكلّيّته حتى ينسى سواه، وانمحى عن قلبه إلّا هو، فصار [به][3] عارفا وعن غيره أجنبيا[4].

فعلى هذا عند العلماء لا معبود إلّا الله تعالى، وعندهم لا موجود إلّا الله تعالى، لأنّهم يرون وجود ما سواه به كان وبإبقائه، حتّى إنّهم لو قطعوا النظر عنه كان لا يبقى عندهم في الوجود موجود البتّة. ثمّ هم في استغراقهم بمعرفته وَلِهوا به[5]، فصارت كلماتهم في المعرفة مختلفة باختلاف مقادير حالاتهم مع الله تعالى.

---

[1] هنا يستأنف ناسخ (س) نقله من سراج العقول.

[2] نقل الشعراني هذا الكلام في كتابه اليواقيت والجواهر، ص 80 حيث قال: "فإن قيل فما الحقّ المطلق والصدق المحض؟ فالجواب أنّ الحقّ المطلق هو الله، والصدق المحض هو معرفته تعالى والإقرار بوحدانيته...". وتجد كلام القزويني في المبحث الثالث من كتاب اليواقيت الذي يحمل عنوان: في وجوب معرفة الله تعالى على كلّ عبد بقدر وسعه، حيث نقله الشعراني وتصرّف فيه بالتقديم والتأخير. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ محمّد جمال الدين القاسمي قد نقل من الشعراني دون ذكر اسمه واكتفى بعزو الكلام إلى القزويني والإشارة إلى أن الكتاب الذي اعتمد عليه هو سراج العقول، ولكن النقل جاء مطابقا لما استشهد به الشعراني في كتابه المذكور أعلاه. قارن بين كلام الشعراني (اليواقيت والجواهر ص 80-81) القاسمي، *دلائل التوحيد*، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1405هـ/ 1984م، ص 24-26.

[3] سقط من (ق).

[4] انظر التعريف بكامله عند القشيري عبد الكريم، *الرسالة القشيرية*، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، مطابع مؤسّسة دار الشعب، 1409هـ/ 1989م، ص510.

[5] في (ح) "وبهوايه" وفي (س) "واهوا به".

فسئل الجنيد[1] عن المعرفة فقال: "*تردّد السّرّ بين تعظيم الحقّ عن الإحاطة، وإجلاله عن الدّرْك، فيا لها حيرة لا حظّ لها من أحد، ولا لأحد منها حظّ، وإنّما هي وجود يتردّد في العدم لا تتهيّأ العبارة عنه، لأنّ المخلوق مسبوق، والمسبوق غير محيط بالسّابق*"[2].

تفسير، قوله: "إنّها حالة حيرة لا نصيب لها من مخلوق ولا نصيب لمخلوق منها. "إذ لا يشاركه موجود في وصف فيشتركان في المعرفة. "بل وجود مطلق يتردّد في العدم[3]." يعني جميع الموجودات بالنسب إليه عدم. قوله: "لا تتهيّأ عنه العبارة. "لأنّ العبارة حادثة، والحادث لا يحيط بالقديم.

وقال أبو حفص[4]: "*مذ عرفت الله ما دخل قلبي حقّ ولا باطل.*"[5] وإنّما ذلك لاستيلاء الذكر عليه، واستغراق قلبه بمعرفته، فلم يدخل قلبه غير الله سواء كان ذلك الغير حقّا أم باطلا.

وسئل أبو يزيد[6] عن المعرفة فقرأ: ﴿*إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة*﴾ (النمل؛ 34)" يعني أنّ معرفته لا تدع في القلب ذكر غيره.

---

[1]أبو القاسم الجنيد بن محمّد الخزّاز القواريري، فقيه من أئمّة الصوفيّة وساداتهم، كانت له حظوة عند علماء عصره. توفي سنة 298هـ/ 910م. السلمي، *طبقات الصوفية*، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1418هـ/ 1997م، ص 155 – 163؛ ابن خميس، الحسين بن نصر، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار في طبقات الصوفية، تحقيق محمد أديب الحادر، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، 1427هـ/ 2006م، ج 1، ص 341–، رقم: 378، رقم: 24؛ الذهبي، سير، ج 14، ص 66- 70.

[2] الكلاباذي: التعرّف لمذهب أهل التصوف، تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1413هـ/ 1993م، ص 150.

[3]في (ش) العدد.

[4]أبو حفص عمرو بن سلمة الحدّاد النيسابوري، من أعلام التصوّف، كان حدادا، صحب الجنيد وهو حسب ما يذكر أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور. توفي ما بين سنة 265 و270هـ/ 875-879م. السلمي، *طبقات الصوفية*، ص 115– 122؛ ابن خميس، مناقب الأبرار، ج 1، ص 301- 311، رقم: 18؛ الذهبي، السير، ج 12، ص 511- 513.

[5]وردت العبارة في طبقات الصوفيّة بهذه الصيغة: "ما دخل قلبي حقّ ولا باطل منذ عرفت الله". ص 118.

[6] أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي، صوفي من أهل القرن الثالث الهجري، يلقب بـ "سلطان العارفين"، اسمه الفارسي "بايزيد" كما عرف كذلك باسم طيفور، كان جدّه شروسان مجوسيًا وأسلم، وله أخوان هما آدم وعليّ. ولد سنة 188هـ/ 804م، في بسطام في بلاد خراسان في محلّة يقال لها محلّة موبذان. روى عن إسماعيل السدّي، وجعفر الصادق، توفي سنة 261 هـ/ 875م وقيل سنة 234 هـ/ 849م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 67-73؛ ابن خميس، مناقب الأبرار؛ ج 1، ص 192- 205، رقم: 10؛ الذهبي، سير، ج 13، ص 86- 89؛ الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 1423هـ/ 2002م، ج 3، ص 235.

وقال الشّبلي[1]: "*ما أحد عرف الله، فقيل له كيف؟ قال: لو عرفوه ما اشتغلوا بسواه*".

وقيل: "*العارف كائن بائن*." يعني كائن به بائن عن غيره.

وقيل: "*علامة العارف أنْ يكون فارغا من الدنيا والآخرة*[2]".

وقيل: "*المعرفة حياة القلب مع الله تعالى لقوله: ﴿أومن كان ميّتا فأحييناه﴾* (الأنعام؛ 122)".

وسئل الشبليّ أيّ شيء أعجب؟ قال: "*قلب عرف الله ثمّ عصاه*".

قال شيخ الإسلام عبد الله الأنصاريّ[3] في كتاب *منازل السائرين*[4] *إلى الله تعالى*[5]: "*إنّ المعرفة إحاطة بعين الشيء كما هو، وهي على ثلاث درجات، والخلق فيها على ثلاث فرق.* ||7

الدرجة الأولى معرفة الصفات والنعوت، وقد[6] *وردت أساميها بالرسالة، وظهرت شواهدها في الصنعة بتبصّر*[7] *النور القائم في السرّ، وطيب حياة العقل لزرع الفكر، وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاختيار*[8]*. وهي معرفة العامّة التي لا تنعقد شرائط اليقين إلّا بها. [وهي على ثلاثة أركان: أحدها إثبات الصفة باسمها*[9]]*[1] من غير تشبيه، ونفي التشبيه عنها من غير تعطيل، واليأس*[2] *من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها.*

---

[1] أبو بكر الشبليّ البغدادي قيل: اسمه دُلَف بن جحدر، وقيل: بن جعفر بن يونس. وقيل: بن جعفر بن دلف، أصله من الشبليّة ومولده بسامراء. حضر الشبلّي مجلس بعض الصالحين، فتاب ثمّ صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار. وكان فقيها عارفا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكّن، (ت. 334هـ/ 945م). السلمي، *طبقات الصوفية*، ص338-348. ابن خميس، مناقب الأبرار، ج 2، ص 635- 668، رقم: 65.

[2] جملة: "قيل علامة العرف... حتّى الآخرة" جاءت في هامش (ش).

[3] سبقت ترجمته.

[4] في جميع النسخ عدا (ق) السالكين، وذكر الصواب أيضا في هامش (ص)، وسيذكر القزويني نفس الكتاب مرّة أخرى وسيرد العنوان صحيحا في (ش).

[5] اعتمدنا في تصحيحنا لهذا الاقتباس على طبعات مختلفة للتثبت من النص: منها النص الذي تضمنه *شرح منازل السائرين للفركاوي*، تحقيق دي لوجييه دي بوركاي الدومنكي، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1373هـ/ 1953م؛ وطبعة القاهرة *لمنازل السائرين*، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1386هـ/ 1966م؛ وطبعة بيروت، دار الكتب العلميّة، 1408هـ/ 1988م.

[6] سقط من جميع النسخ عدا (ص).

[7] فيما طبع من منازل السائرين وحتى في الشروح نجد "تبصير" وعند القزويني في (س) "يتبصر" وفي باقي النسخ نجد "تبصُر".

[8] في جميع النسخ من السراج نجد الاختيار، بينما نجد مكانها في النسخ المطبوعة كلمة اعتبار.

[9] في (ق) و (ص) "الصفات بأسمائها".

والدرجة الثانية: معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات، وهي تثبت[3] *بعلم الجمع*[4]*. وهي على ثلاثة أركان: إرسال الصفات على الشواهد، وإرسال الوسائط على المدارج، وإرسال العبارات على المعالم*[5]*. وهي معرفة الخواصّ*[6] *التي تؤنس من أفق الحقيقة.*

والدرجة الثالثة: معرفة مستغرقة في محض التعريف لا يوصل إليها بالاستدلال[7]*، ولا يدلّ عليها شاهد*[8]*، ولا تستحقّها وسيلة. وهي على ثلاثة أركان: مشاهدة القرب، والصعود عن العلم، ومطالعة الجمع. وهي معرفة خاصّة الخاصّة*"[9].

هذا ما نقلت من كلام الأنصاريّ رحمه الله في باب المعرفة.

ثمّ طالبني بعض الأئمة بشرح ما انغلق منه لصعوبة ألفاظه، ودقّة معانيه، فأقول في شرحه والله أعلم، أمّا قوله في تفسير المعرفة أنّها إحاطة بعين الشيء كما هو، إنّما عنى بالإحاطة العلم كقوله تعالى: ﴿*أحاط بكلّ شيء علما*﴾ (الطلاق؛ 65)، وقوله: ﴿*والله محيط* بالكافرين﴾ (البقرة؛ 19). ولم يرد به الاحتفاف بالشيء من جوانبه فإنّ القديم غير محاط به كما قال: ﴿*ولا يحيطون به علما*﴾ (طه؛ 110). وأمّا[10] قوله في الدرجة الأولى من المعرفة: "*وظهرت شواهدها في الصنعة.*" يريد به آثار قدرة الله تعالى في صنائعه التي هي دلائل على وجوده تعالى. وقوله: "*بتبصّر النور*

---

[1] ما بين المعقوفتين ورد مستدركا في هامش (ص).

[2] في طبعات المنازل "الإياس".

[3] في النسخ المطبوعة من *منازل السائرين* نجد تنبت عوض تثبت.

[4] الظاهر أنّ نسخة المؤلف من *منازل السائرين* تختلف شيئا ما عن النسخ المطبوعة من هذا الكتاب لأنّه في شرحه لم يقف على هذه الجملة: "وتصفو في ميدان الفناء وتستكمل بعلم البقاء وتشارف عين الجمع". وقد ورد هذا السقط مستدركا بخط مختلف في هامش (ص) وهامش (ع).

[5] في طبعة القاهرة وفي *شرح الفركاوي* وردت المعاني بدل المعالم.

[6] في مختلف طبعات المنازل "الخاصّة".

[7] في (ش) "الاستدلال".

[8] في (ص) "شواهد".

[9] الأنصاري، *منازل السائرين*، الفركاوي، ص 134-136؛ القاهرة، ص43-44؛ بيروت ص 125-127.

[10] في (ق) "وأن".

القائم في السرّ." يريد بالنور[1] المعرفة الفطريّة المركوزة في أصل الخلقة البشرية، وهي التي أخذ عليها الميثاق في قوله: ﴿*ألست بربّكم؟*﴾ (الأعراف؛ 172)، كما سيجيئ شرحه[2] إنْ شاء الله تعالى[3]. وقوله: "*طيب حياة العقل*." يريد به العقل السليم من الآفات، الذي يصحّ التفكر به في الدلائل. و"زرع الفكر." من قوله استعارة، كأنّه يزرع الفكر ليحصد العلم منه. وقوله: "*وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاختيار*." يريد بحياة القلب، حضوره وفراغه عن الأشغال[4] الدنيويّة عند نظره في الدلائل. ويريد بقوله: "*بين التعظيم وحسن الاختيار*." أنْ يكون في حال نظره معظما لله فيما خلقه على وفق مشيئته وحسن اختياره كما قال تعالى: ﴿*وربّك يخلق ما يشاء ويختار*[5].﴾ (القصص؛ 68)؛ بخلاف نظر الزنادقة والطبائعيّة[6] المستحقرين لآيات الله تعالى. ونسب هذه المعرفة إلى معرفة الصفات والنعوت وسمّاها معرفة العامّة، | |08 لأنّ معرفة الوجود المطلق، " فطرة الله التي[7] فطر الناس عليها "، فهي كالضروريّة للخلق، وإنّما يطلب بالاستدلال العقليّ معرفة الصفات والنعوت التي ورد بها الكتاب والسنة من العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وسمّاها معرفة العامّة، لأن التكليف ورد بها على العموم.

وأمّا قوله *في الدرجة* الثانية أنّها "*معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات*." وسمّاها: "*معرفة الخاصّة التي تؤنس من أفق الحقيقة*." فهو أنّه إذا عرف الوجود المطلق بالفطرة وعرف الصفات المنزّلة بالنظر في تفاصيل الصنع، تخصّص عن العامّة باطلاعه على الذات الموصوفة بتلك الصفات من غير تفريق[8] بينهما، وقد كان في البداية يتخايل في وهمه التفريق بين الوجود

---

[1] في (س) "يريد به".

[2] سقط من (س).

[3] انظر الباب الحادي عشر: في أخذ الميثاق.

[4] في باقي النسخ الاشتعال، والصواب من (ص).

[5] كلمة يختار في هذه الآية تؤكد لنا أنّ نسخة المؤلف من منازل السائرين كانت تحتوي بدون شكّ على الاختيار عوض مفردة الاعتبار التي نجدها في النسخ المتداولة اليوم.

[6] فيما عدا (ق) (س) "الطبائعة".

[7] سقطت من (ش).

[8] في (ش) فرق.

والصفات، وهو في هذه الدرجة يتحقّق أن لا مغايرة [بين الذات والصفات، إذ لا هي بعينها، ولا هي غيرها، وإنّما مثالها مثال السبعة من العشرة، لا هي العشرة ولا هي غير العشرة، إذ لا تكمل العشرة إلا بها،][1] بل لا تعقل تلك الصفات إلّا مع الذات، ولا الذات إلّا مع الصفات، وهو معنى قوله: " *إنّها تثبت بعلم الجمع*." ويعني بالجمع: النظر [إلى الله من الخلق، ويقابله التفرقة، وهي النظر إلى الخلق من الله {فلا يرى إلّا واحدا}[2]. وهذا[3]][4] في[5] كلام المشايخ شائع، [وشرحه أنّ من نظر إلى الحق فقد[6] جمع، ومن نظر إلى الخلق فقد فرق][7]، [فإنّ الحقّ قد جمع الكلّ في حكمه، وفرّقهم في حكمته، فلا الحكم يناقض الحكمة، ولا الحكمة تناقض الحكم، فتأمّل هذا][8] [الكلام شافيا][9].

وقوله: "*إرسال الصفات على الشواهد*." يعني: كما أنّه في البداية كانت الصنائع شواهد على الصفات، صار [كذا] في هذه الدرجة الصفات شواهد على الذات لأنّها لا تثبت إلّا بالذات.

وقوله: "*وإرسال الوسائط على المدارج*." يعني بالوسائط: الآيات والبيّنات الدالّة على الصفات، فإنّها كلّها محمولة على المدارج والمراقي التي يُتدرّج ويُترقّى بها إلى معرفة الصفات.

وقوله: "*وإرسال العبارات على المعالم*." يريد[10] أنّ لتلك الصفات أسماء وعبارات، وهي[1] لا تراد لأعيانها وإنّما تراد لمعانيها، فهي معالم المعاني أي أمارات لها وأعلام.

---

[1]ما بين المعقوفتين لا سبيل لقراءته في (ش) لأنّ التصوير رديء جدا.

[2] سقط ما بين القوسين المزهرين من (س) و(ع).

[3] في (س) و(ع) "وذلك".

[4] ورد ما بين المعقوفتين في (ص) مضطربا لتكرار جملة "يقابله التفرقة، وهي النظر إلى الخلق مع" مرة ثانية بين يقابله النظر إلى الخلق" وعبارة "إلى الله تعالى وذلك".

[5]في (ش) من.

[6] في (س) "وقد".

[7]سقط ما بين المعقوفتين من (ش) و (ص).

[8]ما بين المعقوفتين كتب على هامش (ش) دون أي علامة تشير إلى موضعه في النصّ وسقط من (ج) و(ص) وهو مثبت في باقي النسخ: (ق) و(ع) و(س)..

[9] وسقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[10]في (ق) "يريد به".

وأمّا قوله: "*في الدرجة الثالثة التي هي معرفة خاصّة الخاصّة.*" وهي أعلى المراتب في المعرفة، وإنّما ينالها من ترقّى من[2] هاتين الدرجتين، وهي عطيّة محضة لا تُنال بالكسب، وإنّما هي نور يقذفه الله في القلب[3] كما قال الله تعالى: ﴿*فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام*﴾ (الأنعام؛ 125). فسئل النبيّ ﷺ عن معنى الشرح فقال: "*نور يقذفه الله في القلب فيشرح الصدر به.*" قيل له: "*فما علامة ذلك.*" قال: "*التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل النزول.*"[4] وإنّما يتحقّق حصول هذه الأشياء الثلاثة لمن عاين حقارة | |9 الدنيا وخساستها[5]، واطّلع على جلائل الآخرة ونفاستها، وشاهد الحقّ بعين اليقين، وهي عين قلبه المكحلة بذلك النور، فيشتاق إليها اشتياقا مزعجا إلى الرحيل إليه، وتنقطع حينئذ عنه كلّ وصلة كانت بينه وبين الدنيا، فاستوحش منها واستعدّ للموت قبل نزوله، لأنّ الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب. وهذه العزيمة الصادقة لا تصحّ لأحد إلّا بتلك الموهبة التي سمّاها معرفة خاصّة الخاصّة، وهي محض التعريف من الله، لا يوصل إليها بالاستدلالات والشواهد، ولا تنال بالوسائل والأسباب، وأركانها ثلاثة كما قال وهي: مشاهدة القرب بتلك العين المكحولة بنور الربّ، وصعوده عن العلم المستفاد بالنظر العقلي الذي كان في المنزلتين الأوليين، ومطالعة الجمع، [وهي اطلاعه على الحقيقة، إذ لا يعاين[6] ذلك[7] في هذه الدرجة {إلّا الله وحده لرؤيته}[8] كلّ موجود في قبضته، ويرى[9] ملكوت كلّ شيء بيده، فتيقّن أنْ لا وجود لشيء معه حقيقة، بل كلّ شيء قائم به ومنه

---

[1] سقط من (س) و(ص) و(ع).

[2] نفسه.

[3]الكلاباذي، *معاني الأخبار*، تحقيق محمّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1420هـ/ 1999م، ص 188 و258.

[4]الكلاباذي، *معاني الأخبار*، ص 188 و258.

[5] في (س) و(ع) "وخستها".

[6] في (ص) "إذ عاين".

[7] سقط من باقي النسخ عدا (س) و(ع).

[8] سقط ما بين القوسين المزهرين من (ص).

[9] في (س) "ويرد".

وإليه. فهذه مطالعة[1] الجمع][2] الذي ذكره [كذا] وهو النظر إلى الله من الخلق، [فلا يرى من الكلّ إلّا واحدا][3]، وهو معنى قول الشّبلي: "*هل في الدارين سوى الله*". وفي هذا المقام[4] صدر من جماعة كلمات نسبت إلى الحلول، والله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء[5]. هذا ما أردنا شرحه من كلمات الأنصاريّ رحمه الله. وقد رجعنا إلى ذكر المعرفة عند علماء الأصول وبالله التوفيق.

اعلم أنّ المطلوب من معرفة الصانع أمور ثلاثة: الأوّل وجوده على الإطلاق، والثاني إثبات[6] صفاته الذاتيّة والمعنويّة، والثالث معرفة حقيقة[7] ذاته تعالى.

أمّا[8] إثبات وجوده مطلقا[9] فمن ثلاثة أوجه: مستشعر بالفطرة السليمة، ومستيقن بشهادة النفس اضطرارا، ومدرك بنظر العقل اعتبارا.

الوجه الأوّل وهو الاستشعار بالفطرة السليمة: اعلم أنّ الإنسان إذا دهاه أمر وضاقت به المسالك فلا بدّ أنْ يعترف بإله يتأله[10] إليه، ويتضرّع نحوه، ويلجأ إلى ذراه في كشف بلواه، ويَسْمو قلبُه صُعُدا إلى السماء، ويشخص ناظره إليها، فيستغيث من سرّه بخالقه وبارئه طبعا وجبلّة[11] [لا تكلّفا وحيلة[12]][13]. ومثل هذا قد يوجد في الوحوش والبهائم، فإنّها ظاهرة الخوف والرجاء، رافعة رؤوسها إلى السماء عند فقدان الكلأ والماء، وإحساسها بالهلاك والفناء. وكذلك شاهدنا

---

(1) في (ق) المطالع.

(2) ما بين المعقوفتين كتب مستدركا على هامش (ص).

(3) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(4) في (ش) "المقامة".

(5) من عبارة "ويضلّ من يشاء" إلى جملة "كتاب ديانات العرب" سقط من (ش)، أي مقدار صفحة حسب حجم صفحات مخطوطة (ش).

(6) سقط من باقي النسخ واستدركناه من هامش (ص).

(7) ورد في هامش (ج).

(8) في (س) "أما المطلوب الأول".

(9) هذا هو المطلوب الأول.

(10) في (ق) "يأله".

(11) في (س) "جبلا".

(12) في (س) "وحيلا".

(13) سقط ما بين المعقوفتين من (ج) وورد في هامش (ص).

الأطفال عند السكرات واللّأواء يرفعون مسبحتهم نحو السماء، وهذا كلّه مركوز في جبلّة الحيوانات فضلا عن الإنسان العاقل، وهي الفطرة المذكورة في القرآن والحديث، ولكنّ أكثر الناس قد ذهلوا عنه في حالة السرّاء، وإنّما يردون إليه في الضرّاء. قال الله تعالى: ﴿*وإذا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا إياه*﴾ (الإسراء؛ 67).

كان بعض الزنادقة ||10|| أنكر الصانع عند جعفر الصادق[1] رضي الله عنه فقال جعفر: "هل ركبت البحر؟ قال: "نعم." قال: "هل رأيت أهواله؟" قال: "بلى، هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفين[2]، وغرقت الملّاحين، فتعلّقت أنا ببعض ألواحها، ثمّ ذهب عنّي ذلك اللوح فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج حتّى دفعت إلى الساحل." فقال جعفر: "قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملّاح، ثمّ على اللوح تحتك، فلمّا ذهبت هذه الأشياء عنك، هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد؟" قال: "بل رجوت السلامة." قال: "فممّن[3] ترجوها؟" فسكت الرجل. فقال جعفر: "إنّ الصانع هو الذي كنت ترجوه ذلك[4] الوقت، وهو الذي أنجاك[5] من الغرق." فأسلم الرجل[6].

---

[1] جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب. وقد سُمي باسم "جعفر" تيمّناً بجدّه جعفر الطيّار الذي كان من أوائل شهداء الإسلام. كنّي جعفر الصادق بعدّة كنى منها: أبو عبد الله (وهي أشهرها)، وأبو إسماعيل وغيرها. كان هو وأبوه من جلّة علماء المدينة، حدّث عن أبيه أبي جعفر الباقر، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح، وروايته عنه في مسلم. توفي جعفر الصادق سنة 148هـ/ 765م. ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ج 1، ص 327-328، رقم: 131؛ ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، النجف، المطبعة الحيدرية، 1376 هـ/ 1956م؛ ج 4، ص 214- 283؛ ابن الجوزي، المنتظم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1412هـ/ 1992م، ج8، ص 110- 112، رقم: 787؛ الذهبي، سير، ج 6، ص 255- 270.

[2] في (ج) و(ص) "السفينة".

[3] في (ص) "ممن".

[4] في (ص) "في ذلك".

[5] في (س) "أنجاكم".

[6] في (ص) زيادة "على يده".

وقول[1] النبيّ، ﷺ: "*عليكم بدين العجائز*."[2] ليس هو منعا عن[3] الاستدلال العقليّ، ولكنّه تنبيه على استصحاب[4] تلك الحالة التي غفل عنها أصحاب السلامة من الأحداث والشبّان. قال الله تعالى: ﴿*وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين*﴾ الآية (العنكبوت؛ 65)[5].
وفي[6] كتاب *ديانات العرب* أنّ النبيّ، ﷺ، قال حصين بن عبيد[7]: "كم لك من إله؟" قال: "عشرة." قال: "فمن لغمّك وكربك والأمر العظيم إذا نزل بك [من جملتهم][8]؟" قال: "الله." فقال ﷺ: "يا حصين، ما لك من إله إلّا الله".[9] ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿*ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله*﴾ (الزخرف؛ 87) " وقوله: ﴿*فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين*﴾ (غافر؛ 84). وكان الجاحظ[10] لا يرى المعرفة إلّا هذه، وهو خطأ لأنّ التكليف يناط بغيرها.

---

[1] في (ق) "قال".

[2] أورد الإمام الغزالي هذا الحديث في كتاب *الإحياء*، ج 5، ص 274. وعلّق عليه العراقي بما نصّه: "قال ابن طاهر في كتاب التذكرة: هذا اللفظ تداوله العامّة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة، حتّى رأيت حديثا لمحمّد بن عبد الرحمن بن السلماني عن ابن عمر عن النبي ﷺ: "إذا كان في آخر الزمان، واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء". الغزالي، *إحياء علوم الدين*، جدة، دار المنهاج، 1432هـ/ 2011م. هذا وقد أورد القرطبي في تفسيره تعليقا على بعض المتكلّمين الذين يرفضون إيمان من لم يعرف الله بالطرق والأبحاث التي عيّنوها، وقال: هذا تضييق لرحمة الله. انظر *الجامع لأحكام القرآن*، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1353هـ/ 1935م، ج 7، ص 332. وانظر أيضا الغماري، أحمد بن الصدّيق، *المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير*، بيروت، دار الرائد العربي، 1402هـ/ 1982م، ص 23.

[3] سقط من (س).

[4] في (س) "استعمال" وفي (ع) "استعجاب".

[5] من هنا نستأنف المقارنة بين (ش) وباقي النسخ.

[6] في (ش) ومن هذا في.

[7] في جميع النسخ وعند فخر الدين الرازي في تفسيره والشعراني في اليواقيت: "حصين بن عمران" وجاء ذكره عند الرازي في مفاتيح الغيب وفي *اليواقيت والجواهر* باسم عمران بن حصين، الرازي، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1401هـ/ 1981م، ج 2، ص 108؛ واليواقيت والجواهر، ص 81. ويتعلق الأمر كما أثبتناه بحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، والد عمران بن حصين انظر بشأنه ابن حجر، *الإصابة في تمييز الصحابة*، ج 2، ص 76-77، ترجمة: 1740.

[8] ما بين المعقوفتين استدراك من هامشي (ش) و(ص).

[9] *الإصابة*، ج 2، ص77.

[10] أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي الكناني البصري توفي سنة 255هـ/ 868م. من أشهر أدباء ومتكلمي المعتزلة، ولد وتوفي بالبصرة، عاصر المعتصم والمتوكل من خلفاء الدولة العباسية، تنسب إليه فرقة الجاحظية لانفراده بأقوال وآراء في الإرادة ونفي الصفات وأصحاب النار وغيرها من المسائل الكلامية. الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز محمّد الوكيل، القاهرة، مؤسسة البابي الحلبي وشركاه

الوجه[1] الثاني من المعرفة وهو الاستيقان بشهادة النفس: وذلك أنّ عامّة النّاس في أقطار العالم دعت[2] أنفسهم [كذا] إلى الاعتراف بأنّ لهم خالقا من غير معلّم ولا إثبات حجّة عندهم، ولا اصطلاح وقع[3] بين[4] كافّتهم من الأتراك، والأكراد، وأهل البوادي، وأقاصي الهند، والصين، وأهل الجزائر، الذين لم يبلغهم داع يدعوهم[5] إلى الإسلام ولا إلى الشرك، فإنّهم استيقنوا[6] بشهادة أنفسهم على الأعمّ الأغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة دعائهم وتضرّعهم[7]، ودرك[8] المساعي، ومفاجأة الفرج في حوادث عظام دهمتهم بعد القنوط عن السلامة. وربّما جرّبوه من الرؤيا الصادقة، والفأل، والزجر، وبتخلّصهم من أيدي الأعداء في مواضع لا ناصر لهم من الخلق، وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم، فكانت نفوسهم شهدت بالإله الحقّ جلّ جلاله، [وذلك قول الله تعالى: ﴿قالت رسلهم أفي الله شكّ؟﴾ (إبراهيم؛ 10)][9]

ورأى أعرابيّ ثعلبا بال على صنم كان يعبده فقال:

أربّ يبول الثُّعلُبان برأســــه ... لقد ذلّ من بالت عليه الثعالـب

برئت من الأصنام والشرك كلّه ... وأيقنت أنّ الله لا شكّ غالـــب[10]

[كذا]،1387هـ/ 1968م، ص 75- 76؛ ابن المرتضى، *طبقات المعتزلة*، تحقيق سوسنة ديفلد فلتزر، فيسبادن، بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة، 1380هـ/ 1961م، ص 84-87.

[1] سقط من (س).

[2] في هامشي (ش) و(ص) "قد دعت"..

[3] سقط من (س)، وفي (ع) "وقد وقع".

[4] بياض بـ (ع).

[5] سقط من (ص) و(ع) و(س).

[6] بياض بـ (ع).

[7] سقط من (ص) (ع) و(س).

[8] في ((س) "ودك" وبياض بـ(ع).

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع) وورد بهامش (ص).

[10] هكذا أنشده جماعة، وهو وهم فقد رواه أبو حاتم الرازي: الثَّعلَبان، بالفتح على أنّه تثنية ثعلب، وذكر أنّ بني ثعلب كان لهم صنم يعبدونه، فبينما هم ذات يوم، إذ أقبل ثعلبان يشتدان فرفع كلّ منهما رجله وبال على الصنم، وكان للصنم سادن يقال له غاوي بن ظالم. فقال البيت المتقدّم، ثمّ كسر الصنم، وأتى النبي ﷺ، فقال له النبيّ ﷺ: "ما اسمك؟ قال: "غاوي بن ظالم." قال: "لا، بل أنت راشد بن عبد ربه". وفي النهاية غريب الحديث والأثر لابن الأثير أنّه كان لرجل صنم، وكان يأتي بالخبز والزبد، فيضعه عند رأسه، ويقول له: أطعم

{وهذا قريب من الضروريّات، [ومنه قال ضِرار[1]: "إنّ المعرفة ضروريّة"}[2]][3].

الوجه[4] الثالث [من المعرفة][5] ||11 وهو الاستدلال بنظر العقل: وذلك هو الطريق المشهور عند الجمهور وبه ورد التكليف. قال الله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السّماوات والأرض﴾ (يونس؛ 101)؛ وقال تعالى: ﴿أولم ينظروا إلى السّماء فوقهم[6] كيف بنيناها﴾ (ق؛ 6)؛ وقال: ﴿فانظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ (الروم؛ 50) الآية؛ وقال: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (الغاشية؛ 17) إلى غير ذلك من الآيات الباعثة على النظر والاستدلال. وطريقه أنْ يُستدَلَّ بالصنع على الصانع كما يُستدَلُّ بالبناء على الباني، وبالخطّ على الكاتب، وبالنسج على الناسج، وتحقيقه أن يقال حدوث الحوادث ظاهر. والحادث ما جاز وجوده وجاز عدمه، فإذا تخصّص بالوجود[7] بدلا عن العدم الجائز لا بدّ له من مخصّص[8]، وذلك المخصّص

فجاء ثعلبان فأكل الخبز والزبد، ثمّ عصل على رأس الصنم، أي بال. والثعلبان ذكر الثعالب. وفي كتاب الهروي: فجاء ثعلبان فأكلا الخبز والزبد. أراد تثنية ثعلب. قال الحافظ بن ناصر: أخطأ الهروي في تفسيره، وصحف في روايته. وإنّما الحديث فجاء ثعلبان، وهو الذكر من الثعالب، اسم له معروف لا مثنّى، فأكل الخبز والزبد ثمّ عصل، بالعين والصاد، على رأس الصنم. فقام الرجل فضرب الصنم فكسره ثمّ جاء إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك وقال فيه شعرًا وهو:

لقد خاب قوم أمّلوك لشـــدّة ... أرادوا نزالا أن تكون تحـارب

فلا أنت تغني عن أمور تواترت ... ولا أنت دفاع إذا حلّ نائـــب

أربّ يبول الثعلبان برأســـــه ... لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر، 1426هـ/ 2005م، ج1، ص 570-572.

[1] ضرار بن عمرو الغطفاني قاض من متكلّمي المعتزلة، توفي في حدود 230هـ/ 845م. ذكر ابن النديم أسماء تصانيف، ابن النديم، الفهرست، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسّسة الفرقان، لندن، 1430هـ/ 2009، ج 1، ص 596- 598؛ الذهبي، سير، ج 10، ص 544-546؛ الصفدي، الوافي، ج 16، ص 210. وانظر بخصوص مقالاته: الأشعري، مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، تحقيق هلموت ريتر، فيسبادن، الطبعة الثالثة، 1400هـ/ 1980م، ص 281-282.

[2] ما بين القوسين المزهرين ليس في (ع).

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[4] سقط من (س).

[5] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[6] جاءت لفظة فوقهم في (ش) في الهامش.

[7] في (س) "وجوده".

[8] في (س) "تخصص".

إمّا علّة أو[1] طبيعة أو فاعل، حيّ، عالم، قادر[2]، مختار، بطل أن يكون علّة أو طبيعة، لأنّ العلّة والطبيعة لو كانتا [قديمتين لاقتضتا[3] قِدَم المعلول والمطبوع، ولو كانتا][4] حادثين فالكلام[5] فيهما كالكلام في المعلول والمطبوع. فإذا بطل القسمان تعيّن الثالث، وهو أنّها حادثة متردّدة بين جواز الوجود وجواز العدم، وكان ذلك المخصّص هو الفاعل القديم العالم المختار. وطريق آخر وهو أنْ يقال الوجود أعمّ الأشياء، فلو لم يكن في الوجود قديم لما كان في الوجود موجود البتّة، إذ لو كانت كلّها حوادث لتسلسلت إلى ما لا أوّل له وذلك محال، فلا بدّ أن تستند تلك الحوادث إلى قديم يسبقها بالوجود وهو الخالق تعالى الذي أحدث الحوادث كلّها، إذ حدوث الحوادث بنفسها محال. وتحقيقه[6] أنْ يقال إنْ كان في الوجود موجود لزم بالضرورة أنْ يكون في الوجود قديم، والوجود معلوم قطعا، فظهر من الأصلين وجود قديم على الضرورة. فعلى هذا كلّ لبيب لا يستريب في وجود قديم تستند الحوادث إليه، وهو صانع العالم ومدّبره ومقدّره ومغيّره. وهذا التدبير والتقدير والتغيير لائحات [كذا] في كلّ شيء من أجزاء العالم، فلا بدّ لها من مدبّر، مقدّر، مغيّر[7]، وذلك شيء لا يتوقّف في عرفانه[8] عاقل قطّ.

فالنّاس إذن كلّهم يشيرون إلى صانع وإنْ اختلفت طرائقهم ومللهم. والأنبياء والرّسل عليهم السّلام ما جاءوا ليعلّمونا وجود الصانع - بخلاف ما ادعته التعليميّة - وإنّما جاءوا ليدعونا إلى التوحيد كما قال الله تعالى: ﴿فاعلم أنّه لا إله إلا الله﴾ (محمّد؛ 19). والخلق إنّما[9] أشركوا بعد

---

[1] في (ص) "و".

[2] زيادة من (ص).

[3] في (س) "لاقتضتان".

[4] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ص).

[5] في (ش) وردت هذه الكلمة في الهامش.

[6] في (ص) "والحقيقة".

[7] في (س) " مدبّر ومقدّر ومغيّر" وفي (ع) " مدبّر ومقدّر مغيّر"

[8] عبارة في عرفانه وردت في هامش (ش).

[9] سقط من (س) و(ص) و(ع).

الاعتراف بالوجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى، أو لنفي واجب من صفاته، أو لإثبات مستحيل منها أو لإنكارهم النبوّات.

كان السّلطان الغازي محمود بن سبُكتكين[1] رحمه الله لمّا فتح[2] بلاد سومنات بالهند، أُتي إليه براهب قد طعن في السنّ، وكان يُهَمْهِم ويزمزم بكلمات، فسأل السلطان الترجمان عمّا يقوله فذكر أنّه يقول: "الله، الله." فقال للترجمان قل له: "وأنتم تعرفون الله؟" فسأله فتكلّم بالهنديّة شيئا فقال الترجمان: "يقول الخطوط المستقيمة | |12 من المحيط إلى المركز متساوية".

أمّا المطلوب الثاني من المعرفة فهو[3] إثبات الصفات: وفيه ضلّت الفرق والملل وهو على ضربين: [صفات النّفس، وصفات معنوية زائدة على الذّات. ونحن نشير في معظماتها إلى نكت لطاف، إذ الكلام فيها طويل الأذيال، فسيح الأكناف. فمِن][4] صفات[5] النّفس الوحدانيّة، ودليلها التمانع المذكور في القرآن، قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء؛ 22). والنكتة العجيبة من غير التمانع أنْ نقول: استحالة فرض موجودين متغايرين لا يختصّ أحدهما من الثاني بحيّز، ولا يكون أحدهما مختصّا بالآخر كالصّفة بالموصوف، كان ذلك في الخروج عن العقول كاستحالة متحيّزين في حيّز واحد. وبيانه أنّه إنّما يتصّور تغايرهما إمّا بالحيّز كالجوهرين، أو بالمحلّ كالسوادين[6] في الجسم، وإلّا فاستحالة تغايرهما كاستحالة المتحيّزين في حيّز واحد. وأنا أقول، استحالة موجودين غير متحيّزين في لا حيّز كاستحالة متحيّزين في حيّز واحد، وهذا أبين فتأمّله. وبناء هذا الكلام على أصل، وهو أنّ الحادث إمّا جسم أو عرض ولا ثالث لهما كما

---

[1] محمود بن سبكتكين الغزنوي أبو القاسم الملقّب بيمين الدولة وأمين الملّة وصاحب بلاد غزنه فتح بلاد الهند. توفي سنة 421 هـ/ 1030م ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الفكر، 1421هـ/ 2001م، ج 4، ص 477-497. الذهبي، سير، ج 17، ص 484- 494.

[2] لمّا فتح وردت في هامش (ش).

[3] سقط من (س).

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[5] في (س) "فالأول صفات".

[6] في (ص) "كالسواد".

ذكرنا في باب الأرواح والمعاد[1]. ومنها نفي المكان، والنكتة فيه أنّ التغيّر على القديم محال[2]، والمكان ذو أوّل، والقديم ما لا[3] أوّل له، وهو معنى قول عليّ رضي الله عنه: "كان ولا مكان، ثمّ خلق المكان ولم يتغيّر عمّا كان"[4].

ومنها جواز الرؤية، والنكتة فيه أنّ الله تعالى يُرى في الدّنيا بعين القلب التي هي العلم، فيجوز أنْ يُرى بعين الرأس استكشافا لعلم القلب، وهو المعبّر عنه بعين اليقين[5]. ولا عجب، فلعلّ العينين تتّصلان في القيامة، فتصير البصائر والأبصار واحدة، كرامة لأهل الجنّة بارتفاع الحجب هنالك كما قال تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق؛ 22). والطريق المعهود مشهور، وهو أنّ كلّ موجود مرئيّ، والربّ تعالى موجود فيكون مرئيّا. وسيجيء تحقيق هذا الكلام في باب مفرد بعد [هذا إنْ شاء الله تعالى][6].[7]

والضرب[8] الثاني: الصّفات المعنوية الزائدة على الذات: أعني الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. والنكتة فيها أنّ الفاعل إذا لم يكن موصوفا بهذه الصّفات كان موصوفا بأضدادها، وأضدادها نقائص، والناقص لا تصحّ منه الإلهية والخلق والأمر.

ومنها أنّ هذه الصفات له قديمة أزليّة، والنكتة فيه أنّها لو كانت حادثة لكان [كذا] الذات محلّا للحوادث، فكان مثل العالم في حكم الحدوث، فيستدعي محدثا فتسلسل القول فيها.

ومنها أنّ هذه الصفات ليست عين الذات بل هي زائدة على الذات، والنكتة فيه أنّ المفهوم من قولنا موجود عالم غير المفهوم من قولنا موجود موجود، فلو كان عالما لذاته أو بذاته من غير

---

[1] انظر الباب الخامس عشر من سراج العقول.

[2] في (س) "لمحال".

[3] سقط من (س).

[4] انظر البغدادي، أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ص 333.

[5] في (س) "النفس".

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ع) و (س).

[7] انظر الباب الثاني من سراج العقول.

[8] سقط من (س).

معنى زائد على الذات لكان المفهومان واحدا، وكان بمثابة قولنا موجود موجود، ولا خفاء بالفرق بينهما، فلا بدّ إذن من شيئين يرجع إليهما القول | |13 لأنّ الشيء الواحد لا يخالف نفسه [حتّى يكون بينه وبين نفسه][1] فرق وذلك محال.

وأمّا المطلوب الثالث [من المعرفة، وهو][2] معرفة حقيقة الذات: وفيه تاهت العقول. قال الإمام أبو المعالي الجويني[3] قدّس الله روحه: "*درك الذات من محيرات*[4] *العقول، وإنّما يعلم بالدليل وجوده*[5]*، وما يجوز عليه، وما يجب له، وما يستحيل عليه.*" وقال في بعض خطبه: "*فلا تحييث ولا تمييز، وليس إلّا وجهه*[6] *العزيز، فالركون إلى معتقد محصّل تمثيل، والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل، وليس إلى درك حقيقة الحقّ سبيل.*"[7] قوله: "فلا تحييث." إشارة إلى نفي المكان، أي لا يقال: إنّه حيث العرش أو حيث الكرسيّ. وقوله: "لا تمييز" لأنّ التمييز إنّما يكون من الجنسين أحدهما يتمايز عن الآخر بوصف، وذات الله لا جنس لها فتتمايز بشيء عن جنسها، وإنّما

---

[1] استُدرك ما بين المعقوفتين في هامش (ص)

[2] ما بين المعقوفتين من (س).

[3] ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمّد بن عبد الله بن حيوة الجويني النيسابوري، إمام الحرمين (419-478هـ/ 1028- 1085م) أحد أبرز علماء السنة الشافعية، أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب خصوصا في علم الكلام منها: "الشامل في أصول الدين" و"الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" و"لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة" و"العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية". الذهبي، سير، ج 17، ص 617- 618؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 5، ص165-222، ترجمة: 475؛ الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/ 1987م، ج 1، ص 197- 198، رقم: 367. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 5، ص 338- 342.

[4] في (ج) "مجازاة"، وفي (س) و(ش) و(ص) و(ع) "محارات"، وفي (ق) "مجارات". ولعل الصواب ما أثبتناه.

[5] في (س) "وجوه".

[6] في (س) "وجه".

[7]وردت هذه العبارات في خطبة كتاب الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم للجويني، ولكن ليس بهذا الترتيب ولا على هذا النظم وإنّما جاءت كالتالي: "والسكون عن الطلب تعطيل، والركون إلى المطلوب مخيل تمثيل، وبذل المهج في أدنى مسالك المريدين قليل، وليس إلى درك..." ص 2 ثم بعد ذلك في ص 3 نجد تتمة هذا الاستشهاد: "فلا تحييث، ولا تحييز، ولا تحقيق، ولا تمييز، ولا تقدير، ولا تجويز، وليس إلّا وجه الله العزيز". غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم، الإسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1400هـ/ 1979م.

تتمايز الأشياء عنه بحدوثها[1] في نفسها. ومعنى قوله "معتقد محصّل." أي محاط به ينتهي الفكر إليه بالإحاطة.

وروى الكلاباذي[2] في *بحر الفوائد*[3] بإسناده عن أبي ذر الغفاريّ رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كلّكم في ذات الله حمقى."[4] وجاء في نعت عليّ رضي الله عنه أنّه كان ممسوسا في ذات الله، أي والها. وذكر الأنصاري[5] في *نكت الأدلة*[6] أنّ القاضي أبا بكر[7] أثبت لله أخصّ وصف لا سبيل للخلق إلى إدراكه. ثمّ قال: "وقد أشار الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني[8]

---

[1] في (ص) "لحدوثها".

[2] أبو بكر محمّد بن أبي إسحاق إبراهيم البخاري الكلاباذي ت 385هـ/ 995م، تفقه على الشيخ الإمام محمد بن الفضل البخاري الكماري. وقد ذكره بعض أصحاب التراجم والطبقات باسم محمد بن إسحاق وهو وهم. كان إماماً أصولياً من حفاظ الحديث. الذهبي سير، ج 17، ص94-96؛ السيوطي، جلال الدين، طبقات الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1402هـ/ 1982م، ص 407، رقم: 921؛ الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 292.

[3] هو الكتاب المعروف باسم معاني الأخبار جمع فيه 592 حديثا.

[4] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 5 ص641. ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، الدمّام، دار ابن الجوزي، 1414هـ/ 1994م، ج 2، ص 813، حديث: 1515.

[5] أبو القاسم الأنصاري سيف النظر سلمان بن ناصر بن عمران النيسابوري الشافعي، الفقيه الصوفي صاحب إمام الحرمين، كان بارعا في الأصول والتفسير، شرح الإرشاد لشيخه، وخدم أبا القاسم القشيري مدّة، وكان صالحا، زاهدا، عابدا، عارفا، من أفراد الأئمة، ومن كبار المصنّفين في علم الكلام. سمع الحديث من عبد الغفار الفارسي وكريمة المروزيّة وجماعة. توفي سنة 511هـ/ 1117م، الذهبي، سير، ج 19، ص 412. السيوطي، طبقات المفسرين، علي محمّد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1396هـ/ 1976م، ص 52.

[6] لم نجد ذكرا لهذا الكتاب فيما توفّر لدينا من المصادر.

[7] سيف السنة، أبو بكر محمّد بن الطيّب بن محمّد بن جعفر بن قاسم، البصري، ثمّ البغدادي، المالكي، ابن الباقلاّني (338- 402هـ / 950- 1013م)، من أئمة المذهب المالكي في الفقه والأشعري في الكلام، إليه انتهت رئاسة المالكية في وقته. الخطيب البغدادي، تاريخ بغدادي، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1422هـ/ 2001م، ج 3، ص 364-368، رقم: 927؛ الذهبي، سير، ج 17، ص 190- 193؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 5، ص 20- 22. ابن مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349هـ/ 1930م، ص 92- 93، رقم: 209.

[8] ركن الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الإسفراييني، فقيه شافعي متكلّم أصوليّ، له "الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين". روى عنه الإمام أبو بكر البيهقي. توفي بنيسابور سنة 418هـ/ 1027م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 28، رقم: 4؛ الذهبي، سير، ج 17، ص 353-356؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج 4، ص 256- 262، رقم: 357؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص 40، رقم: 39؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 5، ص 90- 91.

إلى هذا المعنى". وقد قال الجويني مرّة: "للعقل[1] مزيّة فلا يبعد أن يُكرم الله بعض العقلاء بمزيّة يدرك بها حقيقة الذات إذ قال تعالى: ﴿وقل ربّ زدني علما﴾ (طه؛ 114)؛ وإنّما يعني بالمزيّة كمال قوّة وتأنّق في النظر. وقال النّبي ﷺ: "أنا أعلمكم بالله وأخشاكم من الله[2]"[3]. ولمّا مات عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال ابن مسعود: "ذهب تسعة أعشار العلم". ثمّ قال: "أعني العلم بالله."[4] وقال المشايخ: "إنّ الله تعرّف إلى العوامّ[5] بآياته، وإلى الخواصّ بذاته، فقال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم....﴾ [إلى قوله: ﴿أولم يكف بربّك...﴾ (فصّلت؛ 53)][6].

وأنكر جماعة الصِّفة الأخصّ وقالوا: "صفة الأخصّ قيامه بنفسه واستغناؤه عن الموجد". وقالت المعتزلة: "هي القدم". وقيل الحقيقة عين المحقّق، والله سبحانه يتعيّن في العقول، وإنّما تتمايز الحوادث عنه بأنفسها. ومعنى تعيّنه في العقول، كونه القديم الموصوف بالصفات الإلهيّة.

واعلم أنّ مدار هذا الأمر على حرف، وهو أنّا مكلّفون بمعرفة الله حقّا، ولا سبيل لنا إلى معرفته في عالم التكليف | |14 إلّا بالاستدلال بنظر العقل من جهة الصنع، ولم يدلّ الصنع في مباحثات العقول إلّا على الذات الموصوفة بهذه الصفات المشهورة التي ورد بها الكتاب والسنّة، فمن عرف الله بها فقد كمُلت معرفته لأنّه أتى بما كُلِّف به. ثمّ لم يقم لنا من الصنع دليل على إثبات صفة سواها ولا على نفيها، فأمسكنا عن القول فيما دون ذلك حذارا من تسويل الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف؛ 33).

هذا وقد سبق لنا كتاب معروف في هذه المسألة سمّيناه *بنور الحقيقة ونَوْر الحديقة*، فلنقتصر ههنا على هذا القدر[7].

---

[1] في (ق) "للعقل فيه".

[2] في (ق) وأخشاكم منه.

[3] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "أنا أعلمكم بالله) وأن المعرفة فعل القلب، حديث رقم: 20.

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، 1415هـ/ 1995م، ج 44، ص 283-284.

[5] في (ق) "للعوام".

[6] سقط من (س).

[7] في هامش (ش) نقرأ: "ويمكن أن يقال صفة الأخصّ نفي المثلية عنه كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى؛ 11)".

فصل

واعلم أنّ الطرق إلى معرفة الله تعالى من وجوه صنائعه وفنون بدائعه أكثر من أنْ تحدّ بالإحصاء، ويؤتى بها على الاستقصاء، إذ في كل ذرّة من الأرض والسماء شواهد على بارئها للعقلاء. ولقد أتيت بكلمات تكون أنموذجة للمعتبرين، ومثالا للمستبصرين.

فمن ذلك: قيل لعليّ كرّم الله وجهه: "بم عرفت ربّك؟" قال: "بفسخ العزائم، ونقض الهمم".

وسئل آخر قال: "بموت الطبيب، وفقر اللبيب، وذلّ المهيب".

وسُئل أعرابي[1] ما الدليل على الربّ؟ قال: "البعرة تدلّ على البعير، والروث على الحمير، وآثار الأقدام[2] على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أما تدلّ على رب فرّاج؟"

وقال آخر: "عرفته بالنوم تارة، وباليقظة أخرى[3]".

وقال آخر: "عرفته بالحركات الستّ في جهات العالم".

وقال آخر: "بتتابع الأشغال والعجز في الأحوال".

وقال آخر: "بدعوات أجيبت، وحاجات قضيت".

وقال آخر: "بوجود الابتداء والانتهاء في كلّ شيء".

وقال آخر: "بالذِّكر والنسيان".

وقال آخر: "بفزع وأنس من حيث لا يُدرى سببهما".

وقال آخر: "عرفته بما وجدت بدني كالسرير معلّقا بعضه ببعض".

---

[1] سقط من (ق).

[2] في (س) و(ع) "القدم".

[3] في (ص) "تارة".

وقال آخر: "عرفته باجتماع أضداد في بدن من شأنها التنافر".
[وقال آخر: "بورق فرصاد صار دمقسا، وشوك يحمل مَنّا "][1].
وقال آخر: "بنار تعقد بيضا، وتحلّ شمعا".
وقال آخر: "بسفينة من خشب شحنت فجَرَت في البحر".
وقال آخر: "بقبول كلّ شيء أثرا".
وقال آخر: "عرفته بإبل يقودها صبيّ".
[وقال آخر: "عرفته[2] بفتح تقدير وضع الأشياء على خلاف أوضاعها][3]".
وقال آخر: "بحجر حكّ على حديد فسقطت منه نار تضيء الظلام، وتأكل الأشجار العظام".
وقال آخر: "عرفته ببيوض تحوي صفرة وبياضا، ثمّ يخرج من بعضها غراب، ومن بعضها طاووس، ومن بعضها حمام، ومن بعضها دجاج، ومن بعضها حيّة، ومن بعضها سلحفاة، وهي في ذواتها متشاكلة وما يخرج منها مختلفة [كذا]".
[وقال آخر: "عرفته بنخل باسقات خرجت من نواة "][4].
وقال آخر: "بنجوم تطلع وتغور[5]، وقطب راكد لا يسير".
وقيل لطبيب: "بم عرفت ربّك؟" قال: "بإهليلج مجفّف أطلق، ولعاب مليّن أمسك".
وقال آخر: "عرفته | |15 بنحلة بأحد طرفيها العسل وبالآخر اللسع[6]، هذا شفاء وذاك داء". ومن العجب أن العسل مقلوبه اللسع.
وحكي أنّ[7] جماعة من الزنادقة سألوا الإمام الشافعي رضي الله عنه: ما الدليل على الصانع؟ فقال: "ورقة الفرصاد طعمها ولونها وريحها وطبعها[1]واحد عندكم؟" فقالوا[2]: "نعم." قال: "فلم تأكلها

---

[1] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ص).
[2] سقط من (س).
[3] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ش).
[4] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ص).
[5] في (ص) "وتعور.
[6] في (ش): بأحد طرفيها تعسل وبالآخر تلسع.
[7] في (ص) "عن".

دودة القز[3] فيخرج منها الإبريسم، ويأكلها النحل فيخرج منها العسل، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر[4]، وتأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء وهي في نفسها واحد والطبع واحد، والحقيقة الواحدة لا توجب المتضادّات لأنّه يؤدي إلى قلب الحقائق وذلك مستحيل، فعرف منه [أنّه لا بدّ من صانع مختار يحوّلها من حال إلى حال." فاستحسنوا][5] منه ذلك وآمنوا على يده، وكانوا سبعة عشر رجلا[6].

وجاء رجل إلى أبي حنيفة رضي الله عنه فقال له: "ما الدليل على الصانع؟" قال: "النطفة في الرحم في ظلمات ثلاث، يريد الأبوان أنْ تلد المرأة فلا تلد، ويريدان ألّا تلد فتلد، ويريدان ذكرا فتلد أنثى وبالعكس، ويريدان واحدا فتلد توأمين على غير اختيار الوالدين، فلو كان الرحم قالبا منطبعا كما زعموا لكان الجنين أبدا على هيئة واحدة، فلمّا كان بخلافه دلّ على ربّ عالم حكيم".

وسئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن الله فقال: "إنّي رأيت قلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها، ظاهرها كالفضّة المذابة، وباطنها كالذهب الإبريز، وجدرانها محكمة؛ ثمّ رأيت الجدران قد انشقّت، فخرج من القلعة حيوان سميع بصير مصوّت، فعلمت أنّ الطبيعة لا تقدر على ذلك". إنّما عنى بالقلعة البيضة، وبالحيوان الفرخ.

وكان الرشيد سأل مالكا[7] عن ذلك فقال: "اختلاف الأصوات، وتردّد النغمات، وتفاوت اللغات يا أمير المؤمنين دليل على أنّ المحرّك واحد، والنيران الموقدة المتضادّة في تركيب الآدمي بعضها

---

(1) في (ص) "وطبعها وريحها".

(2) في (ش) قالوا.

(3) سقط من (ق).

(4) في (س) "البعرة".

(5) ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

(6) تجد هذه القصة في كتاب مفيد العلوم لأبي بكر الخوارزمي (323-383هـ/ 935-993م) الذي ابتدأها قائلا: "استقبلني سبعة عشر زنديقا في طريق غزّة فقالوا: ما الدليل على الصانع...." مفيد العلوم ومبيد الهموم، القاهرة، المطبعة العلميّة، 1310هـ/ 1902م، ص 7-8.

(7) في (س) "وسأل هارون الرشيد مالكا". حوار جرى كما ذكرت بعض المصادر المتأخرة بين الخليفة العباسي هارون الرشيد والإمام مالك بن أنس.

لمصلحة، وبعضها لغير مصلحة دليل على الصانع". وقد قال الله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشّجر الأخضر نارا﴾ (يس؛ 80) تراه كيف جمع بين المتضادّات، الماء والنار.

وسئل بعض العلماء عن ذلك فقال: "تأملت في دجلة والفرات فقلت: لو كانا يسيلان إلى إقليم يوما واحدا لخرّباه، وهما مذ خلق الله الدنيا يسيلان في البحر ولا يزيد في البحر شيئا[1] مع سائر الأنهار الجارية فيه، فعلمت أنّ ذلك بتدبير إله عالم[2] قادر حكيم".

وسئل آخر عنه فقال: "الدليل على الربّ وَلَهُ العالمين عند نزول الصواعق والزلزلة وطوارق الحوادث، واضطراب السفن في تلاطم الأمواج، وأيّام القحط والجوع والعطش إلى إله ||16 قادر ينجيهم من الهلكة، ويغيثهم من اللّأواء، يستوي فيها جاهلهم وعالمهم، وصغيرهم وكبيرهم، ومؤمنهم وكافرهم، فكلّهم[3] بأجمعهم إليه يتضرّعون ويستغيثون على اختلاف ألسنتهم ومذاهبهم. فواحد يقول يا إله، وآخر يا إيلوهيم، وآخر يالاها، وآخر يالها يالغ، وآخر يا تنكري، وآخر أي خذا، أي يزدان[4]، أي بيلكيا[5]، ومَدعُوُّهم واحد".[6]

---

[1] في (ق) شيء.

[2] زيادة من (ق).

[3] في (ش) و(ق) "وكلهم".

[4]

[5] في (ج) "يبلكبا". وفي (س) "يقول خدآى يزدآن إلى بيلكيا".

[6] وانظر أيضا الخوارزمي أبو بكر، مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص 8، حيث يقول: "فأمّة الترك تقول يا تكري، وأمّة الهند تقول يا لاح، وأمّة المجوس تقول يا يردان، وأمّة العرب تقول يا أالله، وأمّة الفرس تقول يا خداي".

فصل

واعلم أنّ الكيفيّة، والكمّيّة، واللِّمّيّة، والأَيْنِيَّة منفيات عن الله تعالى، فلا يقال كيف هو؟ وكم قدر هو؟ ولِمَ كان هو؟ وأين هو؟ فإنّ هذه عبارات تطلق على الأجسام، فمن قال: كيف هو؟ جوابه: من كيّف الكيف لا يقال له كيف؛ وكذلك يقال لمن قال: أين هو؟ فجوابه: من أَيَّنَ الأين لا يقال له أين؛ ومن هو واجب الوجود لا يقال له لِمَ كان.

وفي الجملة، إنّ الخالق لا يُتصوّر، ولا يُتقدّر، ولا يُتخيّل، ولا يُتمثّل، فكلّ ما يجري في خاطرك من شكل وصورة وخيال ومكان[1] فهو من قضايا الوهم، [والعقل يقضي بخلافه. وقضايا الوهم][2] كاذبة، وقضيات العقول صادقة، فإنّ العقل يقضي بأنّ الصنع[3] لا بدّ له من صانع، ثمّ يقضي بأنّ الصانع لا يشبه صنعه، والوهم ربّما يوافقه في ذلك، ثمّ يقضي العقل بأنّ هذا الصانع واجب الوجود، كان قبل العالم لا في مكان ولا في زمان. فالوهم هنا يتقاعس عن ذلك لتقاصره عن الدرك. فعلى هذا، إنْ قيل: كيف هو؟ فقل: ملك قادر. وإن قيل: أين هو؟ فقل: بالمرصاد، كما قال عامر بن عبد القيس[4] لعثمان حين قال له عثمان بن عفّان: "أين الله يا أعرابي؟" فقال: "بالمرصاد، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء." فقال: "أحسنت يا مؤمن". يريد بذلك قوله تعالى: ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾ (الفجر؛ 14). فإنْ قيل: فأين كان في الأزل[5]؟ فقل: فأين هو الآن؟ إذ كان ولا

---

[1] سقط من (ص).

[2] ما بين المعقوفتين استدرك في هامش (ص).

[3] في (ش) للصنع.

[4] عامر بن عبد قيس، أبو عبد الله، أو أبو عمرو التميمي العنبري البصري، روى عن عمر وسلمان، وعنه الحسن البصري ومحمّد بن سيرين وغيرهم. كان ثقة من عبّاد التابعين. وقال أبو عبيد في القراءات: "كان عامر بن عبد الله الذي يعرف بابن عبد قيس يقرئ الناس". توفي في زمن معاوية. ابن حبان، أبو حاتم محمّد بن حبّان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1995م، ص 114، رقم: 647 الذهبي، سير، ج 4، ص 15-19.

[5] في (ص) "الأول".

مكان ولا زمان، ثمّ خلق المكان والزمان، فلم يتغيّر عمّا كان. فإنْ قيل: لقد سأل أبو رزين العقيلي[1] رسول الله ﷺ: " أين كان ربّنا قبل خلق[2] السماء؟" قال: "في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء."[3] والعماء: السحاب الرقيق. فالجواب أنّ أبا رزين[4] كان بدويّا لم يمارس العلوم، فأراد النبيّ ﷺ أنْ يريه عظمة الله[5] ورفعته، واعتلاءه، فعبّر عن ذلك بالسحاب المتعالي المرتفع وهو يريد أنّه تعالى في علوّ وارتفاع، ثمّ نفى عنه ما يبتدر إلى الأوهام عند ذكر[6] الرفعة من المكان والجهة فقال: "ما فوقه هواء وما تحته هواء." فإذا انتفى المكان انتفت لوازمه. ويروى في عمى مقصورا[7]، أي في عماية للخلق[8] عن درك[9] أيْنِيّته إذ لا أين له. ومثاله قوله: ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ (المؤمنون؛ 63)، وقوله: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ (الكهف؛ 101). وكلّ ما جاء من ذكر الحجاب فهو راجع إلى الخلق لا إلى الخالق فافهم.

وسئل بعض المشايخ أين الله؟ فقال: "يا عجبا مع العين[10] تسأل عن الأين".

وسئل آخر عن الدليل على الله فقال: "إذا طلع الصباح استغني عن المصباح".

وسئل آخر فقال:[11] "وهل كان العدد إلّا من الأحد؟".

---

[1] في (ح) " أبو زين"، وفي (س) "أبو ذرّين". وهو لقيط، بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة أَبو رزين العقيلي، له صحبة ووفادة على رسول الله ﷺ. ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1421هـ/ 2001م، ج 8، ص 22، ترجمة: 2351؛ ابن الأثير، أسد الغابة، تحقيق علي محمّد معوّض وآخرون، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1417هـ/ 1996م، ج 4، ص 491-492.

[2] سقط من (س).

[3] ابن عبد البرّ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخرون، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، 1387-1412هـ/ 1967-1992م، ج 7، ص 137-138.

[4] في (ح) " أبو زين"، وفي (س) "أبو ذرّين".

[5] في (ق) عظمته.

[6] في (س) "ذلك".

[7] في (ص) "مقصورة".

[8] في (ص) "من الخلق".

[9] في (ق) ربّك.

[10] في (ع) "الغير".

[11] في (ق) زيادة "ياهذا".

وسئل آخر فقال: "الشمس ||17 خافية عن اللمعان؟".

وسئل آخر فقال: "يا هذا، يغنيك الأثر عن الخبر".

وسئل الشبليّ عن الله فقال: "ويحك! وهل في الدارين سوى الله؟" ورأى بائع خيار يقول: "ما بقي إلّا واحد." فقال: "يا بطّال! وهل كان إلّا واحدا؟".

وسئل بعض المحبّين عن التوحيد فقال: "المحبّة لا [تنقسم، فلو كانا اثنين لانقسمت"[1].

وسئل الحسن بن هانئ[2] عن التوحيد فأنشد][3]:

تَأمّل في نَبات الأرض وانظــر ... إلى آثار ما خلق[4] المليـــــك

[عيون من لجين ناظـــــــرات ... وأحداق هي الذهب السبيك][5]

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأنّ الله ليس له شـــــريـــــك[6]

هذا، ودلائل التوحيد خارجة عن التحديد ليس لها غاية إذ في كلّ شيء[7] له آية[8]، فلنقتصر على هذا المقدار، فما للفدفد[1] من جدار.

---

[1] في (ص) زيادة "وهو محال".

[2] أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي، من أشهر شعراء الفترة العباسية، فإلى جانب كونه شاعرا مفلقا فقد درس الفقه والحديث والتفسير وهو ما شهد له به ابن المعتز في كتابه "طبقات الشعراء" حين قال عنه: "كان أبو نواس عالما فقيها عارفا بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف، صاحب حفظٍ ونظرٍ ومعرفةٍ بطرق الحديث، يعرف محكم القرآن ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه." توفي قبل دخول الخليفة المأمون بغداد عام 199هـ/ 813م منتصرا على أخيه الأمين. ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، القاهرة، دار المعارف، 1396هـ/ 1976م، ص 193- 217؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 13، ص 407-466، ترجمة رقم 1476؛ الزركلي، الأعلام، ج 2، ص240.

[3] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ج) و(ع).

[4] في (ش) ما صنع.

[5] سقط هذا البيت من جميع النسخ عدا (ق)، وورد في هامش (ص) وروايته فيها كالتالي:

عيون من لجين ناعسات ... على حافاتها الذهب السبيك

وروايته في تاريخ دمشق، ج 13، ص 435:

عيون في لجين فاخـــرات ... وأحداق لكالذهب السبيك

ويروى أيضا بـ "شاخصات" بدل "ناعسات" أو "فاخرات".

[6] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 13، ص 465.

[7] في (ش) كلمة شيء في الهامش.

[8] في (ص) زيادة "تدل على أنه واحد".

خاتمة الباب[2]

واعلم أنّ الأنبياء، صلوات الله عليهم، إنّما دعوا الخلق إلى التوحيد لا إلى عرفان وجود الصانع كما ذكرناه[3]. قال الله تعالى: ﴿فاعلم أنّه لا إله إلّا الله﴾ (محمّد؛ 19). ولم يقل: فاعلم أنّ لك إلها. وقال تعالى: ﴿ذلكم بأنّه إذا دُعِي الله وحده كفرتم﴾ (غافر؛ 12). وقد عرّفناك أنّ لأهل الأصول إلى إثبات الصانع طرقا كالاستدلال بإمكان الممكنات على من حجّ، وغير ذلك، ولكنّ ما شهدت به الفطرة أقرب إلى الخلق، [وأسهل تلقنا][4] وأسرع تأتّياً لأنّ الممكن[5] الخارج والحادث الدّال على المحدث موقوفان على[6] استعمال النظر الصحيح، وتلك داعية ضروريّة من الباطن. قال الله تعالى: ﴿أمّن يُجيب المضطرّ إذا دعاه﴾ (النمل؛ 62)؛ ﴿أمّن يبدأ الخلق...﴾ (النمل؛ 64)؛ ﴿أمّن جعل الأرض قرارا﴾ (النمل؛ 61)؛ إلى غيرها من الآيات التي كلّها استفهامات تقرير، كأنّه يقرّر[7] على عباده شيئا فطرهم على ذلك الشّيء. ومثله قوله: ﴿ألست بربّكم؟﴾ (الأعراف؛ 172)؛ وقوله: ﴿أفي الله شكّ؟﴾ (إبراهيم؛ 10)[8]. ولهذا قال النبيّ ﷺ: "إنّ الله خلق العباد على معرفته فاجتالهم الشيطان عنها."[9] فالرسل صلوات الله عليهم مبعوثون لتذكير

---

[1]في(ج) و(ق)، "الفرقد". والفدفد: الأرضُ الواسعة المستويةُ لا شيءَ بها.

[2] في (س) "فصل".

[3] في (س) "ذكرنا".

[4] ما بين المعقوفتين زيادة من (ص).

[5] سقط من (س)، وفي (ع) "الملك".

[6]في (ج) و(س) و(ش) و(ع) "إلى".

[7] في (س) و(ع) "يقرر الشيء".

[8]هذه الآية ليست في (ش) ولا في (ص).

[9]أورد مسلم في صحيحه حديثا بنفس المعنى حيث قال: "عن عياض بن حمار المجاشعي أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: "ألا إنّ ربّي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ممّا علمني يومي هذا، كلّ مال نحلته عبدا حلال، وإنّي خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وإنّهم أتتهم

وضع الفطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظريّة، والدلائل العقليّة، وبها توجه التكاليف على العقلاء [فاعلم ذلك][1].

مناجاة[2]:

[إلهنا، كيف نطلبك وأنت قبل الطلب موجود، أم كيف نجدك وأنت بعد الطلب مفقود؟ لست مفقودا بالعين[3] ولكنّك مفقود عن العين[4]، ولست موجودا بالعقل، ولكنّك موجود للعقل][5]. من مقتّه جهلك، ومن حجبته جحدك، لقد جهلوك فجحدوك[6]، ولو عرفوك لعبدوك. يا من وضع مفاتيح القلوب في خزائن الغيوب، افتح قلوبنا بيديك، واصرفها عمّن سواك إليك. يا مبدي النعم، ويا منتهى الهمم، يا كريم يا جواد[7].

الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم..." صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث 2865.

[1] ليس في (س) واكتفت (ع) بعبارة "فاعلم".

[2] في (ج) "المناجات". وفي (ص): "عن بعض العارفين".

[3] في (ش) شرح "العين" في الهامش "بالذات"، وفي (ص) زيادة "أي بالذات".

[4] في هامش (ش) شرح للعين الثانية بالبصر، وفي (ص) زيادة "أي البصر".

[5] ما بين المعقوفتين مقتبس من كتاب الإشارات الإلهية للتوحيدي، تحقيق وداد القاضي، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الثانية 1402هـ/ 1982م، ص 103.

[6] في (س) "فجحدك".

[7] بهامش (ش) و(ص) نجد هذه العبارة: "لأن العقل من خلقه، وكان قبل العقل موجودا. وهو على ما يبدو تعليق على عبارة "ولست موجودا بالعقل، ولكنّك موجود للعقل". ولا وجود لعبارة "يا كريم يا جواد" في (ص)، وفي (س) زيادة "يا رحمن يا رحيم".

الباب الثاني
في جواز رؤية الله عقلا

اعلم أنّ الرؤية معنى له حقيقة في نفسه، ومحلّ يقوم به، ومتعلّق يتعلّق به. فحقيقته أنّه نوع إدراك، أو علم مخصوص، أو مزيّة علم ||18 وانكشاف على ما اختلفوا فيه[1]، ومحلّه ناظر العين، ومتعلّقه في الشاهد اللون، والقَدْر، والجسم[2].

أمّا العين بعينها فليست بركن للرؤية لأنّ الرؤية معنى واحد، فلا يقتضي إلّا جزءا واحدا حيّا[3] يقوم به، ووجود سائر الأجزاء حول ذلك الجزء كعدمها[4] حتّى إنّ ذلك المعنى، لو خلق في قلوبنا أو وجوهنا مثلا، لقلنا رأينا وأبصرنا وصحّ ذلك منّا. فهذا يدلّ على أنّ العين بأطباقها وبنيتها آلة للرؤية لا لعينها، بل لكونها محلّا حيّا موصوفا بتلك الصفة؛ وأمّا متعلّقها فليس إلّا موجودا، أيّ موجود كان، لأنّ[5] الرؤية تتعلّق بالجسم والعرض معا. فلو كانت رؤية لتعلّقها بالجسم لما كان المتعلّق بالعرض رؤية، وكذلك على العكس. ومن جعل الجهة شرطا لمتعلّقها بطل[6] ذلك بالعلم، فقد ذكرنا[7] أنّها من جنسه في عدم التأثير، على أنّ الجهة حكم إضافي لا حقيقة لها في نفسها، فدلّ أنّ الرؤية صفة متعلّقة تقتضي متعلّقا موجودا أيّ موجود كان، من غير التفات إلى تخصيص محلّها أو تخصيص متعلّقها.

---

[1] في (س) "به".

[2] في (س) "اللون والجسم بقدر" وفي (ع) "اللون والجسم والقدر".

[3] سقط من (س) و(ع).

[4] في (س) و(ع) "وكعدمها" في (ص) "لعدمها".

[5] سقط من (ص).

[6] سقط من (ج) و(ق).

[7] في (س) "ذكرناه".

ثمّ لمّا جئنا[1] إلى حقيقة الرؤية وتأمّلنا، فما وجدناها إلّا مزيّة وضوح [وانجلاء واستكشاف للعلم، نسبتها[2] إلى المعلوم كنسبتها إلى المتخيّل في الوضوح والانجلاء][3]. وذلك أنّا إذا تخيّلنا صورة شخص حاضر حالة تغميض الجفن ثمّ فتحنا العين، رأيناها مطابقة لما تخيّلناه مع زيادة وضوح وانكشاف، وهذا معنى قول النبي ﷺ: "ليس الخبر كالمعاينة"[4]. والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وذلك لأنّ الخبر عن صورة مثلا هو تصويرها[5] في الخيال، ثمّ المعاينة لها زيادة وضوح على ذلك، فكذلك ما كان من الأشياء التي تعلم بالعقل ولا تتخيّل في الخيال مثل المعاني كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعشق، والهمّ، والفرح[6]، وغيرها. ومن جملتها ذات الله القديم تعالى[7]، فإنّها تعلم بالعلم ولا تتخيّل بالخيال. فإذا علمنا هذه الأشياء بعقولنا كان علمنا بها نوع إدراك، فلا يستحيل في العقل أنْ يكون لذلك الإدراك [8] مزيّة اتّضاح وانكشاف بالرؤية.

ولمّا كانت الرؤية إدراكا ينكشف بها المتخيّل أو المعلوم، فلا استحالة إذن في تعلّقها بالقديم كما لا يستحيل[9] تعلّق العلم به. والدليل على أنّ تعلّقها بالقديم غير مستحيل أنّها لا تؤثّر في المتعلّق به أثرا البتّة، ولا يتأثّر بها [المتعلّق كالعلم بعينه، إذ لا يؤثّر ولا يتأثّر به][10] المعلوم. وكذلك كلّ صفة لا تؤثّر في المتعلّق به ولا توجب معنى فيه من حدث، أو تشبيه، أو نقص، أو انقلاب جنس. وحقيقة جاز تعلّق تلك الصفة منّا بالقديم مثل العلم، والذّكر، والرؤية من جملتها، بخلاف القدرة، والإرادة.

---

(1) في (س) و(ع) "ثم جئنا"، وفي (ش) "جئنا به".

(2) في (ص) "بنسبتها".

(3) ما بين المعقوفتين ليس في (ج).

(4) انظر العجلوني إسماعيل، كشف الخفاء، تحقيق أحمد القلاش، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1405هـ/ 1985م، ج 2، ص 218-219، حديث: 2137.

(5) في (ق) "تصويرها تحوّلا".

(6) في (س) "الفرج".

(7) في (ق) "تعالى القديم".

(8) جاء كلمة الإدراك في هامش (ش).

(9) في (ش) "لا يستحيل في".

(10) ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ص).

وهذا كلام سديد لا غبار عليه، وقد اختاره مشايخنا الكبار مثل أبي إسحاق || 19 الإسفراييني، وإمام الحرمين أبي المعالي الجويني رحمهما الله، وحاصله أنّ الرؤية نوع إدراك محلّه غير محلّ العلم بحكم إجراء الله تعالى العادة. واختلفوا في الإدراك، فقال بعضهم إنّه من قبيل العلوم غير أنّه لا يتعلّق بالمعدوم، وقال آخرون هو جنس آخر، لأنّا إذا علمنا شيئا بالخبر ثمّ أدركناه بالبصر، وجدنا في أنفسنا، بين المعلوم خبرا وبين المرئيّ عيانا، فرقانا ظاهرا مع اتفاق المتعلّق به، ثمّ فحصنا عن مرجع تلك التفرقة فوجدناها[1] -بعد البحث الطويل- راجعة إلى مزيّة انكشاف ووضوح للعلم وانشراح للصدر[2] به.

واعلم أنّ لمشايخ[3] الطريقة تحقيقا لهذا الكلام، فبسطته أنا وهو أنّ للعلم اليقينيّ مرتبتين إحداهما علم اليقين، والأخرى عين اليقين. فعلم اليقين ما تقرّر في القلب بالشواهد العقليّة، وعين اليقين انكشافه بالمعاينة، وذلك الانكشاف بمزيّة له على الأوّل. قال الله تعالى: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم ثمّ لترونّها عين اليقين﴾ (التكاثر؛ 7). فالرؤية الأولى[4] علم، والثانية[5] مزيّة انكشاف للعلم. وعلم اليقين بالبصيرة في الدنيا، وعين اليقين بالبصر في العُقبى. فيكون ظهور نور عين اليقين على نور علم اليقين كطلوع الشمس على السراج الذي كان يبصر به الأشياء ليلا. ولولا أغطية الحُجُب من النفس والهوى لرأت العين في الدنيا ما يراه القلب، ولرأى[6] القلب ما تراه العين، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ (النجم؛ 12)، يعني ما يراه البصر. وفي الحديث أنّ النبيّ ﷺ قال: "ليلة المعراج تحوّل بصري في فؤادي."[7] حتّى أمكنته

[1] في (ق) و(ج) "فوجدنا".

[2] في (س) و(ع) "الصدر".

[3] في (ج) و(س) "المشايخ".

[4] سقط من (س).

[5] في (س) "والثاني".

[6] في (س) و (ع) "لرأت".

[7] في رواية الطبري عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: "رأيت ربّي في أحسن صورة فقال لي: "يا محمّد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: "لا يا ربّ." فوضع يده بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السماوات والأرض. فقلت: "يا ربّ في الدرجات والكفّارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة." فقلت: "يا ربّ إنّك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، وفعلت، وفعلت." فقال: "ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أفعل بك، ألم أفعل بك؟" قال: "فأفضى إليّ

الرؤية، رواه محمّد[1] الترمذي في كتاب *نعت النبيّ*[2] ﷺ. وفي القيامة ترتفع الحجب كما قال تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق؛ 22)؛ ولا عجب فإنّ الآخرة دار خرق العادات، فيها تتكلّم الأيدي والأرجل، وتنطق الجلود، ﴿قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء﴾ (فصّلت؛ 21). فلا يستحيل أنْ يرفع الله هناك حجبا وأغطية عن العيون والقلوب فترى العين ما ترى القلوب، وعند ذلك مُرِج البحران، بحر العلم، وبحر العيان. والدليل على أنّ بين العين والقلب اتصالا في الرؤية هو أنّ القلب إذا كان مشغولا بشيء، أو غشيته دهشة، لا ترى العين ما كان حاضرا بين يديه[3]. قال الله تعالى: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ (الأعراف؛ 198). وقال: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ (يس؛ 9)، إلى غير ذلك[4].

قال الشاعر:

يا ناظرا يرنو بعيني راقد ... ومشاهدا للأمر غير مشاهد[5]

ولعلّ تلك الحجب هي التي يسمّيها أهل الأصول المنع في محلّ الإدراك، إذ قالوا: "خلق الله تعالى في محلّ إدراكنا منعا لولاه لرأيناه في الدنيا، فإذا رفع ذلك في الآخرة أبصرناه". وقد اختلفوا في أن ذلك المنع هل يصحّ أنْ يرى ||20 لوجوده أم لا تصحّ رؤيته. وقد جاء[6] في الأحاديث الواردة في الرؤية[7] " يرفع الله الحجاب[8] فيراه أهل الجنّة"[1]؛ والله سبحانه غير

بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها." قال: "فذاك قوله في كتابه: "ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى. "فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي". الطبري، جامع البيان، ج 22، ص 23.

[1] سقط من (ص) وفي (س) و (ع) "محمد بن علي".

[2] لم نجد لهذا الكتاب ذكرا فيما رجعنا إليه من المصادر. وذكر للترمذي كتاب بعنوان "ختم الأنبياء" ولا ندري أهو المقصود هنا أم غيره..

[3] في (ص) "يديها"

[4] في (ص) "من الآيات"

[5] هذا البيت مطلع لقطعة شعر للشاعر محمود الورّاق. انظر الديوان، تحقيق وليد قصاب، عجمان، مؤسّسة الفنون، 1412هـ/ 1991م، ص 106، قطعة رقم: 47.

[6] في (س) "جاءت".

[7] سقط من (ق).

[8] في (ص) "يُرفع الحجاب".

محتجب وإنّما يرفع الحجاب إلى الرّائي. وعلى هذه القاعدة يحتمل أنّ الله تعالى يخلق في كلّ جزء من أجزاء الوجه إدراكا، إذ قد صحّ أنّ البنية ليست بشرط، ونضارة الوجه في قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة[2]﴾ (القيامة؛ 22-23) إشارة إلى تلك الإدراكات[3]. فقد يسمّى الإدراك نور البصر فيكون جميع الوجه مع العين ناظرة إلى ربّها كما نطق به القرآن من غير حاجة إلى[4] التأويل، وتخصيص الوجه بالعين، وإنّما يكون ذلك مبالغة في زيادة لذّة النظر إلى وجه الله الكريم.

وقد ألمّ بعض الشعراء بهذا المعنى فقال:

ياليت جسمي كلّه حدق... حتّى أراك وليته يكفي[5]

والذين لا ترفع عنهم[6] الحجب بقوا في حجابهم أبد الآباد[7] كما قال تعالى: ﴿كلّا إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾ (المطففين؛ 15)، وقال: ﴿ووجوه يومئذ باسرة يظنّ أن يفعل بها فاقرة﴾ (القيامة؛ 24-25).

وسمعت بعض المحقّقين من أصحاب القلوب [يقول][8] أنّ الله تعالى جعل النور في قدر عدسة من عيون بني آدم، يسمّى ذلك إنسان العين، وجعلها ألطف أجزاء جسده، فكان يدرك بها الأشياء الحاضرة. وهو يُنوّر[9] يوم القيامة جميع أجزاء وجه المؤمن بالغسل في عين الحياة، ويطهّرها بالشراب الطّهور كما ورد في الأخبار والآيات. وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿يوم تبيّض

---

[1]القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987م، باب رؤية أهل الجنّة لله تعالى، ص 573-574.

[2] في (س) "ناظرة".

[3] في (س) "الادراك".

[4] جاءت "حاجة إلى التأويل" في هامش (ش).

[5] البيت للوأواء الدمشقيّ من أبيات مطلعها:

شوقي إليك مجاوز وصفي وظهور وجدي فوق ما أخفي

انظر *الديوان*، تحقيق سامي الدهان، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية، 1369هـ/ 1993م، ص 150.

[6] في (ش) "عن عيونهم من".

[7] سقط من (ص).

[8] زيادة من تصحيح ورد بين السطرين في (ص) يستقيم بها الكلام.

[9] في (س) "يتنور".

وجوه...﴾ الآية (آل عمران؛ 106)، وقوله: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ (الغاشية؛ 8)، وقوله: ﴿وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة﴾ (عبس؛ 39). فيصير حينئذ وجه الإنسان كلّه كإنسان عينيه من الصفاء والنور. وقد عبّر عن ذلك بالنضارة فقال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة [إلى ربّها ناظرة][1]﴾ (القيامة؛ 22-23). فعلى هذا لا يبعد أنْ يصير الوجه كلّه ناظرا إلى ربّه، إذ لا كدورة ولا حجب في البين كما أخبرنا عنه. ومعنى المشاهدة هو رفع الحجاب.

قال بعض الشعراء:

لي حبيب كأنّه نصب عيني ... حبّه في ضمائري مكنـون

إن تذكرته فكلّي قلـــوب ... أو تأمّلته فكلّي عيـــون[2]

ولذلك نفى الله تعالى الإدراك عنه بالأبصار فقال: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ (الأنعام؛ 103)، وأثبت النظر للوجوه فقال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ (القيامة؛ 22). وقد يعبّر عن جميع الذات بالوجه كقوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربّك﴾[3] (الرحمن؛ 27) أي ذاته. فعلى هذا الأصل ترى يومئذ الوجوهُ وجهَ الله بلا تشبيه[4] ولا جهة ومقابلة، وهو معنى قول النبيّ ﷺ: "اللّهمّ ارزقني لذّة النظر إلى وجهك الكريم"[5]. فوجه الله تعالى مرئيّ، والوجوه الناظرة رائية كما ورد به ظاهر القرآن. والمعنى ما حقّقناه[6] من غير إيجاب تمثيل ولا احتياج إلى تأويل. هذا وجه ظاهر[7]، غير أنّ المثبتين للرؤية على أنّه يرى بالعين خاصّة، والله أعلم.

---

[1] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[2] أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1380هـ/ 1960م، ص 184.

[3] في (ق) زيادة "ذو الجلال".

[4] في (ص) "شبيه".

[5] النسائي، *سنن النسائي بشرح السيوطي*، بيروت، دار المعرفة، 1420هـ/ 2000م، كتاب السهو، نوع آخر، *حديث: 1305*.

[6] في (س) و(ع) "قدمناه".

[7] في (ص) "إلى تأويل هذا الوجه لكونه ظاهر".

واعلم أنّ رؤية الله تعالى[1] عند أهل الحقّ ليست مثل رؤيتنا هذه الأجسام والألوان المحسوسة بتقليب الحدق في صوبها، ||21 والإحاطة بجوانبها، [والإقبال عليها][2] ثمّ الإدبار[3] عنها، وتصوّر الشبح المرئي في الخيال، واتّصال أشعّة من العين بذاته، وانفصالها عنه، أو في جهة أو مقابلة، فإنّها كلّها تشبيهات وضلالات، تعالى الله وتقدّس عن ذلك علوّا كبيرا، بل طريقها في عدم التأثير ونفي الجهة طريق العلم كما ذكرناه.

واعلم أنّ أقوى ما يتمسّك به في جواز الرؤية من الكتاب قصّة موسى عليه السّلام، إذ قال لربّه: ﴿أرني أنظر إليك﴾ (الأعراف؛ 143)، فإنّه صلوات الله عليه ممّن اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، فمحال أن يعتقد في الله شيئا يستحيل عليه ثمّ يسأله ذلك في مقام القرب، لأنّه إذا سألَ ربَّه[4] ما يستحيل عليه يكون جاهلا بربّه وصفاته، والجاهل بالله منحطّ[5] عن رتبة الرسالة والنبوّة. ولمّا اصطفاه الله بالرسالة وكلّمه كفاحا، دلّ على[6] أنّ سؤاله إيّاه من الممكنات، وإنّما اشتبه عليه وقت السؤال، وجهلُ ذلك لا يخلّ بالنبوة لأنّ الغيب عند الله. ثمّ في جواب الله له: ﴿لن تراني﴾ (الأعراف؛ 143) تنبيه على جواز رؤيته، لأنّه قد خصّص به ولم يقل لن أُرى، أو لستُ بمَرْئِي. ومثال ذلك أن[7] من ستر في كمّه شيئا فقلتَ له: "أعطني ذلك حتّى آكله." فيقول: "لن تأكله." دلّ قوله على أنّه مأكول في نفسه، ولكن لا يأكله السائل لأنّه لو كان غير مأكول لقال: "هذا لا يؤكل".

واعلم أنّ العامّة أطلقوا القول بأنّ رؤية الله جائزة عقلا، واجبة شرعا، وظاهر هذه الكلمة خطأ إذ لا تثبت لله صفة جائزة، وإنّما الحقّ أن يقال: "رؤية الله جائزة لنا بالتقييد." حتّى يعود الجواز إلى الخلق لا إلى الخالق تعالى.

---

[1] في (ش) سبحانه.

[2] ما بين المعقوفتين سقط من (ش).

[3] في (س) "الاجاجار".

[4] سقطت من (ش).

[5] في (س) "مُحَطٌّ".

[6] سقط من (ش) و(ص) و(ع) و(س).

[7] سقط من (ش).

مناجاة:

إلهي، تلاشت[1] الكائنات في بقائك، وعاشت الأرواح في بلقائك[2]، وتعاشت العيون دون أنوار تجلّيك في علائك، إلّا أنْ تداركها بلطفك، فتكحلها بإثمد القدس والطهارة، وتجلو وجوهها[3] بماء النضارة، حتّى ترى بك وجهك الكريم، وتلقى من تلقاء لقاءك البرّ العميم.

إلهي، قلوب المشتاقين بين جلالك وجمالك فانيّة باقيّة، فاجعل من نظرتك لها[4] واقية، يا كريم. [وبالله التوفيق][5].

[1] في (س) "تلاتت".

[2] في (س) "لقائك".

[3] في (س) و (ع) "وجوهنا".

[4] في (س) "باينة"

[5] ما بين المعقوفتين زيادة من (ق).

الباب الثالث في قوله تعالى[1]:
" *الرحمن على العرش استوى* "

اعلم أنّ الله سبحانه خلقنا من الأرض [في الأرض،][2] وخلق فوقنا[3] الهواء، وخلق فوق الهواء السّماوات السبع طبقا فوق طبق، وخلق فوق السّماوات الكرسيّ، وخلق فوق الكرسيّ العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات. وما بلغنا في كتاب ولا حديث صحيح أنّه تعالى خلق فوق العرش شيئا، والذي جاء من ذكر السرادقات، والشرفات، والأنوار فهو من جملة العرش وتوابعه. فقوله جلّ جلاله[4]: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه؛ 5) اختلف [كذا] فيه[5] آراء العلماء سلفا وخلفا، وذكروا في معانيه ||22 كلّ رطب ويابس، وضلّت المشبّهة [في ذلك][6] حتّى أدّاهم إلى التجسيم. وأفضى الأمر بين الأمّة إلى التكفير، والإضلال، والشتم[7]، والثلب، والضرب، والنهب، والقتل، والقتال، والألقاب الموحشة، والتهم الفاضحة، ولله تعالى في ذلك سرّ؛ وإلاّ فالآية عمّا توهّموه بمعزل، وذلك أنّ الله تعالى ما ذكر الاستواء على العرش في جميع القرآن إلّا بعد ذكر [خلق] [8] السماوات والأرض، وذلك في ستّة مواضع: في سورة الأعراف (الآية 54) ﴿إنّ ربّكم الله الذي خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش﴾؛ [وفي سورة يونس (الآية 3) ﴿إنّ ربّكم الله الذي خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى

---

[1] في (ج) "في معنى قوله تعالى".

[2] ما بين المعقوفتين ليس في (ش).

[3] في (ص) "فوقها".

[4] في (ق) "جل وعلا" وفي (س) "فقوله تعالى"..

[5] سقط من (ج).

[6] سقط من (ق).

[7] سقط من (ع)

[8] سقط من (ش).

على العرش،][1] يدبّر الأمر﴾؛ وفي سورة طه (الآية 5) ﴿تنزيلا ممّن خلق الأرض والسّماوات العلى، الرحمن على العرش استوى﴾؛ وفي سورة الفرقان (الآية 59) ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش﴾؛ وفي سورة السّجدة (الآية 4) ﴿الذي خلق السّماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش، ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع﴾؛ وفي سورة الحديد (الآية 4) ﴿هو الذي خلق السّماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش، [يعلم ما يلج في الأرض][2]﴾[3]؛ والمعنى في جميع ذلك، ثمّ استوى الخلق على العرش، أي استتّم فما خلق فوق العرش شيئا. فإذا عرفت هذا فلك الاختيار في تفسير الاستواء، إنْ شئت فسّرتها بالاستقرار[4] كما يقال: استقرّ الملك على فلان، واستقرّ الأمر على رأي القاضي، أي ثبت. وهو ما روي عن ابن عبّاس أنّه قال: "استوى"[5]: "استقرّ". وإن شئت فسّرته بالاستكمال والاستتمام كما قال تعالى: ﴿فلمّا بلغ أشدّه واستوى﴾ (القصص؛ 14)، أي: استتمّ شبابه[6]. وقوله: ﴿فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾ (الفتح؛ 29)، أي: استتمّ الزرع وقوي. وأصل الاستواء في العربية المساواة، قال الله تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر؛ 39). وقد جعل الله لكلّ شيء نهاية وكمالا، فإذا بلغ حدّ الكمال قيل استوى[7].

---

[1] ما بين المعقوفتين استدرك في هامش (ش).

[2] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[3] هنا ملاحظة جاءت كحاشية بخطّ مخالف في هامش (ق) ولكن بعض كلماتها مبتورة وكأنّ المخطوط قد قصّ بالمقصّ إلّا أنّه ظهر أنّ صاحبها أشار إلى قوله تعالى في الآية الثانية من سورة الرعد: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثمّ استوى على العرش وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلّكم بلقاء ربّكم توقنون﴾ وختم حاشيته بقوله فهي سبعة مواضع... لكن القزويني، كما يتبيّن من النص، لم يكن ليذكر هذه الآية لأنّها تحدثت عن الرفع، رفع السماوات، وليس عن الخلق كما ذكر، ثمّ إن الله لم يذكر الأرض في هذه الآية وصاحب سراج العقول ذكر قبل عرض الآيات: "أنّ الله تعالى ما ذكر الاستواء على العرش في جميع القرآن إلّا بعد ذكر خلق السماوات والأرض." وبهذا يكون المؤلّف وفيّا لشرطه عندما قال بأن الله ذكر كلّ هذا في ستة مواضع وليس في سبعة كما توهّم صاحب الحاشية والله أعلم.

[4] في (س) "باستقرار".

[5] سقط من (ق).

[6] في (ص) "بنيانه".

[7] في (س) "يستوي".

ومنه استواء الشمس، واستواء الميزان. فإذا تمكّن الجالس[1] على موضعه واستقرّ يقال استوى، قال الله تعالى: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ (المؤمنون؛ 28)، وقال: ﴿لتستووا على ظهوره.﴾ (الزخرف؛ 13)، وقال في ذكر السفينة: ﴿واستوت على الجودي﴾ (هود؛ 44). ولمّا أكمل الله خلق السماوات والأرض وأتّمه قال: ﴿فسوّاهنّ سبع سماوات﴾ (البقرة؛ 29)؛ وقال في إتمام خلق آدم وتصويره: ﴿فإذا سوّيته﴾ (الحجر؛ 29)؛ وقال: ﴿ونفس وما سوّاها﴾ (الشمس؛ 7). فعلى[2] هذا الأصل تفسير الاستواء في هذه الآيات بالمساواة[3] أحقّ وأصدق. وذلك مثل ما يقال: استوى أمر فلان أي[4] استتمّ واستكمل، وذلك[5] أيضا في العجمية مشهور كما يقال: "كار فلان راست شد."[6] ولمّا كان الفعل الماضي والمستقبل يدلّان على المصدر، جاز أنْ يخرج للمصدر المقدّر فعل، ظاهرا كان أم كناية[7]. فالظاهر كقولك ساومت[8] زيدا متاعه فاستوى على العشرة، أي استوى[9] السوم والقيمة[10] على العشرة.[11] ||23 والكناية كقوله تعالى: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه﴾ (الشورى؛ 11)، أي في الجعل، ومنه قول الشاعر:

"إذا نُهِيَ السفيه جرى إليه"[12].

---

[1] في (ع) "الجالسين"

[2] في (ق) وعلى.

[3] سقطت من (ش).

[4] في (ص) "و".

[5] استدرك في هامش (ع).

[6] معناه: واستوى الحقّ في ذلك.

[7] في (ص) "ظاهرا كان أو باطنا أو كناية".

[8] في (ع) "ساوت".

[9] في (ص) "استقر".

[10] في (ح) (والقيامة).

[11] هناك حاشية في هامش (ق) جاءت كالتالي: (وفي عادة النصّ الكريم إذا أجمل في محلّ لا بدّ وأن يكشفه في محلّ آخر، وقد قال مخاطبا لنوح عليه السلام: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾. فسقطت هذه التأويلات كلّها، وبقيت الكيفيّة فيه مجهولة. آمنا بالاستواء على ما يليق.... كتاب الكريا...).

[12] إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إليه ... وخَالَفَ، والسفيه إلى خِلَافِ

أي إلى السفه، فلمّا دلّ لفظ السفيه على السفه أعاد الكناية إلى[1] ذلك. كذلك حُكم هذه الآيات. ومثاله في الكلام قولك[2]: "بنى زيد بيته فاستوى على السقف." أي استوى بناؤه على السقف، يعني استقرّ البناء على سقفه واستتمّ به. [كذلك في الآيات معناه: خلق السماوات والأرض، واستقرّ الخلق على العرش، واستتمّ به][3] وما خلق فوقه[4] شيئا.

فإن قيل: فما قولك في سورة طه: ﴿الرحمن على العرش استوى.﴾ وفي سورة الفرقان: ﴿ثمّ استوّى على العرش، الرحمن﴾؟

الجواب أنّ الشبهة إنّما وقعت فيهما من جهة النظم، وإلّا فالقصّة في جميع الآيات واحدة، وللنظم طرق عجيبة في القرآن. أمّا قوله في طه: ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض[5] والسماوات العُلى، الرحمن على العرش استوى.﴾ فإنّ الرحمن تفسير وإيضاح لقوله: ممّن، أي هذا الخالق هو الرحمن، ثمّ قال: ﴿على العرش استوى.﴾ أي استوى خَلْقُه، وفاعل استوى هو المصدر الذي يدلّ عليه لفظ "خلق"، ويسمّى ذلك الضمير المستتر، فوقع استوى في آخر الآية لأنّ مقاطع[6] آيات هذه السورة على الألف المقصورة.

وأمّا في الفرقان ففيه تقديم [وتأخير قال الله تعالى: ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش، [الرحمن]﴾[7]،][8] تقديره الذي خلق السماوات والأرض؟ هو الرحمن، ثمّ استوى على العرش. فالرحمن ابتداء خبره متقدّم عليه، وذلك الخبر قوله: ﴿الذي

هذا البيت من الشواهد التي لم نقف لها على قائل معيّن، وقد ذكر البغدادي في الخزانة أن جماعة من النحاة أنشدوه، منهم ابن جنّي في إعراب الحماسة، والفرّاء في معاني القرآن، وثعلب في "أماليه"، ولم يعزه واحد منهم. انظر "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، 1418هـ/ 1997م، ج 5، ص 226-228.

[1] في (ق) على.

[2] في (ص) "كقولك". وفي (س) "قوله".

[3] ما بين المعقوفتين سقط من (ش).

[4] في (ج) "فوق العرش".

[5] كلمة الأرض على الهامش في النسختين (ق) و (ش).

[6] في (ج) "مطالع".

[7] التكملة من (ش).

[8] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

خلق.﴾، كما تقول "الذي جاءك زيد." وقوله: ﴿ثمّ استوى على العرش.﴾ اعتراض في الكلام، والمعنى كما قلنا: أي استوى خلقه على العرش، يعني استتمّ.

هذا، وكم من[1] ناظر في كلامي يبادر إلى ملامي ويقول[2]: "أبدعت للآية تفسيرا مخالفا لجماهير السلف والخلف، وفي مخالفتهم خرق الإجماع".

وأنا أعذره في ذلك، فإنّ الفطام عن المعهود شديد، والزول عمّا تلقّنه الفتى عن آبائه وشيوخه صعب حقّا كان أم باطلا. وأقول: إنّ الذي ذكرناه محتمل[3] صحيح واضح وإنْ سمّاه بدعة، فكم بدعة مستحسنة[4]. والمنكِر لذلك أحد رجلين، إمّا مؤوّل أو غير مؤوّل، فإنْ كان مؤوّلا فليعلم أنّ أصحّ التأويلات في "استوى" أنْ يكون بمعنى علا لقول العرب: استوى زيد على السطح، واستوى على السرير، [واستوى على الفلك واستوى على ظهر الفرس إذا علا هذه الأشياء][5]، ثمّ قد يستعار فيقال استوى على المملكة، واستوى على البلد، ومنه البيت المشهور:

قد استوى بشر على العراق... من غير سيف ودم مهراق[6]

وهو من قصيدة أوّلها:

قمر منير دائم الإشراق... قامت عليه قيامة العشّاق

---

[1]سقط من (ق).

[2] في (ع) "فيقول".

[3]وردت هده الكلمة في هامش (ش).

[4]انظر عبد الله الغماري، إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، بيروت، عالم الكتب، 1427هـ/ 2006م.

[5] ما بين المعقوفتين زيادة من (ص).

[6]اختلف المحقّقون في نسبة هذا البيت، فنسبه المرزوقي في كتابه الأزمنة والأمكنة، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1417هـ/ 1996م، ص 36 للبعيث المجاشعيّ، وتبعه في ذلك مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين، ج 2، ص؛06، ونسبه الجوهري للأخطل، وتبعه في ذلك خلق كثير، إلّا أنّ القزويني يضيف إلى علمنا أنّ هذا البيت من قصيدة كانت معروفة في زمانه ويدلّ على ذلك ما أتحفنا به من ذكر مطلعها، وليته جاد علينا باسم قائله. وقد عثرنا على بيت ثالث من القصيدة عند أحد المتأخرين وهو:

بدر تمنا الناظرون لوائه ... ما بينهم يمشي على الأحداق

الكاشاني، حبيب الله الشريف، (توفي سنة 1270هـ/ 1854م)، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث، تحقيق نزار الحسن، قم، دار جلال الدين، 1424هـ/ 2003م، ص 82.

أي علا أمره على العراق. وربّما ينقلون معناه إلى لفظ الاستيلاء والأصل واحد، إلّا أنّ فيه إيهاما، لأنّ الاستيلاء إنّما يقال للغاصب، فعلى هذا معنى قوله استوى أي علا، وإذا علا أمره على العرش، ||24 وهو أعظم المخلوقات، كان ما دون العرش[1] أولى بأنْ[2] علاه. وقد يفسّر العرش بالملك، يقال ثلّ[3] عرشه إذا انتقض ملكه قال بعض الشعراء:

رأوا عرشي تثلّم جانباه ... فلمّا أنْ تثلّم أفردوني[4]

أي رأوا ملكي. وعلى هذا التفسير يكون معنى الآية: الرحمن استعلى على الملك، وهو على العرش، وعرشه أعظم الممالك، فكان الرحمن مستعليا على الممالك كلّها.

واعلم أنّا إذا نظرنا فوقنا رأينا الهواء، وإذا تأمّلنا ما فوق الهواء رأينا بالقلب[5] سماء فوق سماء، ثمّ إذا ترقّينا بأوهامنا من السماوات السبع رأينا الكرسيّ، وإذا ترقّينا من الكرسيّ رأينا العرش الذي هو منتهى المخلوقات التي بجملتها تدلّ على الخالق جلّ جلاله، ثمّ إذا تدرّجنا بالفكر من العرش الذي هو نهاية المخلوقات لم نر للفكر مرقاة[6] البتّة، فيقف الفكر هناك لأنّ مطار[7] الفكر ينتهي بانتهاء الأجسام، فنرى إذ ذاك بقلوبنا وعقولنا الرحمن فوق العرش، لأنّ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوق، فيستيقن أنّ الصانع فوق العرش فوقيّة تُباين فوقيّة العرش على الكرسيّ، لأنّ فوقيّة العرش على الكرسيّ إنما[8] تكون بالجهة والمكان، وفوقيّة الربّ على العرش بالرتبة والمكانة، وذلك كما يقال الصانع فوق الصنع، وهو معنى قول السلف: "إنّ الله فوق عرشه." قال عبد الله بن رواحة[9]:

---

[1] ضبطت كلمة العرش فوق السطر في (ج).

[2] في (ص) "أن".

[3] في (ج) "قل".

[4] انظر شرح ديوان الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري، ج 1، ص 215- 216.

[5] سقط من (ع).

[6] في (ص) "لم نر للفكر بعده مرقاة". وفي (ع) "الفكر" عوض "للفكر".

[7] في (ج) "نظار".

[8] زيادة من (ص).

[9] أبو محمّد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي البدري، صحابي، أحد الشعراء الثلاثة الذين دافعوا عن الإسلام والمسلمين، كان من كتاب الأنصار، استشهد يوم مؤتة سنة 8هـ/ 630م. تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي،

شهدت بأنّ وعد الله حـــــقّ ... وأنّ النار مثوى الكافرينـــا
وأنّ العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش ربّ العالمينا[1]

وإنْ كان ذلك المُنكِر ممّن يمنع التأويل أصلا، فليعتقد أنّ الرحمن استوى على العرش استواء يليق بوصفه، وهو معنى[2] قول السلف، أمرّوها كما جاءت بلا كيف، وقول مالك بن أنس: "الاستواء معلوم، والكيفيّة مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة." فمعنى قوله: "الاستواء معلوم[3]" أي ظاهر اللفظ معلوم منصوص[4] في الكتاب والسنّة. "والكيفيّة مجهولة." أي لا كيفيّة لذاته وصفاته فيعلمها أحد، وهو معنى قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾[5] (الشورى؛ 11). وقوله: "الإيمان به واجب." لأنّ الاستواء من الكتاب المنزل الذي يجب الإيمان بكلّه وبعضه. "والسؤال عنه بدعة." يريد به من سأل عنه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

فهذه ثلاث طرق محقّقة[6]، فليختر الناظر منها ما شاء يسلم من التشبيه، فإن التشبيه غالب على العقائد. قال ابن عبّاس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون.﴾ (يوسف؛ 106)، فهو أنّهم شبّهوا الله بخلقه فأشركوا من حيث لا يعلمون"[7]. فالتوحيد المحض إفراد القديم عن أشباه الحدثان، وتنزيهه عن المكان، وإمكان المكان على أنّه لا يخلو منه مكان

1421هـ/ 2001م. ابن سعد الطبقات الكبرى، ج 3، ص 565 -566، رقم: 352؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 1، ص 118- 121، رقم: 18؛ الذهبي، سير، ج 1، ص 230- 240؛ الإصابة، ج 4، ص 72-75، ترجمة: 4694.

[1] في (ص) زيادة بيت ثالث:

وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا

ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق وليد قصّاب، دار العلوم، 1401هـ/ 1981م، ص 165. وجاء في هامش البيتين في (ش) عبارة "بالرتبة والمكانة".

[2] سقط من (ص).

[3] "معلوم" ليست في (ش).

[4] في (ق) "منصوص عليه"..

[5] في (ق) زيادة "وهو السميع البصير".

[6] في (ع) "متحققة".

[7] لم نجد أحدا فيما أتيح لنا من المصادر ينسب هذا الأثر لابن عباس.

كما قال تعالى: ﴿ما[1] يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم.﴾ الآية (المجادلة؛ 7)، وقال: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (الحديد؛ 4)، وقال: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (ق؛ 16).

وعن كعب الأحبار[2]: "كان داود عليه السلام يقول: "إلهي، إنْ ارتفعتُ فوق سبع سماوات فأنت ثمّة[3]، وإنْ نزلتُ أسفل أرضيك فأنت ثمّة، وإنْ تحوّلتُ طائرا فجلت في الآفاق فأنت ثمّة، وإنْ ||25 تحوّلتُ دابّة البحر فجلتُ أجواز البحار فأنت ثمّة، فكيف يستطيع الخطاؤون أنْ يستروا خطاياهم عنك وأنت معهم أينما كانوا، فأنت ظاهر باطن سبحانك وبحمدك لا إله إلّا أنت"[4].

في هذه المناجاة إشارة إلى أنّ[5] من وجد بكلّ مكان لا مكان له، لأنّ ذاته واحدة والأمكنة كثيرة، فلا يتصوّر كونه بكلّ مكان في حال واحدة إلّا بالعلم، ونظيره في العرف أن يقول التلميذ لأستاذه: "انظر كيف أعمل هذا." فيقول الأستاذ: "أنا هناك أي بالعلم والنظر إليك".

المناجاة:

سبحان من خلق العرش من درّة، ولم يزن في مقدوراته[6] ذرّة، فأنّى تكون مستقرّة؟ حارت عقول أهل الأرض في قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى.﴾ وطارت قلوب أهل السماء من قوله: ﴿ما يكون من نجوى...﴾ وهو بالمنظر الأعلى.

يا حامل حاملي عرشك، أما تخشى المشبّهة من بطشك؟ فوعزّتك لو علم عرشك بما اتّهموه به لارتعد[1] وهاب، واستنكف عن وجوده وذاب. يا أجلّ الأجلّين، ارحم أقلّ الأقلّين.

---

[1] في (ج) "لا".

[2] أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميريّ، الشهير بكعب الأحبار، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق، وقيل في خلافة عمر بن الخطاب، أحد التابعين ذوي الأصل اليمنيّ، توفي سنة 32هـ/ 653م. أبو نعيم، الحلية، ج 5، ص364- 391، رقم: 325، و ج 6، ص 3- 48؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 50، ص 151- 176، رقم: 5817؛ الذهبي سير، ج 3، ص 490-494.

[3] في (ج) و(ص) و (س) "ثم"؛ وكذلك الشأن بما سيليها.

[4] في مسند الربيع خبر قريب من هذا الأثر الذي ذكره القزويني. انظر أبو يعقوب الورجلاتي، كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول ﷺ، جمع نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، مسقط، مكتبة مسقط، 1424هـ/ 2003م، ص 376-377.

[5] سقط من (ص).

[6] في (س) "مقدار وزانه"

(1) في (س) "ارتعد".

الباب الرابع في قوله عليه السّلام:
"ينزل الله على كرسيّه فيئطُّ"

روى عبد الله بن مسعود عن النبيّ ﷺ أنّه قيل له: "ما المقام المحمود يا رسول الله؟" فقال: "يوم ينزل الله على كرسيّه فيئطّ كما يئطّ الرحل الجديد من تضايقه به، وهو سعة ما بين السماء والأرض، ويُجاء بكم حفاة، عراة، غرلا، فيكون أوّل ما يكسى إبراهيم. يقول الله تعالى: "اكسوا خليلي." فيؤتى بريطين[1] بيضاوين من رياط الجنّة، ثمّ أكسى على إثره، ثمّ أقوم على يمين الله مقاما يغبطه الأوّلون والآخرون"[2].

هذا حديث مسند في الصحاح، ولكنّ معناه مشكل تحيّر فيه المتأوّلون. ومضمونه على الإجمال إخبار عن تكريم الله تعالى نبيّه المصطفى بالمقام الأشرف، والمحلّ الأسنى من تقريبه وإدنائه وإرضائه وإعلائه حين طويت السّماوات كطيّ السجلّ للكتاب، وسارت الجبال سير السحاب، ودكّت الأرض دكّا وتلاشت كالسراب، فلا يبقى من هذه المكوّنات إلّا العرش والكرسيّ، فينزل الله على كرسيّه، أي يتجلّى للكرسيّ كما تجلّى للجبل يوم سأله موسى الرؤية فجعله دكّا. ومعنى نزوله وتجلّيه انكشاف عظمته لمخلوق، أو استفاضة رحمته، أو ظهور نوره، فحينئذ يتضاءل ذلك الشيء لعظمته، وهو معنى قوله: "فيئطّ كما يئطّ الرحل الجديد [لتضايقه به][3]." والأطيط صوت الرحل، وإنّما يئطّ لنفاذ طاقته عن تحمّل إقبال الله عليه بعظمته كما كان حال الجبل حين جعله دكّا. قال النبيّ ﷺ: "ولكنّ الله إذا تجلّى لشيء خشع له."[4] يعني يتصاغر ويخشع ذلك الشيء من عظمته.

---

[1] في (ش) "بريطتين"

[2] الحاكم، *المستدرك على الصحاح*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1422هـ/ 2002م، ج 2، ص 396، كتاب التفسير، حديث: 3385.

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ج) وفي (ق) "من تضايقه به" وسقط "به من (ص)..

[4] الكلاباذي، *معاني الأخبار*، ص 262.

وأمّا قوله: ||26 "ثمّ أقوم على يمين الله." فالمعنى إذ ذاك قيامي على قدرة الله التي بها تقوم الأشياء، ويمسك بها السماوات والأرض كما قال: ﴿والسماوات مطويّات بيمينه﴾ (الزمر؛ 67)، أي بقوّته وقدرته، فكنّى عن القوّة والقدرة باليمين لأنّ اليمين محلّ القوّة. ومعناه أنّه لمّا كان يومئذ، لم تبق أرض فيقوم عليها النبيّ، ولا سماء فيقف عليها، ولا متعلّق من الكون فيتعلّق به، قام ﷺ متعلّقا بيمين الله التي هي قدرته كما قامت بها اليوم جميع الكائنات، ولا يسار في مقابلة يمينه لأنّها ليست بجارحة فتقابلها أخرى، بل كلتا يديه يمين، والتثنية[1] عبارة عن كمال القدرة.

مناجاة:

اللهمّ يا ذا العظمة والقدم، والرحمة والكرم، يا نازلا على كرسيّه، بإنزال النُّزُل لجنّيّه وإنسيّه، حتّى يئطّ الكرسيّ من أثقال تلك الأنزال، كما يئطّ الرحل الجديد في الرحال. ويا معطي رسوله مقام الشفاعة، لأهل الكبائر من الجماعة، ذلك المقام المحمود، في اليوم المشهود.

إلهي، لقد أثقلت الأوزار ظهورنا فخفّفها إمّا بعفوك الوسيع، وإمّا بشفاعة هذا الشفيع، يا كبير يا متعال.

[1] في (س) "التشبيه".

الباب الخامس في إثبات كلام الله تعالى[1]

وأنّه ليس بحرف ولا صوت

وهو يشتمل على فصول سبعة

الفصل الأوّل في إثبات كونه متكلّما بكلام أزليّ

اعلم أنّ الله سبحانه ملك مطاع، والمَلِك من له الأمر والنهي، والدليل عليه أنّه لمّا كان تردّد الخلق في صنوف الحوادث دليلا على كون الإله قادرا عالما، كذلك كان تردّدهم في صنوف الأوامر والنواهي دليلا على كونه آمرا ناهيا، والآمر الناهي هو المتكلّم قطعا. وأيضا لمّا دلّت أفعاله من حيث الإحكام والإتقان على أنّه عالم، استحال أنْ يعلم شيئا ولا يخبر عنه، لأنّ الخبر والعلم يتلازمان، لا يتصوّر أحدهما دون الثاني، والمخبر هو المتكلّم، والمتكلّم من له قول وتعريف. وأيضا ضدّ الكلام الخرس، والخرس ضدّ القول والتعريف، وذلك نقص وآفة، والقديم متعال عن النقائص والآفات.

---

[1] وقع خلط كما أشرنا إلى ذلك سابقا في نسخة (س) حيث جعل الناسخ من رسالة القزويني "الإبانة عن معنى الإغانة" بابا خامسا لكتاب سراج العقول مع مناجاة في آخر الرسالة لم نعثر عليها في نص الرسالة التي تجدها أيضا في نسخة (ع). ومن هنا يبدأ الفارق بين أرقام الأبواب في نسخة (س) وباقي النسخ.، وبهذا أصبح الباب الخامس هو السادس في (س).

الفصل الثاني
في اتّحاد كلام الله

اعلم أنّ كلام الله تعالى لا كثرة فيه إذ هو معنى قائم بالذات، فلو كان كثيرا لم يخْل من أحد أمرين: إمّا كونه[1] متعددا إلى ما لانهاية له، وإمّا كونه[2] متناهيا وكلاهما محال. إذ لو كان غير متناه لما حصره الوجود في العدد، ولو كان متناهيا بعدد مخصوص استدعى مخصّصا، والقديم لا يتخصّص.

سؤال[3]: فإن قيل: الكلام أمر ونهي وخبر واستخبار، فكيف يكون واحدا وهذه أقسام مختلفة؟ الجواب: الأصل في الجميع[4] الخبر وهو واحد، ولكن له أوصاف هي عبارات مختلفة، فالكلام الواحد المتعلّق بالمأمور[5] يسمّى أمرا، والمتعلّق بالمنهيّ[6] يسمّى نهيا. وحقيقة ذلك أنّ العاقل يجد من نفسه خبرا عن معلوم له، فإن تعلّق ذلك الخبر بالذي[7] ||27 وجب فعله يسمّى أمرا، وإن تعلّق بالذي يحرم فعله يسمّى نهيا، وإن تعلّق بالذي فيه اقتضاء وطلب سمّي استفهاما واستخبارا، فهو إذاً باختلاف متعلّقاته متعدّد[8]، وحقيقة الجميع هو الخبر عن المعلوم، وذلك شيء واحد. مثاله أنّ الله تعالى كان قبل خلق آدم عليه السلام عبّر عن معلومه خلافته في ثاني الحال فقال: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة؛ 30)، وكذلك عبّر عن معلومه إرسال نوح عليه السلام فقال: ﴿إنّا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾ (نوح؛ 1). ثمّ بعد انقراض آدم ونوح عليهما

---

[1] وردت فقط في (ق)..

[2] في باقي النسخ عذا (س) "كان".

[3] سقط من (س).

[4] في (ص) "جميع".

[5] في (س) "المأمور".

[6] في (ش) بالمنهيّ.

[7] في (ج) "الذي".

[8] سقط من (ص).

السلام كان تعبيره عن خلافة آدم ورسالة نوح فيما مضى بقوله: ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحا﴾ (آل عمران؛ 33). وإذا عبّر عن حال موسى عليه السلام قبل وجوده وحضوره بالواد المقدّس كان على صيغة الأمر وهو: ﴿اخلع نعليك إنّك بالوادي المقدّس طوى﴾ (طه؛ 12). فالاختلافات راجعات إلى التعبيرات التي هي على وفق المعلوم لا إلى عين الكلام، حتّى أنّا لو قدّرنا لأنفسنا نطقا مطابقا لإدراكات العقل غالبا على الدهر والزمان، بحيث يكون ماضي الزمان وحاضره ومستقبله بالنسبة إليه واحدا، لم نشكّ أنّ الاختلاف لا يرجع إلى كثرة معان حدث في ذلك الخبر، بل[1] يكون راجعا إلى ما يختلف بالأزمنة، ولهذا قال الله تعالى[2] فيما سيكون في القيامة: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس[3]...﴾ (المائدة؛ 116)؛ والقيامة لم توجد بعد، ولكن لمّا كان القول الأزليّ متعاليا عن الزمان كان ما سيوجد كأن قد [وُجِد][4]، وكان نسبة الخطاب إليه في هذا اليوم كنسبته إليه في ذلك اليوم. ومن أمكنه أن يرفع الزمان من خاطره هان عليه إدراك المعاني العقلية، فإنّ أكثر التخاليط والمغاليط إنّما يقع من توهّم الزمان.

والمثال الحسيّ لهذا المعنى شعاع ينفذ من كوّة فيقع على طرف[5] رحى دائرة فإنّه يكون في نفسه شيئا واحدا، ولكنّه بالنسبة إلى مرور أطراف الرحى عليها مختلف إذ يلاقيه بعضها، وانقضى عنه بعضها، وبعضها لم يلاقه بعد، فالشعاع بالنسبة إلى ما يلاقيه من طرف الرحى كان حاضرا، وبالنسبة إلى ما انقضى عنه ماضيا، وبالنسبة إلى ما لم يلاقه بعد مستقبلا، وهو في نفسه ممتدّ على حالة واحدة.

---

[1] في (ص) "بلى".

[2] سقطت من باقي النسخ وضبط "كأن" "كان".

[3] للناس ليس في (ش) ولا في (ص).

[4] سقطت من (ش).

[5] سقط من (ص).

الفصل الثالث

في تمثيل ظهور الوحي في صورة العبارة

بظهور [1]جبريل في صورة دحية

اعلم أنّ اختلاف تصوير الأرواح والمعاني في صورة الأشخاص من هذا القبيل، قال الله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشرا سويّا﴾ (مريم؛ 17). كان جبريل لم تتبدّل حقيقته بالبشريّة حتّى صار بشرا محضا، ولا كان بشرا وملكا معا في حالة واحدة، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ حين أشار إليه: "هذا جبريل جاءكم ليعلّمكم الدين"[2]. وكان إذ ذاك في صورة دحية الكلبيّ[3]، بل تبدّلت صورته في أعين[4] الناظرين ولم تتبدّل[5] حقيقته التي هو عليها. فكذلك الكلام الأزليّ والأمر الأحديّ يتمثّل باللسان العربيّ تارة، وباللسان العبريّ مرّة، | |28 وباللغة السريانيّة أخرى، وهو في ذاته أمر واحد أزليّ. فالكافر[6] المشرك يسمع كلام الله، والكليم[7] صلوات الله عليه يسمع

---

[1] في (س) و (ع) "وظهور".

[2] النسائي، *السنن الكبرى*، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، بيروت مؤسسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م، ج 2، ص 193، رقم: 1505؛ 1526.

[3] سقط لفظ الكلبي من (س). وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي، صاحب النبي ﷺ ورسوله بكتابه إلى عظيم بُصرى ليوصله إلى هرقل. أسلم دحية قبل بدر ولم يشهدها. وكان يشبه بجبريل، بقي حيّا إلى زمن معاوية. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 4، ص 234- 236، رقم: 465؛ الذهبي، سير، ج 2، ص 550-556. ابن حجر، الإصابة، ج 2، ص 321-323، ترجمة: 2395.

[4] في (ع) "عين".

[5] في (ش) ولم يتغيّر.

[6] في (ق) فالكلام، والصواب من (ش).

[7] في (ش) والنبيّ.

كلام الله، وبين سماعيهما[1] بعد المشرقين، إذ لو كان سماعهما واحدا لبطل اصطفاء[2] موسى عليه السلام، وقد قال الله تعالى [له][3]:

﴿إنّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ (الأعراف؛ 144)؛ فمثال سماع كلامه بالحرف والصوت كمثال جبريل في صورة دحية، ومثال سماع جبريل من ربّ العزّة، وسماع المصطفى ليلة المعراج، وسماع موسى بالطور كمثل رؤية النبيّ[4]ﷺ جبريل على صورته الخاصّة في الأفق الأعلى، فتأمّل هذا الكلام فإنّك لا تجده في كتاب.

الفصل الرابع
في إثبات كلام النفس

اعلم أنّ حقيقة الكلام معنى قائم بالنفس، فإنّ كلّ عاقل إذا راجع نفسه وجد من نفسه حديثا وقولا يجول في قلبه، وتارة إخبارا عن أمور قد رآها وسمعها، وتارة حديثا مع نفسه بأمر ونهي ووعد ووعيد لأشخاص على تقدير وجودهم، ثمّ يعبر عن تلك الأحاديث وقت المشاهدة، ومن أنكر ذلك فقد جحد الضرورة. ولا يقال إنّ ذلك علم وإرادة، فإنّ العلم تابع للمعلوم على ما هو به ليس فيه اقتضاء وطلب، ولا استفهام ونداء. والإرادة قصد إلى تخصيص الفعل، وإنّما الكلام اقتضاءات وتدبيرات من حديث النفس، ولا تكون النفس عنها خالية قطّ، حتّى إنّه في النوم يتكلّم ويسمع. وإنّ الكاتب البليغ قد يأخذ طومارا، وتملي عليه نفسه من أحاديثها، فيكتب حتّى يملأه وهو ساكت. قال الحطيئة:

---

[1] في (ج) "سماعهما".

[2] استدرك في هامش (ع).

[3] الزيادة من (ش).

[4] في (س) "نبينا"

لا يعجبنّك من أميـر خطبـــة ... حتّى يكون مع الكلام أصيــلا
إنّ الكلام لفي الفـــؤاد وإنّما ... جعل اللسان على الفؤاد دليـلا[1]

ثمّ هذه القضيّات النفسيّة قد يعبّر عنها تارة بالعبارات النطقيّة المصطلحة بين الأمم، المركّبة من الحروف[2]، وتارة بالنقرات والرسوم والإشارات. قال بعض الشعراء:

كلّمته بجفون غير ناطقــة ... فكان من ردّه ما قال حاجبُـــه[3]

تراه كيف عبّر عن الكلام الذي جرى بينهما بالإيماء والإشارة.

ونحن لمّا عجزنا عن إفهام الدوابّ والطيور مقاصدنا فيها من التقدّم، والتأخّر، والإسراع، والإبطاء، والتصويب[4]، والتصعيد، والإيراد، والإصدار، ألسنا قد وضعنا لها رموزا تقرب من

---

[1]سقط البيت الثاني من (ع). جاء في ذيل مرآة الزمان لليونيني بخصوص هذا البيت ما يلي: قال الشيخ أبو البيان رحمه الله: " قد صنّفت في القوافي كتاباً سميته كتاب قصيدة التاج الأدبي في علم قوافي الشعر العربي، وذكرت فيه من أحكام قوافي الشعر، وضروبها، وعيوبها، وألقابها، وشواهد ذلك ما لم أظن أحداً من العلماء صنع مثله، ولا ذكر ما ذكرته فيه ولله الحمد، وتكلّم على مواضع من نظمه وشرحها وبسط القول فيها، واستشهد على لفظ أصيل بمعنى مكين، ثابت، من قولهم: فلان أصيل الرأي. فقال: " قال ابن صمصام الرقّاش في أبيات تسعة آخرها:

لا يعجبنّك من خطيب قوله ... حتّى يكون مع البيان أصيـلا
شرّ البيان بيان أهوج مكثـر ... في القول لا يلفى له معقولا

قال: ومن زعم أنّ هذا الشعر للأخطل التغلبيّ فقد أخطأ. وفيه البيت الذي استشهدت به الأشعرية على حقيقة الكلام على ما أنشده وهو:

إنّ البيان من الفؤاد وإنّما ... جعل اللسان لما يقول رسولا

ورواه الأشعرية:

إنّ الكلام من الفؤاد وإنّما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

قال: والصحيح ما قدّمناه لأنّ الأبيات عندنا جميعها باسم قائلها وشاعرها محدث. قال: وليس هذا موضع الكلام على هذه المسألة ". انظر *ذيل مرآة الزمان*، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1374هـ/ 1954م، ج 3، ص188-189.

[2]في (ش) الحرف.

[3]البيت لأبي تمام من قصيدة مطلعها:

قال الوشاة بدا في الخدّ عارضه ... فقلت لا تكثروا ما ذاك عائبه

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمّد عبده عزّام، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، دون تاريخ، ج 4، ص 159، قصيدة: 218.

[4] في (ص) "والتصويت".

أصواتها وطباعها من الزجر، والنقر[1]، والصفير بالشفة فتفهم هي مرادنا بذلك[2] منها؟ وقال بعض الشعراء في معنى تكلّم الذئب:

تهتم علينا بأن الذئب كلّمكـــم ... وقد لعمري أبوكم كلّم الذئبا

هذا السنيديّ لا أصل ولا طرف ... يكلّم الفيل تصعيدا وتصويبـا[3]

---

[1] في (ع) "والفز".

[2] في (ش) بذلك مرادنا.

[3] في (س) "اليسندي" وفي (ع) و (ج) "السندي". تنسب هذه الأبيات للشاعر دعبل. انظر: الأصفهاني، *كتاب الأغاني*، تحقيق إحسان عباس وآخرون، بيروت، دار صادر، 1423هـ/ 2002م، ج 20، ص 72.

الفصل الخامس
في صفة كلام الله
وتنزيهه عن الصوت والحرف

اعلم أنّ الصفة الأزليّة المعبّر عنها بالكلام عاليّة رفيعة قاهرة بالسلطان، منيعة نافذة الأمر، جائزة الحكم، لها كبرياء القدم، وعظم الجبروت، تصخ آذان القدّيسين دون منالها، وتطاير عقول | |29 الكروبيّين عند سماعها، فلا مطمع[1] لمخلوق من حيث هو أن يؤهل لاستماعه، ولكنّ الله من سعة رحمته، وفرط كرمه، اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، وآتاهم قوّة سماع كلامه بما شاء كيف شاء، نعمة مضافة منه إلى سائر نعمه.

فإن قيل: هل يتصوّر أنْ يسمع كلام بغير حرف وصوت؟

الجواب: بلى [كذا] يتصوّر، والدليل عليه أنّ المسموع كلام، والكلام على ما بيّنّاه قد يكون عبارة لفظيّة عل التوسّع، وقد يكون اقتضاء في النفس[2]، وكلاهما مسموعان. فالعبارة اللفظيّة ظاهرة لا شبهة فيها. والاقتضاء النفسيّ، فنحن إذا أثبتنا في النفس كلاما بلا حرف وصوت، كذلك نثبت في النفس سماعا بلا حرف وصوت، ثمّ ذلك السماع قد يكون بواسطة وحجاب، وقد يكون من غير[3] واسطة وحجاب، قال الله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾ (الشورى؛ 51). فالوحي بلا واسطة وحجاب كما قال [تعالى][4]: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ (النّجم؛ 11)؛ وقال: ﴿وكلّمه ربُّه﴾ (الأعراف؛ 143). وما يكون بواسطة وحجاب

---

[1] في (ع) "مجمع".

[2] في (ش) في اللفظ؛ وفي (ج) " اقتضاء للنفس".

[3] في (ص) "بغير".

[4] الزيادة من (ش).

فهو مثل ما يسمع في المنام، أو يسمع من هاتف لا يُرى شخصه، ملكا كان، أو جنّيا[1]، أو خَضِرا صلوات الله عليه. وقوله: ﴿أو يرسل رسولا﴾ فهو ما سمعه من جبريل مشافهة، أو من ملك من الملائكة أرسل إليه يشاهده. فالوحي من الله[2] بلا واسطة هو سماع نفس الكلام بلا توسط[3] حرف وصوت كما بيّناه. والسماع من وراء الحجاب يكون في تقدير الحروف كما يقرأ أحدنا القرآن في قلبه، فإنّ له قراءة وسماعا على تقدير الحروف والصوت، ولا حرف ولا صوت هناك. والسماع من رسول من الملائكة يكون بحرف وصوت يليق بهم أرقّ وألطف من أصواتنا.

وفي الجملة، إنّ العبارة الدالة على الكلام إنّما تقع في السمع، فيصل بعد الاستماع إلى القلب، فوصولها إلى القلب يكون بهذه الوسائط. فلو قدّرنا رفع الوسائط من البين حتّى يدرك السمع ما في نفس المتكلّم من كلامه لكان يتحقّق كلام من جانب المتكلّم وسماع من جانب المستمع، ولا حرف ولا صوت في البين، وهذا شيء متصوّر في العقل، فيحمل سماع موسى وجبريل ومحمّد[4] عليهم السلام من الرّبّ [تعالى][5] على ذلك، وكيف وقد قرن[6] الله تعالى بين الكلام والرسالة فقال: ﴿برسالاتي وبكلامي﴾ (الأعراف؛ 144). فالرسالة بواسطة الرسل، والكلام من غير الواسطة. أمّا في حقّنا فكلام الله مسموع بأسماعنا [محفوظ في صدورنا، فإنّا قد سمعناه][7] بأسماعنا من الأستاذين، ووعيناه في قلوبنا بالحفظ والتكرار.

فإنْ قيل: فبيّن لنا كيف سمع موسى كلام الله من غير حرف وصوت.

الجواب عنه أنّ السؤال عن كيفية سماع كلام الله لغو لامتناع طريق جوابه، ويتنزّل ذلك منزلة قول الأصمّ الأصلخ[8] إذا قال لنا: ||30 أنتم اليوم كيف[1] تسمعون كلام الله؟ أليس طريق جوابه

---

[1] في (ص) "ملكا كان، أو نبيا، أو جنّيا".

[2] في (ق) إليه.

[3] في (ج) و(ق) "بلا واسطة".

[4] وردت "محمد" فوق السطر في (ج).

[5] الزيادة من (ش).

[6] في (ص) "فرق".

[7] ما بين المعقوفتين لا وجود له في (ش).

[8] في (ع) و (ج) "الأصلح". والأصلخ: الأصَمُّ جِدّاً لا يَسْمَعُ البَتَّة.

مسدودا علينا لأنّه لم يعط حاسّة السمع في أصل خلقته؟ فكيف نعرّفه ذلك؟ وبأيّ شيء نمثّله ولا مثال عنده للمسموعات حتّى يقيس عليه ذلك؟ إذ لو كان له سمع شيء ما لقلنا كما تسمع أنت أخبار الرسول، وخطب الخطباء، وشعر الشعراء؛ فلمّا لم يخلق[2] له سمع البتّة، انسدّ طريق التعريف عليه. وغايتنا أنّا نقول بالإشارة المصطلحة بين الأطارشة[3] الصّمّ أنّا نسمع كلام الله كما تبصر أنت الألوان ببصرك، وشتّان ما بين المسموع والمرئي[4]. فإذن قد انسدّ باب كيفية سماع موسى كلام الله بلا حرف وصوت على الخلق، إذ نحن من عدم الإدراك الذي يسمع به الكلام المُعَرّى عن الحروف والأصوات بمنزلة الأصمّ الأصلخ في عدم إدراك السمع الذي يدرك به الكلام المؤلف من الحرف والصوت[5]، وأنّ ذلك الإدراك اختصاص لموسى، ومحمّد، وجبريل عليهم السلام، وهو المعبّر عنه بالاصطفاء في قوله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ (الحجّ؛ 75)؛ ومنه سمّي محمّد المصطفى عليه السلام، فمن حُرِم ذلك الاصطفاء لا مطمع له في سماع الكلام المعرّى عن الحرف والصوت البتّة. نعم، غاية وكدنا[6] أن نصحّح جوازه في العقل، وقد بيّنا أنّ حقيقة الكلام اقتضاء وطلب في النفس فيعبّر عن ذلك إمّا بعبارات مصطلحة، وإمّا بإشارات موضوعة. فلعلّ الله تعالى أبدع لموسى وجبريل عليهما السلام طريقا إلى استماع الكلام المجرّد عن الحرف والصوت كرامة لهما، فإن قدرة الله واسعة لا تقصر عن ممكن قطّ، ولكن عقولنا وأفهامنا وأوهامنا لا تبلغ إلى كيفيّة ذلك البتّة، فإنّه تعالى يخلق مالا تعلمون[7]. وهذا جائز في العقل قياسا على ما أعطاه الله إيّانا من التعبير بالحروف والأصوات والإشارات وغيرها. وما أشبه هذا[8] السؤال بسؤال المفحم[1] [الذي لا ذوق له][2] حين يسأل صاحب الذوق

---

[1] في (ش) و(ص): "أنتم كيف تسمعون اليوم".

[2] في (ج) "تخلى"

[3] في (ش) ضبط هذا اللفظ كالتالي "الاطار عن شبه".

[4] في (ع) و (س) "الرائي".

[5] في (ع) و (س) "الحروف والأصوات".

[6] سقط من (ع)، وفي (ش) جهدنا.

[7] إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل؛ 8).

[8] سقط من (ص).

عن كيفيّة معرفته باستقامة وزن الشعر وانزحافه، أليس طريق جوابه يكون مسدودا؟ إذ ليس عنده من جنس الذوق شيء حتّى يمثّل ذلك به[3] فيفهم منه، ودع العروض فإنّها كالقالب المحفور يرسم به ولا يدرى ما هو.

---

[1] في (ج) "المقحم" ومعنى المفحم هنا: "العيي العاجز".

[2] ما بين المعقوفتين مستدرك في هامش (ج).

[3] في (ش) لهم.

الفصل السادس
في أمثلة الكلام والحروف والأصوات

اعلم أنّ الأصوات مثل طاقات الإبريسم[1]، والحروف لها بمنزلة الأصباغ المختلفة في الألوان، وتركيبها كلمات كالاسم والحرف والفعل[2] بمنزلة السدى واللحمة والرباطات، وتأليفها[3] كلاما مفهوما مثال النسيج من ذلك، وكونها عربيّة وعبريّة وسريانيّة مثال المقراضي، والبغدادي، والنقليسي، فإنّ لكلّ نسيج منها خصائص، والمعاني المفهومة من جملتها، أعني من جملة الكلمات، مثال الكتابات المرقومة، وتماثيل الحيوانات المنقوشة عليها من الخيول، والفيول[4]، والطيور [5]، والأشجار وغيرها، فإنّها ترى بالعين، وتفهم بالقلب، كذلك الكلام يسمع بالآذان من الكلمات، وتفهم معانيها بالقلب، فاستوى المثالان. وكما أنّ إراءة الناسج تلك التماثيل ||31 والكتابات بواسطة هذه الأشياء ليست بإبريسم، ولا صبغ، ولا نسيج، ولا مقراضي، وبغدادي[6] كذلك كلام الله ليس بصوت، ولا حرف، ولا نظم، ولعربيّة، وعبرية[7] وكما أنّ هذه آلات متوسطة إلى درك تلك الكتابات والتماثيل، كذلك الصوت والحرف بالعربيّة والعبريّة آلات يتوسّل بها إلى كلام الله. ولمّا كان ذلك مورده العين سمّي رؤية، ومورد الكلام السمع سمّي سماعا، قال الله

---

[1] سقط من (ع).

[2] في (ش) "الاسم والاسم والحرف". وفي (ق) "كالاسم والحرف والفعل".

[3] في (ق) "وتركيبها".

[4] في (ع) " النفول".

[5] وردت كلمة "والطيور" في (ش) بالهامش.

[6] في (ص) "ولا بغدادي" وع استدراك لا فوق السطر.

[7] في (س) و (ص) ولا عبرية. وفي (ش) قدمت عبرية على عربية.

تعالى: ﴿إنّا جعلناه قرآنا عربيّا﴾ (الزّخرف؛ 43)، **وقال: ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا...﴾ الآية** (فصّلت؛ 44).

الفصل السابع
في بيان[1] مذهب الحنابلة على غاية الاستقصاء

قالت الحنابلة: إنّ الأمّة قد اجتمعت سلفا وخلفا على أنّ لله قولا وأمرا وكلاما، وأن أمره غير خلقه، بل هو قديم أزليّ كما قال: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف؛ 54)؛ ولا شكّ أنّ إضافة الأمر إليه بخلاف إضافة الخلق إليه[2]، فإنّ[3] إضافة الخلق إليه إبداع فقط، وإضافة القول والأمر إليه إضافة اتباع واختصاص به، والكائنات كلّها تكوّنت بقوله وأمره كما قال: ﴿إنّما قولنا لشيء﴾ (النحل؛ 40)؛ و﴿إنّما أمره لشيء﴾[4] فالآيتان دلّتا على أنّ جميع الحادثات تكوّنت بقوله وأمره وهو كن: الكاف والنون، وكن كلمة، والكلمة كلام. ثمّ أجمعت السلف على أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق من غير بحث منهم بأنّه القراءة[5] أو[6] المقروء، والكتابة أو[7] المكتوب. كما أجمعوا أنّهم إذا زاروا قبر النبيّ ﷺ وصلّوا عليه وسلّموا تسليما، أنّ المزور والمصلّى والمسلّم عليه هو النبيّ ﷺ، من غير بحث أنّه شخصه أم روحه. ثمّ قالوا في تحقيق هذا الكلام أنّ الله تعالى وحّد

---

[1] سقط من (س).

[2] سقط من (ش) و(ص) و(ع).

[3] في (ق) "لأن".

[4] هكذا ضبطت الآية الثانية في جميع النسخ عدا (س) التي تجد فيها بعد الآية الأولى "أي أمره لشيء" وهذا مستبعد لإشارة المصنف للآيتين بد ذكرهما. ولعله أراد الآية " ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول...﴾ (يس؛ 82). وفي (ص) ورد النص بهذا الترتيب: قال "إنّما أمره لشيء" (دون وضع سطر أحمر عليها للتدليل على أنها آية، كما هو عادت ناسخ هذا المخطوط) "﴿إنّما قولنا لشيء﴾" فالآيتان".

[5] في (س) "القرآن".

[6] في (ص) "أم".

[7] في (ص) "أم".

الأمر فقال: ﴿وما أمرنا إلّا واحدة﴾[1] (القمر؛ 50)، وكثّر الكلمات فقال: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ (لقمان؛ 27)، فكان أمره وكلماته قديمة أزليّة. والأمر يفهم من الكلمات، والكلمات مركّبة من الحروف، فالحروف أيضا قديمة قدسيّة. فالكون كلّه قائم بكلمات الله، محفوظ بأمر الله، فتكون كلماته وحروفه قديمة، بخلاف كلماتنا وحروفنا، كما أنّ ذاته لا تشبه ذواتنا، وصفاته لا تشبه صفاتنا. ألا ترى أنّه لمّا سُئل موسى عليه السلام عن سماعه كلام الله قال: "اسمع كجرّ السلسلة على الصخر." وقال مرّة: "كصوت الشّپور[2]." وهو قرن ينفخ فيه فيخرج منه صوت ممتدّ. وكان نبيّنا ﷺ يقول: "وإنّه أحيانا يأتينا كصلصلة الجرس، وهو أشدّه، فيفصم[3] عنّي وقد وعيت."[4] وهذه كلّها إشارة إلى امتداد لا انقطاع له، بخلاف حروفنا وكلماتنا فإنّها متقطّعات[5] لها مبادئ ومقاطع.

وجواب هذا الكلام [المضطرب][6] أن يقال: الأمر خلاف الخلق، وهو عبارة عن كلام الحقّ الأزليّ المنزّه عن الحرف والصوت، والكلمة والكلمات عبارة عنه، وإنّما جمعت على طريق المبالغة كما قال امرئ القيس:

يزّل الغلام الخفّ عن صهواته[7]

---

[1] في (ش) زيادة "كلمح" وفي (ص) "كلمح بالبصر"..

[2] في (ص) "الشور"

[3] في (ع) و (س) "فيفهم"، وأما في (ج) فضبط اللفظ كالتالي: "فيفصم".

[4] عن عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟" فقال رسول الله ﷺ: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه عليّ، فيفصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثّل لي الملك رجلا فيكلّمني، فأعي ما يقول." قالت عائشة: " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عرقا ". البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث: 2.

[5] في (س) و (ج) (ص) "منقطعات".

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[7] ديوان امرئ القيس، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1404هـ/ 1984م، ص 20، حيث جاء البيت في المعلقة بصيغة:

يُطيرُ الغلامَ الخِفَّ عن صهواته ... ويُلوي بأثواب العنيف المثقل.

وللفرس[1] صهوة واحدة ولكنّه جمعها مبالغة. ونفيُ نفاد الكلمات إشارة إلى القدم، وكونها مركّبة من الحروف صحيحة، ولكنّ التركيب راجع إلى العبارة التي هي مخلوقة لا إلى المعبّر عنه من الصفة ||32 القديمة. وقوله: "كن" عبارة عن سرعة تعلّق القدرة القديمة بالمقدور المعلوم على حسب الإرادة الأزليّة في إيقاعه في الحال من غير استمهال كما ذكرناه في هذا[2] الكتاب.

واعلم أنّ عامّة الحنابلة اليوم على أنّ الله تعالى متكلّم بحروف وأصوات قديمة قائمة بذاته، وهي أيضا تقوم بذات كلّ قارئ من جبريل، والنبيّ ﷺ[3]، وغيرهما من القرّاء، حتّى قالوا إنّ الواحد منّا إذا سمع القارئ آية فهو مثل سماع موسى عليه السلام الكلام من الله تعالى، وسماع محمّد ﷺ ليلة المعراج بلا فرق. وقالوا: وكلّ شيء وجد فيه القرآن مكتوبا من رقّ، وكاغد، وخشب، وجصّ فهو قديم، وكذلك كلّ ما يكتب به القرآن من حبر ومداد ينقلب قديما، وإنْ كتب به كلام مخلوق بقي على حدثه[4]. وهذا كلّه تعنّت صراح، وكلام من لا يعرف القديم من المحدث[5]، كأنّهم طلبوا بذلك تعظيم القِدَم، فزلّت بهم القَدَم إذ عزلوا حاكم العقل وهو حجّة الله على خلقه. قال الله تعالى: ﴿إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (النحل؛ 67). وكان قصاراهم التشنيع علينا بأنّكم تقولون: إنّ القرآن ليس في المصاحف، وإنّما فيها رقوم سود من حروف ونقط، وقد قال الله تعالى: ﴿إنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون﴾ (الواقعة؛ 77-78). وأجمعت السلف على أنّ ما بين الدفّتين كلام الله. فإنْ قلنا لهم: القرآن مكتوب في الصحف حقّا على معنى أن ذكره فيه، كما يقال القرية والباغ[6] في الصكّ، ضجّوا وقالوا إنّكم ادّعيتم قرآنين أحدهما في ذات الله والثاني في المصحف. فإنْ قلنا إنّهما[7] ليسا بقرآنين في الحقيقة، فإنّ القرآن واحد، وهو الصفة القديمة

---

[1] في (س) "والفرس".

[2] ورد بهامش (ص).

[3] في (ش) "صلّى الله عليهما".

[4] في (ق) "حدوثه".

[5] في (س) "الحادث".

[6] الباغ لفظ فارسي معرّب يعني "البستان" ويطلق غالبا على الحدائق المسورة التي يتوسطها بيت.

[7] كلمة إنّهما في هامش (ش).

القائمة بذاته تعالى، وإنّما سمّي ما في المصحف قرآنا على طريقة اللغة العربيّة، فإنّ القرآن عربيّ، والعرب أطلقت لفظ القرآن على المقروء والقراءة جميعا. قال بعض الشعراء:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا[1]

وقال الله تعالى: ﴿وقرآن الفجر، إنّ قرآن الفجر كان مشهودا﴾ (الإسراء؛ 78)، يعني قراءة صلاة الفجر. فعند ذلك لغوا ولغطوا ولجّوا مواجهين بالفحش والخنا، [﴿فدرهم في غمرتهم حتّى حين﴾ (المؤمنون؛ 54)، فلا علاج للداء الدفين][2].

واعلم أنّ جماعة من متحذلقي الحنابلة ادّعت أنّ لله تعالى تسعة وعشرين حرفا قديمة هي بمنزلة الصفات، وهن[3] قدسيّة أزليّة تركّب منها كلمات عند الخطاب، ثمّ ذكر بعض مشايخ بغداد قولا ونسبه إلى جعفر بن محمّد الصادق رضي الله عنهما وهو: "أنّ الحروف كانت في الأصل أحديّة نوريّة لا صورة لها في العقول، ولا للعلم والمعرفة إلى كيفيّتها سبيل. فأمّا بعد بروزها من الغيب فصحّت معرفتها، وذلك أنّ كلّ موجود ومعقول ومحسوس كانت الحروف التسعة والعشرون دلّت عليه وبانت عنه، وأصل الحروف كلّها هو[4] الألف، ومنها بدأ سائرها[5]، وهي إشارة إلى التوحيد المحض، لا صورة لها في الحسّ، بل هي موهومة في الأصل، فلمّا برز من الموهوم إلى المعقول جُعل له مثال في الرسم، فخُطّ خَطّ مستقيم منفرد له حدود ثلاثة: النقطة، والمدّة، والرفع، ||33 فأعطاك الثلاثة معنى الواحد وهذه صورتها آ، فبان لك صورة واحدة قائمة بنفسها، دالّة على نفسها[6] فقط، لا تتّصل بشيء ويتّصل بها كلّ شيء. ثمّ إذا أرادوا أنْ يخرج الألف المعقول إلى المحسوس ليعرف ذلك المعقول القائم بالنّفس ألّفوها أحرفا ثلاثة وهي هجاء

---

[1] البيت لحسان بن ثابت من قصيدة له مطلعها:

من سرّه الموت صرفا لا مزاج له ... فليأت مأسدة في دار عثمان

ديوان، تحقيق عبد أ علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية، 1414هـ/ 1994م، ص 244.

[2] في (ص) "الدقيق" وقد سقط ما بين المعقوفتين من (ع).

[3] في (ق) "وهي".

[4] ورد في هامش (ق).

[5] في (س) "بدايتنا يُرها".

[6] في (ق) على بعضها.

الألف: ألف، لام، فا، وصورتها الألف[1]، فأعطاك هذه [كذا] الثلاثة معنى الواحد في المنزلة الثانية وهي المعروفة المحسوسة، فقد عرفت الواحد بالثلاثة وكانت واحدة في الأصل ثلاثة[2] في الفرع، والواحدة هي الثلاثة إلّا أنّها فيما هي واحدة وفيما أتت ثلاثة، وهكذا حُكْم جميع المعاني البارزة من الغيب إلى عالمنا هذا. فالحروف المستخرجة عن الألف كلّها هكذا، هي عند الله أحدية سرمدية، وفيما عندنا في هذا العالم متعدّدة ذوات نهايات وبدايات. ففي[3] هذا المقام غلطت العقول فظنّ بعضهم أنّها حادثة، وادّعى آخرون أنّها قديمة، وإلّا فكيف[4] ينقلب القديم حادثا والحادث قديما ولكن ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ (النّحل؛ 76)، قالوا: وتشبيه الكليم صلوات الله عليه سماعه بصوت الشّپور، وبجرّ السلسلة إشارة إلى بروز ذلك الموهوم إلى المسموع في سمع موسى عليه السلام.

هذا غاية كلام القوم في هذه المسألة. ولم أر أحدا أنهاها[5] إلى هذا الحدّ وهو كما ترى. وإنّي لأظنّ أنّ هذا الكلام من وضع بعض المتقدّمين، وإنّما نسبوه إلى جعفر بن محمّد الصادق ترويجا له عند القوم، فاغترّ[6] به بعض الحنابلة وظنّه [حقا وهو][7] دعوى مجرّدة عن البرهان لم يدلّ عليه[8] العقل، ولا جاء به كتاب ولا سنّة، وإنّما الحروف المعهودة التي كنّا تكلّمنا على حدوثها أجراس خلقها الله تعالى في حلق[9] الإنسان وفمه وشفته.

---

[1] في (ص) "ألف".

[2] استدرك في هامش (ح).

[3] في (ق) وفي.

[4] في (س) "وكيف"

[5] في (س) "إيهاما".

[6] في (س)"فاعتز".

[7]ما بين المعقوفتين سقط من (ق).

[8] في (ق) "عليها".

[9] في (ص) أحراس" وفي (س) "خلق الله في خلق".

ذكر الجاحظ في *كتاب الحيوان*[1] أنّ الهند زعمت أنّ كثرة مخارج حروف بني آدم لكثرة كلامهم، وكثرة كلامهم لكثرة حاجاتهم وخواطرهم، ولمّا قلّت وجوه حاجات سائر الحيوانات قلّت مخارج أصواتها[2] وكانت[3] أصواتها فيما بينها[4] كلاما. "ثمّ إنّ حقيقة الحرف هيئة الصوت، والصوت اصطكاك أجرام في هواء الجوف، وهو نَفَس مستطيل يخرج من الصدر فيعرض له مقاطع في الحلق والفم والشفة، فينقطع فيها فيسمّى ذلك الصوت المنقطع حرفا، والمقطّع مخرجا. هكذا ذكره أبو الفتح ابن جنّيّ في أوّل كتابه[5] *سرّ الصناعة في التصريف*[6]. فإذا كانت الحروف كما ذكرنا منشأة[7] من هيئات الحلق والفم والشفة، كانت لا محالة مختصّة بخلقة[8] الآدمي ومن خصائصه، فهي تستدعي الجسميّة، والله سبحانه يتعالى يتقدّس[9] عن التجسيم والتركيب المختصّ بالإنسان. ثمّ جعلت الأمم لهذه الحروف أشكالا ورقوما مختلفة يعرفونها بها،

---

(1) النص كما جاء في كتاب الحيوان: "وتزعم الهند أنّ سبب ما له كثر كلام الناس واختلفت صور ألفاظهم، ومخارج كلامهم، ومقادير أصواتهم في اللّين والشّدّة، وفي المدّ والقطع، كثرة حاجاتهم. ولكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف ألفاظهم، واتّسعت على قدر اتّساع معرفتهم. قالوا: فحوائج السّنانير لا تعدو خمسة أوجه: منها صياحها إذا ضربت، ولذلك صورة. وصياحها إذا دعت أخواتها وآلافها، ولذلك صورة. وصياحها إذا دعت أولادها للطّعم، ولذلك صورة. وصياحها إذا جاعت، ولذلك صورة. فلما قلّت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات، قلّت وجوه مخارج الأصوات. وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها ". الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1384هـ/ 1965م ج 4، ص 21-22.

(2) في (ق) أصواتهم".

(3) في (ق) "أو كانت" وفي (ص) "فكانت".

(4) في (ص) "بينهما".

(5) في هامش (ش) "الموسوم".

(6) في (ش) "في علم". قال ابن جنيّ: "اعلم أنّ الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتّى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطّنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك. ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثمّ تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فإنْ انتقلت عنه راجعا منه، أو متجاوزا له، ثمّ قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول وذلك نحو الكاف، فإنّك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما، فإنْ رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإنْ جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين". سرّ صناعة الإعراب، ج 1، ص 6.

(7) في (ش) و (س) "متنشّأة"، وفي (ع) "منتشئات"

(8) في (ش) بالهامش.

(9) في (ق) و(ص) "فالله سبحانه وتعالى يتقدس" وليس في (ع) لفظ "سبحانه". وفي (ج) "تعالى وتقدس".

وهي مذكورة في المسانيد القديمة في خطوط العبرانيّين، وأهل يونان، والروم، والهند، والترك، والفرس وغيرهم. وكان الخطّ العربيّ أحسنها | |34 وأعجبها، وقد نسب إلى إسماعيل عليه السلام، وبعضهم نسبه إلى يعرب بن قحطان. هذه هي الحروف عندنا، فما أدري ما يريد الحنابلة بالحروف القديمة التّي أنزلوها منزلة صفات الله تعالى، فإنْ أثبتوا لله تعالى مخارج مركّبة مثل مخارج الآدمي فقد أبطلوا قدمه وقدم حروفه[1]، وإنْ لم يثبتوا له مخارج فالذي ظنّوه حروفا[2] وهْم وخيال.

واعلم أنّ الأئمة الكبار من علماء السلف وشيوخهم مثل أحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، وسائر أصحاب الحديث قدّس الله أرواحهم، كانوا أكبر عقلا، وأغزر علما من أنْ يخفى عليهم هذا المعنى، ولكنّهم[3] إنّما زجروا أصحابهم عن الخوض فيه وعن تعاطي علم الكلام لغموضه ودقّته، ولصعوبة استخلاص الحقّ[4] المحض من بين فرث التشبيه ودم التعطيل؛ فإنّ عامة الناس لا يتفطنون للفرق[5] بين المقروء والقراءة، فخافوا أنْ تتزلزل عليهم عقيدتهم فأمروهم بمحافظة الظاهر والإيمان به قطعا من غير بحث عن المعنى، إذ قد صحّ إيمان المؤمنين بتزكية الله في قوله: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه [والمؤمنون كل آمن بالله (وملائكته)[6] وكتبه ورسله][7]...﴾ الآية (البقرة؛ 286) ورأوا ما وراء ذلك[8] في حقّهم بدعة فقالوا لهم: "أمرّوها كما جاءت بلا كيف." وقولوا[9]: "آمنا به وصدّقنا". وهذا لعمري مصلحة عظيمة للعوامّ وأصحاب الحِرَف[10]

---

(1) في (ص) "حروفه معا".
(2) في (ع) "حرفا".
(3) سقط من (س) و (ع)
(4) في (ع) "أهل الحق".
(5) في (ع) و (ج) و (ص) "الفرق".
(6) سقطت من (ش).
(7) ما بين المعقوفتين تكملة من (ش) و(ص).
(8) بياض بـ (ع).
(9) في (س) "ونزلوا"
(10) في (س) "الحروف".

المشتغلين بصناعاتهم، ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنّما يتذكّر أولوا الألباب﴾ (الزمر؛ 9)، وهم الراسخون في العلم الذين يعلمون[1] تأويله. انتهى الكلام في مسألة الكلام.

مناجاة:

سبحان من جعل ابن عمران نبيّا، وقرّبه نجيّا، وكلّمه بالطور، وراء سرادقات النور، كلاما صمّت[2] الأصوات عنه، وانحرفت الحروف منه، وأنّا يبلغان كبرياء القدم أحدهما أو كلاهما، إذ هو الأزليّ وهما هما[3]. فيا لها من صفة جلّت وتجلّت في جلباب تعاليها، فتدكدك[4] الجبل من نور تجلّيها، وخرّ موسى صعقا[5] من حلاوة معانيها[6]؛ لا الحرف حريفها، ولا الصوت أليفها.

إلهي[7] قَرِّطْ[8] أسماعنا بحُلى[9] كلامك، ولذّذ قلوبنا بحلاوة معانيه، وعطّر أفواهنا بطيب مجاريه، واستعمل جوارحنا بامتثال أوامره ونواهيه، واجعله لنا في القيامة شافعا نافعا يا سميع يا مجيب.

---

[1] ورد في هامش (ص).

[2] في (ش) و(ص) "صمتت".

[3] في (ص) "وهما حادثان"

[4] في (ع) و (س) "فدكدك".

[5] تضمين الآية 143 من سورة الأعراف.

[6] إشارة إلى ما وقع لموسى عليه السلام حينما سأل ربّه رؤيته، (الأعراف؛ 143).

[7] في (ص) "اللهم".

[8] في (ع) و (س) "فرط".

[9] في (ح) "تجلى".

الباب السادس[1]

في خلق الله أعمال العباد [وإثبات كسبهم][2]

وفيه فصلان:

- الأول في حكاية المذاهب فيه[3]،
- والثاني: في كشف الغطاء عن وجه الكسب.

الفصل لأوّل

في حكاية المذاهب فيه

اعلم أنّ مسألة الكسب من أدقّ مسائل الأصول وأغمضها، وألباب أرباب [المعاني [الفِرَق في][4] دركها تائهة، وآرائهم فيها مضطربة، وذلك أنّ أفعال الإنس وجميع الحيوانات وحركاتهم في معاشهم[5] وتصرّفاتهم مشاهدة لا إنكار لها من أحد. ثمّ إذا راجعنا حاكم العقل لا يكاد يحكم بثبوتها ||35 حكما جليّا بحيث لا يبقي منا[6] حزازة في الصدر[7]، وذلك أنّ القضيّات العقليّة

---

[1] وهو السابع في (س) كما بيّنا سابقا.

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (ج).

[3]فيه سقطت من (ش).

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ج) وذكر مكانه "معانيها".

[5] في (ص) "ومعاشهم".

[6]من سقطت من (ق).

[7] في (ص) "حرارة في الصدور".

فيها ثلاث، وهي أنّها إمّا أنْ تكون كلّها مقدورة لله تعالى على الاستبداد، أو مقدورة للخلق على الاستبداد، أو تكون[1] مقدورة لله وللخلق معا، ولا رابع لهذه الأقسام.

أمّا[2] القسم الأوّل وهو أنْ تكون كلها مقدورة لله على الاستبداد والانفراد بحيث لا حظّ في شيء منها للعباد، فيلزم عليه أمران شنيعان:

- أحدهما استحالة تكاليف الشرع، إذ خطاب الشارع لمن لا قدرة له على الفعل كخطابه للجمادات من الشجر والنبات بالأوامر والنواهي.
- والثاني[3] يلزم عليه إنكار التفرقة الضروريّة بين حركة الرعدة الاضطراريّة، وبين حركة اليد الاختياريّة، وهذا هو مذهب الجبريّة، وحاصله[4] أنّه يقول للعبد أفعل ما أنا فاعله.

وأمّا القسم الثاني وهو أنْ تكون كلّها مقدورة للعبد على سبيل الانفراد باختراعها، فيلزم عليه أيضا أمور شنيعة:

- منها، اشتراك الباري تعالى في الخلق وقد قال الله تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه...﴾ إلى قوله: ﴿... [قل الله خالق كلّ شيء][5] وهو الواحد القهّار﴾ (الرّعد؛ 16). وأجمع السلف على قولهم لا خالق إلّا الله، قال الله: ﴿هل من خالق غير الله﴾ (فاطر؛ 3).
- ومنها أنْ يكون الربّ [تعالى][6] ممنوعا عاجزا عن بعض المخلوقات التي هي أفعال عباده، وقد قال: ﴿قل كلّ من عند الله﴾ (النّساء؛ 78).
- ومنها يلزم عليه[7] نسبة الخلق والاختراع إلى من لا علم له بمخترعه[8]، فإنّ حركات الإنسان وغيره من الحيوان لو سئل أصحابها عنها وعن أعدادها في تفاصيلها، وجملها،

---

[1] في باقي النسخ عدا (ق) "أو كانت" وفي (س) "وكانت"..

[2] في (س) "فأما".

[3] في (ع) و (س) "الثاني".

[4] سقط من (س).

[5]سقط ما بين المعقوفتين من (ق). و (س).

[6]زيادة من (ش).

[7] سقط من (ج) و (ع). وفي (س) "أن يكون الرب يلزم عليه".

[8] في (ج) "مخترعه" وفي (س) "المخترعة".

ومقاديرها، وهيئاتها، لم يكن عندهم [علم ذلك و][1]خبره. ومن جوّز هذا فقد أنسد[2] عليه[3] باب إثبات علم الله من وجه إحكام صنائعه وإتقانها، وهذا هو مذهب المعتزلة.

وأمّا القسم الثالث وهو أنْ تكون كلّها مقدورة بين قادرين، فيلزم عليه أنّ الحركة الواحدة تعلّقت بها قدرتان قديمة وحادثة[4]. وهي إذا تعلّقت بها قدرة واحدة استغنت[5] عن القدرة[6] الثانية فما فائدة هذه الثانية؟ وما متعلّقها؟ وما كيفية تعلّقها؟ ومتى تعلّقها، وهي بالقدرة الأولى كائنة موجودة؟ وحالاتها ثلاث: حالة عدم، وحالة إيجاد، وحالة وجود. وتعلّق القدرة الثانية بها في هذه الحالات الثلاث محال. ثمّ لو قدّرنا مقدورا بين قادِرَيْن حاصلا بدواعيهما[7] وإرادتيهما لوجب[8] أنّه إذا امتنع أحدهما من فعله ولم يمتنع الثاني كان الحاصل فعلا موجودا معدوما، وهو من أمحل[9] المحال. [بقي أنْ يقال إنّما يلزم المحال][10] إذا تعلّق به القدرتان من وجه واحد، أمّا إذا كان الفعل مضافا إلى قادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة فيه، وذلك أنّ[11] تعلّق قدرة القديم به[12] من وجه الإيجاد، وتعلّق القدرة الحادثة به من وجه الاكتساب، وهذا غير محال. فيقال له: لو جاز ذلك لجاز أنْ يقع الوجهان في حالتين، يعني ||36 كأن يقع الوجود بإيجاد القدرة القديمة في حالة، ويقع الحدوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية وهو محال، إذ حدوثها قد حصل بالقدرة القديمة، فكيف تعلّقت القدرة الحادثة بعد وجودها؟ ولو وقع الفعل بقدرة ممتزجة من

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ع) وترك مكانه بياض.

[2] في (ق) "فسد".

[3] سقط من (ج).

[4] في (ق) وحديثة.

[5] في (ص) "واستغنت".

[6] سقطت من (ق).

[7] في (س) "بين دواعيهما".

[8] في (س) "لرحب".

[9] في (س) " من له محل". وفي (ج) استدركت "من" فوق السطر.

[10] ما بين المعقوفتين ورد بهامش (ش).

[11] سقط من (ص).

[12] سقط من (ق) و (س)..

القديم والحادث حتّى تصلح للإيجاد[1] والاكتساب كان من أمحل[2] المحال. على أنّ الاكتساب للموجد محال، والإيجاد للمكتسب محال.

وهذا القسم مع دقّته وغموضه[3] اختيار شيخنا أبي الحسن[4]، وتابعه النّجّار[5] على اختلاف بينهما، وإنّما اختار ذلك ضرورة إذ لم يبق من الأقسام الثلاثة إلّا هذا القسم، وإنْ كان فيه دقّة وصعوبة فهو بالنسبة إلى القسمين الأوليين أسهل. قال الشاعر:

إذا لم يكن إلّا الأسنّة مركب... فلا رأي للمضطرّ إلّا ركوبها[6]

ثمّ توجّهت عليه أسئلة أظهرُها: إنْ كان للقدرة[7] الحادثة أثر في المقدور فهو شرك، وإنْ لم يكن لها أثر فتقدير وجود تلك[8] القدرة وعدمها سواء، إذ قدرة لا يقع بها المقدور كانت بمثابة العجز. ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحابه، فقال بعضهم: "لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور." فيلزمه[9] الجبر أيضا. وقال آخرون: "القدرة الحادثة لها أثر في المقدور." وهو اختيار القاضي أبي

---

(1) في (ص) "الإيجاد"

(2) في (س) " من له محل".

(3) في (ص) و(ح) و(ش) و(س) "وصعوبته".

(4) المقصود به أبو الحسن الأشعري.

(5) الحسين بن محمّد بن عبد الله البغدادي الشهير بالنجّار، أحد كبار المتكلّمين. ذكر ابن النديم أسماء تصانيفه، منها: "إثبات الرسل"، و"كتاب القضاء والقدر"، و"كتاب اللطف والتأييد"، و"كتاب الإرادة الموجبة"، وأشياء أخرى كثيرة. لم تحدد المصادر التي اطلعنا عليها سنة وفاته. ابن النديم، الفهرست، ج 1، ص، 643- 644؛ ابن الساعي، الدر الثمين، ص 351- 352؛ الذهبي، سير، ج 10، ص 554؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 4، ص 53.

(6) يعزا هذا البيت للكميت بن زيد الأسديّ، وهو من قصيدة مطلعها:

ألا لا أرى الأيّام يقضى عجيبها ... بطول ولا الأحداث تفنى خطوبها

انظر ديوان الكميت، تحقيق محمّد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، 1420هـ / 2000م، ص 71. انظر أيضا ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق يوسف عليّ الطويل، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج 3، ص 128، حيث تجده برواية "فلا رأي للمجهود " وفي الشعر والشعراء "، تحقيق أحمد محمّد شاكر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1386هـ/ 1967م، ج 2، ص 584، فلا رأي للمضطرّ "كما هو الحال هنا عند القزويني.

(7) في (ص) "للمقدرة".

(8) سقط من (س).

(9) في (ح) "فليزمه".

بكر[1]، واستدلّ بأنّ الإنسان يحسّ من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار، وهذه التفرقة لا ترجع إلى نفس الحركتين من حيث الحركة لأنّهما مثلان، بل ترجع إلى أمر زائد عليهما، وهو كون أحداهما[2] مقدورة مرادة، والثانية غير مقدورة ولا مرادة. ثمّ لا يخلو من أنّ تعلّق القدرة بأحديهما كتعلّق العلم بالمعلوم من غير تأثير فتؤدّي إلى نفي التفرقة، فإنّ نفي التأثير كنفي التعلّق فيما يرجع إلى ذاتي الحركتين. والإنسان يجد التفرقة بينهما فيهما لا[3] في أمر زائد على وجودهما، أو يكون تعلّق القدرة بأحديهما تعلّق تأثير. ثمّ لا يخلو ذلك من أمرين إمّا أنْ ترجع إلى الوجود والحدوث، وإمّا أنْ تكون راجعة إلى صفة من صفات الوجود. فالأوّل باطل لأنّه لو أثّر في الوجود لأثّر في كلّ موجود، فتعيّن أنه يرجع التأثير إلى صفة أخرى، وهي حال زائدة على الوجود مثل قادريّة القادر عند أبي هاشم[4]، فإنّها لا تؤثر إلّا في حال الوجود. فقالوا للقاضي: "أثبتت حالا مجهولة لا اسم لها ولا معنى." أجاب وقال: "بل هي معلومة بالدليل الذي ذكرت[5]، ولكن [لا يتيسّر لي][6] عبارة[7] عنها باسم خاصّ كما نثبت[8] الوجوه والاعتبارات للفعل الواحد وليس لها عبارات[9] خاصّة"[10].

---

[1] يقصد أبا بكر الباقلاني وقد سبقت ترجمته.

[2] الصواب من (ج) وفي باقي النسخ "احدهما".

[3] سقط من (ص).

[4] أبو هاشم عبد السلام بن محمّد بن عبد الوهّاب بن سلام بن خالد بن حمران الجبائيّ المعتزليّ، توفي سنة 321هـ/ 933م. ياقوت معجم الأدباء، ج 6، ص 2858-2859، ترجمة: 672 ب.

[5] في (ش) و(ص) "ذكرته".

[6] بياض مكان ما بين المعقوفتين في (ع).

[7] في (ج) "عبارة أخرى".

[8] في (ص) "يثبت".

[9] في (ق) "عبارة".

[10] الشهرستاني، نهاية الإقدام، تحقيق ألفريد جيوم، طبعة القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1430هـ/ 2009م، ص 68.

وأمّا الشيخ أبو الحسن[1]، فما أثبت للقدرة الحادثة أثرا وقال: "إنّما تعلّقها بالمقدور مثل تعلّق العلم بالمعلوم في عدم التأثير"[2]. قال: "والتفرقة ترجع إلى اعتقاد العبد[3] بتيسير الفعل له عند سلامة الآلة | |36 ووجود الاستطاعة، وكلّ ذلك من الله تعالى"[4].

قال خصومه: "نفي الأثر عن القدرة يؤدّي إلى نفي[5] حقيقة القدرة، فإنّ القدرة فارقت العلم بتأثيرها[6] في المقدور، فإذا كانت في عدم التأثير كالعلم لاكتفى الفاعل بعلمه عن القدرة". فعلى هذه القاعدة الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده.

وعند القاضي، الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة. فيقال له: هذه الحال أهي مقدورة لله [أم ليست بمقدورة؟ فإن لم تكن مقدورة لله][7] فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد، وهو مذهب المعتزلة [بعينه][8]، وإن كانت مقدورة لله فلم يبق للعبد شيء البتّة، وذلك مذهب الجبريّة بعينه، فلا فائدة في التمسّك بالحال في هذا المقام.

وقد غلا إمام الحرمين أبو المعالي إذ أثبت للقدرة الحادثة أثرا هو الوجود[9]، غير أنّه لم يثبت للعبد استقلالا بالإيجاد ما لم يستند إلى سبب آخر، ثمّ تسلسل الأسباب في سلسلة الترقّي إلى الباري تعالى المستقلّ بالإبداع[10] من غير حاجة إلى سبب.

وقال في بعض كتبه: "إنّ القدرة الحادثة مقدورة القدرة القديمة كأنّها من أثرها." وقال في *مدارك العقول*: "إنّ العبد فاعل على الحقيقة، وإنّ قدرته مؤثّرة في إيقاع الفعل ومُقدَّمَة عليه." وقال فيها

---

[1] في (ع) و (س) "أبو الحسين". وقد أردف اسمه في بعض النسخ بعبارة "رضي الله عنه".

[2] انظر التفتازاني، شرح المقاصد، تحقيق عبد الرحمن عميرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ/ 1998م، ج 4، ص 224، الذي نقل هذا الكلام ونسبه إلى إمام الحرمين.

[3] في (ش) العبد.

[4] الشهرستاني، نهاية الإقدام، ص 70.

[5] سقطت من (ش).

[6] في باقي النسخ عدا (ق) "بتأثيره".

[7] ما بين المعقوفتين سقط من (ق).

[8] سقطت من (ش) و (ع) و (س)..

[9] في (ص) "الموجود"

[10] في (ع) "بالا" وفي (س) "بها لا" عوض لفظ "بالإبداع".

أيضا: "نحن نقول بأنّ قدرتنا الحادثة تؤثّر في غير محلّها على شرط الاتصال." وقال في *النظامية*[1]: "إنّ القدرة الحادثة هي الموقعة للفعل."[2] وشبّهها بالعبد في بيع ماله بإذن سيّده[3] [في البيع][4]. فأراه كالمتردّد فيه، تارة يثبت أثرها وتارة ينفيه. هذه نهاية آراء الأَمم في هذه المسألة العويصة[5] المشكلة، فمن تأمّلها وكرّر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها فلا يتجازف فيها[6].

---

[1] في باقي النسخ عذا (ق) "النظامي".

[2] الجويني، العقيدة النظامية في العقيدة الإسلامية، تحقيق محمّد زاهد الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 1412هـ/ 1992م، ص 42 وما بعدها.

[3] الجويني، العقيدة النظامية، ص 48-49. وفي (س) "وقال النظامي".

[4] ما بين المعقوفتين سقط من (ق).

[5] في (ص) "الصويصة".

[6] في (ق) فلا يتجاوز فيها.

الفصل الثاني
في كشف الغطاء عن وجه الكسب

اعلم أنّ القضاء والقدر عبارتان عن علم الله تعالى في الأزل بما سيكون، وحكمه الحتم[1] في كلّ شيء من الجمادات والحيوانات، إلّا أنّ أحكامه تجري على الجمادات جبرا مثل خلق الحركة في الأشجار، والإحراق في النار. وعلى الحيوانات كذلك[2] تجري أحكامه جبرا، غير أنّ الحيوان لمّا أعطي الحياة، والحياة شرط القدرة والإرادة والعلم وغيرها، فكان الله سبحانه إذا قضى أمرا لحيوان وخلق فيه فعلا، اشتبه على العقول أنّ ذلك من قدرة هذا الحيوان أو من قدرة الله تعالى، فوقع الخلاف في ذلك بين الأمم. والحقّ الصراح[3] أنّ قضاياه تعمّ الخلق كلّهم، والقدر خيره وشرّه من الله، وكلّ من عند الله، والله خالق كلّ شيء، وبيده ملكوت كلّ شيء، خالق كلّ صانع وصنعته. ولكنّه لمّا رشّح الإنسان للآخرة وأكرمه بالعقل والفهم، وأقامه في معرض التكليف بأوامره ونواهيه، واستدعى منه الأعمال المنجيات، | |38 وحذّره من الأعمال المهلكات، أعطاه مزية[4] قوّة على سائر الحيوانات، وهي القوّة التي حمل بها الأمانة [المعروضة][5] على الأرض والسماوات، في قوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ (الأحزاب؛ 72). فالأقضية تجري على الجمادات جبرا محضا، وعلى الحيوانات تسخيرا بحتا[6]، وعلى الإنسان مقارنة بقدرة[1] حادثة ضعيفة. ولعلّ قوله

---

[1] في (ع) و (س) "الختم".

[2] في (س) "وكذلك".

[3] في (س) و (ج) "الصراخ".

[4] في (ق) "مزيد".

[5] زيادة من (ش)

[6] في (ج) "تحنا".

تعالى: ﴿ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب؛ 72) إشارة إلى عظم الحِمْل، وضعف الحامل، فصارت تلك القوّة الضعيفة الحادثة مناطا للتكاليف كلّها. وبيانه أنّ الله تعالى إذا أراد أنْ يحرّك يد إنسان بقدرته خلق له معها قدرة حادثة مقارنة لتعلّق القدرة القديمة به، فأقدر الإنسان على تحريك يده. فالله هو القادر حقّا والمقدّر خلقا، والإنسان عاجز حقّا ومختار جبرا.

وأزيد في البيان فأقول: إنّ الإنسان إذا أراد أمرا[2] من حركة يد وغيرها، يصحّ له أن يقول: "إنْ شئْت حرّكت يدي وإنْ شئت لا أحرّكها." ولكنّه إذا عنّت له مشيئة تحريك اليد لا يصحّ له أنْ يقول: "إنْ شئت أشاء تحريك يدي، وإنْ شئت لا أشاء تحريكها"، لأنّ المشيئة ليست إليه، إذ لو كانت المشيئة إليه لافتقرت تلك المشيئة إلى مشيئة أخرى وتسلسل القول فيها إلى غير نهاية. قال الله تعالى: ﴿وما تشاءون إلّا أن يشاء الله﴾ (التّكوير؛ 29). ولكنّ الله إذا ألقى في قلب عبد مشيئة أمرٍ جبرا يخلق له قدرة تباشر ذلك الأمر، ويخترع جلّ جلاله ذلك الأمر [بقدرته القديمة فلا تتعلّق قدرة العبد][3] بذلك[4] إلا عند قدرته القديمة الموقعة للفعل، وهو معنى قولنا: اختيار العبد بين طرفي الجبر، لأنّ أوّل[5] الفعل وآخره إلى الله تعالى، فإنّه أجرى العادة بأنْ يخلق عقيب مشيئة العبد قدرة له، وعقيب قدرته إيقاع الفعل من حركة اليد وغيرها، وجعل هذه الأشياء أسبابا[6] مرتبا بعضها على بعض على طريق الشروط لا على طريق الإيجاب والتولّد، خلافا للفلاسفة والمعتزلة، وهذه مزلّة الأقدام فتنبّه[7] لها.

فعلى هذا إنّك إذا وقفت النظر رأيت مشيئة العبد بمشيئة الله جبرا، ورأيت قدرة العبد مسخّرة لمشيئته، أعني مشيئة العبد، ورأيت حركة اليد مسخّرة لقدرته، وكلّها للعبد ضروريّات ليس له أن يدفعها عن نفسه. فلا يحصل العبد من جميع ذلك إلّا على وجدان تفرقة بين حركتي الرعشة

---

[1]في (ق) لقدرة.

[2]في (ق) شيئا.

[3]ما بين المعقوفتين ليس في (ش).

[4] سقط من (ق).

[5] جاءت هذ الكلمة في هامش (ش).

[6] سقطت من (ش).

[7] في (ص) "فثبته".

والقصد عند خلق الله تعالى فعلا في محلّ قدرته، وهو الاختيار الذي نسمّيه كسبا بكتاب الله تعالى: ﴿جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ (التّوبة؛ 82). فالعبد إذاً مجبور في عين الاختيار إذ هو مجبور على الاختيار. ولذلك لمّا سئل بعض الحكماء عن حدّ الإنسان فقال: "حيوان مضطرّ | |39 في صورة مختار"[1]. وقال بعضهم: "الإنسان مطلق في الظاهر مقيّد في الباطن". وقيل: "[مجبر في خلقه][2] مخيّر في فعله". وقال النبيّ ﷺ "اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له"[3]. وقال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ (الصّافّات؛ 96)".

فإن قيل: فبيّن هذا الاختيار وما هو؟

فالجواب: أنّا إذا فحصنا عن حقيقة هذا الاختيار كنّا نتأمّل في مشيئة العبد فنراها جبرا، ثمّ نتأمّل في قدرته فنراها مسخّرة لمشيئته ضرورة، ونرى حركة اليد مسخّرة للقدرة القديمة. [4] ثمّ تأمّلنا الحركة والقدرة والمشيئة جميعا فرأينا[5] كلّها مسخّرات للقدرة القديمة، فإنّ العبد بإقدار الله إيّاه قد قدر فصار مجبورا على القدرة، وقادرا في عين الجبر. فعلى هذا قد وُجِد في العبد سبب الاضطرار وسبب الاختيار، فسبب اضطراره عجزه عن ردّ خاطره الداعي إلى حركة اليد، وهو الذي عبّرنا عنه بالمشيئة، وسبب اختياره وجدان الفرق بين حركة الرعشة وحركة القصد، وهو باعتبار هذين السببين تارة[6] ينسب الفعل إليه، وتارة يسلب الفعل عنه كما قال تعالى: ﴿فلم

[1] عزاه الشهرزوري في نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، لرسول أرسطو للإسكندر، ورقة 54/ظ (مخطوط مكتبة ليدن) ومن أراد الاطلاع عليه وجده تحت الرابط التالي:
https://archive.org/details/alturki22_gmail_20181212_0725/page/n4/mode/1up
ومنهم من عزاه لبن سينا، وبعضهم للرازي وهو في تفسيره دون عزو.

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[3] البخاري، صحيح، كتاب التفسير، باب ﴿فأما من أعطى واتقى﴾، حديث: 4661، وباب ﴿فسنسيره لليسرى﴾، حديث: 4663، وباب ﴿وكذب بالحسنى﴾، حديث: 4665، وباب ﴿فسنسيره للعسرى﴾، حديث: 4666، كتاب الأدب، باب الرجل ينكت الشيء بيده في الأرض، حديث: 5863، كتاب القدر، باب ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾، حديث: 2316، كتب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾، حديث: 7113.

[4] سقطت من (ش) و(ص).

[5] في (ق) "فرأيناها".

[6] سقط من (ج).

تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم، وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى﴾ (الأنفال؛ 17)، وقال: ﴿قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم﴾ (التّوبة؛ 14)، وقال: ﴿واصبر، وما صبرك إلّا بالله﴾ (النّحل؛ 127). وذلك مثل ما ينسب الفعل إلى السبب الأقرب تارة وإلى السبب الأبعد أخرى. فالأقرب كقولهم قطع السيف يد فلان، والأبعد قطع الأمير يد فلان، ونظيره قوله تعالى: ﴿قل يتوفّاكم ملك الموت﴾ (السجدة؛ 11)، وفي موضع: ﴿الله يتوفّى الأنفس حين موتها﴾ (الزمر؛ 42).

قال ابن نُباتة [(1)]:

إذا ما الإله قضى أمره... فأنت لما قد قضاه السّبب[(2)]

وعلى هذه القضية، من زعم أن لا عمل[(3)] للعبد أصلا فقد عاند وجحد، ومن زعم أنّه مستبدّ بالعمل فقد أشرك وابتدع[(4)]، وذلك لأنّ الربّ لا يخلق له[(5)] القدرة إلّا ويخلق ذات المقدور مع قدرته كوجود الشرط مع المشروط. ولذلك يجد المكتسب في نفسه اختيارا، فإنّه إذا همّ بأمر صادف من نفسه قدرة عليه وسهولة تأتّيه له، وذلك مورد التكليف. فظهر من تضاعيف هذا الكلام أنّ العبد بين[(6)] طرفي الاضطرار[(7)] مضطرّ على الاختيار، وظهر منه سبب اختلاف الأئمّة في إثبات أثر القدرة ونفيه، فإنّ من نفاه نظر إلى سياقة حكم الله وقضائه أوّلا وآخرا، ولم ينظر إلى السبب المتوسط الذي هو قدرة العبد، إذ فائدتها شيء آخر دون الاختراع، وأجراها مجرى القِدْر في

---

(1) ابن نُباتة السعدي الشاعر، أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي التميمي، ولد ومات ببغداد (327-405هـ/ 941-1014م) معظم شعره جيّد، له ديوان شعر وأكثر شعره في مختارات محمود سامي البارودي. انظر الذهبي، سير، ج 17، ص 234-235؛ كحالة، *معجم المؤلّفين*، ج 5، ص 255.

(2) هذا البيت من قصيدة مطلعها:

تذكرت مصلتة كالقضب ... على صهوات القلاص النجب

الديوان، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، بغداد، دار الحريّة، 1397هـ/ 1977م، ج 1، ص 534، بيت رقم 38؛ البارودي، *مختارات البارودي*، تحقيق السيد إبراهيم محمّد وآخرون، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1413هـ/ 1992م، ج 2، ص301.

(3) في (س) "أن الأعمال".

(4) سقط من (ص) و (ع) و(س).

(5) سقطت من (ش).

(6) سقط من (ص).

(7) في (ق)الاضطرار والاختيار".

إحماء جرم[1] الماء، وجعل قدرة الله مثال النار[2] ||40 المُحميّة لما في القِدْر، ولا أثر للقِدْر في إحماء الماء أصلا، وإنّما فائدتها حمل الماء فقط. وفي قوله تعالى: ﴿وحملها الإنسان﴾ (الأحزاب؛ 72) إيماء إلى هذا المعنى.

ولأهل النحو مسألة الابتداء والخبر على هذه الصيغة، فإنّهم قالوا الابتداء يعمل في المبتدأ، ثمّ هو بواسطة المبتدأ عامل في الخبر تشبيها بإحماء النار جرم القِدْر والماء معا[3]. وأمّا[4] من أثبت للقدرة[5] الحادثة أثرا في الفعل فإنّه نظر إلى عين القدرة الحادثة فوجدها سببا لاختيار العبد، فشبّهها بصفاء الزجاج المؤدّي لإشراق نور المصباح على[6] الحائط، ورأى للنور[7] الواقع على[8] الحائط مزيّة[9] حاله كحال نور السراج، فجعل تلك الحالة أثرا للسبب الذي هو صفاء الزجاجة، فكأنّه نظر إلى قول الله تعالى: ﴿المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنّها كوكب درّيّ﴾ (النّور؛ 35). وهذان المثالان إنّما أوردناهما [تقريبا][10] للإفهام فافهم.

سئل بعض الكبراء عن هذا المعنى فأنشد قول الشاعر:

لله من قدرته خاتم ... تجري المقادير على نقشه [11]

---

[1] سقط من (ش) و(ص) و (ع) و (س).

[2] في (س) "الماء".

[3] في (ش) جميعا.

[4] سقط من (ج).

[5] في (س) "القدرة".

[6] في (ق) "على".

[7] في (ق) النور.

[8] في (س) "إلى".

[9] في (ق) بلا مزيّة.

[10] سقط من (ش).

[11] في (س) "نفسه". ذكر الإتليدي هذا البيت ولم ينسبه في كتابه: إعلام الناس بما وقع للبرامكة، بيروت، دار صادر، 1410هـ/ 1990م، ص 435.وقد جاء مرفقا بهذه الأبيات:

لا تنبشنّ الشرّ تُبلى بـــــه ... واحذر على نفسك من نَبْشه

مصارع الدهر لها سطـــوة ... تُنزل السلطان عن عرشــــه

إذا طغى الكبش بلحم الكلا ... أدرج رأس الكبش في كرشه

وفي ضمن هذا البيت عجائب مِن كشف غموض هذه المسألة فأعرضنا خوف التطويل، وهي بادية للمتوسّمين.

هذا وقد ضربت الأئمة للقضاء والقدر واختيار العبد أمثلة محسوسة لظهور المعنى في الأفهام. فمنها: أنّ تصريف الله الإنسان وتصرّفه الذي هو اختياره كالفارس الحاذق يركب الفرس لغرض له، فهو يغمزه[1] بفخذه برسم الحركات التي يريدها منه من السرعة، والإبطاء، والتصويب، والتصعيد، والاستواء، والانعراج، ثمّ بعنانه يقدر تلك الحركات منه حتّى لا يكون فيها إفراط ولا تفريط. فالغمز كالقضاء، وتصريف عنانه كالقدر، ورفع قوائم الفرس ووضعها على حكم الفارس من[2] الغمز وصرف العنان كالاختيار.

ومنها: القدر كتقدير النقاش الصورة في ذهنه، والقضاء كرسمه تلك الصورة لتلميذه بالأسرب، ووضع التلميذ الأصباغ[3] عليها متّبعا لرسم الأستاذ هو الكسب والاختيار، والتلميذ في اختياره لا [يخرج عن رسم الأستاذ كذلك العبد في اختياره][4] لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر، ولكنّه متردّد بينهما.

ومنها: مثال نسبة المقدور الواحد إلى قادرين مختلفين، كحانوت يملكه زيد ويسكنه عمرو، فيقال: هذا[5] حانوت زيد وهذا حانوت عمرو. وينسب إلى زيد من جهة التملّك[6]، وإلى عمرو من جهة السكنى، وسكنى عمرو مقدرة بتقدير زيد.

ومنها: مثال في النحو وهو قولهم "زيد أبوه قائم"، زيد ابتداء أوّل وأبوه ابتداء ثان، وقائم خبر الابتداء الثاني، والابتداء الثاني مع خبره خبر[7] للابتداء الأوّل. كذلك قولنا "الله عبده قائم"، الله

إذا بغى المرء على جنســـه ... لا بدّ أن يُنْكَب في فَرشـــه

[1] في (ص) " نعمره" وفي (س) "يغمضه".

[2] في (ص) "بين".

[3] في (س) "بالأصباغ".

[4] ما بين المعقوفتين مستدرك من (ش).

[5] في (س) "هو".

[6] في (س) "التمليك".

[7] سقط من (س).

فاعل وعبده فاعل، || 41 ثمّ العبد وفعله فعل الله سبحانه، كما قال: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ (الصافات؛ 96).

واعلم أنّ بعض الأئمّة الكبار أمسك عن النظر في هذه المسألة لقول النبيّ ﷺ: "إذا ذكر القدر فأمسكوا."[1] وقوله: "القدر سرّ الله فلا تخوضوا فيه." وقول الصادق: "الناظر في القدر كالناظر في عين [2] الشمس كلّما ازداد نظرا ازداد حيرة". [3] وعدّوا هذه المسألة من التعبّدات التي لا يعقل معناها كمناسك الحجّ، ومقادير الشرائع، وشبّهوها بما نراه [4] من عجائب الأشياء وخواصّها التي تتقاعس العقول عن دركها، مثل فزع [5] معضوض الكلب [6] من الماء، وموت مجروح النمر بنثر الفارِ الترابَ عليه من الغماء، ومثل جذب المغناطيس[7] الحديد، وقلع الزمرد[8] عين الأفعى، ومحاكاة الصّوَر في المرآة ونحوها[9]، فإن علم هذه الأشياء عند الله، وقد قال: ﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾ (الإسراء؛ 85).

مناجاة[10]:

سبحان من مدّ من قدرته فيك ظلّا ظليلا، ثمّ جعل شمس قدرتك عليه دليلا، ثمّ قبضه إليه قبضا يسيرا [1]، وكان[2] بالحقيقة لظلّه مادّاً ولشمسك مديرا[3]، وعلى كلّ شيء قديرا. لقد أدارك يا إنسان

---

[1] قال النبي ﷺ: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا". أبو نعيم، الحلية، ج 4، ص 108؛ ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله، باب العبارة عن علم حدود الديانات ...، ج 1، ص 795، رقم: 1481؛ وانظر أيضا رواية ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 49، ص 40.

[2] وردت هذه الكلمة في هامش (ش).

[3] ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء، ج 2، ص 945، أثر: 1806.

[4] في (ق) رأوه.

[5] سقطت من (ق).

[6] تكررت هذه الكلمة مرّتين في النسختين.

[7] في (ص) و (س)"المقناطيس"

[8] في (ص) "الرمرذ".

[9] ورد بهامش (ص).

[10] في (ج) "المناجات"

(4) بصولجان القدر في ميدان القهر بحوله وقوّته، فتدور وأنت مقدور في ممرّك إلى مقرّك. افتُراك بقدرتك لشخصك مديرا؟ بل كان أمر الله قدرا مقدورا.

إلهنا لا تكلّفنا فوق طاقتنا [وقد علمت(5) أن طاقتنا فاقتنا إليك،](6) وأنّ قدرتنا طوع قدرتك، ومشيئتنا رهن مشيئتك، فإنّا لك وبك(7) في الظاهر مختارون، متحمّلون لأوامرك وزواجرك، وفي الباطن مجبورون لجبر جبروتك. قدرتنا قطرة في بحار قدرتك فغمرتها، ومشيئتنا لمعة في شموس مشيئتك فسترتها.

إلهنا عبادك يتردّدون في مقادك(8)، وعُبَّادك يتعبّدون بلطف أمدادك، ﴿إن تعذّبهم فإنّهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم﴾ (المائدة؛118).

---

(1)تضمين للآية: ﴿ثمّ يقبضه إليه قبضا يسيرا﴾ (الفرقان؛ 43).

(2) في (ش) إذ كان.

(3) في (س) "مديرا" وفي (ع)" مدبّرا"

(4) في (ق) "لقد أدراك إنسان".

(5) في (ص) "علمنا".

(6)سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

(7) سقطت من (ق).

(8) في (ش) و (ص) "مقادك".

الباب السابع
في إثبات[1] حدث العالم على الاختصار، ونفي العلّة في خلقه

اعلم أنّ المعلومات قد انحصرت في العقول السليمة في ثلاثة أقسام: واجب، ومستحيل، وممكن. فالواجب ما هو ضروريّ الوجود، وتقدير عدمه محال. والمستحيل ما هو ضروريّ العدم، وتقدير وجوده محال. والممكن ما لا ضرورة في وجوده ولا عدمه[2]، بل استوى طرفاه وجودا وعدما، فجاز أنْ يوجد وجاز أنْ لا يوجد. وهذا العالم بما فيه من الجواهر والأعراض القائمة بها هو كشخص واحد، ولا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة. فنتيقّن[3] أنّه ليس بواجب ضروريّ الوجود[4] لأنّا نراه متغيّر ||42 الأحوال عيانا بحيث لا يتمارى[5] فيه. والواجب الضروريّ الوجود لا يتغيّر البتّة لوجوب وجوده، وليس هو أيضا مستحيل ضروريّ العدم بمشاهدة[6] وجوده، فتعيّن حسّا[7] أنّه ممكن الوجود، متساوي الطرفين في جواز الوجود وجواز العدم، وهو الحادث لا محالة. ونقتصر على هذه النكتة، فقد دوّن العلماء دلائل حدث[8] العالم في كتب كثيرة لا مزيد عليها. ثمّ إذا تخصّص جانب الوجود عن جانب العدم الجائز كان مفتقرا

[1] كتبت "إثبات" فوق "حدوث" في (ج) وليس "حدث" كما في باقي النسخ.

[2] في (س) " وجوده وعدمه".

[3] في (ص) "فيتقن" وفي (ق) و (ج) "فيتيقن"..

[4] وردت كلمة الوجود في (ش) بالهامش.

[5] في (ش) و (س) "نتمارى".

[6] في (ص) و (ع) و (س) "لمشاهدة"

[7] في (ش) وجوده حسا فتعيّن؛ وسقط "حسا" من (ص).

[8] في (ج) "حدوث".

إلى مخصّص[1] يخصّص الوجود بعد العدم، وذلك المخصّص لا يمكن[2] أنْ يكون من هذه الأقسام الثلاثة إلّا واجب الوجود بنفسه، إذ لو قدّر ممكنا لاستحال ذلك بالتسلسل، ولو قدّر مستحيلا ضروريّ العدم لم يكن له فعل البتّة. فلم يبق من الأقسام إلّا الواجب، فيجب أنْ يكون هذا الواجب هو المخصّص الموجد للعالم. فنتخيّل[3] من مجموع هذا الكلام حدوث العالم، وقدم موجده القادر على الإيجاد، الواجب الوجود، القديم ليس كمثله شيء. وقد صدّرنا الكتاب ببيان توحيده [ما يكفي][4] فلنقتصر على هذه النكتة.

فإنْ قيل: بل هو ضروريّ الوجود لأنّ الإرادة قديمة، وهي الموجبة عندكم لوجود العالم[5]، وتأخّر الموجَب عن[6] الموجِب محال.

قلنا: إنّما وجد [العالم متى وجد][7] على الوصف الذي وجد بالإرادة القديمة، وحقيقة الإرادة تخصيص الشيء عن مثله، وإلّا لوقع الاكتفاء بالقدرة. فمن قال لِمَ اختصّ بوقت دون وقت كان كمن قال لِمَ صارت الإرادة إرادة.

فإن قيل: قد جاء في الحديث: "كان الله ولا شيء معه ثمّ خلق الخلق".[8] فالمدّة التي بين كينونته[1] إلى خلق العالم متناهية أم غير متناهية؟ فإنْ كانت متناهية فقد ثبتت أوّليّته فلا يكون قديما، وإنْ لم تكن متناهية لم يتحقّق أوّليّة العالم.

---

[1] في (س) "المخصص".

[2] في (ع) و (س) "لا يمكنه".

[3] في جميع عدا (ص) تفتقد هذه اللفظة في بعض الأحيان إلى التنقيط سواء اعلق الأمر بالتاءات أم بغيرها.

[4] سقط من (ص) و(ق).

[5] في (ص) زيادة جملة "بالإرادة القديمة، وحقيقة الإرادة تخصيص الشيء عن مثله" والظاهر أن الأمر اختلط على الناسخ فلم يتنبه لهذه الزيادة.

[6] في (ج) "على".

[7] ما بين المعقوفتين سقط من (ش).

[8] أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم: 3019 بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كلّ شيء، وخلق السماوات والأرض." وفي صحيح البخاري أيضا في كتاب التوحيد، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ﴿وهو رب العرش العظيم﴾، حديث رقم: 6982، بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كلّ شيء".

الجواب أنّ هذا السؤال مصدره الوهم والخيال، وهو في نفسه محال لأنّ وجود ما لا يقبل الزمان لم يجز عليه التقدّم والتأخّر والمعيّة الزمانيّة، وذلك لأنّ المدّة تقدّمها وتأخّرها ومعيّتها[2] مشروطة[3] بشرط الزمان، ولا صباح عند ربّك ولا مساء، فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط. وبيانه أنّ وجود الزمان موقوف على وجود الدور[4] السماويّ، وقد قال تعالى: ﴿والشمس والقمر دائبين﴾ (إبراهيم؛ 33)؛ وقال: ﴿والشمس تجري لمستقرّ لها﴾ (يس؛ 38). ووجود دور الفلك بكواكبها[5] موقوف على وجود الحركة، ووجود الحركة موقوف على وجود الجسم، وما لم يتحقّق وجود جسم لم يتحقّق وجود حركة، وما لم يتحقّق وجود حركة لم يتحقّق وجود مكان ولا تقدير مكان؛ فكذلك ما لم يكن جسم متحيّز لم يتحقّق زمان ولا تقدير زمان.

فقولهم المدّة بينهما متناهية [أم غير متناهية][6] لغو[7]، ولفظ المدّة ههنا غلط وسهو لما ذكرناه من استحالة تقدير الزمانيّة مع وجود الباري تعالى في الأزل. والنكتة فيه أنّ سبيل الفكر من المتناهي إلى المتناهي متناه، [وسبيله من المتناهي إلى غير المتناهي غير متناه][8] وهذه مرتبة شريفة عقليّة | |43 لا يبلغ الوهم إليها لأنّ مطار [9] الوهم ومألفه أفق الأجسام المحصورة تحت الأزمنة، فإذا ارتفع عنه تاه وضلّ.

فإذا عرفت هذا فاعلم أنّ السؤال عن علّة الخلق والغرض فيه محال أيضا، فلا يصحّ أنْ يقال لِمَ خلق الله الخلق؟ ولأيّ علّة خلقه؟ وأيّ غرض له في الخلق؟ بل الحقّ أنّه تعالى خلق العالم بما فيه لا لعلّة حاملة[10] له على خلقه، أو لغرض له في ذلك، سواء كان ذلك الغرض نافعا له أو دافعا

---

(1) في (س) "كينونية".

(2) في (س) "ومثيتها".

(3) في (ش) "إما مشروطة".

(4) في (ق) "دور".

(5) في (ص) "بكواكبه".

(6) سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

(7) في (س) "اخر".

(8) ما بين المعقوفتين ورد بهامش (ش).

(9) في (ق) مظان.

(10) في (س) "حاصلة".

عنه، إذ ذاته لا تقبل النفع والضرّ، فلا يجوز أنْ يبعثه على الخلق باعث البتّة، بل علّة كلّ شيء صُنعُه ولا علّة لصنعه. ومعناه نفي[1] العلّة عنه مطلقا لأنّه منزّه عن جلب نفع إلى نفسه ودفع ضرّ عنها. قال الإمام [2] أبو المعالي [الجويني رحمه الله][3]: "لو قلت: فِعلُ اللهِ تعالى بالإضافة إلى نفسه لا يسمّى خيرا ولا شرّا لصدقت، فإنّه تعالى إنّما يفعل الخير والشرّ منفعة أو مضرّة لغيره فتسمّى أفعاله منافع، ومضارّ[4]، وخيرات، وشرورا بالإضافة إلى الخلق، وهو يتعالى ويتقدّس عن الانتفاع بها والضرّر منها. والدليل عليه أنّه لو خلق الخلق لغرض لكان مفتقرا إلى ذلك الغرض، والافتقار[5] إعواز[6] الشيء، وذلك في نفسه نقص، ومن كان منقوصا كان منحطّا عن رتبة [الإلهيّة والخالقيّة، فلا يتأتّى منه الخلق. فكيف خلق الخلق بلا أهليّة الخالقيّة] [7] والإلهيّة؟ ولمّا خلق دلّ على أنّه خلقهم من غير علّة حاملة له على الخلق، ولا حاجة وغرض ومنفعة".

وعند المعتزلة أنّ الله تعالى خلق الخلق لحكمة، فإنّ الفعل من غير غرض عبث وسفه. قالوا: والدليل عليه إظهار الآيات الدالّة في العالم على الوحدانيّة[8] لقوله تعالى: ﴿خلق الله السماوات والأرض بالحقّ [لتجزى كلّ نفس بما كسبت][9]﴾ (الجاثية؛ 22) " وقال بعضهم خلقهم ليعبدوه لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾ (الذّاريات؛ 56). وقيل ليعلموا بصنعه أنّ لهم صانعا. قال ابن عبّاس: "إلّا ليعبدون أي ليعرفون." [10] تصديقه: ﴿الله الذي خلق سبع

---

[1] في (ص) "ففي".

[2]سقطت من (ق).

[3] سقط من (س)، وفي (ص) "رضي الله عنه".

[4] في (س) "أو مضار".

[5] في (س) "والاقصار".

[6] في (س) "إعواض".

[7]ما بين المعقوفتين ورد بهامش (ش).

[8] في (ع) "على الوجه" وبعدها فراغ يدل على أن الناسخ لم يتمكن من فك رموز النسخة التي كان ينقل عنها..

[9] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[10]تجد هذا الأثر عند أبي بكر الدينوري المالكي في كتابه المجالسة وجواهر العلم، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن، أمّ الحصم (البحرين) دار ابن حزم، 1419هـ/ 1998م، ج 2، ص 93، رقم الأثر: 225، و ج 8، ص 122، رقم: 3442.

سماوات ومن الأرض مثلهنّ...﴾ [إلى قوله: ﴿ليعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير...﴾][1] الآية (الطّلاق؛ 12)". والظاهر عندي أنّ اللام في الآيتين لام العاقبة كقوله: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا﴾ (القصص؛ 8). وقال قوم: "خلق الخلق لجوده[2] وكرمه ورحمته." كما قال: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ (القصص؛ 37) فإنّ بإفاضة الجود على المجود عليه يظهر جوده، كما أنّ بإظهار المقدور يظهر قدرته. وقال النبيّ ﷺ: "لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ويدخلهم الجنّة". [3] وقيل خلق لعلمه[4] السابق بأنّه يخلقهم، والعلم لا ينقلب جهلا[5]، وهذا هو الخاطر الذي خطر لداود [النبيّ] [6] عليه السلام حيث قال: "أي ربّ لم | |44 خلقت الخلق؟ فقال تعالى: "كنت كنزا مخفيّا أو خفيّا فأحببت أنْ أعرف فخلقت الخلق"[7]. وذلك المعنى الذي اقتضى إحداث الخلق هو الذي كنّى عنه بقوله: "أحببت أنْ أعرف".

وقد تحيّر أكياس الناس في ذلك. قالت المشايخ: الحقيقة فيه أنّ صفة الجلال والجمال تستدعي أنْ يعرف، ويعبد، ويحبّ، ويذكر لذاتها لا لينجبر بذلك نقص، أو ينتفع هو بمعرفتهم[8] وعبادتهم، بل الجلال لنفسه مرهوب، والجمال لذاته محبوب، والكمال لنفسه مطلوب، ولم يتحقّق راهب، ومحبّ، وطالب، وعابد في الأزل إلّا بتكوينه، فخَلَقَ الخلق وكوّنهم وهداهم حتّى عرفوه،

---

(1) ما بين المعقوفتين ليس في (س).

(2) في (ص) "لوجوده".

(3)رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه، وأوّله: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا..." الحديث؛ ورواه مسلم أيضا عن أبي أيّوب رفعه بلفظ: "لولا أنّكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم." وفي لفظ له: "لو أنّكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لجاء بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم " صحيح، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار، حديث: 2748 و 2749.

(4) في (س) "بعلمه".

(5) في (س) "الجهل".

(6) زيادة من (ش).

(7) وفي رواية أخرى: "كنت كنزا لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقا، فعرفتهم بي فعرفوني." وفي لفظ: "فتعرفت إليهم فبي عرفوني." انظر ما قاله العجلوني في كتابه *كشف الخفا*، ج 2، ص 132، حديث: 2016.

(8) في (س) "معرفتهم".

وأحبّوه، وعبدوه، وذكروه. فهذا معنى قوله: "فأحببت أنْ أعرف". وحقيقته ترجع إلى الإرادة، وحقيقة الإرادة تخصيص المعلوم المعدوم(1) الممكن بالوجود فاعلم.

فإن قيل: هذا الجلال والجمال لم يزل صفته، فهلّا خلق الخلق في الأزل؟ الجواب أنّ تقدير الخلق في الأزل محال لأنّ الخلق ما له أوّل، والأزل لا أوّل له. وكذلك [تقدير](2) القبل والبعد هناك مستحيل لعدم الزمان وتقديره في الأزل.

وذكر الإمام أبو القاسم الأنصاري(3) في كتاب "*الغنية*" أنّ بعض الحكماء(4) سئل: "لم خلق الخلق ومن خلقهم؟" فأجاب بأنّه خلقهم واحد لم يزل، دائم كما لم يزل، غير متناه ولا متغيّر، وخلق لحكمة كاملة، لتدبير لم يطلع عليه أحد من خلقه، وأظنّ أنّه كما خلقه هكذا يبطله." قال: وسئل آخر: لِمَ أحدث العالم؟(5) فقال: "لِمَ غير جائزة عليه(6) لأنّ "لِمَ" يقتضي علّة، والعلّة(7) محمولة فيما هي علّة له من معلّ فوقه ولا معلّ(8) فوقه، وليس بمركب فيحتمل ذاته العلل، [فلفظ لِمَ عنه منفيّ(9)، وإنّما فعل ما فعل لجوده(10)." قيل: "فهلّا فعل في الأزل](11) فإنّه لم يزل جوادا؟" قال: "معنى لم يزل لا أوّل له، والفعل يقتضي أوّلا، واجتماع أنْ يكون ما لا أوّل له وذو أوّل في القول والذات متناقض." قيل: فهل يبطل هذا العالم؟" قال: "نعم يبطله." قيل: "فإذا أبطله بطل الجود"(12).

---

(1) في (ص) "المقدور".

(2) ما بين المعقوفتين سقط من (ق).

(3)سبقت ترجمته.

(4)في الغنية تصريح باسم الحكيم وهو أفلاطون، انظر أبو القاسم النيسابوري، الغنية في الكلام، (قسم الإلهيات)، تحقيق مصطفى حسين عبد الهادي، القاهرة، دار السلام، 1431هـ/ 2010م، ج 1، ص 323.

(5) ورد السؤال في الغنية بهذه الصيغة: "وسئل أرسطاليس فقيل: "إذا كان لم يزل ولا شيء غيره ثم أحدث العالم، فلم أحدثه؟" الغنية، ج 1، ص 323.

(6) سقط من (س).

(7) في الغنية: العلل.

(8) في الغنية ولا علّة فوقه.

(9) في (س) "نفي".

(10) في (ص) "لوجوده".

(11)ما بين المعقوفتين ورد بهامش (ش).

(12) في (ص) "الوجود".

قال: "لا، ولكنّه ليصوغه الصيغة التي لا تقبل الفساد وذلك غاية الجود[1]"[2]. [وهذه النكتة إشارة إلى المعاد والحياة الأبدية فتأمّلها][3].

مناجاة:

سبحانك اللّهم يا فردا في ديموميّة[4] الأزل، موصوفا بالصفات العلى لم يزل، لقد زخرت بحار جودك الموّاجة، ورمت جوهرة إلى الظهور مجّاجة، [5] فخلقت الكون منها لا لحاجة[6]، بل لإظهار قدرتك الأزليّة، وإعلان ربوبيّتك الخفيّة[7]، فأبدعت عالما بلا علّة وغرض[8]، مركبا من جوهر وعرض، فالجوهر جهر بعد خفائه، والعرض عرض له بعد انتفائه، متعانقين متلاصقين، فصغت[9] منهما الخضراء والغبراء وما بينهما، ||45 ووسمتهما بمياسيم الغير دلالة على حدوثهما لأهل النظر، فالعاقل جعلها مدارج إلى ذراك، والجاهل اتّخذها وطنا فشُغل عنك بذاك، فبينا هو قد نبا به[10] وطنه، وفارق روحُه بدنه، فندم حين لا تغني الندامة، وترهقه المذلّة يوم القيامة.

---

[1] في (ص) "جود الجواد".

[2] الغنية، ج 1، ص 323. ولا بد من الإشارة هنا أنّنا لم نشر إلى كثير من التصحيفات التي أثّرت تأثيرا سلبيا على النصّ المحقق من الغنية، منها على سبيل المثال هذا النصّ الذي نطلب من القارئ أن يقارنه بما ورد في سراج العقول حتّى يتبيّن له مدى صحّة ما قلناه: "معنى لم يزل لا أوّل له و "فعل" يقتضي أوّل، واجتماع أنْ يكون ما لا أوّل له ذا أوّل في القول والذات متناقض." قيل له: فهل يبطل هذا العالم؟ قال: "نعم يبطله." قيل: فإذا أبطله بطل الجود." قال: "يبطله ولكنّه ليصوغه الصيغة التي لا تحتمل الفساد".

[3] ما بين المعقوفتين ليس في (ص) و (ج) و(ع) و (س).

[4] في (ص) "ديمومة".

[5] النسخة (ش) سقط منها مقدار صفحة، يبدأ النقص من هنا ليستأنف بعد عدّة أسطر من بداية الباب الثامن.

[6] في (س) "لجاجة".

[7] في (ص) "الحفية".

[8] في (ص) "وعرض".

[9] في (ص) "فوضعت" وفي (ج) "وضعت".

[10] في (س) "نبائه".

اللّهم اجلُ بصائرنا وأبصارنا حتّى نرى عالمك بمعالمك، ولا تكلنا إليه فننسى به مكارمك، يا كريم يا ذا الفضل العميم. [والله أعلم][1].

---

[1] زيادة من (ق).

الباب الثامن[1]
فيما جاء من مدّة العالم ونقض النجوم

قال القاضي أبو الحسن محمّد بن حبيب الماوردي[2] رحمه الله في كتاب *النبوّة*[3]: "إنّ مدّة الدنيا من ابتدائها إلى فنائها سبعة آلاف سنة على ما جاء في التوراة وذكره أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام." قال: "وقد وافق ذلك من يحاسب بتسيير[4] الكواكب السبعة على أنّ سير كلّ كوكب ألف سنة، وقد جاء نبيّ آخر الزمان صلوات الله عليه في الألف الأخير الذي هو دور القمر عندهم، وانشقاق القمر بإيمائه معجزة له تنبيه[5] بقرب الساعة. قال الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر﴾ (القمر؛ 1).

---

[1] وهو التاسع في (س) لما ذكرناه سابقا.

[2] أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب الماوردي البصري (364-450هـ / 975-1057م.) ولد في البصرة وإليها نسب، وأخذ عن شيوخها وعلمائها، وهو من فقهاء الشافعيّة المعدودين وعلم من أعلامها. له تصانيف كثيرة أشهرها "أدب الدنيا والدين، و"الأحكام السلطانية". الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 13، ص 587، رقم: 6492؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 4، ص 1955- 1957، رقم: 822؛ الذهبي، سير، ج 18، ص 64-67؛ حاجي خليفة، سلم الوصول، ج 2، ص 381، رقم: 3161.

[3] وهو المنشور اليوم بعنوان أعلام النبوّة، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1406هـ / 1986م. انظر الباب الخامس: في مدّة العالم وعدّة الرسل، ص 36. ولا ندري هل اختصر القزويني كلام الماوردي أم نقله بحرفه عن نسخة من الكتاب كانت لديه لأنّ هناك اختلافا كبيرا بين ما ورد في سراج العقول وما هو مطبوع ومتداول اليوم من كتاب النبوّة.

[4] في (ص) "بسير"

[5] في (ع) "وتنبيه".

وعن [عبد الله][1] بن عبّاس رضي الله عنهما "الدنيا أسبوع من أسابيع الآخرة."[2] ثمّ قرأ: ﴿وإنّ يوما عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون﴾ (الحجّ؛ 47). وقال النبيّ ﷺ: "ما بقي من الدنيا إلّا كمثل ثوب شقّ بنصفين فتعلّق بخيوط"[3].

وقال النعمان[4] بن بشير: "سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: "ألا إنّه لم يبق من الدنيا إلّا مثل الذباب تمور في جوّها[5]، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور، فإنّ أعمالكم تعرض عليهم"[6].

وروى سلمة بن عبد الله الجُهَنّي عن أبي رحاب أنّه قال للنبيّ ﷺ: "رأيتك على منبر له سبع درج وأنت على أعلاها. "فقال ﷺ: "تلك الدنيا سبعة آلاف سنة أنا[7] في آخرها ألفا". [8]

وروى أبو نصر عن أبي سعيد الخدريّ قال: "سمعت رسول الله ﷺ بعد صلاة العصر يقول: "أيّها الناس، إنّ الدنيا خضرة حلوة[9]، وإنّي مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون".[10] وأخد في الخطبة حتّى قال: "لأعرفنّ رجلا منعته مهابة الناس أن يتكلّم بحقّ إذا رآه وشهده."[11] ثمّ قال وقد أزف

---

(1) ما بين المعقوفتين ليس في (س).

(2) رواه الطبري بعبارة: " الدنيا جمعة من جمع الآخرة... "، الطبري، تاريخ، ج 1، ص 10.

(3) ابن أبي الدنيا، الزهد، دمشق، دار ابن كثير، ص 162، رقم: 392؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 8، ص 131.

(4) في جميع النسخ(ق) "نعمان".

(5) في جميع النسخ "حرها".

(6) ابن أبي الدنيا، المنامات، تحقيق مجدي السيّد إبراهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، 1409هـ/ 1988م، ص 19، حديث: 1.

(7) من هنا نستأنف المقارنة بين (ش) و باقي النسخ.

(8) السيوطي، الحاوي للفتاوي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1402هـ/ 1982م، (طبعة مصوّرة عن طبعة قديمة بتاريخ 1352هـ/ 1934م)، ج 2، ص 88. الغماري، المغير، ص 64.

(9) ويروى "حلوة خضرة".

(10) الترمذي، *الجامع الصحيح*، تحقيق أحمد محمّد شاكر وآخرون، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي،1397هـ/ 1977م، ج 4، كتاب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، حديث: 2191.

(11) ابن حنبل، *المسند*، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م، ج 17، ص 227-128، حديث: 11143.

غروب الشمس: "إنّ ما بقي من الدنيا [فيما مضى منها][1] كبقيّة يومكم هذا فيما مضى يوفّى بكم سبعون أمّة، وقد توفّى منها تسع وتسعون وأنتم في آخرها".[2]

واعلم أنّ آخر هذا الحديث يحتاج إلى شرح، وهو أنّه ﷺ يشير إلى أنّ الدنيا سبعة آلاف سنة، أهل كلّ ألف عشر أمم عظام، يكون الجميع سبعين أمّة عظيمة، ثمّ كلّ[3] أمّة منهم انقسم إلى مائة [أمّة][4] صغيرة، فأنتم في الألف الأخير، وقد مضى من أممه[5] الصغار تسع وتسعون أمّة | |46 أنتم في مائتها. وبالنسبة إلى الأمم العظام أنتم في سبعينها[6]، [فبكم][7] توفّى سبعون أمّة من العظام[8] الذين هم أهل الدنيا جميعا، وبكم تتمّ المائة من الأمم الصغار الذين هم أهل الألف الأخير. وما رأيت أحدا شرح الحديث.

وفي رواية أنّه قال: "ما بقي من الدنيا إلّا كمقدار إذا صلّيت العصر."[9]

ويروى عنه أيضا: "لم يبق من الدنيا إلّا كذنب العقرب فيه سمّها وحمّتها."[10] وذلك إشارة إلى فتن آخر الزمان.

وقال ﷺ: "بعثت في نَفَس الساعة."[11] أي قربها[12].

---

[1] ما بين المعقوفتين سقط من (ش).

[2] ابن حنبل، *المسند*، ج 18، ص133، حديث: 11587.

[3] في (ق) " ثمّ إنّ كلّ".

[4] سقط من (ق).

[5] في (س) "الأمم".

[6] في (س) "سبعية".

[7] سقطت من (ش).

[8] هناك خرم في (ق) استدركناه من (ش).

[9] الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، ج 14، ص 177؛ ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*، تحقيق فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدين الخطيب، القاهرة، دار الريّان، 1407هـ/ 1986م، ج 11، ص 358.

[10] الزمخشري، *ربيع الأبرار ونصوص الأخبار*، تحقيق الأمير مهنا، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، 1412هـ/ 1992م، ج 1، ص 49.

[11] الطبري، *تاريخ*، ج 1، ص 15.

[12] ورد في هامش (ش) تعليق هم: "ومعناه أنّ الإنسان إذا قرب منك يبلغك نَفَسُه".

وقال ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين."[1] وأشار بالسبّابة والوسطى. "[2] قال أبو العبّاس الطبري[3]: "يريد به قدر زيادة طول الوسطى على السبابة. وهي إذا قسّمت الوسطى سبعة أقسام كان الباقي من التفاوت بينها وبين السبّابة هذا المقدار." وقد كان الماضي من مدّة الدنيا إلى بعثه على الأظهر ستّة آلاف سنة وثلاثمائة وتسعون سنة، ومنها إلى تمام السبعة الآلاف[4] تقوم الساعة وهي عشر وستّمائة سنة. ولقد كان من مبعثه إلى الهجرة ثلاث عشرة سنة، فيكون الباقي على هذا الحساب من مبعث النبيّ ﷺ[5] إلى القيامة سبعا وتسعين وخمسمائة سنة. وقال ابن فضال المغربي[6]: "إنّ حروف أوائل السور إذا حوسبت غير مكرّرات دلّت على مدّة بقاء العالم". ومثله قال مقاتل[7] في بعض تفاسيره أنّها تدلّ على انقراض الدنيا.[8] وإنّما التبس على حُيَي بن أخطب[9]، وأخيه[10]،

[1] البخاري، *صحيح*، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ "بعثت أنا والساعة كهاتين"، حديث: 6139؛ الطبري، *تاريخ*، ج1، ص 12-14.

[2] البخاري، صحيح، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ "بعثت أنا والساعة كهاتين"، حديث: 6140؛ مسلم، صحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، حديث: 2951.

[3] ابن القاصّ أحمد بن أحمد الطبري ثمّ البغدادي الشافعي، صنّف في المذهب كتاب " *المفتاح* "، وكتاب " *أدب القاضي* "، وكتاب " *المواقيت* "، وله كتاب " *التلخيص* ". وأما بالنسبة لهذا الموضوع فالمقصود هنا كتابه "دلائل القبلة"، الذي صرح القزويني بعنوانه في الرسالة الواوية. مات بطرسوس سنة 335هـ/ 945م. الذهبي، *سير*، ج 15، ص 371-372؛ السبكي، *طبقات*، ج 3، ص 59-63.

[4] فغي (ع) و (س) "سبعة آلاف".

[5] في (س) "من مبعثه".

[6] علي بن فضال بن عليّ بن غالب المجاشعي القيرواني النحوي، كان إماما في اللغة والنحو والتفسير، وله نظم حسن، اتصل بنظام الملك، ونزل بغداد إلى أن مات بها سنة 479هـ/ 1086م. ياقوت، *معجم الأدباء*، ج 4، ص 1834-1838؛ ابن حجر، *لسان الميزان*، ج 6، ص 6.

[7] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، من أعلام المفسرين صاحب التفسير المنشور تحت عنوان "تفسير مقاتل". أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدثّ بها، توفّي سنة 150هـ/ 767م، بالبصرة. ابن النديم، الفهرست، ج 1، ص 641؛ الذهبي، سير، ج 7، ص 201-202.

[8] لم نجد في تفسير مقاتل المطبوع إشارة إلى هذا المعنى.

[9] حييّ بن أخطب هو سيّد بني النضير قبل الإسلام، ووالد أمّ المؤمنين صفيّة بنت حييّ بن أخطب، كان أعلم اليهود بدينهم كما كان من أشدّ مقاتليهم. انظر قصّة اليهود مع "الحروف" في ابن هشام السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1375هـ/ 1955م، ج 2، ص 545-547. الطبري، جامع البيان، ج 1، ص 221-222.

[10] أبو ياسر بن أخطب النضري من علماء اليهود وأعداء الدعوة الإسلامية، انظر بعض أخباره عند ابن هشام، السيرة، ج 2، ص 518-519؛ 545- 546؛ 564؛ 567؛ البيهقي، دلائل النبوة، بيروت. القاهرة، دار الكتب العلمية/ دار الريان، 1408هـ/ 1988م، ج 2، ص 532- 533.

وكعب بن الأشرف[1] تكرار الحروف، فإنّهم ربّما قرأوا في بعض صحف الأوّلين أنّ مدّة الدنيا مرموزة في أوائل كتاب نبيّ آخر الزمان، وقد سمعوا: ﴿الم، ذلك الكتاب﴾ (البقرة؛ 1) فقالوا: "لا ندخل في دين تكون مدّته إحدى وسبعين سنة." إلى أن سمعوا مع ذلك: ﴿المص.﴾؛ ﴿المر.﴾ فاشتبه عليهم المكرّرات فقالوا: "اشتبه علينا الأمر فلا ندري بأيّ قوليك نأخذ يا محمّد."[2] وهذه الحروف كلّها من غير تكرار أربعة عشر حرفا وهي: ر، ق، ص، ي، ع، س، ك، ن، ه، م، ط، ا، ل، ح، وجملتها في حساب الجمّل ستّمائة وثلاث وتسعون. وإنْ أردت جمعها في اللفظ للحفظ قلت: "مَطالِعُهُ كَقَصْرِ حُسَيْن".

وقال وهب بن منبّه[3]: "الدنيا سبعة آلاف سنة قد خلا خمسة آلاف وستّمائة، وقيل وثمانمائة".

وقال ابن عبّاس: "الدنيا جُمُعة من جُمَع الآخرة، وقد خلا منها ستّة آلاف ومئتا سنة، وستبقى الدنيا ليس عليها من يوحّد الله تعالى مئين[4] من السنين أقلّها ثلاثمائة". [وقد جاء في الحديث أنّ الدنيا][5]. تعمر بعد نزول عيسى عليه السلام.

وقال النبيّ ﷺ: "لا تقوم الساعة حتّى ||47 تكون قبلها عشر [آيات][6]: طلوع[7] الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، والدجّال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن، تسوق الناس الى محشرهم كحشر الذرّ والنمل"[8].

---

[1] أبو ليلى كعب بن سعد بن أسود بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، وأمّه من بني النضير، مات سنة 3هـ/ 624م. ابن هشام، السيرة، ج 3، ص 51-57؛ الطبري، تاريخ، ج 2، ص 487-491.

[2] الطبري، جامع البيان، ج 1، ص 221-222.

[3] وهب بن منبّه بن كامل بن سيج أبو عبد الله الصنعاني. ويقال: الذِّماري نسبة لذِمار في اليمن. كان وهب من أصول يهوديّة يمنيّة، ويُقال أسلم أبوه على عهد النبيّ فحسُن إسلامه وسكن اليمن. اشتهر بروايته لقصص بني إسرائيل، توفّي وهب بين سنة 110هـ و114هـ/ 728-732م. الذهبي، سير، ج 4، ص 544-556؛ ابن خلدون، العبر، ج 2، ص 179.

[4] في (ص) و (ع) و (س) "مائتين".

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[6] سقط من (ق).

[7] في (ق) تطلع.

[8] القرطبي، التذكرة، باب العشر آيات التي تكون قبل الساعة...، ص 738-739.

وقال عبد الله ابن عبّاس لولده عليّ: "لقد سمعت رسول الله ﷺ قال لجدّك العبّاس: " إنّ هذا الأمر كائن في ولدك عند زوال الأمر عن بني أميّة، فمن وليّ منكم أمر الأمّة، فليتّق الله وليعمل الحقّ". ولمّا دخل أبو العبّاس السفّاح مع أبيه وهو صبيّ على الوليد بن يزيد بن عبد الملك، قال الوليد للحاضرين، وأشار إلى أبي العبّاس: "هذا صاحب بني أميّة." قيل له: "من أين عرفت؟" قال: "من كتب دانيال عليه السلام".

وروي عن عبد الله بن عبّاس: "إذا كانت سنة مائة وثلاثين، لم يظهر أحد بالمشرق يرفع رأسه براية سوداء إلّا نصر وفتح الأمر له، ثمّ يتوارثونها، وأكثرهم أربعون إلى المهدي الذي يملأ الأرض عدلا كما ملأت جورا".

وعن مكحول، عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: "يخرج الدجّال في الثمانين".[1] قال العلماء لمّا لم يخرج في ثلاثمائة وثمانين، [ولا في أربعمائة وثمانين، فيوشك أن يخرج في خمسمائة وثمانين][2]، [وهذه السنة لم يخرج والله أعلم بحقيقة][3] هذه الأخبار. والآثار كلّها تدلّ[4] على قرب الساعة ولا تدلّ على تحقيق وقتها كما قال الله تعالى: ﴿لا يجلّيها لوقتها إلّا هو﴾ (الأعراف؛ 187)، وقال: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة﴾ (لقمان؛ 34).

وأمّا المنجّمون من الأمم السالفة فقد اختلفوا فيها اختلافا كثيرا. قال الكندي[5]: "مدّة هذه الملّة ستّمائة وثلاث وتسعون سنة". وزعم أنّ الزهرة كانت عند ابتدائها في الحوت، وقد بقي لها إحدى عشر درجة وثلاث وثلاثون دقيقة، فوجب أن يكون بقاؤها بقدر دقائقها سنين. واستشهد على ذلك بعدد حروف المعجم بعد إسقاط المكرّرات كما تقدّم ذكرها.

---

(1) الماوردي، أعلام النبوة، ص 46-47.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من (ع) و (س).

(3) هذه العبارة ليست إلا في (ق).

(4) في (ش) دليل.

(5) يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي، عالم برع في الفلك، والفلسفة، والكيمياء، والفيزياء، والطبّ، والرياضيات، والموسيقى، والمنطق، يعد أوّل الفلاسفة المشائين المسلمين. القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1425هـ/ 2005م، ص 273-280، ترجمة: 339.

وحكى القمّي[1] عن أبي معشر[2] أنّه لمّا بلغ القسمة السابع والعشرون درجة من الحوت، وهي درجات الزهرة، وكان القِران في العقرب الذي هو دليل العرب، دلّ أنّ نبيّا من العرب يخرج ويكون مدّته بمقدار[3] الدرجات الباقية من الحوت، وهي إحدى عشر درجة إلّا قليلا، وتلك[4] المدّة ستّمائة وعشر سنين.

وزعم بعض المنجّمين: "الواجب أن يبقى قدر دور الزهرة الأعظم، وهو ألف ومائة وخمسون سنة".

قالوا: "وسأله أنو شروان بزرجمهر عن ملكه قال: "إنّ صاحب العرب يولد في السنة الخامسة والأربعين من ملكك، فحينئذ يدفع المشتري التدبير إلى الزهرة، [5] فيبقى الملك فيهم دور الزهرة".

وقال محمّد بن موسى بن شاكر المنجّم[6]: "لما[7] هبط آدم وحوّاء في الأرض كان قلب الأسد، وهو النجم الذي ممرّه في منطقة البروج، في خمس درجات وثمان وثلاثين دقيقة من أوّل الثور، فسيّرناه برصدنا إلى سنة ||48 الهجرة فوجدناه في مدّة سنة ألف ومائتين وإحدى عشرة سنة شمسية ومائتين واثنين وسبعين يوما قد كان في تسع درجات وخمسين دقيقة من الأسد، فسيّرناه إلى تمام سبعة آلاف سنة بالفارسية، فيبقى تسعمائة وأربع وستّون سنة فارسيّة".

---

[1] لعلّه أبو نصر الحسن بن علي المنجم القمّي. كتب في عام 357هـ / 968م: كتاب البارع، المدخل إلى علم أحكام النجوم وألف كتاب الطوالع، خمس مقالات في 64 فصلا، عمله للشيخ أبي عمرو بن سعيد بن مرزبان. انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 1، ص 217؛ كحالة، معجم المؤلّفين، ج 1، ص 573.

[2] أبو معشر جعفر بن محمّد بن عمر البلخي، فلكي ورياضي، ولد في بلخ شرقي خراسان، توفّي سنة 272هـ/ 886م. القفطي، إخبار العلماء، ص 119-121، ترجمة: 101.

[3] في (ق) "مقدار".

[4] في (ش) وذلك.

[5] في (ق) للزهرة.

[6] أبو عبد الله محمّد بن موسى بن شاكر، صاحب الهندسة، أخو أحمد والحسن، كان أبوهم من رؤوس أئمّة الهندسة. وكذلك بنوه، وينسبون إلى " حيل " بني موسى. مات محمّد في سنة 259هـ / 872م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5، ص 161- 163، رقم: 708؛ الذهبي، سير، ج 12، ص 339-340.

[7] في (ص) "أنه لما".

[قال: "وهذا الكوكب، أعني قلب الأسد في كل ستة وستين سنة درجة واحدة فهو إذن سير في سبعة آلاف سنة مائة وستّ درجات وخمس دقائق". قال: "وليس يرجى أن يكون للدنيا أمد زائد على سبعة آلاف سنة شمسية لأن كل كوكب من هذه الكواكب في ابتداء العالم يعطي الأعمار والدول من سنينها العظمى، فكانت تطول الأعمار والدول. وفي التوراة إن سام بن نوح عاش ستمائة سنة وفي القرآن ذكر نوح عليه السلام: "فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما."][1]

[العجب من هذا الأحمق في هذه الدعوى، من الذي حضر عند هبوط آدم فأخذ طالع هبوطه؟ وأحمق منه من يصغي إلى أباطيلهم، ولكلّ ساقطة لاقطة][2].

وزعموا أنّه ستنزل بأهل الأرض آفتان، إحداهما ستفسد الأرض وما فيها، والأخرى نار تحرق أقطار العالم، وهذه النار إنّما تأتي إذا صار قلب الأسد من برج الأسد في إحدى وعشرين درجة [وثلاث وأربعين دقيقة إلى أربع وعشرين درجة][3]، فحينئذ تكون في درجة المرّيخ وحده وصورته. ولعلّها النّار التّي ذكرها رسول الله ﷺ أنّها تخرج من قِبَل اليمن [أو من عدن][4] تطرد الناس إلى محشرهم.[5]

وزعم بعض قدمائهم أنّ بقاء العالم مذ دار الفلك إلى أنْ قدّر انحلاله مقدار سير قلب الأسد من أوّل الحمل إلى آخر الحوت، فيكون ثلاثا وعشرين ألف سنة وسبعمائة وستّين ألف سنة.

وأمّا المجوس فزعم زعماؤهم أنّ مدّتها اثني عشر ألفا على عدد البروج.

وحكى النوبختي[6] منهم أنّه مضى من أوّل المزاج إلى إحدى وسبعين ومائتين من الهجرة إحدى عشر ألفا وسبعمائة سنة، وبقي إلى الخلاص ثلاثمائة سنة، وقيل [يريدون بالمزاج امتزاج النور بالظلمة على دينهم][1].

---

[1] ما بين المعقوفتين انفردت به نسخة (ص).

[2] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[3] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ص).

[4] ما بين المعقوفتين من (ص).

[5] القرطبي، *التذكرة*، ص 738-739.

[6] أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي، متكلّم وفيلسوف، من أعلام الشيعة الإماميّة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وصاحب كتاب الآراء والديانات، وكتاب فرق الشيعة، وغيرها من المصنّفات، من تلاميذ أبي سهل النوبختي. أحصى له ابن النديم أكثر من أربعين

وزعم أهل السّند أنّ سنّي العالم أربعة ألف[2] ألف ألف سنة ثلاث مرّات، وثلاثمائة ألف ألف مرّتين، وعشرة ألف[3] ألف سنة مرّتين، وذلك من ابتداء الكواكب بحركتها مجتمعة في أوّل الحمَل إلى أن تجتمع في آخر الحوت بأوجاتها وجوزهراتها.

وقال آخرون منهم: مدّته ثلاثمائة ألف وستّون ألف سنة، وذلك عند اجتماع الكواكب السبعة في آخر الحوت من غير أوجات ولا جوزهرات، وقد انقضى منها إلى الهجرة مائة ألف سنة وثلاث وثمانون ألفا وسبعمائة وثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر وثمانية وعشرون يوما وثمان ساعات واثنتا عشرة دقيقة.

وقيل انقضاء مدّة العالم إذا انتقل أوج الشمس إلى أوّل الميزان، وأنّه رُئي ذلك في المنام.

وحكي أنّه وجد بنواحي مصر لوح ذهب على صدر ميّت بالكتابة الأولى، أنّ أخوين من القبط يسمّيان أيلو ويرثا كانا من ولد[4] رجل من أهل مصر لم ينج من الطوفان هناك غيره، وكان مع نوح في السفينة، وهو الذي علّم ولده الكتب القديمة فورثا منه هذا اللوح، وكان في اللوح أنّ بقاء العالم هو قدر سير قلب[5] الأسد من أوّل الحمل إلى آخر الحوت، وهو ثلاث وعشرون ألف ألف سنة وسبعمائة وستّين ألف سنة. ووجدتُ كتابا قديما منقولا من الروميّة، صُنّف في عهد الإسكندر ذي القرنين عليه السلام، ذكر فيه أنّ بعد نبيّ العرب يملك الأرض ملوك عدّة آخرهم أربع وثلاثون ملكا بأرض بابل، ويعني بأرض بابل بغداد، ولعلّهم الخلفاء من[6] بني العبّاس، قال[7] وآخرهم يملك مرّتين[8] ||49 يخلع ثمّ يملك ثمّ يخلع، ويملكها رجل من عبيده ثمّ

كتاباً، وذكر المؤرخون أنّه توفّي في حدود سنة 310هـ/ 922م. ابن النديم، الفهرست، ج 2، ص 636؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 12، ص 174، ترجمة: 3501.

(1) ما بين المعقوفتين من (ق) وهامش (ش).

(2) في (ش) آلاف.

(3) في (ش) آلاف.

(4) في (ع) و (س) "أول".

(5) سقط من (ص).

(6) في (ق) خلفاء بني العباس.

(7) سقط من (ق).

(8) بهامش هذه الصفحة من (ق) بيتان من الشعر:

يهلك[1] عن قريب، ثمّ يملك الأرض بعدهم اثنان وعشرون ملكا وعن قريب يهلكون[2]، ثمّ تظهر دابة على صورة غريبة عجيبة[3] فتملك الناس أشهرا، ثمّ تهيج الفتنة وتنكسف الشمس سوداء حتّى تسوّد الأرض كلّها، ويحمرّ القمر، ويظهر ثلاثة كواكب أمثال الشهب فتضيء الليل كالنهار، ثمّ تهيج الملاحم في جميع الأرض فيقتتلون حتّى لا يبقى منهم إلّا القليل، فتمرّ الطير في الهواء فيموت من نتن جيفهم، فعند ذلك يخرج رجل هو رأس الفتنة والضلالة من أرض المشرق أعور إحدى عينيه، أفطس، أكشف، سبط الشعر، يسير من المشرق إلى المغرب راكبا على ثور أبيض، يظهر العجائب ويملك الأرض[4] كلّها، ثمّ ينزل العبد الصالح، يعني عيسى عليه السلام، من السماء ومعه الملائكة، ويهلك ذلك الرجل، وتسكن الفتنة، ويصيب أهل الأرض في زمانه الأمن والعافيّة والفرح إلى مدّة سبع سنين، ثمّ يقبض الله تعالى ذلك العبد الصالح، وعند ذلك يجتمع الكواكب في أوّل درجة من الحمل، ويهلك الناس والحيوان والنبات كلّها. ثمّ تسير الكواكب بعد هلاك أهل الأرض مدّة حتّى تبلغ أوّل السرطان، فحينئذ تفتح أبواب السماء فلا يبقى في السماء قطرة إلّا انحدرت إلى الأرض، فيغمر الماء الأرض من جميع أقطارها كلّها، وتصير الأرض في وسط الماء محاطة جوانبها بالماء علوا وسفلا وتبقى كذلك حتّى تصل الكواكب إلى برج الأسد، فعند ذلك تفتح نار عظيمة من جانب المشرق فتغلي ذلك الماء غليا متواترا حتّى تجفّ الأرض والبحار من نواحيها كلّها[5]، ثمّ تذيب الجبال وتحرقها حتّى تصير كالسراب وتمكث تلك النار حتّى تذيب وتهلك كلّ ذي جسد في الأرض ومن فيها ويصير الملك كلّه لله الواحد القهّار. هكذا وجدت في ذلك الكتاب العتيق، وأنا أتبرأ من صحّته وخطئه جميعا، ولا أدري أنّ اعتماد واضع

أحُسّاب النجوم أَحَلتمونـــــــا ... على علم أدقّ من الهبـــاء

كنوز الأرض قد خفيت عليكم ... فكيف علمتم علم السماء

نسبها الصفدي مع بعض الاختلاف للإمام يوسف بن عبد البرّ. انظر الوافي بالوفيات، ج 29، ص 100.

[1] سقط من (ص).

[2] سقط من (ص).

[3] في (ق) "عجيبة غريبة".

[4] في (ق) العجائب.

[5] بهامش (ش) نقرأ: "وفي القرآن: وإذا البحار سجّرت".

هذا الكتاب[1] على حساب مسير الكواكب، أم أخذه من كتب بعض الأنبياء المتقدّمين عليهم السلام، إذ أراه[2] يوافق بعضُها ما جاء في أحاديث نبيّنا صلوات الله عليه.[3] هذا[4] ما نقلته والعهدة على من رواه.

وفي بعض الكتب القديمة طوفان الهواء وهبوب الريّاح العظيمة تكون في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة يزدجرديّة[5]، وانقلاب[6] العالم على ما يوجبه الظنّ والتخمين في [سنة][7] ثلاث وتسعين وخمسمائة هجريّة. [8]

وذكر الخازمي[9] -من المتأخّرين[10] منهم- أنّ اجتماع الكواكب السبعة مع الذنب في الميزان يوم الثلاثاء سلخ جمادى الآخرة سنة اثنين وثمانين وخمسمائة هجريّة، والطالع لقبّة الأرض الميزان، والكواكب ظاهرة فوق الأرض تدلّ على طوفان هوائي ممتزج بأرضي، وزلازل، وخسفات[11]، وهبوب رياح مفسدة لجميع ما على وجه الأرض شرقا وغربا. وزعم أنّ ذلك يوافق سبعة آلاف

---

[1] في (ش) "الكلام".

[2] في (ق) "إذ رأيته". وفي (س) "إذاً رأه"

[3] في (ص) زيادة "والله أعلم".

[4] في (س) "هكذا".

[5] نسبة إلى الفترة التي حكم فيها ملك الفرس يزدجرد حية كلن. كان ملكه من سنة 632 أو 634 إلى سنة 652 م. واتخذ ملكه مبدأ التاريخ اليزدجردي الذي يبتدئ من 16 يونيه سنة 632 م. ولا يزال مؤرّخا به بين البارسيين. ولا يزالون يعيّدون بجلوسه على العرش كلّ سنة. انظر تفاصيل هذا التاريخ وما يتعلق به في التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان، 1416هـ/ 1996م، ج 1، ص 368.

[6] هنا تنتهي الصفحة في (ش) لكنّنا نجد بهامش (ش) كلاما وكأنه تتمة لما جاء في هذه الصفحة.

[7] زيادة من هامش (ش).

[8] هناك زيادة من هامش (ش)، هذا نصها: "والقران الثامن في المثلث الأ... يدلّ على خراب الأرض وانقضاء الدنيا. هكذا ذكر، والاعتقاد على أنّ لا اعتماد على قولهم." وقد أضيفت لها حاشية أخرى بالفارسية هي: "روزاشتار يزماني أثان سنة...يزدجردية و....هجرية".

[9] أبو الفضل الخازمي المنجّم، نزيل بغداد، كان رجلا منجّما يتكلم فِي الأحكام النجوميّة، ويقلّده الناس فيما يقول، ويدّعي أكثر ممّا يعلم. القفطي، إخبار العلماء، ص 313-314، ترجمة: 390.

[10] في (ص) "من المتقدمين".

[11] في (ص) "وخساف".

سنة من عهد آدم عليه السلام، وقبل ذلك يفتح سدّ يأجوج ومأجوج بخمس سنين[1]. وزعم أنّ ثابت بن قرّة[2] استخرج ذلك وعيّنه.

قال المصنّف ومن العجب العجاب أني رأيت في المنام كأنّ شيخا يقول لي إنّ المدّة إلى القيامة مخبوءة[3] في لفظ | |50 القيامة، فانتبهت وتفكّرت في لفظها واشتقاقها وما يتعلّق بها فلم أظفر بشيء، ثمّ لمّا حاسبت حروفها بالجمل كان الألف واحدا، واللام ثلاثين، والقاف مائة، والياء عشرة، والألف واحدا، والميم أربعين، والتاء أربعمائة، فكانت الجملة اثنين وثمانين وخمسمائة، وقد حكيت هذه الحكاية في رسالتي "الواويّة" وهذا من غرائب المنامات وعجائب الاتفاقات [والله أعلم بذلك][4].

واعلم أنّ هذه الاختلافات والخرافات التي أوردتها من هؤلاء الأمم ظلمات بعضها فوق بعض، وإنّما أوردتها لتكون عبرة لأولي الأبصار في أنّ من يبادي الله في مكتوم[5] علمه وينازعه في مكنون حكمه كيف يفتضح؛ ﴿والحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون.﴾ (لقمان؛ 25)؛ ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ (الجن؛ 26). إنّ من لم يشهد خلق السماوات والأرض كيف يطلّع على كيفيّة خلقهما[6] وكميّة مدّتهما وإنّما يعلمها من خلقها: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك؛ 14). وقلت أنا في قصيدة:

ضلّ المنجّم في قضايا أنجـــــــم ... قرن الإله يجريها تدبيــــــره[7]

الله يعلم دورهـــــــــنّ حقيقــــــة ... إذ كان خالق كلّها ومديـــره

---

[1] وردت بهامش (ش) عبارة " بستة أشهر " ولم يشر الناسخ إلى موضعها في النص.

[2] في (ص) "مرة". ثابت بن سنان بن قرّة، كان في أيام المطيع لله، وفي إمارة الأقطع أحمد بن بويه أبو الحين، وقبل ذلك كان مختصاً بخدمة الراضي، وكان بارعا في الطب، عالماً بأصوله، فكّاكا للمشكلات، وكان يتولّى تدبير المرستان ببغداد فِي وقته. توفي سنة 365هـ/ 975م. القفطي، إخبار العلماء، ص 89-90.

[3] في (س) "محبوسة".

[4] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[5] في (ص) "مكنون".

[6] في (ش) "خلقتهما"، وفي (ص) "خلقتها".

[7] سقط هذا البيت من (ص).

أبدى وأبــــدع أنجمـــا وأنارهـــــا ... وأبان فيها للورى تقديـــــــره[1]

ما كان بطليموس يشهــــــد خلقهـــا ... فيجيل في هيئاتها تفكيـــــــره[2]

تباً له ماذا يرجـــــــــــم ظنّـــــــــه ... فوق السماء وليس يعلم بيره

هيهات قد طوى الغيوب عن الورى ... لا خلق يعلم بدأه ومصيـــره

ولكلّ نجـــــــم دار يعلـــــم دوره ... وحسابه ربّ قضى تدويـــره[3]

فإن قيل: فقد كثرت الروايات عن النبيّ ﷺ: "إنّ الدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفا".[4] ويروى عنه ﷺ "من أوّل يوم من الدنيا إلى آخرها خمسون ألف سنة". ويروى عنه أيضا[5] "إنّ الله قدّر المقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام".[6] وعن عبد الله بن عبّاس أنّه قيل لموسى عليه السلام: "مذ كم خلق الله السماوات والأرض؟" فقال: "يا إلـهي، أما تسمع ما يقول عبادك؟" فأوحى الله[7]: "يا موسى إنّي خلقت قبل الدنيا أربع عشرة مدينة من فضّة، وملأتها خردلا، ثمّ خلقت طائرا وجعلت رزقه كلّ يوم حبّة فأفنى ذلك، ثمّ خلقت الدنيا". وأمثال هذه الأحاديث عن نبيّنا وعن صحف الأوّلين من الأنبياء المتقدّمين كثيرة.

الجواب: إنّ ما يصحّ من هذه الأحاديث المختلفة فلاختلافه في طول المدّة وقصرها وجه صحيح، وهو أنّ كلّ ما جاء في السبعة آلاف وكان صحيحا فهو من تاريخ هبوط آدم وحواء في الأرض، وما جاء من الألوف الكثيرة المتطاولة فهو من تاريخ بدء الخلق، أعني من ابتداء خلق[8] العقل، والقلم، واللوح، والعرش، والملائكة، والسماوات، والأرض، والجنّ[9]، والشياطين، وسائر

---

[1] في (ق) "وأبان فيها للورى تقديـــره".

[2] في (ج) "فتخيل في هيئاتها".

[3] على هامش هذه الأبيات نقرأ في (ش) بخصوص بطليموس: "ذكر أنه وقع في بئر فمات". وقد جاءت هذه الملاحظة بين الشطر الأخير من البيت الخامس والشطر الأول من البيت السادس في (ج).

[4] الطبراني، المعجم الكبير، ج 8، ص 361-363، حديث: 8146.

[5] سقط من (س).

[6] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 458، كتاب صفة القيامة، باب 22، حديث: 2456.

[7] في (ص) زيادة "إليه".

[8] في (ص) "خلق الخلق".

[9] سقط من (ج) و(س) و(ص).

الحيوانات، إذ هي من عوالم الله تعالى، ولكلّ عالم منها مبدأ وتاريخ. وقد جاء في الأحاديث الصّحاح أنّ سكان الأرض قبل آدم[1] كانوا الجنّ والشياطين، ولذلك قدّمهم الله تعالى بالذكر على الإنس في قوله: ﴿يا معشر الجنّ والإنس...﴾ (الرحمن؛ 33) وقوله: ﴿من الجنّة والنّاس﴾ (النّاس؛ 6). وذلك من تقديم ||51 خلقهم لا تقديم فضلهم. وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور... [إلى قوله...هو الذي خلقكم من طين][2]﴾ (الأنعام؛ 1-2).

فإن قيل: فإذا صحّ أنّ المدّة سبعة آلاف فقد صحّ ما ذكره المنجّمون من كميّة البقيّة منها؟

الجواب: أنّ هـهنا إشكالا، وهو أنّ المدّة الماضية من آدم إلى الهجرة غير محقّقة عند العلماء، إذ المخبر عن ذلك هو التوراة، وللتوراة أربع نسخ، نسخة عبرانيّة، ونسخة يونانيّة، ونسخة سريانيّة، ونسخة سامريّة. فالمدّة بين آدم والهجرة[3] في العبرانيّة أربعة آلاف وثمانمائة وإحدى وأربعون سنة، فيكون الباقي بعد الهجرة ألفين ومائة وتسعا وخمسين سنة. وفي النسخة اليونانيّة المدّة بين آدم والهجرة[4] سبعة آلاف ومئتان[5] وستّة عشر سنة، والباقي إلى سبعة آلاف يكون سبعمائة وأربعا وثمانين سنة. وفي النسخة السريانيّة المدّة بينهما خمسة آلاف وثلاثمائة وإحدى وثمانون سنة وخمسون يوما[6]، فيبقى إلى تمام السبعة آلاف سنة بعد الهجرة ألف وستمائة وثماني عشرة سنة وعشر أشهر وعشر أيّام. وفي النسخة السامريّة كان بينهما خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة، فالباقي ألف وثمانمائة وثلاث وستّون سنة. فإذا وقع بين هذه النسخ الأربع هذه الاختلافات المتفاحشة، كيف يمكننا أنْ نحكم على مقدار ما بقي من الدنيا حكما جزما؟ بل[7]، غايتنا أنْ نقطع

---

[1] في (ص) "خلق آدم".

[2] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[3] في (ص) زيادة "وهجرة نبينا عليه السلام".

[4] في (س) "المدة بينهما".

[5] وقع خلط في نسخة (ش) حيث يضطرب الكلام بخصوص عدد السنين بالآلاف فجاء كالتالي: (ألفين ومائة آلاف) ثم يستقيم الكلام بعد هذا الخلط. وفي (ص) "ستة ألاف ومائتان...".

[6] وردت "وخمسون يوما" في هامش (ص).

[7] في (ح) و(س) و(ش) و(ص) "بلى".

بقرب الساعة منّا[1] كما قال الله تعالى: ﴿إنّهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾ (المعارج؛ 6-7)[2]؛ وقال: ﴿إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ (طه؛ 15)، يعني أكاد أسترها عنكم لفرط قربها منكم. وقيل أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهرها؟ وذلك لِما رأى من مصلحة الخلق في خفائها. قال النبيّ ﷺ: "مثلي ومثل الساعة كفرسيْ رهان سبق أحدهما الآخر بأذنه[3]."[4].

أمّا[5] الساعة والوقت على التحقيق فلا يعلمه[6] إلّا الله تعالى كما قال عزّ وعلا: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة﴾ (لقمان؛ 34)؛ وقال: ﴿لا يجلّيها لوقتها إلّا هو، ثقلت في السماوات والأرض، لا تأتيكم إلّا بغتة﴾ (الأعراف؛ 187). ومعنى ثقلت، قال ابن عرفة[7]: "ثقلت علما ومعرفة."

وقال القتيبيّ[8]: "خفيت، وإذا خفي عليك الشيء فقد ثقل."[9].

قال ابن راغب[10]: "ثقل القول على فلان أي كره سماعه."[11].

---

[1] في (س) "هنا".

[2] لم ترد هذه الآية في (ص).

[3] سقط من (س)و (ع).

[4] الطبري، تاريخ، ج 1، ص 14.

[5] في (س) "فأما".

[6] في (س) "فلا يعلم".

[7] أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة بن سليمان، العتكي الأزدي الواسطي، المشهور بنفطويه (244 - 323هـ/ 858 -935م) هو من أهل بغداد، إمام حافظ نحوي، أخذ العربيّة عن محمّد بن الجهم، وثعلب، والمبرّد، وتفقّه على داود. له عدّة كتب، منها: "كتاب التاريخ"، و "غريب القرآن"، و "كتاب الوزراء"، و "أمثال القرآن" وغيرها، ولا نعلم عن هذه الكتب شيئا. ياقوت، معجم الأدباء، ج 1، ص 114-122.ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 1، ص 49- 50، رقم: 13؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 47- 49، رقم: 12؛ الذهبي، سير، ج 15، ص 75-77؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 6، ص 85- 87، رقم: 216.

[8] يقصد ابن قتيبة.

[9] ذكر هذا المعنى قبل ابن قتيبة عدد من اللغويّين نذكر منهم أبو عبيدة في مجاز القرآن، تحقيق فؤاد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1408هـ/ 1988م، ج 1، ص 235.

[10] المقصود هنا الراغب الأصبهاني أبو القاسم الحسين بن محمّد، أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل، متحقّق بغير فنّ من العلوم، له تصانيف كثيرة كما يقول ياقوت، اختلف في سنّ وفاته، إلّا أنّه يعدّ من علماء القرن الخامس الهجري. ياقوت، معجم الأدباء، ج 3، ص 1156، ترجمة: 402؛ الذهبي، سير، ج 18، ص 120-121.

[11] الأصبهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، الطبعة الرابعة، 1430هـ/ 2009م، ص 184.

وأرى أنّ معناه ثقلت وطأتها في السماوات والأرض لأنّها تشقّق السماوات، وتدكدك الأرض، وتهدّ الجبال. وقوله "إلّا بغتة" أي فجأة، والبغتة لا تكون معلومة للخلق البتّة.

وأمّا المقدّمات فمعلومة. قال الله تعالى: ﴿فقد جاء أشراطها﴾ (محمّد؛ 18)، يعني مقدّماتها. قيل: هي نبوءة محمّد ﷺ. وقيل: الآيات المنذرة. وقد ظهرت المقدّمات الصغار التي جاءت بها الأخبار مثل قوله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتّى يكون الولد غيظا، والمطر قيظا، وتفيض اللئام فيضا، وتغيض الكرام غيضا."[1] | | 52 إلى غير ذلك.

والعظائم من الآيات فمنتظرة بعد، مثل خروج الدجّال، ويأجوج ومأجوج، والدّابة، ونزول عيسى عليه السلام، وتلك تظهر في أيّام قلائل. قال ابن عبّاس: "إنّها كخرزات في سلك إذا انقطع واحدة منها كان يتبع بعضه بعضا في مقدار أربعين يوما".

وقال أبو العالية[2]: "في ستّين يوما." وقيل: "في أربعين سنة." والله أعلم.

هذا نهايات ما بلغَنا من أصحاب[3] التواريخ والحساب، ونقلة الأخبار والآثار، ومستنبطي المعاني الأبكار، من إشارات الحروف والكلمات، وحاصلها ما قال الله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلّا الله﴾ (النمل؛ 65).

أمّا[4] التواريخ فقد سقط الاعتماد عليها من كثرة الاختلاف فيها وعدم الثقة بناقليها. وهب أنّه يصحّ أنّ مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، فإذا لم ندْرِ كم الماضي منها[5] كيف نعرف كم الباقي؟ وأمّا قول الذين عدّوا الحروف من أوائل السّور على شريطة ترك المكرّرات منها فدعوى لا برهان

---

[1] انظر القاضي القضاعي، مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1405هـ/ 2005م، ج 2، ص 92، حديث: 949.

[2] أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، مولى امرأة من بني رياح بن يربوع. يعتبر رفيع أبو العالية الرياحي من كبار التابعين، يروي عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس، توفي عام 90هـ/ 709م، و قيل 93 هـ/ 712م، وقيل بعدها. ابن حبان، كتاب الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1393هـ/ 1973م، ج 4، ص 239؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 18، ص 159- 191، رقم: 2189؛ الذهبي، سير، ج 4، ص 207-213.

[3] في (ق) "أهل".

[4] في (س) "فأما".

[5] في (س) "منها لم".

عليها. وحُيَي بن أخطب وأتباعه إنّما قالوا ذلك للنبيّ ﷺ تعنّتا وعنادا أو إيهاما لعامّتهم بأنّ عندهم علما ابتغاء الفتنة. ثمّ تَرْكُ المفسّرين بعدهم المكرّرات من الحروف واقتصارهم على المفردات، وعدّهم إيّاها بحساب الجمّل، وحكمهم بأنّ الباقي من مدّة الهجرة إلى الساعة أو مدّة مولد النبيّ ﷺ إلى الساعة هذا القدر، كلّها دعاوى من غير مستند عقليّ ولا شرعيّ ولا حسيّ. وقد يقال لهم: ولعلّ في تلك المكرّرات التي طرحتموها من غير حجّة أسرارا ومعاني قد غفلتم عنها، فإنّ الله تعالى قد كرّر الألِف فيها ثلاث عشرة مرّة، وكذلك اللام ثلاث عشرة مرّة، وكرّر الميم سبع عشرة مرّة، وكرّر الحاء سبع مرّات، والطاء أربع مرّات، والراء ستّ مرّات، والسين خمس مرّات، والصاد ثلاث مرّات، والعين مرّتين، والهاء مرّتين، والقاف مرّتين، والياء مرّتين، والكاف مرّة، والنون مرّة، فلعلّ في اختصاص[1] تكرير كلّ حرف بهذه الأعداد معاني عجيبة لا يطّلع عليها أحد، ولعلّ[2] مبلغ حسابها هو منتهى مدّة أمّة محمّد عليه السلام، ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وثمانون سنة. فمن قطع الحكم على [تعيين[3] هذه المحتملات من غير دليل كانت دعواه باطلة وظنّه كاذبا.

هذا، وقد ذُكر في تفسير][4] هذه الحروف قريبا من سبعين قولا، بعضها منسوب إلى أكابر الصحابة، وبعضها إلى التابعين، وبعضها إلى المتأخّرين من المفسّرين. وأقربها إلى الصواب أنّها أقسامٌ أقسم الله تعالى بها في أوائل سور القرآن تعظيما لها، لأنّ حروف التهجّي أصول الكلام كلّه، ومباني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ومبادئ تأليفات كتبه المنزّلة على أنبيّاءه تنبيها[5] للخلق | |53 بأنّ هذا الكتاب المنزّل هو من هذه الحروف التي أصلها عندكم، وقد عجزتم عن الإتيان بمثله، فلو كان من عند غير الله لقدرتم على إتيان مثله من تركيب هذه الحروف مع تظاهركم على ذلك؛ وهذا هو المعنى الكلّيّ فيها. أمّا تخصيصها بهذه الحروف الأربعة عشر مع ما

---

[1] سقط من (ص)".

[2] في (ع) بياض مكانه.

[3] زيادة من (ق) وفي باقي النسخ "بعض".

[4] ما بين المعقوفتين ليس في (ع).

[5] ففي (س) و(ع) "وتنبيها".

بلغ من مكرّراتها فشيء لا تبلغ إليه أفهام البشر، وهو السرّ الذي قد روي عن[1] أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه: "إنّ هذه الحروف من أسرار الله لا يعلمها إلّا هو".[2]

وأمّا قول المنجّمين فظنون كاذبة، وأحاديث ملفّقة لا طائل تحتها، لأنّ الحكم على وقوع الشيء إمّا أنْ يكون بالحسّ، أو بالعقل[3]، أو بالشرع، أو بالتجربة والعادة المستمرّة المتواترة. أمّا معرفته بالحسّ فمحال بالإجماع، وأمّا معرفته بالعقل فلا برهان لأهل الأحكام النجّومية من حيث العقل أصلا، وما تكلّفوا في ذلك فخرافات وتمويهات يضحك منها الصبية والمجانين فضلا عن العقلاء.

وأمّا الشرع فقد جاء بخلافه، قال الله تعالى: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة﴾ الآية (لقمان؛ 34)؛ وقال: ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض [ولا خلق أنفسهم][4]﴾ (الكهف؛ 51)؛ وقال: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض [الغيب إلّا الله][5]﴾ (النمل؛ 65)؛ وقال: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو﴾ (الأنعام؛ 59)؛ وقال: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ (آل عمران؛ 179). وقال النبيّ ﷺ: "كذب المنجّمون وربّ الكعبة."؛ وقال: "إذا ذكر النجوم فأمسكوا."[6]؛ وقال: "من آمن بالنجوم فقد كفر بما أنزل على أبي القاسم."؛ وقال ﷺ: "أصبح الناس بين مؤمن وكافر، فالمؤمن من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، والكافر قال مطرنا بنوء كذا."[7] إلى غير ذلك. فإنْ

---

[1] في (ش) على.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، 154.

[3] في (س) "بالفعل".

[4] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[5] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[6] أبو نعيم، الحلية، ج 4، ص 108.

[7] عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: "صلّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إِثْر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: " هل تدرون ماذا قال ربكم؟ " قالوا: " الله ورسوله أعلم. " قال: " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمّا من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب ". رواه البخاري، صحيح، كتاب صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، حديث: 810، كتاب الاستسقاء، باب قوله تعالى ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾، حديث: 991، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث: 3916؛ مسلم، صحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء، حديث: 71.

نسبوها إلى إدريس النبيّ[1] عليه السلام، قلنا هذه دعوى لكم من غير إسناد، وقد روينا بطلانه بالإسناد الصحيح عن أفضل الأنبياء ﷺ: "كذب المنجّمون، إنّ أشدّ ما أخاف على أمّتي الإيمان بالنجوم."[2].

وأمّا التجربة واستمرار العادة والتواتر فمعدومة[3] أيضا، لأنّ التجربة إنّما ينتفع بها في الأمور الممكنة الواقعة على الأكثر الأغلب لا على النادر المستغرب، والعادات إنّما تكون مستمرّة متكرّرة، وقد شاهدنا أحكامهم غير متكرّرة ولا مستمرّة، بل تصيب مرّة وتخطئ ألف مرّة، والعادة ليست كذلك، والتجارب إنّما تكون بالامتحانات الطويلة، وهي في أحكامهم باطلة، فإنّهم يحكمون بالقرانات التي تقع في كلّ ألف سنة وأكثر وأقلّ، وقد زعموا أنّ الكواكب إذا اجتمعت كلّها في برج واحد، في درجات ودقائق مخصوصة، يدلّ على طوفان يعمّ الأرض، وذلك يكون في كلّ ثلاثين ألف سنة، ومن الذي عاش أضعاف هذه المدّة حتّى حصلت له هذه التجربة بالتكرار والتواتر؟ ثمّ ادّعوا أنّ من ابتداء العالم ||54 إلى انتهائه سبعة آلاف سنة، كلّ ألف في تدبير كوكب، وهذا يناقض قولهم الأوّل. وزعم بعضهم أنّ مدّة الدنيا اثنا عشر ألف سنة على عدد البروج، ولا حجّة لهم على هذه الدعاوى، وإنّما أصولهم كلّها تحكّمات ومسلّمات ودعاوى عارية عن البراهين. ثمّ إنّ كلّ ما يدّعونه [من أصولهم][4] لو عارضهم إنسان بخلافه أو ضدّه لم يجدوا بينهما فرقا، وإنّ زيجاتهم التي بنوا الحساب عليها في سير الكواكب مختلفة جدا مثل الزيج[5] الماموني، والبتّاني، وزيج سند وهند[6]، والزيج[1] الممتحن، وزيج الفاخر، والمعتبر

---

[1] سقط من (س).

[2]عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ أخوف ما أخاف على أمّتي تصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر، ولا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشرّه، حلوه ومرّه، وقال: قبض رسول الله ﷺ على لحيته وقال: آمنت بالقدر خيره وشرّه، حلوه ومرّه ". أبو طاهر أحمد السِلفي، الطيوريات، تحقيق دسمان يحيى معالي وعباس صخر الحسن، الرياض، أضواء السلف، 1425هـ/ 2004م، مجلد 2، ص 351-352، حديث: 297.

[3] في (ص) "فمعدودة".

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[5] قال التهانوي في كتاب كشاف مصطلحات الفنون، الزيج قانون لدى المنجّم لمعرفة النقوش والأوضاع الفلكية وخطوطها طولا وعرضا ". ج 1، ص 917.

[6] في (س) "هند وسند".

السنجري[2] وغيرها لا يوافق العمل بواحد منها الآخر، بل يتفاوت بعضها بعضا في درجات ودقائق كثيرة. وإذا كان الحساب غير موثوق كان الحكم عليه خطأ لا محالة. ولو تتبّعنا نقائصهم لطال الكلام، ولكنّنا نشير إلى بعض مخازيهم وفضائحهم في دعاويهم ليعتبر بها العاقل ويرى سخافة عقولهم وركاكة آرائهم. فمنها قولهم أنّ الكواكب الثابتة في فلك البروج ألف واثنان وعشرون، وهي أيضا نحوس وسعود على أمزجة السيّارات السبع، ولها أحكام وتأثيرات في العالم الأسفل. ثمّ إنّهم معترفون بقصور العلم عنها، ومعرفة مواضعها، ودرجاتها، ودقائقها، وسعادتها، ونحوستها، إلّا مقدار نيّف وأربعين نجما هي في العظم الأول والثاني، أوردها الصوفيّ[3] في صور الكواكب[4]، وذلك عندهم معروف. فيقال لهم[5]: إنّكم إذا حكمتم على طالع سَنَة أو طالع مولود بالسعادة لنظر سعد إلى الطالع من تثليث أو تسديس أو وقوعه في درجة الطالع، ثمّ اتّفق مجاسدة نحس ذلك السعد من نحوس تلك الثوابت[6] التي[7] لا تعرفونها، أليس يبطل حكمكم[8] أصلا وينقلب السعد نحسا [وكذلك بالعكس من ذلك][9]؟ وهذا ما لا جواب له[10] أصلا.

---

[1]بهامش هذه الفقرة من (ش) نقرأ ما يلي: " حاشية قلت:

حكم القرآن على القِران مغلّب آمِن به تأمن من النكبات

[2] في (س) "يستجرئ".

[3] أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي، أحد أشهر الفلكيّين والمهندسين العرب 291 -376 هـ/ 903-986م. ولد بالريّ، اتّصل بعضد الدولة البويهي الذي اتّخذه فلكيّاً ومعلماً له لمعرفة مواضع النجوم وحركة الأجرام الفلكية. وقد قام عضد الدولة ببناء مرصد خاص للصوفي في شيراز، ممّا ساعده على القيام بإنجازاته الفلكيّة. القفطي، إخبار العلماء، ص 174-175؛ الزركلي، الأعلام، ج 3، ص 319.

[4] هو كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين، وهو في علم الفلك، وضعه بن عمر الصوفي، وتابعته بعد ذلك ابنته أرجوزة بنت الصوفي، ويتحدّث الكتاب عن الكوكبات التي تخيلها العرب القدماء والتي بلغ عددها 48، ويَصف أغلب الكتاب مواقع النجوم في الكوكبات وأقدار لمعانها. نشر بتحقيق الأمير إلغ بيك كوركان، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1401هـ/ 1981م.

[5] سقط من (ص).

[6] في (ص) "الثواقب".

[7]الاستدراك من (ش).

[8] في (ج) "حكمهم".

[9] زيادة من هامش (ش).

[10]في (ش) لهم.

ومنها نقول: ما قولكم في مولودين يسقطان من الرحم في لحظة واحدة، أو توأمين خرجا في مشيمة واحدة بطالع واحد، أليس يجب أنْ يكونا متساويين في الصورة، والجثّة، والأخلاق، والأعمال، والأرزاق، والآجال، والصحة، والأمراض، وجميع الأحوال بحيث لا يتمايز أحدهما عن الآخر بوجه ما؟ وهذا شيء لم ير قط!

ومنها نقول لهم: ما قولكم في الخلق الكثير[1] والجم الغفير مع اختلاف مواليدهم وطوالعهم يموتون في وقت واحد، كما تكون عند الزلزلة والطوفان أو غرق سفينة، أو قتلوا في ملحمة، كالجمل، وصفّين[2]، أو بالقحط والطاعون، أليست طوالع مواليدهم، وعطايا هيلاجاتهم، ومواضع القواطع من | |55 تسييراتهم كانت مختلفة {دالّة على اختلاف آجالهم [وليست الكواكب كلّها في تلك الساعة دالّة على قطع آجالهم]؟[3]، فكيف يعمّهم الهلاك ودلائل طوالعهم بموجب الكواكب مختلفة،}[4] ويكون فيهم الأطفال والكهول والشيوخ؟ فإنْ قالوا: هذه دلالة كليّة وتلك دلالات جزئيّة، والجزئيات مندرجة تحت الكلّيّات. قلنا فعلى هذا إذا بطلت الأحكام[5] الجزئية بكلّيات تعلوها وتغلبها[6] على الندور[7] والاتفاقات[8] فقد بطلت الثقة بأحكام النجوم أصلا، إذ لو كانت صحيحة في نفسها لما أبطلها الطارئ عليها، ووقوع الطارئ غير معلوم.

ومنها ادعاؤهم نحوسة بعض الكواكب، وسعادة بعضها [وهو][9] باطل، إذ لا سعادة في هذا العالم ولا نحوسة على الإطلاق[10]، ولهذا قيل: "مصائب قوم عند قوم فوائد"[1].

---

[1] في (ص) "الكبير".

[2] في باقي النسخ عدا (ق) "الصفين".

[3] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ش) وأشار الناسخ إلى موضعه في النصّ، ولم يرد في (ق) إلّا بعد سطر ونصف، أي بعد كلمة والشيوخ.

[4] سقط ما بين ما بين القوسين المزهرين من (ج) و(س) و(ص) و(ع)..

[5] في (س) و(ع) "بالأحكام".

[6] في (س) "وتعليها" وفي (ع) "وتقلبها".

[7] في (ص) "البدور".

[8] وردت في هامش (ش) وسقط من (ج) و(س) و(ع) و(ق)..

[9] سقطت من (ق).

[10] ورد تعليق في هامش (ش)هذا نصه: "يعني أنّ السعادة والنحوسة يكونان بالإضافة إلى أناس مختلفين".

ومنها أنّ الأجرام العلويّة عندهم في ذواتها غير قابلة للتأثيرات، إذ لا اختلاف في طباعها، فما معنى قولهم في احتراق[2] الكواكب، ونحوستها، وسعادتها، ووبالها، وهبوطها، وبطاءتها، وسرعتها، ورجوعها، واستقامتها، وحضيضها[3]، وذروتها، وتثليثها، وتربيعها، ومقابلتها، مع اعترافهم أنّ تلك [الأحوال][4] تعرض عليها على سبيل الإضافة إلى أماكن بأعيانها، وهن في أنفسها وذواتها مبرّأة عن ذلك، وإنّما الاختلافات[5] في اعوجاجها واستقامتها لأجل[6] الأماكن لا لذواتها، فما الذي يوجب من اختلاف الأماكن بالإضافة إليها هذه الأوصاف لها من السعادة والنحوسة في الأجرام السفلية من الحيوان والنبات؟

وأعجب من ذلك استدلالهم ببياض الزهرة والمشتري على الصلاح والسعادة[7]، وبحمرة المريخ على إراقة الدماء. فلو وجب أن يكون[8] كلّ ما كان لونه بياضا دالّا على الصلاح، وما كان لونه شبيها بالدم كالمريخ دالّا على القتال وإراقة الدماء، لوجب أنْ يكون كلّ أبيض من الأجسام السفليّة دليلا في الأرض على الصلاح، وكلّ أحمر منها دليلا على النحوسة وإراقة الدم، إذ هي أقرب إلينا من الكواكب[9].

---

(1) الشطر الثاني من بيت أوّله:

بِذا قضت الأيّام ما بين أهلها

وهو من قصيدة للمتنبّي مطلعها:

عَوَاذِلُ ذاتِ الخَالِ فِيّ حَوَاسِدُ ... وَإنّ ضَجيعَ الخَوْدِ مِنّي لمَاجِدُ

ديوان، ص 320.

(2) في (ق) "اختراق".

(3) في (س) "وخصيصها"

(4) زيادة من هامش (ش).

(5) في (ق) الاختلاف.

(6) في (ص) "إلى".

(7) هنا ك مقدار كلمتين مطموستين في (ش).

(8) سقط من (ق).

(9) في (س) "الكوكب".

وكذلك[1] لو أوجب كلّ ما حركته سريعة أو بطيئة من الكواكب دليلا على السرعة والتباطؤ في الحوادث الأرضيّة وحوائج الإنسان لوجب[2] أنْ يكون كلّ بطيء وسريع من الأجسام الأرضيّة مؤثّرة في أهل الأرض، إذ هي أقرب منها وأشدّ اتصالا.

ومنها قولهم إنّ زحل أبطء الكواكب سيرا والقمر أسرع الكواكب سيرا، وهذا بالعكس أولى لأنّ الواجب أنْ يقال إنّ زحل أسرع الكواكب سيرا لأنّ مسافة دوره أبعد، والقمر أبطأ الكواكب لأنّ مسافة دوره أقرب.

ومنها قولهم أنّ ||56 الكواكب غير مركبّة من الطبائع الأربعة، فلا حرارة هناك ولا برودة ولا يبوسة ولا رطوبة، ثمّ يزعمون أنّ زحل بارد يابس، والزهرة باردة رطبة، والشمس حارّة يابسة، وعطارد ممتزج، والقمر بارد رطب[3]، إلى غير ذلك، وهل هذا إلّا تناقض؟

فإنْ قالوا إنّما نريد بأنّها تؤثر في الأجسام الأرضيّة بالحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة[4]، قلنا إذا سلّمتم بأنّ ليس هناك طبع فكيف يرطّب ما لا يكون رطبا، وكيف يحرّر ما لا يكون حارا في نفسه[5]؟ ألا ترى أنّ الماء مرطّب وهو في نفسه رطب والنار محرّرة وهي حارّة في نفسها[6]، وكذلك العقاقير كالزنجبيل والكافور. ولو قلتم إنّها تعمل باختيارها لوجب أنْ يختار زحل مرّة سعادة ومرّة نحوسة، وكذلك المشتري مرّة نحوسة ومرّة سعادة[7]، وأنتم لا تقولون ذلك[8].

ومنها قولهم إنّ القمر يمرّ تحت جرم الشمس فيستر ضوءها عن أبصار ناس بأعيانهم في مواضع مخصوصة، هذا هو الذي يسمّونه الكسوف، ثمّ يحكمون عند ذلك بموت ملك من الملوك في

---

[1] في (س) "فكذلك".

[2] سقطت من (ق).

[3] في (س) "والقمر بارد رطب، وعطارد ممتزج".

[4] جاءت الرطوبة اليبوسة في (س).

[5] في (س) " فكيف يحرّر ما لا يكون حارا في نفسه وكيف يرطّب ما لا يكون رطبا".

[6] في (س) " ألا ترى النار محرّرة وهي حارّة في نفسها والماء مرطّب وهو في نفسه رطب".

[7] في (س) " وكذلك المشتري مرّة سعادة ومرّة نحوسة".

[8] في (ص) "ذلك له".

بعض الأقاليم؛ ولو صحّ ذلك لوجب أنْ يكون كلّ إنسان استتر من الشمس بحائط أو سقف أو دخل في سرب كان يموت[1] أو يحدث في الأرض حادث، وهذا لا يقوله المجانين[2].

فإنْ ادّعوا[3] على صحّة النجوم[4] بصحّة حسابهم في الكسوفين، قلنا ليس العلم بالكسوفين من جنس العلم بأحكام الكسوفين، وإنّما هو بمثابة مطالع الشمس المختلفة في الشتاء والصيف التي يعرفها عامّة الناس عادة مستمرّة أجراها الله تعالى على سبيل واحد، إلّا أنّ ذلك أخفي فيحتاج إلى حساب.

وهب أنّ علم النجوم صحيح فلا تستقيم دعواهم أيضا في كميّة مدّة العالم، لأنّهم حكموا في ذلك على قرانات العلويّين وهم معترفون بالعجز عن استخراج وقت اقترانهما حقيقة درجة ودقيقة لتباطء حركتيهما، فعدلوا عن ذلك إلى طالع سنَةِ القِران وحكموا عليه، وهذا عجز منهم وحيرة ودليل على بطلان ما قالوه. هذا ولولا شغف النفوس بمعرفة الغيوب وحبّ الذهب لم يغترّ عاقل بعلم النجوم والكيمياء قطّ فاعلم.

مناجاة:

سبحان من بنى الدنيا قنطرة على سبعة طيقان[5] من قتام،[6] مسافة كلّ طاق منها ألف عام، وجعلها ممرّا للأنام، إلى مقرّ العزّ في دار السلام، فإذا مرّوا بآخرهم عليها إلى الآخرة، انهدمت القنطرة بالرجفة الفاقرة، فإذا هم بالساهرة. هكذا قال المسيح عليه السلام: "الدنيا قنطرة فاعبروها

---

[1] في (ش) "كان يموت".

[2] في (ص) "إلا المجانين".

[3] سقط "فإن" من (ع) وفي (س) "فإن قالوا".

[4] في (ش) "نجومهم".

[5] في (ج و (س) و (ص) "طبقات".

[6] في (ق) قيام، والصواب من (ش). و"القتام": الغبار، كما ورد في هامش (ش). وفي (ص) "أقسام".

ولا تعمروها."[1] فالعاقل يعبرها ذميلا، ||57 والجاهل يتّخذها مقيلا، فطوبى لقلب يرقى ببُراق اليقين، من وهدة عالم التكوين[2]، إلى ربوة ذات قرار ومعين، عاليا بهمته إلى علّيّين، ولا يشفّ إلى هذه الدنيا الدنيّة الغارّة الغاشّة، البسور في صورة الهاشّة، القصيرة العمر، الكثيرة الغدر، تقطر من نسيمها السموم، ومن غمامها الغموم، أمّ سوء تأكل أولادها، تستردّ[3] مستفادها، أهلها بالبقاء يفنون، وبالسلامة يضنون، لذتهم خُناق من عسل، وأسرّة سرورهم سرير[4] المغتسل.

إلهي، افتح من أبواب قلوبنا أقفال الأغفال، ونحّ عن نواحي عيوننا أغطية الخيال، حتّى نرى ذمامة الدنيا فنقلاها، ووسامة الأخرى فنهواها، يا جواد الأجواد، [وبالله التوفيق][5].

---

[1] ينسب هذا الأثر أيضا لعمر ابن الخطاب، ومنهم من نسبه لرسول الله ﷺ. انظر ما قاله العجلوني في كشف الخفاء، ج 1، ص 412، أثر: 1320. وذكره ابن عساكر، كما هو الحال هنا، منسوبا إلى المسيح عليه السلام، تاريخ دمشق، ج 47، ص 229. وكذلك الماوردي في أدب الدنيا والدين، نشره محمّد كريم راجح، بيروت، دار اقرأ، 1405هـ/ 1985م، ص 125.

[2] في (ج) "التمكين" وفي (س) و(ع) "التلوين".

[3] في (ق) "وتسترد"، وفي (س) "تسوّد".

[4] ورد "سرير" في هامش (ش).

[5] ما بين المعقوفتين ليس في (ش) ولا في (ص).

الباب التاسع[1]

في بدء خلق الناس

اختلف الناس في أوّل ما خلق الله من المتقدّمين والمتأخّرين. فأمّا الخارجون عن الإسلام فلا نعبأ[2] بمقالاتهم فضربنا عنهم الذكر صفحا. والمعتزّون إلى الإسلام فكثير من المفسّرين، والوعّاظ، والمحدّثين قد تعلّقوا بأحاديث غريبة، وروايات بعيدة في الأوّليّات استغرابا واستعجابا. وقد قيل: من اتبع غرائب الأحاديث كذب. وأكثرها أخبار آحاد[3] لا توجب العلم، سيما الوهبيّات، فإنّ وهب بن منبّه لمّا أسلم، وكان حبرا لليهود، خلط الإسلام بأشياء كثيرة وجدها في الصحف الأولى وأخبار الإسرائيليّات، وكان ينسبها إلى التوراة، ولا خفاء في تحريف التوراة، [قال الله تعالى: ﴿ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله﴾][4] (آل عمران؛ 78)؛ وكان أئمّة الصحابة زجروه عن ذلك مرّات.

فلمّا رأينا الأمر على هذه الصورة، تتبّعنا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجمعنا من الإشارات المتفرّقة فيه إلى كلّ أصل من الأصول في بدء الخلق والإعادة، واعتمدنا على الأحاديث المشهورة المتواترة المذكورة في المسانيد الصحاح التي لا غبار عليها. فمنها قول[5] النبيّ ﷺ: "أوّل ما خلق الله العقل [إلى آخره][6]."[7] وقوله: "أوّل ما خلق الله القلم".[8] ثمّ

---

[1] في (س) " العاشر".

[2] في (ق) فلا يعبأ.

[3] في (ق) " وأحاديث".

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[5] في (س) "قوله".

[6] ليس في (س).

[7] أبو نعيم، *حلية الأولياء*، ج 7، ص 318؛ الديلمي، الفردوس، ج 1، ص 13، رقم: 4.

[8] الطبري، تاريخ، ج 1، ص 33؛ الطبراني، الأوائل، محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م، ص 22، رقم: 1؛ الديلمي، الفردوس، ج 1، ص 12، رقم: 3. وعزاه ابن أبي شيبة لابن عباس، المصنف في الأحاديث والآثار،

تأمّلنا فإذا الشيئان المتغايران لا يكون كل واحد منهما أوّلا في التكوين والإيجاد على الإطلاق، إذ لا يخلوا إمّا أحدثا[1] مصاحبين أو أحدثا متعاقبين. [فإنْ أحدثا[2] متصاحبين معا فلا يختصّ أحدهما عن الآخر بالأوّلية، فلا يكون واحد منهما أوّلا على الانفراد، وإنْ أحدثا متعاقبين][3] يكون المبتدأ أوّلا والعاقب[4] ثانيا، فيكون الأوّل واحدا منهما لا محالة. فهذه الجملة تدلّ على أنّ المخلوق الأوّل | |58 المطلق لا يكون إلّا واحدا، بل لو كان لكلّ واحد من المبدعات أجناس، وأوصاف، وخصائص لجاز أنْ يجري اسم الأوّليّة على كلّ واحد منها، ولكن بشرط التقييد، فيقال: أوّل الأجسام كذا، وأوّل المعاني كذا، وأوّل الأنوار كذا، وأوّل الإنسان كذا، وأوّل البهائم كذا. فمن ذلك قول النبيّ ﷺ: "أوّل ما خلق الله نوري."[5] وفي رواية "روحي." ومعناهما واحد، أي أوّل ما خلق الله من الأرواح روحي، والأرواح نورانيّة. فأمّا إذا أطلق فلا يحمل إلّا [6] على العموم، ولا يحتمل ذلك الأوّل إلّا واحدا هو أوّل المخلوقات ابتداء، وسائره توابعه[7]. فعلى هذا قال بعض الكبراء من الأئمّة: "إنّ أوّل المخلوقات على الإطلاق ملَك كروبيّ يسمّى العقل، وهو صاحب القلم بدليل توجيه الخطاب عليه في قوله: أقبل، فأقبل. ثمّ قال له: أدبر، فأدبر". [والحديث قول النبيّ ﷺ: "أوّل ما خلق الله العقل فقال له: أقبل، فأقبل؛ ثمّ قال له: أدبر، فأدبر؛][8] ثمّ قال له: وعزّتي وجلالي، ما خلقت خلقا أحبّ إليّ منك، بك أعرف، وبك آخذ، وبك أعطي،

ج 7، ص 259، رقم: 35873؛ ابن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق رضا بن نعسان معطي وآخرين، الرياض، دار الراية، 1415هـ/ 1994م، ج 6، ص 23- 24، رقم: 216.

(1) في (ق) إمّا أن أحدثا.

(2) ورد بهامش (ح).

(3) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(4) في (ش) والمتعاقب.

(5) انظر ما قاله الحافظ أحمد بن الصديق الغماري بخصوص هذا الحديث في، *المغير*، ص 6-7.

(6) جاءت إلا في (ق) في الهامش.

(7) في (ص) "توابعا"

(8) سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ش) و(ص) و(ع).

وبك أعاقب، وبك أثيب."[1] وفي رواية "وبك أُعْبَد." ومعنى قوله: "ما خلقت خلقا." أي ما قدّرت، أو[2] تكون بمعنى المستقبل، أي ما أخلق. ولمّا سمّاه قلماً قال له: "اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة".[3] وتسميته قلما كتسمية صاحب السيف سيفا، وقد قيل لخالد بن الوليد "سيف الله" وهو أوّل لقب في الإسلام. وسمّي[4] ذلك المَلَك عقلا لوفور عقله، وقلماً باعتبار كتابته على اللوح المحفوظ بأمر الله تعالى. وقوله: "بك آخذ." إشارة إلى جنس ما خصّه به من العقل، فإنّ عقول الخلق لم تكن حينئذ مخلوقة، ولا يبعد أنْ يكون هذا الملك العظيم هو الذي يقوم صفّا، والملائكة صفّا، ويسمّى أيضا روحا لغلبة روحانيّته كما سمّي جبريل روحا، وذلك كقولهم[5]: فلان شعلة نار لحدّة ذهنه. والكروبيّ، بتخفيف الراء، هو المقرّب من قولهم: كرُب الأمر إذا قرُب، فعلى هذا التقدير والتأويل يكون ذلك الملك الكروبيّ هو المخلوق الأوّل، ولكنّه لهذه الاعتبارات عقل، وقلم، وروح. والقلم قريب المعنى من العقل. قال الله تعالى: ﴿علّم بالقلم[6]﴾ (العلق؛ 4). [قال بعضهم أي بالعقل][7]، لأنّ الأشياء تعلم بالعقل. وقد يكون العقل بمعنى العاقل[8] كالعدل بمعنى العادل.

فإنْ قيل: إذا[9] كان العقل عبارة عن مَلَك بهذه الاعتبارات، فما وجه الحديث الصحيح: "إنّ الملائكة خلقوا من نور[10]"[11]؟ فيجب أنْ يكون النور سابقا على العقل والملك جميعا؟

[1] الهيثمي نور الدين، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1422هـ/ 2001م، ج8، ص 25، حديث: 12715.

[2] في (ص) "أن".

[3] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 457، كتاب القدر، باب 17، حديث: 2155.

[4] في (س) "ويسمى".

[5] في (س) "بقولهم".

[6] في (س) "بالعقل".

[7] سقط من (ع).

[8] في (ص) زيادة "في اللغة".

[9] في (س) و(ع) "فإذا".

[10] في (ق) من النور والصواب من (ش).

[11] مسلم، صحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، حديث: 2996.

الجواب: وقد جاء أيضا أنّ القلم خلق من نور، وقد سمّى الله تعالى العقل نورا في مواضع من القرآن، فالنور إذن| | 59 لا ينافي هذه الأشياء إذ من غلبة النوريّة على ذلك المخلوق كأنّه خلق من نور، كما قال الله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ (الأنبياء؛ 37)، وذلك لغلبة العجلة عليه، تصديقه قوله: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ (الأنبياء؛ 37).

وأمّا الحديث المشهور: "أوّل ما خلق الله جوهرة، وفي رواية "درّة"، فنظر إليها وخلق منها كذا وكذا."[1]، فهو أنّ الأجسام على ضربين: لطيفة، وكثيفة، فمعناه: أوّل ما خلق من الأجسام اللطيفة الملك الذي سمّاه عقلا وقلما، وأوّل ما خلق الله من الأجسام الكثيفة الدرّة التي سمّاها جوهرة، فلا يكون فيه تناقض [والله أعلم][2].

وهذا أصل[3] كبير لمن تأمّله، وبيانه أنّ الله تعالى أبدع أوّليّات الأشياء بقدرته من غير شيء، وهو معنى قوله: ﴿كن فيكون﴾. وهذه اللفظة، أعني "كن" عبارة عن سرعة تعلّق القدرة بالمقدور المعلوم من غير زمان، إذ لا زمان هناك، فكأنّه لمّا أراد تكوين الشيء كوّن، فكان ذلك الشيء في الحال من غير استمهال. فسرعة وقوع ذلك الشيء بقدرته[4] هي قوله "كن"، وهذه من مقتضيات الأشياء تسمّى لسان الحال.

قال منصور بن الشمّاخ[5] يصف ضعفه وهرمه، وكان من المعمَّرين:

ثلاث مئين[6] قد مررن كوامـــــــلا ... وها أنا هذا ارتجي مرّ أربـــع

فأصبحت مثل الفرخ في العشّ ثاويا ... إذا رام تطيارا يقال له: قـــع[7]

---

[1] الثعلبي، عرائس المجالس في قصص الأنبياء، حيدر آباد، ص 6. وانظر بخصوص رواية الدرة الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق أبو محمّد عاشور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1422هـ/ 2002م، ج 9، ص 184. والحاكم، المستدرك، ج 2، ص 516، كتاب التفسير، تفسير سورة الرحمن، حديث: 3771 و ص 565، كتاب التفسير، تفسير سورة البروج، حديث: 3917.

[2] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[3] في (س) "الأصل".

[4] في (س) "التي بقدرته".

[5] لم نجد لهذا المعمّر ذكرا في الكتب التي كانت في متناولنا.

[6] في (ص) "ما بين".

[7] هذه الأبيات اختلف في نسبتها والغالب أنها لعمرو، وقيل كعب، بن حممة بن رافع بن الحارث الدوسي من الأزد، أحد حكام العرب، وأحد المعمّرين الذي قال في نفس القصيدة:

قوله قع، عبارة عن سرعة وقوعه عند النهضة، وليس هناك قول أحد له قع، وكذلك المعنى في قوله "كن". وإنّما شرحت هذا المعنى لغموضه فاعلم.

ثمّ إنّه تعالى لمّا أبدع الأوّليات من لا شيء، كان يخلق بعد ذلك الشيء من شيء سابق في الوجود على المخلوق الثاني كما خلق آدم من تراب، والسماء من دخان، والملائكة من نور، والجانّ من نار السموم، والناقة من صخر، والفرس من ريح. وقد صرّح ذلك في كتابه، قال الله تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ (الأعراف؛ 185)، فنبّه على أنّ الملكوت [أوليّات][(1)] لم تخلق من شيء، وما سواها خلق من شيء، ثمّ نبّه على خطر فوات النظر بانقطاع الأجل فقال: ﴿وأنْ عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ (الأعراف؛ 185). وهذا بيان ما سبقني أحد إليه[(2)] فيما أظنّ، ولعلّ ذلك أقرب من الصواب ممّا قيل: إن الأوّليات عامّ ومعناها خاصّ، كقوله: ﴿وأنا أوّل المؤمنين﴾ (الأعراف؛ 143) لأنّ عموم الأوّليّة في كلّ شيء إذا جاز تخصيصه، لم يتحقّق قطّ إيجاد مخلوق أوّلا لاستواء الجميع في قبول التخصيص بشيء ما. وممّا يحقّق هذا الأصل قوله تعالى: ﴿ن، والقلم وما يسطرون﴾ (القلم؛ 1). قال الحسن[(3)]: "النون الدواة."[(4)] [وقيل النور][(1)]، وقيل الحوت، وقيل نهر في الجنّة. وقالوا إنّ مداد القلم من تلك الدواة هو النور؛ وهذه أقوال متقاربة[(2)].

كبرت وطال العمر مني كأنّني سليم أفاع ليلــه غير مودع

فما القسم أبلاني ولكن تتابعت عليّ سنون من مصيف ومربع

انظر السجستاني، كتاب المعمرين، تحقيق كولدسيهر، ليدن، بريل، 1922، ص 22؛ الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمّد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، 1411هـ/ 1991م، ص 217. الميداني، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السنّة المحمّديّة، 1374هـ/ 1955م مجمع الأمثال، ج 1، ص 39.

(1) زيادة من هامش (ش).

(2) في (ص) "إليه أحد".

(3) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (110،21هـ/ 642-728م) إمام وعالم، ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة وتوفي بالبصرة وله من العمر ثمان وثمانون سنة. الذهبي، سير، ج 4، ص 563-588. ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروة عكاشة، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1400هـ/ 1981م، ص 440-441.

(4) ينسب هذا القول لابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن البصري، والضحّاك، انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8، ص 223.

واعلم أنّ هذا القلم جار في يد صاحبه على اللوح المحفوظ، واللوح هو الخلق الثاني بعد القلم القابل لأثر[3] مجاري القلم من الكتابة، ||60 على ما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة. وإنّما سمّي لوحا لسعته، ومنه سمّي الهواء لوحا. ويحتمل أنّه سمّي به لما يلوح[4] عليه من الخطوط، أي يظهر عليه، وسمّي محفوظا لأنّ ما كتب فيه محفوظ من المحو والتغايير أبدا[5]، فلا مبدّل[6] لكلمات الله. وسمّي إماما لأنّ الكوائن تنسخ منه، فكأنّها[7] تَأْتَمُّ به في الوجود، ومنه سمّي المصحف المكتوب بيد عثمان رضي الله عنه إماما. قال الله تعالى: ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ (يس؛ 12)، أي في اللوح المحفوظ.

واعلم أنّ للوح[8] مع العرش على ما دلّت عليه الأحاديث اتصالا خفيّا عن أفهام الخلق، فقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "ما من شيء من الخلق إلّا وصورته تحت العرش"[9]. فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبّت﴾ (الرعد؛ 39)، وقال: ﴿لا مبدّل لكلمات الله﴾ (الأنعام؛ 115)، فكيف الجمع بينهما؟

فاعلم أنّه قد[10] ذكر فيه[11] أقوال كثيرة[12]، ولكنّي أرى أنّ الصواب أنْ يحمل المحو والإثبات على دفع القضاء عن بعض المقضيّ عليه [إمّا بدعاء، أو بصدقة، أو بصِلة رحِم إلى غير ذلك، فإنّ

---

(1) سقط من (س).

(2) في (س) "متقارنة".

(3) في (ص) "الأثر".

(4) في (ش) "يدوّن".

(5) سقط من (س).

(6) في (س) "فلا يتبدل".

(7) في ج "وكات انم به" وكتب بهامشه " وكان تأتم به" وفي (س) و(ع) "وكأنما".

(8) في (ق) و(ص) "اللوح".

(9) لم نجد هذا الأثر إلا عند المتأخرين كالقاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة 685 هـ/1286م في طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، تحقيق عباس سليمان، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 1411هـ/ 1991م، ص 149.

(10) سقط من (ص).

(11) سقطت من (ش).

(12) في (س) "فاعلم أنه كل فيه أقوال".

أصل المكتوب لا يكاد ينمحي قطّ ولكنّه يندفع عن المقضيّ عليه][1] بسبب، والدليل عليه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وعنده أمّ الكتاب﴾ (الرعد؛ 39)، فهو في الكتاب مثبت كما كان، ولكنْ بالنسبة إلى المقضيّ عليه كأنّه قد مُحي إذ دفع عنه بسبب. ومثاله أنّ زمهرير الشتاء لا يردّ من الهواء ولكنّه قد يدفع عن بعض الناس بالاصطلاء ولبس الأوبار والفراء، وفي هذا سرّ الدعاء المستجاب كما قال ﷺ: "لا يردّ القضاء إلّا الدعاء".[2] وسيأتي باب الدعاء على الاستقصاء.

وهذه المسألة قد سَأَلَ جمّ الملك إدريس النبيّ[3] ﷺ فقال له إدريس: "هل رأيت حبّة سالمة[4] خرجت من فم الرحى الدائرة؟" قال جمّ: "نعم." قال إدريس: "لمّا أراد الله سلامة تلك الحبّة ما استوقف الرحى عن الدوران، ولكنّه هيّأ لها حفرا بين الحجرين، وحماها من الانكسار بازدحام أخواتها عند الطحن، فانتقلت الحبّة من حفرة إلى حفرة حتّى خرجت سالمة والرحى تدور كما كانت. كذلك الله سبحانه إذا أراد دفع بلاء عن عبد، هيّأ لدفعه عنه أسبابا دوافع[5] [فتنزل[6] ويندفع

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[2] القضاعي، مسند الشهاب، ج2، ص 35-36، حديث: 831؛ 832.

[3] ليس في (س).

[4] في (ص) "سالة".

[5] ختم ناسخ (س) هذا الباب عند هذا القدر، ولم يأت بالفصل الأخير وأضاف إليه مناجاة مخالفة لما في باقي المخطوطات ولم نعثر على بعض عباراتها إلا في كتب الشيعة الإسماعيلية، وقد جاءت كالتالي: "سبحان من مبدئ [كذا] الزمان، سبحان من ملأ الدهر قدسه، سبحان من يغشى الأبد نوره، سبحان من أشرق كل ظلمة ضوءه، سبحان من قدر بقدرته كل قدر ولا يقدر أحد قدره، سبحان من خلق السماوات والأرض وما بينهما من العجائب الظاهرات، من النور والظلمات والنجوم الجائرات، والشمس والقمر والسحاب المتصرفات، سبحان الله الرؤوف الرحيم، سبوح قدوس الرب الحي الحليم". انظر على سبيل المثال ص 38 كتاب فضائل علي لأحمد بن محمد الخليلي الطبري، الطي جمعه ونشره حسن علي الأنصاري ضمن ملحق كتابه:

L'imamat et l'occultation selon l'imamisme : étude bibliographique et histoire de textes, Brill, Leiden, 2016.

[6] في (ص) "فينزل القضاء".

البلاء في الطريق فلا يصيبه." [1] وهكذا جاء في الحديث: "ينزل القضاء ويصعد الدعاء فيعتلجان في الهواء حتّى يموت صاحبه". [2] تأمّل هذا الكلام فإنّك لا تجده في كتاب.

[1] جَم أو جمشيد أو جمشيذ بن طهمورث بن سيامك بن كيومرث، من أهمّ شخصيات الشاهنامه، وقد ذكر اسمه في الأساطير الآرية الدينية والتاريخية. واسمه كلمة مختصرة من " يما خشَيتا " أي " يما الملك " فلفظ " شيد " لقب، ومعناه " المتلألئ ". ولذلك يذكر جمشيد في بعض الكتب العربيّة كالطبري باسم جم الشيد. الطبري، تاريخ، ج 1، ص 174.

[2] القضاعي، مسند الشهاب، ج 2، ص 48، حديث: 859؛ ص 49-50، حديث: 861.

فصل

واعلم أنّ القضاء والقدر عبارتان عن مجاري هذا [1] القلم على اللوح بمقتضى علم الله تعالى ومشيئته، ولذلك تارة يعبّر عن علمه بالقضاء، وتارة عن حكمه ومشيئته، والأصل ما ذكرته. والفرق بين القضاء والقدر هو أنّ القدر أعمّ والقضاء أخصّ، فتدبير الأوّليّات قدر كما قال تعالى: ﴿إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر، وما أمرنا إلّا واحدة[2]...﴾ (القمر؛ 49-50)؛ وسوق تلك الأقدار بمقاديرها وهيئاتها إلى مقتضاها هو القضاء. قال الله تعالى: ﴿إذا قضى أمرا فإنّما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة؛ 117)؛ فالقدر إذن تقدير الأمر بدأً، والقضاء فَصْلُه وقَطْعُه ذلك الأمر. يقال: "قضى القاضي بينهم" أي: فصل الحكم وقطعه. قال ||61 الله تعالى: ﴿لقُضي إليهم أجلهم﴾ (يونس؛ 11) أي قُطع. فمثال القدر وضع الشطرنج لواضعه الأول في ذهنه وهو صصة[3] بن داهره، ومثال[4] القضاء ظهور منصوباتها وأشكال لعبها إلى يوم القيامة، فإنّها لا تخرج قطّ عن أصل الوضع الأوّل البتّة وإنْ اختلفت[5] أوضاعها وتكاثرت صورها إلى ما لا نهاية. وعند تأمّلك[6] هذا المثال، تجد كسب العباد موقوفا على وفق قضاء الله وقدره، ومشيئتهم رهن مشيئته. ولقد غلط من قال إنّ الشطرنجيّ قدريّ، فإنّه مع حذقه وجودة لعبه إلى الجبر أقرب، إذ لا يمكنه الخروج عن أصل[7] الوضع، وإنّما اختياره بالنّسبة إلى الوضع[1] الأصلي في محلّ الجبر، مثل

---

[1] سقطت من (ش)، وفي (ح) "مجازي".

[2] في (ش) زيادة ﴿كلمح بالبصر﴾.

[3] في (ق) "صنعه"

[4] في (ش) "وشأن".

[5] في (ص) "اختلف".

[6] في (ح) "تأمل".

[7] في (ح) "الأصل".

صاحب النرد كما بيّنّاه في باب الكسب، فافهم واعرف قدره. وكان حجّة الإسلام الغزالي رحمه الله[2] وضع القضاء بإزاء الأمر الواحد الكليّ الذي هو كلمح البصر، والقدر بإزاء التفصيل لآحاد المقدّرات. ذكره في المقصد الأسنى [3]، ولكنّ الأئمّة القدماء على خلافه والله أعلم.

مناجاة[4]:

سبحان من في الأزل منعوتا بالصفات الأزليّة من القدرة والعلم والمشيئة، فبدأ الخلق بإبداع ملَكٍ عظيم وسمّاه قلما إشارة منه إلى أنّه مخلوق بتلازم هذه الصفات الثلاث، فالقاف من قدرته، واللام من علمه، والميم من مشيئته. ثمّ لمّا ملّكه أمر الملكوت سمّاه ملكا، ثمّ ختم الخليقة بخلق خليفته آدم من طين، وملّكه ممالك الأرض وسمّي ملِك الطين. فهذا ملِك بالكسر وهذا ملَك بالفتح لأنّ مُلك هذا في السِّفل ومُلك ذاك في العلوّ، والكسرة سافلة والفتحة عالية. ثمّ فوّض الكتابة إلى القلم، وفوّض[5] العلم إلى آدم، فما كتبه القلم هناك قرأه آدم هنا، وهو قوله: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ (البقرة؛ 31).

إلـهي انقش على ألواح[6] أرواحنا علوما نافعة، وهيّء لأركان أشباحنا أعمالا رافعة، زيّن صفحات أيّامنا بأنوار العبادة، واختمها على النجح والسعادة، يا حنّان يا منّان يا كريم[7].

---

[1] في (ص) "الواضع".

[2] في (ص) "رضوان الله عليه"

[3] الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق محمود بيجو، دمشق، مطبعة الصباح، 1420هـ/ 1999م، ص 76.

[4] في (ج) "المناجات".

[5] في (ج) "وفوق".

[6] في (ش) "الألواح".

[7] ليس "يا كريم" في (ق) فقط..

الباب العاشر

[في خلق الأرض](1) وخلق آدم عليه السلام (2)

عن عمران بن حصين رحمه الله(3) قال: "كنت عند رسول الله ﷺ، إذ جاءه قوم من تميم قالوا: "جئناك لنتفقّه في الدين ولنسألك عن أوّل هذا الأمر ما كان." فقال ﷺ: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثمّ خلق السماوات والأرض، [وكتب في الذكر كلّ شيء."(4) هذا حديث يدلّ على أن عرشه قبل السماوات والأرض.](5)

وعن جعفر بن محمّد رضي الله عنه عن أبيه عن جدّه أنّه قال: "لمّا نظر الله إلى الجوهرة التي خلقها أوّلا جمدت فصارت حمراء، ثمّ نظر نظرا ثانيا فذابت وارتعدت من خوف ربّها فصارت ماء، ثمّ نظر إليها نظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش، فارتعد العرش فكتب الله [عليه](6) لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فسكن العرش، وترك الماء على حاله يرتعد إلى يوم القيامة، وفي العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى. " | | 62

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "خلق الله العرش من عظمته له ثلاثة وستّون برجا من ياقوتة حمراء ومن زبرجدة خضراء، ومن لؤلؤة بيضاء، كلّ برج أوسع من الدنيا ثلاث مرات"(7).

---

(1) ما بين المعقوفتين ليس في (س)، وسقط "خلق" من (ع).

(2)"عليه السلام" ليست في (ش) وفي (ص) زيادة "منها".

(3)(3) في (ج) "رضي الله عنه". في (ج) "الزبر".

(4)أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 2، ص 216.

(5)سقط ما بين المعقوفتين من (ش).

(6) زيادة من هامش (ش).

(7) لم نقف عليه.

وعن أبي ذرّ الغفاري رحمه الله قال: "قلت لرسول الله ﷺ: "أيّة آية أنزلها[1] الله عليك أعظم؟" قال: "آية الكرسيّ." ثمّ قال: "يا أبا ذرّ، ما السماوات السبع في الكرسيّ إلا كحلقة ملقاة في فلاة، والكرسيّ بين يدي العرش"[2].

وفي خطبة عليّ [بن أبي طالب][3] رضي الله عنه: "كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة[4]، ولجج بحار زاخرة، تلتطم أوادي أمواجها، وتصطفق متقاذفات أثباجها، وترغو زبدا كالفحول عند هياجها" [5].

فهذه أخبار وآثار صحاح تركنا أسانيدها مخافة التطويل، وهي بجملتها تدلّ على أنّ أوّل ما خلق الله من الأرض درّة، وأنّها ذابت من خشية [6] الله فصارت ماء، وأنّ لطائفها تصاعدت بقدرته إلى فوق، فخلق منها العرش المحيط بجوانبها، وذلك قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ (هود؛ 7)[7].[في القرآن، وفي رواية عمران بن حصين "وكان عرشه على الماء"][8]. ثمّ خلق السماوات والأرض، ثمّ من تلاطم الأمواج أيضا صعدت أدخنة وارتفع بعضها متراكما على بعض فخلق منها السماوات السبع طبقا فوق طبق، وكان لها زبد طاف كما أخبر. ﴿ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان﴾ (فصّلت؛ 11)؛ وإنّما خلقها من دخان ولم يخلقها من بخار لأنّ الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقرّ عند منتهاه، والبخار يتراجع، وذلك من كمال علمه وحكمته؛ ثمّ بعد ذلك مدّ الزبد على وجه الماء ودحاه فصار أرضا بقدرته، وذلك قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ (النازعات؛ 30)؛ ثمّ نظر إليها بعين الرحمة فجمدت كما جاء في الحديث قوله: "فجمد بعضها." وهو التذلّل في قوله تعالى: ﴿جعل لكم الأرض ذلولا﴾ (الملك؛ 15)، وأشار إلى هذه الجملة بقوله تعالى:

---

(1) في (ج) "أنزل".

(2) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 1، ص 166-167.

(3) ما بين المعقوفتين ليس في (ق).

(4) في (ج) "مستعجلة".

(5) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد إبراهيم، بغداد، دار الكتاب العربي، 1428هـ/ 2007م، ج 5/ 6، ص451.

(6) في (ق) من "هيبة".

(7) في (ش) في القرآن وفي رواية عمران بن حصين ﴿وكان عرشه على الماء﴾.

(8) سقط ما بين المعقوفتين من (ص) و(ق)

﴿أولم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ[1]﴾ (الأنبياء؛ 30) فتأمّلها.

ثمّ][2] {لمّا أراد خلق خليفة الأرض بعث إليها عزرائيل [عليه السلام][3]، بعدما رجع جبريل وميكائيل عليهما السلام كما جاء في الحديث، فأخذ عزرائيل قبضة تراب سلّها من جميع وجه الأرض وطرحها وسط الأرض، وهو بين مكّة وطائف[4]، لأنّه جذبها من أطراف الأرض ونواحيها إلى وسطها وسرّتها، وكان عزرائيل يومئذ يتولّى القبضة ولم يعبأ بشكاية الأرض ممّا نقص منها، كما في الحديث، كذلك هو يتولّى قبض الأرواح من أجسادها إلى القيامة، ولا يرثي لباك حتّى يردّ جميع وديعة الأرض إليها، كما قال الله تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ (طه؛ 55)؛ فما من أحد يموت إلّا ويدفن في التربة التي خلق منها على ما جاء في الحديث[5]. ولمّا نظر الله سبحانه إلى الأرض بعد خلقها نظر الرحمة، كان الذي قبضه عزرائيل من الذرّات مواقع نظره تعالى، وهي أديم الأرض كلّها، فخلق آدم وذريّته منها، وكانت إليه الإشارة بقوله تعالى[6] "سبقت رحمتي غضبي."[7] لأنّهم مخلوقون من مواقع نظر رحمته أوّلا. ولمّا كانت تلك القبضة وجه الأرض، ولجلدة[8] الوجه ظاهر وباطن، يسمّى ظاهرها بشرة وباطنها أدمة، سمّي المخلوق منها آدم ||63

---

[1] في (ح) زيادة ﴿أفلا يؤمنون﴾.

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (س) ابتداء مما قبل الفصل الأخير من الباب السابق (التاسع) ومناجاته وبداية الباب العاشر والدي هو كما ذكرنا الحادي عشر في (س). وبدأ الباب كالتالي: "وفي الخبر لما أراد الله أن يخلق آدم عليه السلام بعث ...".

[3] استدراك من (ش).

[4] كذا وردت في جميع النسخ.

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 44، ص 120-122.

[6] سقطت من (ش).

[7] البخاري، صحيح، كتاب التوحيد، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾، ﴿وهو رب العرش العظيم﴾، حديث: 6986، كتاب التوحيد، باب ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾، حديث -7015، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾، حديث 7114 -7115، وورد أيضا بصيغة: "غلبت غضبي"، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾، حديث: 3022، وبلفظ "و تغلب غضبي"، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، حديث: 6969.

[8] في (ح) "ولجدة".

باعتبار خلقه من أدمة الأرض، وهي طرف جلدتها ممّا يلي الباطن، وسمّي بشرا باعتبار خلقه من بشرتها الظاهرة فقال تعالى: ﴿إنّي خالق بشرا من طين﴾ (ص؛ 71). وفيه نكتة وهي أنّ ذرّات بشرة الأرض ظاهرة وذرّات أدمتها باطنة، فكانت البشريّة من الإنسان عبارة عن صورته الظاهرة وأدميّته عبارة عن أخلاقه الحميدة في الباطن.

قال محمّد بن عبد الله الترمذي[1] في كتاب "غور الأمور"[2]: "إنّ إبليس كان يمشي على وجه الأرض، فبعض مواضع الأرض مسّ قدمه وصار موطأ رجله، وبعضها صار بين قدميه، وبعضها لم يصل إليه قدمه ولا ظِلُّه، فالنفس الباطنة خلقت من تراب قدميه، والنفس الظاهرة خلقت ممّا بين قدميه حيث سامته ظلّه، [وخلق القلب من تراب لم يصل إليه قدم إبليس ولا ظلّه][3] وهو التراب المنظور إليه نظر الرحمة". ثمّ قال: "وهذا مثل آدم عليه السلام، لمّا[4]} أهبط جال جميع الدنيا فما وطئ عليه قدمه نالته رحمة وبركة فصار بلدة ومدينة، وما كان بين قدميه من الأرض صار قرى وسبلا، وما لم يصل إليه من الأرض صار مفاوز"[5].

---

[1] المقصود هنا هو أبو عبد الله محمّد بن عليّ الترمذي صاحب كتاب غور الأمور المشهور بالحكيم الترمذي، وليس كما ورد في النسختين محمّد بن عبد الله الترمذي.

[2] غور الأمور، تحقيق أحمد عبد الحليم السايح وآخرون، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ/ 2002م. ويعرف هذا الكتاب أيضا بعنوان: الأعضاء والنفس.

[3] ما بين المعقوفتين ليس في (ق).

[4] ما بين القوسين المزهرين ليس في (س) وتجد مكانه النص التالي "في الخبر، لما أراد الله أن يخلق آدم عليه السلام بعث عزرائيل عليه السلام ليأتيه بقبضة من الأرض، فقبض منها بقبضة من جميع بقاع الأرض وصعد إلى السماء، ثم جعل الله من تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار فتركها، ثم أخرجها فجعلها طينًا لازبًا يلصق باليد مدة، ثم حمأ مسنونا، ثم صلصالا، ثم جسدا، ثم ألقاه على باب الجنة، وقيل إلى طريق الملائكة التي تصعد وتهبط عنها بين مكة والطائف، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم فزعا إبليس، فكان يمر به فيضربه برجله فيصوت جسده كالفخار، ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره، فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لإن سلطت عليه لأهلكنه. فلما تم عليه أربعون سنة نفخ فيه الروح، أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجري شيء في جسده إلا صار لحما ودما، فلما دخل الروح إلى عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل إلى جسده اشتهت الطعام، فلما انتهت إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه فذهب لينهض فلم يقدر، فلما تمت النفخة في جسده عطس واستوى بشرا سويا. ثم لما لم يكن بها بشر غيره حتى يؤانسه ويجانسه حصلت له الوحشة فخلق الله الحوى [كذا] من ضلعه اليسرى وآدم بين النوم واليقظة من غير إحساس ألم منها فاستيقظ عنده. ثم لما قارف الذنب أهبط ..".

[5] الترمذي، غور الأمور، ص 44-45.

وقال أيضا[1] رحمه الله في بعض كتبه عن بعض الكبراء، أظنّه الخضر عليه السلام، أنّه قال: "محلّ المعرفة من الإنسان [هو الذرّة التي نظر إليها الرحمن يوم جمد الماء أرضا، وباقي جسده توابعها][2] وذلك ما لم يصبها قدم إبليس ولا ظله[3]، وهو لبّ القلب في حبّته السوداء، وعلى تلك يدور العَوْد والإنشاء[4]." وهذا أصل كبير، وسيجيئ بعد هذا مشروحا.

قال: "وجاء في الحديث أنّ إبليس سأل الله تعالى السبيل إلى القلب فقيل[5]: "إنّه محرّم عليك أنْ تدخله ولكنْ لك السبيل في مجاري عروقه المشتبكة بالنفس إلى حدّ القلب." وذلك أنّ العروق أصلها في النفس ورأسها في القلب، فإذا دخلت العروق وجريت[6] فيها عرقت في العروق من ضيق مجاريها، فامتزج عرقك بماء الرحمة المترشّح من جانب القلب في مجرى واحد، ويصل بذلك سلطانك إليه فتغلب صاحبه، ومن جعلته نبيّا أو وليّا قلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما، فإذا دخلت العروق لم تجاوز المشتبكة فلم يصل إلى القلب سلطانك"[7].

ومنه أنّ محمّدا ﷺ شقّ قلبه وأخرج العلقة عنه فانسدّ طريق الشيطان. وهذه الجملة في معنى قوله: ﴿إنّه ليس له سلطان [على الذين آمنوا][8]﴾ الآية (النحل؛ 99).

ويقال لمّا بلغ روح آدم عليه السلام إلى تلك الذرّة التي أودعت صميم القلب، استعجل وبادر إلى القيام ونصفه الأسفل طين كما قال تعالى: ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ (الإسراء؛ 11).

واعلم أنّ جميع الذرات المأخوذة من بشرة[9] الأرض أودعت || 64 ظهر[10] آدم عليه السلام، ولذلك[1] كانت جثّته أعظم الخلق، وقامته أطول، حتّى إنّ رأسه كان يصطك بالسحاب فصلع[2]

---

[1] سقط من (س)، ولم يترحم عليه وفيه "قال أغار".

[2] ما بين المعقوفتين ورد بهامش (ش).

[3] في (ص) "ولا ظلّه".

[4] سقط "العود" من (س) وفي (ج) "الإناء".

[5] في (ق) "فقال".

[6] في (س) " فإذا دخل العروق وجرت". وفي (ع) "دخل".

[7] الترمذي، غور الأمور، ص 61.

[8] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[9] في (س) "مأخوذة من سرة".

[10] في (س) "بظهر".

لذلك، ثمّ تصاغر أولاده شيئا فشيئا. فكلّ ما كان منه أبعد كان أصغر قامة إذ كان أشخاصهم بقدر ما أودع فيها من ذرّات الأولاد قرنا بعد قرن، حتّى انتهوا إلى صغر يأجوج ومأجوج. وكان قد تقاصر[3] أعمارهم إذ كانت فيما مضى طويلة، حتّى أن كثر النسل واستخرجت الذرّية من الأصلاب، ولاستخراج تلك الذرّات ندب أولاده إلى النكاح، كما قال نبيّنا ﷺ: "تناكحوا تكثروا"[4] الحديث. ولهذا شدّ النكير[5] والوعيد في تضييع الماء باللواطة، والعزل، والاستمناء، فقال النبيّ ﷺ: "إذا ركب الذكر الذكر اهتزّ العرش."[6] وقال: "العزل أحد الوأدين."[7] وقال: "ناكح اليد ملعون"[8]. ولو لم يكن في ذلك الماء خطر لكان صبّه مباحا كسائر المياه.

واعلم أنّ أولاد آدم على ضربين، ضرب يتّصل بهم النسل إلى يوم القيامة فتتقلب تلك الذرّات في أصلابهم من بطن إلى بطن، كما قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾ (الشعراء؛ 219)، وقصّة ظهور نوره في أجبنة[9] آبائه مشهورة، وضرب ينقطع نسلهم في أزمان وأوقات معلومة لله تعالى من يوم ولد أولاده إلى يوم القيامة.

---

[1] في (ص) "وكذلك".

[2] في (س) "السحاب فقلع".

[3] في باقي النسخ "يتقاصر".

[4] عبد الرزاق، المصنّف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، جوهانسبرغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1403هـ/ 1983م، ج 6، ص 173، حديث: 10391.

[5] في (ج) "الفكر".

[6] ينسب هذا القول لبعض الصحابة أو لبعض السلف ولم يثبت كحديث نبويّ. انظر شمس الدين السفيري، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البريّة، المعروف بشرح البخاري، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1425هـ/ 2004م، ج 2، ص 155.

[7] لم أجده إلّا بصيغة: " فقال رسول الله ﷺ: " ذلك الوأد الخفيّ. " مسلم، صحيح، كتاب النكاح، باب الغيلة وهو وطء المرضع، وكراهة العزل، حديث: 1442.

[8] ذكر البيهقي في شعب الإيمان حديثا بهذا المعنى: عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: سبعة لا ينظر الله عزّ وجلّ إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم، ولا يجمعهم مع العالمين، يدخلهم النار أوّل الداخلين، إلا أن يتوبوا، إلا أن يتوبوا، إلا أن يتوبوا، فمن تاب، تاب الله عليه، الناكح يده، والفاعل والمفعول به، والمدمن الخمر، والضارب أبويه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه، والناكح حليلة جاره ". البيهقي، شعب الإيمان، ج 4، ص 378، حديث: 5470. أمّا عبارة " ناكح اليد ملعون " فقد اختلف أهل العلم بالحديث في نسبتها إلى رسول الله ﷺ.

[9] في (س) "أجنة".

قال بعضهم:

تواصل حبل النسل ما بين آدم ... وبيني فلم يوصل بلامي باء[1]

يريد باللّام شخصه وبالباء[2] النكاح.

ولانقطاع العمر أسباب خفيّة وذلك أنّ لكلّ ذرّة أجلا مسمّى عند الله، فبعضها ينقطع وهي بعد نطفة، وبعضها يغيض الأرحام، وبعضها يموت جنينا [في البطن][3]، وبعضها يخرج سقطا، وبعضها يموت في المهد، وبعضها في الصبى فلم يبلغ. وعلى هذا المثال يكون لها آجال مقدّرة إلى أن تنتهي إلى أكمل[4] العمر وهو الأرذل كما[5] قال الله تعالى: ﴿ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر [لكي لا يعلم بعد علم شيئا][6]﴾ (النحل؛ 70)، وإنمّا سمّاه أرذل لتخاذل الأعضاء، وضعف الأركان، ونقصان الإحساس فيه. وقد قيل: "الشيب وكلّ عيب."[7] حتّى لا يرغب فيه أحد، قال بعضهم:

تعب هذه الحياة فما أعـ ... ـجب إلّا من راغب في ازدياد[8]

---

(1) في (س) يواصل" و"ياء" بدل "باء". والبيت التاسع من قصيدة لأبي العلاء المعري مطلعها:

أولو الفضل في أوطانهم غرباء تشذّ وتنأى عنهم القرباء

شرح اللزوميات، تحقيق سيدة حامد وآخرون، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،1412-1414هـ/ 1992-1994م، ج 1، ص 53.

(2) في (س) "الياء".

(3) استدراك من (ش)، وفي (ص) "في النطفة".

(4) في (ع) "ذلك".

(5) سقط من (ق).

(6) ما بين المعقوفتين ليس في (س).

(7) في (س) الشيب كل عيب". يعزو الثعالبي هذا القول ليوسف بن حبيب النحوي. انظر، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمّد الحلو، الرياض، الدار العربيّة للكتاب، الطبعة الثانية، 1403هـ/ 1983م، ص 386.

.8

(8) البيت من قصيدة للمعري مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شاد

سقط الزند، بيروت، دار صادر، 1376هـ / 1957م، ص 8. حيث جاء صدر البيت كالتالي: تعب كلّها الحياة...

فصل

واعلم أنّ الأخبار والآثار دلّت على أنّ أشرف ذرّة منها هي ذرّة نبيّنا محمّد ﷺ. وكان [عبد الله][1] بن عبّاس رضي الله عنه أشار إلى أنّ أصله من سرّة الأرض بمكّة. وقال القاضي الماوردي في كتاب النبوّة عن أبي نصر السكسكي[2] أنّ ما نطق من الأرض موضع الكعبة، ومن السماء ما[3] بحيالها فقالتا: ﴿أتينا طائعين﴾ (فصّلت؛ 11)[4]. وهذا يشعر بأنّ تلك الذرّة المجيبة من موضع الكعبة هي ذرّة المصطفى ﷺ. وكانت الكائنات متطفّلة [له لوجودها][5]، [وفيه معنى ما جاء في الأحاديث: لولاك ما خلقت الكون.][6]، | |65 ولذلك قالتا: ﴿أتينا طائعين﴾، ولم يقل طائعات لغلبة العقلاء على الجمادات. وكان روحه يومئذ مخلوقة لقوله[7] ﷺ: "أوّل ما خلق الله روحي". وحين سئل [ابن عبّاس][8] عن معنى "ص والقرآن،" قال[9]: "ص، بحر بمكة كان عليه عرش

---

[1] ليس في (س).

[2] في (س) و(ع) "السكسلي" والصواب من باقي النسخ، وفي النسخة المطبوعة من كتاب أعلام النبوة، ص 39، نقرأ أبو النضر السكسي، ولعلّه تصحيف لأنّنا لم نجد شخصا يدعى أبا النضر السكسي. السَّكْسَكي والسَّكْسَكي، الأوّل منسوب إلى السكاسك قبيلة من اليمن: إبراهيم بن عبد الرحمن أبو إسماعيل السكسكي، مولاهم سمع الأوزاعي روى عنه الليث وهو من رواية الأكابر عن الأصاغر وروى عنه الناسُ بعده. والثاني منسوب إلى جدّه الأعلى وهو الحسن بن الأزهر بن الحرث بن سكسك النيسابوري السكسكي، سمع إسحاق بن إبراهيم ومحمّد بن يحيي وأحمد بن حفص وغيرهم، روى عنه أبو بكر علي الحافظ وغيره. المقدسي، أبو الفضل، الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، تحقيق المستشرق دي يونغ، ليدن، بريل، 1282هـ/ 1865م، ص 75.

[3] سقط من (س).

[4] الماوردي، أعلام النبوّة، ص 39.

[5] سقط من (ج) و(س) و(ع) و(ق) وفي (ص) "بوجودها".

[6] ما بين المعقوفتين زيادة من هامش(ش).

[7] في (ق) وقال النبيّ.

[8] سقط من (ج).

[9] في (س) و(ع) "فقال".

الرحمن إذ لم يكن ليل ولا نهار."[1] وقال مرّة أخرى: "ص، الصادق وهو محمّد ﷺ»[2]. وإنّما أراد بالبحر الجوهرة السيّالة من هيبة نظر الله تعالى، وكان لها زبد طاف بسط أرضا، فجوهر[3] النبيّ ﷺ كان قلبها ولبّها. وقد قرئ في الشواذّ صادَ والقرآن، معناه: صاد الله قلب محمّد ﷺ بمحبّته[4]. وقال آخرون الصاد والصيد بمعنى، كالعاب[5] والعيب، وتأويله أنّه المصطفى والمختار في بدء الخلق ﷺ، [وذلك معنى قوله: "كنت نبيّا وآدم بين الماء والطين. "وفي رواية"][6] وآدم منجدل في طينته"[7].

وقال: "أنا أوّل الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا"[8]. ولذلك سمّي أمّيّا لأنّ مكّة أمّ القرى، دحيت الأرض من تحتها، وكانت تلك الذرّة أمّ الخليقة، فكان صلّى الله عليه أميّا لمعنيين جميعا.

فإن قيل: فلم دفن بالمدينة وقد قال ﷺ: "ما من أحد يموت إلّا ويدفن في التربة التي[9] خلق منها؟"[10]

قيل: إنّه يحتمل أنّ أصل جوهره كان بمكّة وسط الأرض، ولكنّ الماء لمّا تموّج رمى بالزبد إلى النواحي فوقعت جوهرة النبيّ ﷺ إلى ما يحاذي تربته بالمدينة لما[11] قال عليّ بن أبي طالب رضي

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 143.

[2] عند القرطبي في أحكام القرآن: صاد محمّد قلوب الخلق فاستمالها حتّى آمنوا به ". ج 5، ص 143. وتجده أيضا عند ابن الجوزي، زاد المسير، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1404هـ/ 1984م، ج 7، ص 97.

[3] في (س) و(ص) و(ع) "بجوهر"..

[4] في (س) و(ص) و(ع) "لمحبته".

[5] في (س) و(ع) "العاب".

[6] ما بين المعقوفتين ورد بهامش (ش).

[7] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: " إنّي عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، دعوة إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمّي التي رأت، وكذلك أمّهات النبيين يرين، وإن أمّ رسول اللَّه ﷺ، رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام. " ج 2، ص 134، حديث: 1385.

[8] أبو نعيم، دلائل النبوة، ج 1، ص 42، حديث: 3؛ قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ (الأحزاب؛ 7) " كنت أوّل الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث".

[9] سقطت من (ق).

[10] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 44، ص 120-122.

[11] في (ص) "ما".

الله عنه في خطبته: "تلتطم أوادي[1] أمواجها، وتصطفق متقاذفات أثباجها"[2]. والأثباج الظهور. وكان رسول الله على هذا المعنى مكّيًا مدنيًا، وصار ذلك الموضع ترعة من ترع الجنّة. ولذلك كان حنينه إلى مكّة وهو بالمدينة لأنّه أوّل منزله. قال أبو تمام[3]:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأوّل منزل[4]

ولمّا قدم عليه أصيل الخزاعيّ[5] من مكّة، كان النبيّ ﷺ يسأله عن أحوال مكّة قال: أنتشر إذخرها، وأبرم سلمها، وفاحت خزاماها." فقال ﷺ || **66**: " يا أصيل، دع القلوب تقّر"[6]. ولذلك قال: "حبّ الوطن من الإيمان". ولذلك كان بدء وحيه بمكّة.

فصل

واعلم أنّ ذرّات الذرّيّة لمّا أودعت في طينة آدم وهي في التخمير كما قال ﷺ: "إنّ الله خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحا"[7]. ومعنى التخمير، تعجينها بما أودع وأشرب في جبلّتها من الأخلاق

---

[1] في (س) "الوادي".

[2]ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 5/ 6، ص451

[3] في (ص) زيادة "الطائي".

[4] البيت من قصيدة مطلعها:

البينُ جرّعني نقيعَ الحنظلِ والبينُ أثكلني وإنْ لم أثكلِ

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ج 4، ص 253، قصيدة: 303.

[5]أُصَيْل بن سفيان بن عبد الله الهذلي، وقيل الغفاري، وقيل الخزاعي. ابن حجر، الإصابة، ج 1، ص 244، ترجمة: 215؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 9، ص 169، ترجمة: 1870.

[6]ابن حجر، الإصابة، ج 1، ص 244.

[7]ينسب هذا الأثر لسلمان الفارسي، انظر الآجرّي، كتاب الشريعة، تحقيق عبد الله بن عمر الدميجي، الرياض، دار الوطن، 1418هـ/ 1997م، ج 6، ص 854، أثر: 431-432.

والمعاني له ولأولاده إلى يوم القيامة؛ ومعنى بيده: اليد والأيد في اللغة القوّة، ولمّا خلق الله القوّة في اليد، سمّى هذا العضو يدا باعتبار ما خُصّ به من القوّة والقدرة كما يسمّي العين بصرا لما فيه من البصر، والأذن سمّي سمعا؛ وقوله "أربعين صباحا" خصّ بهذا العدد لأنّ كمال مراتب الأعداد أربعة: الواحد، والعشرة، والمائة، والألف. والعشرة عدد كامل [من الآحاد][1] لقوله: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ (البقرة؛ 196). فإذا كُرّر أربع مرّات بلغت النهاية في الكمال. وأمّا قوله: "أربعين صباحا." ففيه معنى لطيف وهو أنّ الله تعالى رشّ في مدّة التخمير كلّ صُبحة رشّة من نوره[2] على طينة آدم عليه السلام، والصبحة وقت ظهور الأنوار وهبوب نفحات الأسحار[3]، وكانت ذرّات أولاده مختلطة مختمرة[4] بطينته، والطينة مظلمة، فمن أصابه من ذلك النور في صباحه اهتدى وهم السعداء، والذين لم يصبهم من رشاش ذلك النور بقوا في ظلام طينتهم، ولم يسفر لهم صبح قطّ، وهم الأشقياء. وفي المثل السائر "ليس للعُمْي صباح." قال امرؤ القيس:

ألا أيّها الليل الطويل ألا انجلي ... بصبح، وما الإصباح فيك بأمثل[5]

| |69 وإنّما عنى[6] بالظلمة ظلّ الطينة البشريّة، وممّا يدلّ على هذه الجملة قول النبيّ ﷺ: "إنّ الله خلق الخلق في ظلمة، ثمّ رشّ عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن لم يصبه ضلّ وغوى"[7].

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[2] في (ق) من نور.

[3] في (ق) و(ص) "الأشجار".

[4] في (س) "متخمرة".

[5] البيت من المعلّقة، تجده في ديوان امرئ القيس، ص 18.

[6] في (ص) "أعنى".

[7] الكلاباذي، معاني الأخبار، ص، 96.

فصل

واعلم أنّ الذرّات الأصليّة في الخلقة دارت[1] من أوّل الجوهرة في أطوارها من تخمير طينة آدم وتقلّبها في أصلاب ذريّته وأرحام الأمّهات، ثمّ في تراب[2] البرزخ، ثمّ في إعادة الأرواح لها عند السؤال، ثمّ في القيامة إلى حصولها في النعيم أو[3] الجحيم، والله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء. وأصل الفطرة فيهم باق على ما كان، والزائد متغيّر بالنشوء، والمرض، والسمن، والهزال. ولا إنكار في هذه الزوائد، فإنّ قطرة المنيّ إلى أنْ يبلغ إنسانا كاملا قد لحقتها أجزاء كثيرة، إلّا أنّ الجميع إذا صوّره الله إنسانا اتّحد[4] حكمه وصار إنسانا واحدا، وإنْ تزايد بعض الأشخاص على بعض، فافهم، فقد ضلّ في هذا المحلّ عالَم، ولم يشرح هذا الشرح عالِم.

فإذا انتهت الذرّات التي أصابها النور إصابة صواب على وفق العلم والمشيئة لا إصابة اتّفاق، فعند ذلك تقوم الساعة، ولا مبالاة في بقاء الذرّات التي لم يصبها النور.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: "لا تقوم الساعة حتّى لا يقال على وجه الأرض الله، الله"[5].

وعن ابن مسعود عن النبيّ ﷺ: "لا تقوم الساعة إلّا على شرار الناس"[6].

---

[1] في (ص) "درات".

[2] سقط من (ص).

[3] في (ص) "و".

[4] في (س) "انحدّ" وفي (ص) و(ع) "احد".

[5] مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وفضل الأول ...، حديث: 234.

[6] عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدين إلّا إدبارا، ولا الناس إلّا شحّا، ولا تقوم الساعة إلّا على شرار الناس، ولا مهدي إلّا عيسى ابن مريم ". القضاعي، مسند الشهاب، ص 68-70، حديث: 898 وما بعده.

هذا الذي دلّت عليه لمحات الكتاب، وتنبيهات الرسل، وإشارات المشايخ المكاشَفين بالحقائق والمحدَّثين بها، ومباحثات العقول السليمة، وعلم الله فوق ذلك وهو أعلم العالمين.

مناجاة وموعظة[1]:

سبحان من خلق من طينة[2] آدم، وجعله في نفسه عالما [3]، فأسجد له جباه[4] أهل سماواته، وأظهره آية عظيمة من آياته، ثمّ ابتلاه بأكل حبّة، فأهبطه عاريا إلى هذه التربة، ثمّ خرج في الأرض بنوه، واغتروا بزخارف الدنيا ونسوه، وواعظُ اللهِ فيهم ينادي، من ||68 بطن كل وادي: يا أيّها الطاوس[5] المغرور بوشْيِه الملبوس، إلى كم تجلو نفسك جلوة العروس، لا يغرّنّك النظر إلى ريشك ورياشك، ولا إلى نعومة بدنك ورقّة معاشك، ولا إلى زهوك في مشيك وانتفاشك[6]، ولا إلى زخارف أعشاشك، ولكن انظر إلى ذمامة رجليك، ومصرع[7] أبويك، والأهوال التي بين يديك. رجلاك حاملتاك من الخلد إلى دار الابتلاء، وأبواك أوقعاك في سجن البلى والبلاء، فيا غرضا[8] معترضا لسهام[9] ثلاثة: سهم بليّة، وسهم رزيّة، وسهم منيّة. تنبّه للمنيّة يا نؤوم، يا من حياته نفَس بين نفسين، ولا يأمن على روحه طرفة عين.

---

[1] سقط من (س) وفي(ح) "المناجات والموعظة".

[2] في (س) و(ص) و(ع) "من ذرة".

[3] في (ش) و(ص) "آدما".

[4] في (ص) "حياة".

[5] ورد "طاوس" بهامش (ش)، وسقط من (ح) و(س) و(ع).

[6] في (ص) و(ع) "وانتقاشك".

[7] في (ق) "مصارع".

[8] في (ص) "عرضا"

[9] في (ح) و(ع) "بسهام".

إلهي نبّهنا من نومة الغافلين، واجعلنا من عبادك الصالحين، صفّ عيون أفهامنا من هبوات[1] أوهامنا، ونقّ صحائفنا من لطخات الخطيئة، واكتب فيها[2] رقوم السعادة الأبديّة، وامسح وجوه عقولنا عن غبرات الشهوات، يا مجيب الدعوات.

[1] في (ص) "هفوات".

[2] سقط من (س) و(ع).

الباب الحادي[1]
عشر في أخذ الميثاق [على الذرّات][2]

قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّياتهم[3]﴾ الآية (الأعراف؛ 172)، فيها اثنتا عشرة مسألة مشكلة:

1- منها، أن يقال: أين أخذ هذا الميثاق؟

2- ومنها كيف استخرجهم من ظهر آدم؟

3- ومنها، كيف جوابهم عن قوله: ﴿ألست بربّكم؟﴾ (الأعراف؛ 172)، أكانوا إذ ذاك عقلاء، أم قالوه[4] بلسان الحال، أم كان المخاطب يومئذ أرواحا؟

4- ومنها، إذ قال الجميع: "بلى" فلِمَ قبِلَ قوما وردّ قوما؟

5- ومنها، لو سبق لنا عهد وميثاق، فَلِمَ لا نذكره اليوم؟

6- ومنها، هل كانت تلك الذرّات مصوّرة بصورة الإنسان أم لا؟[5]

7- ومنها، متى تعلّقت الأرواح بها، أقبل خروجها من ظهره أم بعد الخروج؟

8- ومنها، ما الحكمة في أخذ الميثاق عليهم؟

9- ومنها، أنّه تعالى أعادهم إلى ظهره وهم أحياء أم استردّ أرواحهم | |69 ثمّ أعادهم أمواتا؟

10- ومنها، أين رجعت الأرواح بعد رجوع الذرّات إلى ظهره؟

---

[1] وهو الثاني عشر في (س).

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ص) و(ع). وفي مخطوط (ي) المستل من سراج العقول "رسالة السؤالات من المشكلات في أخذ الميثاق على الذرات".

[3] هكذا وردت في (ق) حسب قراءة ورش، وأما في باقي النسخ فضبطت "ذريتهم".

[4] في (ص) و(ع) و(ي) "قالوا".

[5] اختلف الترتيب في (ي) فسبقت المسألة 6 المسألة 5.

11- ومنها، أنّ الله تعالى يقول: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم﴾ (الأعراف؛ 172)، وعامّة الناس يقولون أنّه أخرجهم من ظهر آدم وحده؟

12- ومنها، أنّه جاء أنّ كتاب العهد والميثاق مستودع في الحجر الأسود، وأنّ للحجر عينين ولسانا.

فهذه اثنتا عشرة مسألة قد تحيّرت فيها عقول الفحول من العلماء، ولم أر في كتاب من المتقدّمين[1] والمتأخّرين فيها بيانا شافيا، وها أنا ذاكر على قدر وسعي بيانها، مستمدّا من الله سبحانه المعونة وإلهام الصواب.

المسألة الأولى: قولهم[2] أين أخذ هذا[3] الميثاق؟

الجواب: قال ابن عبّاس: "كان ذلك ببطن نعمان، وهو واد بجنب عرفة"[4].

وقال بعضهم: "كان بسرنديب[5] أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط به آدم من الجنّة".

وقال الكلبيّ[6]: "بين مكّة وطّائف [كذا]"[7].

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "كان أخذ الميثاق في الجنّة".

---

[1] في (ي) "أحد من المتقدمين".

[2] سقط من (ي).

[3] سقط من (س).

[4] القرطبي، أحكام القرآن، ج 7، ص 316.

[5] قال ياقوت عن سرنديب: "ديب بلغة الهنود: هو الجزيرة، وسرن لا أدرى ما هو، هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند، طولها ثمانون فرسخا في مثلها، وهى جزيرة تشرع إلى بحر هركند وبحر العباب، وفى سرنديب الجبل الذى هبط عليه آدم، عليه السلام، يقال له الرهون، وهو ذاهب في السماء يراه البحريون من مسافة أيّام كثيرة... ويُرى على هذا الجبل في كلّ ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا غيم، ويقال: إن الياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض فيلقط، وفيه يوجد الماس أيضا، ومنه يجلب العود فيما قيل، وفيها نبت طيب الريح لا يوجد بغيرها، ولها ثلاثة ملوك كلّ واحد منهم عاص على صاحبه. وإذا مات ملكهم الأكبر قطّع أربع قطع، وجعل كلّ قطعة في صندوق من الصندل والعود، فيحرقونه بالنار، وامرأته أيضا تتهافت بنفسها على النار حتّى تحترق معه أيضا". ياقوت، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، طبعة 1397هـ/ 1977م، ج 3، ص 215-216.

[6] الكلبيّ أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي، الشهير بابن ابن الكلبي توفي سنة204 هـ/ 820م، عالم بأنساب وأخبار العرب وأيّامها ووقائعها ومثالبها. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 16، ص 68- 70، رقم: 7338؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج 6، ص 2779-2781، ترجمة: 1207؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 6، ص 82- 84، رقم: 782.

[7] كذا في جميع النسخ عدا (ي). القرطبي، ج 7، ص 316.

وكلّها محتمل ولا فائدة في التعيين بعد صحّة الاعتقاد بأخذ الميثاق.

المسألة الثانية: قولهم كيف استخرجهم من ظهره[1]؟

الجواب: جاء في الحديث الصحيح: "أنّ الله مسح ظهر آدم وأخرج ذرّيّته منه كلّهم كهيئة الذرّ"[2]. وهذا حديث مشهور بألفاظ[3] مختلفة، ثمّ اختلف الناس في أنّه شقّ ظهره واستخرجهم [منه، أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه، وكلا الوجهين بعيد والأقرب أنّه][4] استخرجهم من مسامّ شعرات ظهره، إذ تحت كلّ شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سَمّ مثل[5] سَمّ الخياط، وجمعه مسامّ، ويمكن خروج الذرّة الصغيرة منها كما يخرج منها العرق المتصبّب والصئبان[6]، وهذا غير بعيد[7] في العقل، فيجب[8] الاعتقاد بإخراجها منه كما شاء. ومعنى مسح ظهره أنّه أمر بعض ملائكته بالمسح، فنسب ذلك إلى نفسه لأنّه بأمره كان[9]، كقوله تعالى: ﴿الله يتوفّى الأنفس [حين موتها]﴾[10] (الزمر؛ 42)؛ والربّ تعالى وتقدّس أن يقال: مسح ظهره بيده[11] على سبيل | |70 المماسّة، إذ لا اتصال بين القديم والحادث. ويحتمل أن يقال مسح ظهره، أي أحصى، وعدّ، وعلم مقادير الذرات في ظهره، كما يقال مسحت الأرض إذا عرفت مقادير أبعادها.

المسألة الثالثة: قولهم كيف أجابوه بقولهم [بلى][12]، أكانوا أحياء عقلاء أم قالوه بلسان الحال[1]؟

---

[1] في (ي) "ظهر آدم في الأول".

[2] هذا أثر ينسب لابن عباس في قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ إلى قوله: ﴿قالوا بلى شهدنا﴾ (الأعراف؛ 172). انظر الطبري، *تاريخ*، ج 1، ص 156- 157؛ وقارنه بما رواه الترمذي، *الجامع الصحيح*، ج 5، ص 267، رقم: 3076؛ وأبو داود، *سنن*، ج 3، ص 232، رقم: 4703.

[3] في (ي) "ورد بألفاظ".

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

[5] في (ي) "وهو".

[6] في هامش (ش) حاشية: " جمع صؤاب "، وسقط من (ص) و(ي)، وفي (ج) "والصبيان". وفي (س) "والمشان".

[7] في (ي) "مستبعد".

[8] في (ي) "صح""

[9] سقط من (ص).

[10] ما بين المعقوفتين زيادة من (ش).

[11] في (ي) "إلى يده".

[12] ما بين المعقوفتين زيادة من (ش).

الجواب: قد قيل الخطاب للأرواح، وأطالوا القول في ذلك، وقيل كان المخاطب ذرات لا أرواح فيها وإنّما[2] أجابوا بلسان الحال لا بلسان النطق والمقال[3]، كما قال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني... مهلا[4] رويدا قد ملأت بطني[5]

فإنّ[6] صورة الحال اقتضت ذلك وليس هناك قول، وأمثاله في كلام العرب كثيرة. وكان الإمام الغزالي رحمه الله شبهه بقوله: "السيف في الغمد قاطع، والماء في الكوز مرو،[7] ولكنّ[8] ذلك بشرط الضرب وهذا بشرط الشرب". ومعناه، للسيف صلاحيّة القطع، وللماء استعداد الإرواء. والصحيح عندنا أنّ جوابهم كان بالنطق وهم أحياء إذ لا يستحيل في العقل أن يؤتيهم الله الحياة والعقل والنطق مع صغرهم، فإنّ بحار قدرته واسعة، وحدث عن البحر ولا حرج. وغاية[9] وسعنا في كلّ مسألة أن نثبت[10] الجواز [ثمّ نَكِلَ كيفيّتها إلى الله تعالى][11].

المسألة الرابعة: قولهم إذا قال الجميع: بلى، فلم قبل قوما وردّ قوما؟

الجواب: قال محمّد بن عليّ الترمذي: "تجلّى الله للكفار[12] بالهيبة فقالوا بلى مخافة، فلم يكن ينفعهم إيمانهم لأن إيمانهم[1] كإيمان المنافقين؛ وتجلّى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم إيمانهم"[2].

---

(1) في (ي) زيادة "أو لا".

(2) سقط من (ق) و(ي).

(3) في (ح) "المحال".

(4) في (ص) "سلا" وكتب صوابها بالهامش.

(5) هذا البيت لا يكاد يخلو منه معجم أو كتاب نحو، كالمثل السائر، لا يعرف قائله.

(6) سقط من (ي).

(7) تجد كلام الغزالي في المستصفى بهذه الصيغة: الماء في الكوز مرو، أي بالقوّة، وليس الماء بمرو أي بالفعل، والسيف في الغمد قاطع وليس بقاطع. ومنه ثار الخلاف في أنّ البارئ في الأزل خالق أو ليس بخالق. الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمّد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1413هـ/ 1993م، ص 30.

(8) سقط من (ي).

(9) سقط من (ي)

(10) في (س) و(ع) و(ي) "يثبت".

(11) ما بين المعقوفتين ليس في (ي).

(12) في (ي) "الكفار".

وقيل إنّما قال السعداء عمدا، [وقال الأشقياء تقيّة، فامتحنهم[3] الله بالسجود فسجد السعداء][4] ولم يقدر[5] الأشقياء أنْ يسجدوا لَما كان في أصلابهم مثل سفافيد وكلاليب.

وقيل إنّ أصحاب اليمين قالوا: "بلى" حقّا فرجع صوتهم إلى جانب أصحاب الشمال وهم سكوت، وكان ذلك لهم كارتداد الصوت في شعاب الجبال والكهوف الخالية الذي يسمّونه الصدى. وكان هواء[6] الأرض يومئذ خاليا عن الأصوات، إذ لم يكن أحد في الأرض غير آدم عليه السلام، وإنّما هو محاكاة للصوت الأوّل ولا حقيقة له. قال الشاعر:

ودع كلّ صوت غير صوتي فإنّني... أنا القائل المحكي والآخر الصدى[7]

| |71 وقيل إنّما قالوا تسخيرا لا اختيارا كما قال الله تعالى: ﴿وسخّرنا مع داود الجبال يسبّحن والطير﴾ (الأنبياء؛ 79).

والصحيح عندي أنّ قولهم "بلى" كان على وفق السؤال، وذلك أنّ الله تعالى سألهم عن مربّيهم ولم يسألهم[8] عن إلهِهم ومعبودهم، ولم يكونوا يومئذ في زمان[9] التكليف، [بل كانوا في حالة التخليق والتربيّة، وهي الفطرة فقال: ﴿ألست بربّكم؟ قالوا بلى﴾ (الأعراف؛ 172)، لأنّ تربيّتهم إذ ذاك مشاهدة، فصدقوا في ذلك كلّهم[10]. ثمّ لمّا انتهوا إلى زمان التكليف][1] وظهور ما قضى الله

---

[1] في (ي) "إيمانهم ينفعهم" وسقط منها "لأن إيمانهم".

[2] علي سلطان محمّد القاري الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق جمال العيتاني، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1422هـ/ 2001م، ج 1، ص 303، حيث لم يعز هذا الكلام لأحد، وإنّما الذي عزاه للحكيم الترمذي هو نووي الجاوي في مراح لبيد لكشف معني القرآن المجيد، تحقيق محمّد أمين الضناوي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1417هـ/ 1997م، ج 1، ص 406.

[3] في (ق) "وامتحنهم".

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

[5] في (ي) "يقدروا".

[6] في (ص) "جر"، وسقط من (ي).

[7] البيت للمتنبّي من قصيدة مطلعها:

لكلّ امرئ من دهره ما تعوّدا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

الديوان، ص 373. ويروي الشطر الثاني من هذا البيت بالصائح والطائر مكان القائل.

[8] في (ي) "يسأل".

[9] في (ي) "زمن".

[10] جاء في حاشية (ش) ما يلي: " والسرّ فيه أنّ التربية يكون كذا] لغير الله كما قال: " كما ربّياني صغيرا. " والإلهيّة لله وحده.

لكلّ أحد[2] في اللوح من السعادة والشقاوة، فكان منهم من وافق اعتقاده [في قبول][3] الإلهية إقراره الأوّل، ومنهم من خالف، وهذا كلام صحيح.

المسألة الخامسة: قولهم لو سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلم لا نذكره اليوم؟

الجواب: إنّما لا نذكره لأنّ تلك البنية قد انتقضت وتداولته[4] الغير بمرور الدهور عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ثمّ تداركته[5] أجزاء كثيرة زادها الله فيها، ثمّ استحالت بتصريفها[6] في الأطوار الواردة عليها من العلقة، والمضغة، واللحم، والعظم، وهذه كلّها ممّا يوجب النسيان. فإنّ محلّ الذكر إذا اختلّ ذهب الذكر لا محالة. وقد روي عن عليّ رضي الله عنه: "إنّي لأذكر العهد الذي عهد إليّ ربّي". وإنّما أخبر الله تعالى عن أخذ الميثاق منّا تذكرة[7] وإلزاما للحجّة علينا فهذه فائدته.

المسألة السادسة: هل كانت تلك الذرّات مصوّرة بصورة الإنسان أم لا؟

الجواب: ما ورد في ذلك شيء، إلا أنّ الأقرب في العقول أنّها لم تكن مصوّرة [إذ السمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة بل يقتضيان محلا حيّا، فإذا أعطاها[8] الله الحياة والفهم جاز أن يتعلّق بها السمع والنطق، وإن كانت الذرّة غير مصوّرة][9] بصورة الإنسان، فالبنية[10] عندنا ليست بشرط

---

(1) سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

(2) في (ص) "واحد".

(3) سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

(4) في (ي) "انقضت وتداولت".

(5) في (ي) "تداولته".

(6) في (ش) "بتصويرها".

(7) في (ي) "تذكرة له".

(8) في (ص) "أعطاه".

(9) سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

(10) في (ص) "فالبينة".

وإنّما يشترطها المعتزلة، ويحتمل أنْ يصوّرهم بصورة الآدمي لقوله[1] تعالى: ﴿من ظهورهم ذرّيتهم.﴾ ولم يقل ذرّاتهم، ولفظ الذرّية[2] يقع على المصوَّرين والله أعلم.

المسألة السابعة: متى تعلّقت الأرواح بالذرّات[3]، أقبل خروجها من ظهره[4] أم بعد خروجها؟

الجواب: الظاهر [أنّه تعالى استخرجهم أحياء لأنّه سمّاهم ذرّية، والذرّية هم][5] الأحياء لقوله: ﴿وآية لهم أنّا حملنا ذريّتهم...﴾ (يس؛ 41)، وقال: ﴿وجعلنا ذرّيته هم الباقين﴾ (الصافات؛ 77)، فيحتمل أنّ الله تعالى | |72 خلق الأرواح [فيهم وهم في ظلمات [ظهر أبيهم، ويخلقها فيهم مرّة أخرى وهم في][6] ظلمات بطون أمّهاتهم، ويخلقها مرّة ثالثة فيهم وهم][7] في ظلمات بطون الأرض، هكذا جرت سنّة الله: ﴿ولن تجد لسنّة الله تبديلا﴾ (الأحزاب؛ 62).

المسألة الثامنة: ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم؟

الجواب: لأنّ[8] معهم هناك معرفة الفطرة كما ذكرناه، وهم يصيرون بعد ذلك إلى مقام الإدراك والتكليف، فيأتيهم الشيطان والأبوان فيدعونهم إلى غير التوحيد، فجعل الله تعالى الميثاق حجّة مبيّنة يتبيّن[9] بها من وفى بالعهد الأوّل ومن حاد عنه وغيَّرَ. ومثاله من دفع إلى صائغ[10] قطعة ذهب ليصوغ له حليّا، فأخذ عياره[11] في محكّ، ويضع المحكّ في درج، ويختم عليه إلى وقت خروج الحليّ من يد الصائغ، فيقابل[12] عياره بالمحكّ الأول هل هو باق على العيار الأوّل أم

---

(1) في (ي) "لقولهم".

(2) سقط من (ي).

(3) في (ق) "الذريات".

(4) في (ي) "ظهر آدم".

(5) سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

(6) سقط ما بين المعقوفتين من (س).

(7) سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

(8) في (ي) "كان".

(9) في (ص) "نبين" وفي (ي) "تبين".

(10) في (ص) "صانع".

(11) في (ي) "عيارك".

(12) في (ص) "الصانع فيقال".

متغيّر بخيانة الصائغ[1]؟ [وما أشبه[2] خيانة الأبوين المربّيين بخيانة الصائغ[3]][4]، والحجر الأسود بالمحكّ الأسود، وهذه الجملة معنى قول النبيّ ﷺ: "كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه كما يتناتج الإبل من بهيمة جمعاء، هل تحس من جدعاء؟ " قالوا يا رسول الله: " أفرأيت[5] من يموت صغيرا؟ " قال: " الله أعلم بما كانوا عاملين." [6] وفي رواية " كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يعرب عنه لسانه"[7].

وحقيقة هذا الأمر ما[8] ذكره الترمذيّ رحمه الله أنّ الله تعالى لمّا خلق الخلق، نظر إليهم نظر العظمة والجلال فأسبت الخلق[9] كلّهم، فسمّي ذلك اليوم يوم السبت، وهو من السبات الذي هو الدهش والوله، ليس[10] من الاستراحة كما ظنّت[11] اليهود، فكانوا يومئذ عرفوه بتلك النظرة معرفة ضروريّة ليس لأحد أنْ ينكره. فتلك اللحظة كانت فِطرة للخلق التي فطر الناس عليها. والفطرة انكشاف الغطاء، يقال: فطرت الأرض إذا شققتها لينكشف باطنها. فلمّا استخرجهم ذرّيّة من ظهره وآتاهم الحياة [والنطق، استنطقهم فقال: ﴿ألست بربّكم؟﴾ فعرفوه يومئذ بالفطرة][12] الأصليّة فقالوا: "بلى"، فأخذ منهم الميثاق وثيقة ليوم يرجعون إليه في الآخرة. فعلى هذا كلّ

[1] في (ص) "الصانع".

[2] في (ص) "وما شبه".

[3] سقط من (ج)، وفي (ق) و(ص) "الصانع".

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

[5] سقط من (ي).

[6] انظر مسلم، صحيح، كتاب القدر، باب: معنى كلّ مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث: 2658 وما بعده. الحسين بن الفراء البغوي، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1403هـ/ 1983 ج 1، ص 153- 154، حديث: 83.

[7] ابن حنبل، المسند، ج 23، ص 113، حديث: 14805.

[8] في (س) "على ما".

[9] سقط من (ي).

[10] في (ص) "وليس".

[11] في (ص) "ظنه".

[12] ورد ما بين المعقوفتين كاستدراك في هامش (ش).

مولود فولادته من بطن[1] أمّه على تلك الفطرة، فما دام صغيرا فله حُكمان: حكم في الدنيا، وحكم في الآخرة. أمّا حكم دنياه فتابع لأبيه وأمّه[2] لأنّه من كسبه وزرعه [كما][3] قال النبيّ صلّى ||73 الله عليه وسلّم: " وأنّ ولده من كسبه." فإنْ[4] كان الأب مسلما فالولد مسلم[5]، وإن كان الأب يهوديّا أو نصرانيّا فالولد كذلك لأنّه كالعضو منه. قال النبي ﷺ: "فاطمة بضعة منّي."[6] ولذلك[7] لا يسقط الولد في الميراث لأنّه كبعض[8] أبيه، فكأن بعض الأب باق بعده على ملكه، [وتلك الحالة تدوم بالولد حتّى يعرب عنه لسانه فيصير][9] حينئذ له حكم آخر بالإدراك والبلوغ، فإنْ أعرب بعد البلوغ بالإسلام فهو مسلم، وإنْ أعرب بغيره فهو كالأب من اليهوديّة والنصرانيّة. فأمّا إذا مات قبل البلوغ فيكون[10] له حكم آخر، لأنّ حكم آخرته بخلاف حكم دنياه، فحينئذ ينقطع عنه عصمة[11] تبعيّة الأبوين وقد مات وليس بيده مفتاح الجنّة، وهو قول لا إله إلا الله، فلم يلق الله موحّدا قابلا[12] للعبوديّة فيستوجب الجنّة به، وكذلك لم يشرك بالله فيستوجب[13] النار بالشرك، فعند ذلك سئل رسول الله ﷺ عن حكمهم في الآخرة فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"[14]. ثمّ بعد ذلك بزمان قال: "سألت ربّي اللاهين من أولاد البشر فقلت: يا ربّ، هب لي

---

[1] سقط من (ي).

[2] سقط من (ي)

[3] ليست في (ق).

[4] في (ق) وإن".

[5] في (ص) "مسلما".

[6] البخاري، صحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، حديث: 3510.

[7] في (ص) "وكذلك".

[8] في (ي) "بعض".

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (ي).

[10] في (ق) فإنّ.

[11] في (س) "عقمة".

[12] في (ي) "قائلا للعبودية فليستوجب".

[13] في (ي) "فليستوجب".

[14] في (ق) "فاعلين".

أولاد المشركين، فوهبهم لي وجعلهم خدّام أهل الجنّة"[1]، وذلك لأنّ أهلها ملوك[2] بالعبوديّة[3]، وهؤلاء لم يعبدوه وإنّما صاروا[4] إلى الجنّة لأنّهم لم ينقضوا العهد الأول، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ (الواقعة؛ 17)، قيل هو من الخلود، وقيل معناه مقرّطون، والخلدة القرط، ويحتمل أنّهم محبوبون إلى القلوب، والخلد القلب[5].

المسألة التاسعة: قولهم أأعادهم[6] إلى ظهره أحياء أم استردّ أرواحهم ثمّ أعادهم إليه مواتا[7]؟

الجواب: الظاهر أنّه لمّا أعادهم إلى ظهره قبض أرواحهم بناء على أنّه لمّا أراد في الدنيا أنْ يعيدهم إلى بطن الأرض يقبض أرواحهم، ثمّ يعيدهم فيها [والله أعلم][8].

المسألة العاشرة: قولهم[9] أين رجعت الأرواح بعد ردّ الذرّات إلى ظهره[10]؟

الجواب: إنّ هذه مسألة غامضة لا يتطرّق إليها [11] النظر العقليّ، ولم يجئ فيها نصّ، ولكنّي لمّا دُفعت إلى مضايقها في سياقة إيراد الأسئلة الواردة [على][12] الآية، لزمني بدل المجهود وبالله العصمة ومنه المعونة[13] فأقول: إنّ ما لاح لي في عرض | |74 الأخبار والآيات هو أنّ الله تعالى لمّا خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، كما ورد في الحديث، وعلم أعدادها ومقاديرها من العظم، والصغر، والسعادة، والشقاوة، وقد جاء أنّ بعضها كان كالشمس الطالعة، وبعضها

---

[1] أبو يعلى الموصليّ، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون، 1406هـ/ 1986م، ج 6، ص 265، حديث: 3570، ص 316، حديث: 3636، ج 7، ص 139، حديث: 4102. دون عبارة وجعلهم خدّام أهل الجنّة.

[2] في (ي) "ملكوت"

[3] بهامش (ش) ما نصه: " حاشية: يقال في أذنه حلقة العبوديّة ".

[4] في (ي) "يُعبد وإنّما صار".

[5] في (ق) والخلد إلى القلب".

[6] في (ق) "أأعادهم الله".

[7] في (ح) و(ص) و(ي) "أمواتا".

[8] ما بين المعقوفتين ليس في (س) و (ي).

[9] ليس في (س) ولا (ق).

[10] في (ي) "ظهره الأصلية".

[11] وردت في هامش (ش) وفي (ي) "لا ينظر إليها"..

[12] استدراك من (ش).

[13] في (س) "العون" وفي (ي) "وبالله التوفيق والعصمة".

كالنجوم[1] الدراري إلى غير ذلك، والحديث المشهور: "الأرواح جنود مجنّدة."[2] إلى آخره، وكان معسكرها في الملكوت الأعلى، والمتوّلي عليها الروح الأمين صلوات الله عليه. وفي *حقائق* السلمي[3] رحمه الله: "سُئل أبو بكر الواسطي[4] عن الأرواح أين كان مكانها حين أظهرها فقال[5]: "إنّه تعالى خلقها وقبضها قبل الأجساد أين كانت ترى؟ [صار ما غاب][6] عيانا، لأنّ الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء."[7] وأوّل روح خلقه هو روح محمّد ﷺ، فلمّا أن[8] أراد خلق أجسادها[9] أمر عزرائيل بقبض التراب من وجه الأرض كما مرّ ذكره[10]، وكان جلّ جلاله قد هيأ في علمه لكلّ ذرّة منها روحا في الملكوت ملائمة لها، للسعيد سعيدا وللشقي شقيا، فكانت تلك الذرات أزواجا[11] لأرواحها، فسبحان الذي خلق الأزواج[12] كلّها. فعلى هذا كان كلّ روح زوجا[13] لذرّة

---

[1] سقطت من (ق).

[2] مسلم، صحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجنّدة، حديث: 2638.

[3] أبو عبد الرحمن محمّد بن الحسين بن محمّد بن موسى بن خالد الأزدي، السلمي النيسابوري الصوفي، 325- 412هـ/ 937-1021م). اشتهر بتصانيفه حول التصوف والصوفية، له تفسير للقرآن اعتمد فيه على أقوال مشاهير الزهاد؛ لقب بشيخ خراسان. توفي السلمي سنة 412 هـ/ 1021م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 3، ص 42- 44، رقم: 666؛ الذهبي، سير، ج 17، 247-255؛ السبكي، طبقات، ج 4، ص 143-147.

[4] أبو بكر محمّد بن موسى الواسطي، وكان يُعرف بـ "ابن الفرغاني"، أحد أعلام التصوف. من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري، أصله من خراسان من فرغانة، واستوطن "كورة مرو"، كان من أهل العلم باللغة وتفسير القرآن، ومات بها بعد عام 320 هـ/ 932م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 302-306؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 10، ص 349- 350، رقم: 626؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 253، رقم: 467

[5] في (ي) "يقال".

[6] ما بين المعقوفتين زيادة من حقائق السلمي وإلّا لكان الكلام مضطربا. انظر الهامش التالي.

[7] السلمي، تفسير السلمي وهو *حقائق التفسير*، تحقيق سيّد عمران، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1421هـ/ 2001، ج 1، ص 396. وردت العبارة في النسختين كالتالي: "أين كانت وترى عيانا لأنّ الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء" والصواب من *حقائق* السلمي.

[8] سقط من (ص).

[9] في (ي) "فلما خلق الله تعالى أجسادها".

[10] في (ي) "كما ذكرناه".

[11] في (ق) أرواحا وفي (ي) "أرواحا لأزواجها"..

[12] في (ق) الأرواح والصواب من (ش).

[13] في (ي) "روحا".

جسده كما قال تعالى: ﴿وإذا النفوس زوّجت﴾ (التكوير؛ 7)، أي قرنت بأجسادها في القيامة، وقد كان بينهما[1] تواصل في علم الله تعالى، وإنْ حال بينهما المسافات البعيدة في رأي العين، وهذه جملة مقتبسة من لمع[2] الأحاديث وإشارات المتقدّمين، والعلماءُ بالأخبار لا يخفى عليهم ذلك. ثمّ لمّا أراد الله تعالى أخذ الميثاق منهم، أهبط بقدرته تلك الأرواح من مجندها على تلك الذرات على وفق علمه[3] وحكمته، وفيه الإشارة إلى التعارف والتناكر في الحديث. ولمّا أخذ منهم الميثاق، حلّ عقال الأرواح فطارت إلى مكامنها ومجنِّدها في الملكوت إلى وقت اتصالها بالأجنّة في الأرحام.

وقرأت في سفر[4] الإنجيل أنّ روح[5] عيسى عليه السلام لم تسترد عن الذرة بعد أخذ الميثاق، وإنّما دفعها الله تعالى إلى جبريل فأسكنه الملكوت، فكان يسبّح الله ويقدّسه إلى أنْ أمره بنفخها في جيب مريم، فخلق منها المسيح عليه السلام[6] من غير نطفة متوسّطة، ولذلك[7] سمّاه روحا، ثمّ رفعه الله إليه حتّى تقرب الساعة فينزل عيسى عليه السلام. ||75 وقول الله تعالى حكاية عنه في مهده: ﴿وجعلني مباركا أينما كنت﴾ (مريم؛ 31)، إشارة منه إلى هذه الجملة، يعني أينما كنت من السماء والأرض.

وأورد الإمام أبو نصر القشيري[8] في تفسيره[1] عن أُبَيّ بن كعب[2]: "خلق الله أرواح بني آدم لمّا أخذ عليهم الميثاق، ثمّ ردّها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام، فلمّا أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم، فكان منه عيسى عليه السلام، فلهذا[3] قال ﴿وروح منه﴾"[4].

---

[1] في (ق) "بينها".

[2] بياض في (ص).

[3] في (ق) "علمه وقدرته".

[4] في (س) "سير" وفي (ص) و (ع) و (ش) "فسر" وفي (ق) مصححة "تفسير".

[5] في (ي) "روح القدس".

[6] في (ي) "المسيح عيسى بن مريم".

[7] في (ص) "وكذلك".

[8] الأستاذ أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري، من كبار العلماء في الفقه والتفسير، والحديث، والأصول، والأدب، والشعر، اعتنى به أبوه، وأسمعه، وأقرأه حتّى برع في العربيّة والنظم، والنثر، والتأويل، وكتب الكثير بأسرع خطّ، وكان أحد الأذكياء، توفي سنة 514هـ/ 1120م. الذهبي، سير، ج 19، ص 224-226؛ السبكي، طبقات، ج 7، ص 159-166.

المسألة الحادية عشرة: قولهم قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم﴾ (الأعراف؛ 172)، والناس يقولون إنّ الذرّية أخذت من ظهر آدم.

الجواب: هذا شيء[5] يتعلّق بالنظم، وذلك أنّه لم يقل من ظهر آدم وإنْ أخرجوا من ظهره، لأنّ الله أخرج ذرّيّة آدم بعضهم من ظهر بعض على ما يتناسل الأبناء من الآباء، فاستغنى به عن ذكر آدم استغناء بظهور ذرّيّته، إذ ذرّيّته خرجوا من ظهره، كقوله تعالى: ﴿من بني آدم.﴾ [ونظيره][6]: ﴿ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ (الأعراف؛ 11) أي خلقنا آدم وصوّرناه ثمّ قلنا للملائكة، فجعل خلقه لآدم خلق ذرّيّته إذ ذرّيّته منه. ونظيره أنّ عمر بن عبد العزيز[7] وهب لدُكين[8] الشاعر ألف درهم، فاشترى بها إبلا، فبورك في نسلها فكثرت، فكان دُكين يقول: "هذه صناع[9] عمر بن عبد العزيز." ولم [يكن][10] كلّ ذلك من عطائه وإنّما عطاؤه ثمن

---

(1) توجد قطعة من هذا التفسير في مكتبة برينستن الأمريكية تحت رقم 1261. من سورة الإسراء إلى سورة المؤمنون انظر:
Descriptive Catalog of the Garett collection of the Arabic manuscripts in de Princeton University Library, by Phillip K. Hitti, Princeton, Princeton University Press, 1938, p. 386-387, n° 1261.

(2) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، له كنيتان أبو الطفيل، وأبو المنذر، شهد بيعة العقبة الثانية، وبايع فيها رسول الله ﷺ، ثم شهد بدرا والمشاهد كلها معه، اختلف في سنة وفاته، وذهب الذهبي إلى أنّ سنة وفاته كانت سنة اثنتين وعشرين للهجرة. الذهبي، سير، ج 1، ص 189-402.

(3) سقط من (ي).

(4) القرطبي، جامع أحكام، ج 6، ص 22. ورجعنا للقرطبي لأنّنا لم نعثر على طبعة لتفسير القشيري أبي نصر، ولأن القرطبي كثيرا ما ينقل عن هذا التفسير.

(5) سقط من (ي).

(6) ما بين المعقوفتين استدراك من (ش).

(7) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي 61ـ 101هـ/ 681-720م، هو ثامن الخلفاء الأمويين. الحاكم الكبير، الأسماء والكنى، تحقيق محمد بن علي الأزهري، القاهرة، دار الفاروق، 1436هـ/2015م، ج 2، ص 242، رقم: 1442؛ الذهبي، سير، ج 5، ص 114-148.

(8) في (س) "دلين" .دكين بن سعيد الدارمي التميمي الراجز، هكذا عرفه ياقوت الحموي وأضاف: " وهو غير دكين بن رجاء المتقدّم، واشتبها على ابن قتيبة في «*طبقات الشعراء*» فجعلهما واحدا. ودكين بن سعيد هذا هو الذي كان منقطعا إلى عمر بن عبد العزيز حين كان واليا بالمدينة يسامره مع أبي عون. مات سنة 109هـ/ 727م. انظر ياقوت، *معجم الأدباء*، ج3، ص 1294-1295، ترجمة: 480.

(9) في (ي) "عطاء".

(10) استدراك من (ش).

آبائها وأمّهاتها، ذكره القتيبيّ[1]. ويحتمل أنْ يقال إنّه أخرج ذرّيّة آدم بعضهم من ظهر بعض في ظهر آدم، ثمّ أخرجهم جميعا، فيصحّ القولان جميعا. فإذا قال أخرجهم من ظهورهم صحّ، ولو قال أخرجهم من ظهره[2] صحّ أيضا. ومثاله من أودع جوهرة في صدفة، فأودع الصدفة في خرقة، وأودع الخرقة مع الجوهرة[3] في حُقّة، وأودع الحقّة في درج، وأودع الدرج في صندوق، ثمّ أدخل اليد في الصندوق فأخرج منه[4] تلك الأشياء بعضها من بعض، ثمّ أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه.

المسألة الثانية عشرة: قولهم أنّه جاء في الأثر والأحاديث المرويّة أنّ كتاب العهد والميثاق مستودع في الحجر الأسود، [وأنّ للحجر][5] عينين وفما ولسانا، وهذا غير متصوّر في العقل.

الجواب أنّه قد جاء أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لمّا استلم الحجر فقبّله وقال: "والله إنّي أعلم أنّك[6] لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ | |76 قبّلك[7] ما قبّلتك﴾ فسمع عليّ فقال: "مه يا عمر، أما سمعت الله يقول: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم. الآية" لمّا خلق الله آدم استخرج ذرّيّته من ظهره كهيئة الذرّ يوم خلقهم إلى يوم بعثهم وقال: ﴿ألست بربّكم قالوا بلى.﴾ وكان هذا الحجر يومئذ في الجنّة، وكان له فم ولسان وعينان، فكتب العهد في رقّ أبيض وأشهد عليه الملائكة بإقرارهم بالربوبيّة، وألقم هذا الحجر واستودعه هذا الموضع وقال: "اشهد لمن وافاك بالموافاة إلى يوم القيامة". [8] هذا قول عليّ [كرّم الله وجهه][9]، وهو مذكور في التفاسير، ولكن العقول حارت[10] في معناه، وأعرض عن شرحها الجمهور

---

[1] انظر القصّة بأكملها عند ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ج 2، ص 610-612.

[2] في (ي) "أخذهم من ظهورهم".

[3] في (ي) " وأودع الجوهرة مع الجوهرة".

[4] في (س) و(ش) و(ق) "فيه".

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (ي) وفيه "'عينا" بدل "عينين".

[6] في (ي) "لأعلم لأنك حجر".

[7] في (ي) "يقبلك".

[8] البيهقي، *شعب الإيمان*، ج 3، ص 451- 452، حديث: 4040.

[9] ما بين المعقوفتين ليس في (س) وفي (ع) "رضي الله عنه".

[10] في (ي) "حائرة".

لصعوبتها، فكان غايتهم الإيمان به والاستسلام له وردّ معناه إلى الله تعالى. ولعمري إنّ ذلك مقام عظيم كما ذكرناه في صدر الكتاب، ولكن أين من وفّق لذلك والخواطر تفور[1] بالفضول؟ فالراسخون في العلم خاضوا في تفسيره وتأويله استئناسا للقلوب في قبوله، واستطرادا للشيطان وتسويله[2]. فأقول: اعلم أنّ كلام أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يدلّ على أنّ أخذ الميثاق كان في [الجنّة لقوله: "وكان هذا الحجر][3] يومئذ في الجنّة". فإذا صحّ ذلك فلا يستبعد[4] أن يكون للحجر هناك عينان وفم ولسان، لأنّ الجنّة دار الحيوان، فكلّ ما فيها من شجر، وحجر[5]، وحليّ، وحلل[6]، وأوان، وفرش أحياء ذوات حياة ونطق، كما ورد في الحديث. والرقّ الأبيض الذي كتب عليه العهد كان من النور المتشعشع لا من رقوق الدنيا، فلا يبعد[7] حينئذ التقام[8] الحجر إيّاه لكون الحجر حيوانا ذا فم فاغر[9]، إلّا أنّ الحجر لمّا نقل إلى الدنيا تغيّر عمّا كان عليه في الجنّة، كان كالدّرّة اللألاء[10] فصار صخرة سوداء لمساس أكفّ العصاة، هكذا جاء في الحديث. وكذلك يكون حال كلّ منقول من الجنّة إلى الدنيا، فإنّه يتغيّر لا محالة[11] [كإبليس، والحيّة، والطاوس، اللهمّ إلّا آدم فإنّه لم تتغيّر صورته ولكن تغيّرت صفته][12] إذ كان في رغد فصار في كبد[13]، ولذلك قال آدم عليه السلام:

---

[1] في (ي) "تقول".

[2] في (ق) "في تسويله".

[3] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[4] في (ص) "يستبدع".

[5] في (ش) و(ص) و(ي) "من حجر وشجر".

[6] في (ي) "وحال".

[7] في (ي) "يتغير".

[8] في (ص) "المقام".

[9] في (ي) "وعين".

[10] في (ي) "يتلألأ".

[11] سقط من (ص).

[12] جاء ما بين المعقوفتين في (ص) كالتالي: "صورته ولكن تغيّرت صفته كإبليس، والحيّة، والطاووس، اللهمّ إلّا آدم فإنّه لم تتغيّر صورته ولكن تغيّرت صفته.

[13] في (ي) "فكان يكد".

تغيّرت البلاد ومن عليها[1]... ووجه الأرض مغبرّ قبيح[2]

أمّا من قال: "أَخْذُ الميثاق كان في الدنيا." فيشكل الجواب عنه إلّا أن تضيف الحجر إلى السماء، فإنّه قد رُؤيت حجارة كبيرة سقطت من السماء مع الصواعق، سيما بناحية طبرستان [وما والاها][3]. وقد شاهدت بظاهر أردبيل صخرة كبيرة لها طنين كطنين[4] | |77 الأسفيد رؤية، إذا المطر أمسك، كانوا ينقلونها إلى البلد، فيأتيهم المطر ما شاءوا، ويدوم ما دامت هي في البلد، فإذا اكتفوا حملوها على العجلة وردّوها إلى مسقطها بالعجلة، يسمّونها حجر الطسوح[5]. فسمعت بعض مشايخهم[6] أنّها سقطت من السماء في زمن داود عليه السلام. فإذا كان مثل ذلك يقع فلا يستبعد أنّ الحجر الأسود أرسله الله من الجنّة إلى الأرض، ولا شك أنّ الجنّة في السماء لقوله تعالى: ﴿عند سدرة المنتهى، عندها جنّة المأوى﴾ (النّجم؛ 14-15). قال مقاتل: "الجنّة اليوم في السماء السابعة تهبط[7] إلى الأرض". وكان الحجر حينئذ حيوانا نورانيّا مثل[8] حصيّات الجنّة، فأحضر عند الميثاق وإقرار بني آدم بالربوبيّة، وكتب كتاب العهد، وأودع في جوفه أمانة منه إلى

---

[1] جاء في هامش (ش) " قوله ومن عليها يريد نفسه. " وجاء في (ق) بعد عليها.

[2] عن ابن عبّاس قال: لَمّا قتل ابن آدم أخاه قال آدم:

تغيّرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرضِ مغبرّ قبيــــح

تغيّر كل ذي لون وطعـم ... وقلّ بشاشة الوجه الصّبيــحِ

قتل قابيل هابيلا أخـــاه ... فواحزنا مضى الوجه المليح

فأجابه إبليس:

تنحّ عن البلاد وساكنيهــــــا ... فبي في الأرضِ ضاق بك الفسيح

وكنت بها وزوجك في رخـاء ... وقلبك من أذى الدّنيا مريـــــــح

فما انفكّت مكايدتي ومكـرِي ... إلى أَن فاتك الثّمن الرّبيــــــــح

فلولا رحمة الجبّار أضحـــى ... بكفّك من جنان الخلد ريــــــح

ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 60، ص 454.

[3] سقط من (س) و(ع) وفي (ي) وما وراءها".

[4] في (ص) "ظنين كظنين".

[5] في (س) و(ش) و(ص) و(ع) "الطسوج". وفي (ي) "الطبنوخ".

[6] ربّما وجب إضافة "يقول" هنا ليستقيم الكلام.

[7] في (ص) "تهبط بها".

[8] سقط من (ي).

يوم القيامة، ثمّ انقلب الحجر عن صورته في هواء الدنيا. ولمّا كانت المعاهدة بين بني آدم مع الله تعالى، ومن عادة المتعاهدين[1] أنْ يمدّ كلّ واحد منهما يمينه لعهد الميثاق، والله سبحانه منزّه عن أنْ يكون له عضو مماسّ[2] لأعضاء الخليقة، اختصّ هذا الحجر بكرامته وأقامه مقام يمينه عند المعاهدة، كما يبعث الملوك خواتيمهم إلى النواحي لتنوب عن أيمانهم، فتقضى عليها[3] أمور. ولذلك قال النبيّ ﷺ: "الحجر الأسود يمين الله في أرضه[4]"[5]. ثمّ لا يبعد أنْ يكون له في القيامة عينان، وفم، ولسان، يشهد للموفي[6] بالعهد، وعلى الناقض للعهد لأنّه يردّ إلى أصله من الحيوانية، ولأنّ القيامة تنخرق فيها العادات فتشهد الأيدي والأرجل والجلود. ويحتمل أن يجعل الله تعالى ذلك الحجر حجّة[7] بيّنة على أهل الميثاق بأنْ يخلق فيه معنى يعرف بذلك وفاء من وفى، ونقض من نقض، فيكون ذلك المعنى في الحجر بمنزلة العينين، والفم، واللسان، حتّى[8] كأنّه يرى أحوالهم ويخبرهم بها إلزاما للحجّة عليهم. اعتبر هذا بالميزان، فإنّ من كان معه دراهم مجهولة الوزن إذا وزنها بالميزان عرف وزنها حتّى كأنّ الميزان عاين ذلك وأخبره بمقدارها بالفم واللسان، ولهذا يقال عين الميزان، ولسان الميزان. فهذا ما أردناه من القول في الآية[9].

واعلم أنّ المعتزلة أنكرت هذا العهد والميثاق[10] وجميع ما ذكرناه، وزعمت أنّ معنى أخذه من ظهورهم أنْ يأخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا إلى يوم القيامة، | |78 وليس هناك عهد ولا ميثاق، وإنّما العهد والميثاق إرسال الرسل، واستعمال العقل والنظر والاستدلال، وتوجيه الخطاب إلى العبد. وكيف هذا ومعظم الاعتقاد في إثبات الحشر والنشر مبنيّ على هذه المسألة

[1] في (ج) و(ي) "المعاهدين".

[2] في (ي) "منها من".

[3] في (ي) "عليهم".

[4] في (ي) "الأرض".

[5] العجلوني، كشف الخفاء، ج 1، ص 417، حديث: 1109.

[6] في (س) "للمتوفي"، وفي (ي) "للمؤمنين".

[7] في (ص) "لحجة".

[8] سقط من (ي) وفيها "الفم والعينين واللسان".

[9] في (ي) "من القول عن الأئمة"

[10] في (ي) "الميثاق والعهد".

كما سيأتي بيانه، وإنكارهم ذلك فرارا من غموض هذه المسائل ودقّة معانيها[1]، والرضا بالجهل سهل[2].

مناجاة[3]:

سبحان من فتّش ظهر آدم عن ذرّيّته الخبيثة، وأشهدهم على أنفسهم بالربوبيّة، ليعلم أيّهم عند التكاليف بالمفترض وفى بالعهد وأيّهم نقض، فالسعيد سعيد بإيفاء عهده، والشقيّ شقيّ بنقضه وردّه، وكلّ ذلك من عنده، وحكمه وقضائه لعبده، يسأل ولا يسأل، ويمهل ولا يهمل، لأنّه الملك الحقّ النافذ المشيئة، والماضي القضيّة في البريّة. إنْ شئت أنْ تعرفه فعامله بالصدق، وإنْ شئت أنْ تراه فغمّض عينيك عن الخلق، عزّ جناب عزّته عن لِمَ[4] وكيف، وانمحى كتاب حكمه عن الظلم والحيف.

إلهي، الحجر الأسود يمينك وقد استودعته كتاب أماننا[5]، وسويداوات قلوبنا بيمينك فاستودعها[6] كتاب إيماننا.

إلهي، أنت الذي أسمعت الذرّات خطابك، ولقّنتهم بالصواب جوابك، نرجوا من لطفك الخفيّ، وبرّك الحفيّ، أنْ تثبّتنا بالقول الثابت في المنزلين، عند سكرة الحين وسؤال الملكين. إلهي، أعنّا على حفظ ميثاقك حتّى نلاقيك بما يرضيك، واحفظ [ختامه][7] من الفضّ وذمامه [من النقض][1]، إنّك خير حافظا، وأنت أرحم الراحمين.

---

[1] هنا تنتهي الرسالة المقتبسة من سراج العقول والتي رمزنا إليها بـ (ي).

[2] شطر من أبيات لم نقف على قائلها وهي كالتالي:

أتانا أنّ سهلا ذم جهــلا ... علوما ليس يدريهن سهــل

علوما لو دراها ما قلاها ... ولكن الرضا بالجهل سهل

[3] في (ج) "المناجات".

[4] في (ع) "كم"، وفي (ق) "أين".

[5] في (س) "ابائنا".

[6] في (ق) فاستودعه.

[7] سقط من جميع النسخ عدا (ص) استدراك من هامش (ش).

الباب الثاني عشر[2]
في صفة آدم ومقادير أعمار أولاده

اختلف أهل الكتاب، هل خلق آدم في ابتدائه قابلا للموت أم جعل الموت له عقوبة على معصيّته. قال القاضي أبو الحسن الماوردي: "إنّ بعضهم ادّعى أنّ آدم عليه السلام أنشئ على الطبيعة الباقية، والطبيعة الميّتة[3] ليكون إنْ مال إلى الشهوة الجسمانيّة وآثرها وقع في التغايير فيناله الموت، وإنْ آثر فضائل النفس نال البقاء السرمد[4] الذي سعدت به الملائكة فلا يموت. فلمّا عصى بأكل الشجرة وقع في التغايير، وأتاه الموت بعد ألف، واستشهدوا على ذلك من التوراة: "إنّك إن أكلت من الشجرة يوم تأكل فتموت بموت"[5]. ولهذا عكس إبليس عليه أمر الشجرة فقال: ﴿هل أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (طه؛ 120)، وقال: ﴿ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة إلّا أنْ تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (الأعراف؛ 20). وكانت الشجرة تفضي إلى الفناء خلقة، لكن من تلبيسات إبليس أنْ يُرِيَ الأشياء في صورة أضدادها إضلالا للخلق.

وقال آخرون: "إنّ آدم خلق في الابتداء للفناء في الدنيا وإنْ لم يعص الله مثلا لأنّه أحوجه[6] إلى الغذاء، والجواهر الباقية لا تحتاج إلى الغذاء. قالوا: ولذلك ||79 لا يموت من الملائكة من عصى منهم كهاروت وماروت. وكان في التوراة: "إنْ مدّ يده إلى شجرة الحياة فأكل منها عاش

---

[1] نفس الملاحظة.

[2] الثالث عشر في (س).

[3] في (ص) زيادة "معا".

[4] في (ج) و(س) و(ع) "السرمدي".

[5] الماوردي، أعلام النبوّة، ص 41، مع اختلافات طفيفة بين النصّين.

[6] في (ق) أخرجه".

الدهر كلّه."[1] قالوا: وشجرة الحياة هي العلم، وشجرة الموت هي الحنطة، وقد تناول منهما جميعا فصار قلبه معدنا للحكمة الإنسانيّة، وجسده مهيّأ للأفعال البشريّة. وذلك قوله تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ (البقرة؛ 31)، فألهم الحكمة بأسرها لمّا خلق ابتداء، ولم يخلقه بتوسّط كما خلق نسله. وكان مطلّعا على نجوم السماء في مجاريها، وعلى خصائص الحيوانات والنبات في منافعها ومضارّها، ولولا ذلك لما عرف [الغذاء من الدواء][2]، والدواء من الداء[3]، والسموم من الشفاء، ولا اهتدي بالنجوم[4] في الظلماء"[5].

قال: "وكانت نبوءته في بداية الحال مقصورة عليه، والذي نزل من الوحي متوجّها إليه[6]، إذ لم يكن غيره أحد، وكان من المصطفين دون المرسلين حتّى ولد أولاده، إذ لم يمت حتّى رأى من أولاده [وأولاد أولاده][7] أربعين ألف نسمة، وكان عمره على الأصحّ تسعمائة وثلاثين سنة، وقيل ألف سنة[8]. وحين دنا أجله لم يبق [في ظهره][9] من ذرّات الذرّيّة أحد، بل انتقل جميعهم إلى ظهور أولاده الأدنين، ثمّ منهم إلى ظهور الذين كانوا بعدهم، ثمّ هكذا ينتقلون من ظهور بعضهم إلى ظهور[10] الآخرين إلى يوم الدّين، فإذا انتهى آخرهم تقوم الساعة".

واعلم أنّ المتقدّمين قد جرّبوا فقالوا وجدنا بقدر ما ينقص من الذرّات ينقص جسوم أولاده قرنا بعد قرن، وكذلك على مقدارها ينقص أعمارهم إذ كانوا يعيشون في الألف الأوّل ألف سنة وما قاربه، ونحن تأمّلنا أعمار القرون الماضيّة، على ما ذكر في التواريخ، فوجدنا أهل كلّ ألف ينقص مدّة عمرهم عن عمر الألف الذي كان قبله بمقدار ثلث غالبا، فعلى ذلك كان عمر آدم ألفا أو

---

[1] الماوردي، اعلام النبوّة، ص 41.

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع).

[3] في (س) و(ع) "الداء من الدواء".

[4] في (س) "من النجوم".

[5] انظر كلام الماوردي في أعلام النبوّة، ص 41، مع بعض الاختلاف.

[6] في (ص) "مفتوحة عليه" وفي (س) و(ع) "متوجه عليه".

[7] ما بين المعقوفتين سقط من (ق).

[8] ليس لهذا الكلام وجود في الطبعة التي بين أيدينا من كتاب أعلام النبوّة للماوردي.

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع).

[10] في (ص) "ظهر".

قريبا منه، وأعمار بنيه في ذلك الألف أطولها ألف وأغلبها نصفه، وهو خمسمائة. فلمّا دخل الألف الثاني كان قد نقص منه قدر الثلث، فكان أطول أعمارهم قدر ستّمائة وستّا وستّين سنة وثلثي سنة. وقد جاء في التاريخ أنّ سام بن نوح عاش ستّمائة سنة وأغلبها نصف ذلك، وهو ثلاثمائة سنة وثلاث وثلاثون وثلث سنة. قال أنس بن مالك: "كان الرجل في زمن نوح عليه السلام ينسب إلى خمسة عشر أبا كلّهم حيّ".

ثمّ دخل(1) الألف الثالث فنقص منه [مائة واثنتان وثلاثون سنة وكسر](2) الثلث أيضا، فكان أعمارهم أطولها أربعمائة سنة وأربعين سنة وأربعة أتساع، وأغلبها(3) نصف ذلك، وهو مئتان وعشرون سنة وكسر.

ثمّ دخل الألف الرابع فنقص منها الثلث أيضا، وكان أطول أعمارهم قدر ثلاثمائة وستّ وتسعين سنة وأربعة أجزاء من سنة وعشرين جزءا من سنة، وأغلبها نصفه، وهو مائة وثمان وتسعون سنة وكسر.

ثمّ دخل الألف الخامس فنقص منها الثلث وكان أطول أعمارهم مائتين وأربعا وستّين سنة وثمانية أجزاء من أحد وثمانين جزءا من سنة(4) وأغلبها نصف [ذلك، وهو مائة واثنتان وثلاثون سنة](5) وكسر(6).

ثمّ دخل الألف السادس || 80 فنقص عن الألف المتقدم الثلث أيضا، فكان أطول أعمارهم فيه مائة وستّا وتسعين سنة وثمانية أجزاء من مائتين وأربعين جزءا من سنة، وأغلبها نصف ذلك، وهو إحدى وتسعون سنة وكسر.

---

(1) سقط من (س).

(2) ما بين المعقوفتين ليس في (س) و(ش) و(ص) و(ع).

(3) في (ش) "ما بين نصف ذلك " ممّا يؤكد أنه وقع خلط في الأرقام عند نقل هذا الجزء من النصّ.

(4) في (ص) زيادة "وكسر"

(5) سقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(س) و(ص) و(ق).

(6) سقط من (ج).

ثمّ دخل الألف السابع، وهو الذي بعث فيه محمّد ﷺ ووقعنا[1] نحن في آخره. وكان ينقص عن الألف المتقدّم بالثلث أيضا، وكان أطول أعمار أهله مائة وسبع عشر سنة وثمانين جزءا من مائتين وثلاث وأربعين جزءا من سنة، وأغلب أعمارهم نصف ذلك، وهو نصف ثمانية وخمسون سنة ونصف سنة وكسر. وبحساب الأهلّة على عادة العرب يزيد فيه سنتان وكسر فيكون ما بين الستّين إلى السبعين كما قال النبيّ ﷺ: "أعمار أمّتي ما بين الستّين إلى السبعين"[2]. قال جعفر بن محمّد: "من ولد بعد المائتين لم يعش مائة سنة".

وأصل هذا كلّه من قول الله تعالى: ﴿ما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب﴾ (فاطر؛ 11)، فقوله من عمره أي من عمر من كان قبله من القرن الأوّل على الرسم المعتاد، وهو غير هذا المعمّر المذكور. قال ثعلب[3]: "تقول العرب لك: عندي دينار ونصف، أي نصف دينار آخر غير الدينار المذكور"[4]. وأمّا تقدير النقصان بالثلث من أهل كلّ ألف فلا يبلغه فهم البشر. ولعلّ تقدير الوصيّة من هذا الأصل، فإنّ ثلث مال المريض يعدّ في حكمه، وهو الناقص من ميراث الورثة، فكأن أثلاث أعمار كلّ ألف من هؤلاء باقية بعد انقراضهم، وهي القدر الذي يبقى في الخلق ذكرهم بعدهم. ولهذا قيل: "ذكر الفتى عمره الثاني[5]، [والله أعلم][6].

---

[1] في (ع) "ووفقنا"

[2] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 5، ص553، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، حديث: 3550؛ القاضي القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 174-175، حديث: 252.

[3] أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار البغدادي النحوي الشيباني مولى مَعْن بن زائدة المعروف بثعلب، شيخ العربيّة وإمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث. كان راوية للشعر، ومحدّثاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب (200 -291هـ/ 816-904م). ياقوت، معجم الأدباء، ج 2، ص 536-554؛ الذهبي، سير، ج 14، ص 5-7.

[4] أبو عمر محمّد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، تحقيق: محمّد بن يعقوب التركستاني، المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم، 1423هـ / 2002م، ص 417.

[5] ورد في (ش) [وحاجته ما قاته.] ضمن كلام هذا نصّه: " المتنبي:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ... ما قاته وفضول العيش أشغال

وهو آخر بيت من قصيدة مطلعها:

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النّطق إن لم تسعد الحال

الديوان، ص 490.

[6] ليس في (ق).

واعلم أنّ هذه المقادير التي شوهدت في الدهور الماضيّة كأنّها من إجراء الله العادة وسنّته التي قد خلت من قبل، وربّما لا يعيش المولود إلّا لحظة، أو ساعة، أو شهرا[1]، أو سنة، إلى ما شاء الله، وعلم ذلك من المفاتيح الخمسة[2] التي لا يعلمها إلّا هو[3].

مناجاة[4]:

سبحان من جعل مقادير أعمار عباده متفاوتة متغايرة، وجعل أنفاسهم رشحات من آنية أعمارهم متقاطرة، فبعضها سريع الفراغ، وبعضها بطيء الفراغ، وكلّها إلى أجل وبلاغ. إنّ الذي قد عاش ألف سنة مضت ألوف من مماته، والذي عاش نفَسا عُدّ ذلك من حياته، فيا أيّها المغرور الغافل، المسرور بالمتاع العاجل، أقصر فإنّك في قافلة الردى وركب المنون راحل، أنفاسك خطاك وأيّامك مراحل، وشهورك وأعوامك فيها منازل، وليوث المنايا قطّاع القوافل، أينما توجّهت كُنَّ في الكمين نوازل، والمنايا رصد للفتى حيث سلك[5]، وليس يدري ||81 في أيّ منزل هلك. عيشك وصله في قطيعة، رقدة سريعة، سموم نقيعة، سراب بقيعة[6].

---

[1] سقط من (ص).

[2] ورد في هامش (ع).

[3]مصداقا لقوله جلّ وعلا في آخر سورة لقمان: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة، وينزّل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأيّ أرض تموت، إنّ الله عليم خبير﴾ (لقمان؛ 34).

[4] في (ج) "المناجات".

[5] تضمين لبيت من قصيدة لأمّ السليك ترثي ولدها (ويقال إنّها لأمّ تأبط شرا) وتقول:

طاف يبغي نجوة ... من هلاكٍ فهلـــــك

ليت شعري ضلة ... أي شيء قتلـــــك؟

أمريض لم تعـــد ... أم عدو ختلـــــك؟

أم تولى بك مـــا ... غال في الدهر السلك

والمنايا رصــــد ... للفــــتى حيث سلك

المعري، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق حسين محمّد نقشة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/ 1991م، ج 1، ص 552-553، قطعة: 308.

[6] تضمين عمدته هذه الآية: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده...﴾ (النور؛ 39).

إلهي، أزل عن أبصارنا وأفكارنا[1] غشاوة الغفلة عن ملاحظة جبروتك، واجعلها مرايا[2] يتجلّى [كذا] فيها عجائب ملكك وملكوتك، واجعل أنفاسنا مراكب أذكارك، وقلوبنا مهابط أنظارك[3]، إنّك سميع الدعاء، واسع العطاء.

---

[1] في (س) "أزل أبصارنا وأوكارنا".

[2] في (س) "مزايى".

[3] بياض بـ (ش) وفي (ص) و (ق) "أمطارك".

الباب الثالث عشر[1]
في خلق الجنين من النطفة

ولمّا استودع الله تعالى ذرّات الخليقة في ظهر آدم عليه السلام، والصلب[2] منبع نطف الرجال، وخلق [حوّاء][3] من بعض أضلاعه اليسرى، ومن ذلك حنين الرجل إلى أهله، لأنّها خلقت منه، وبعض الشيء يحنّ إلى البعض. قال الله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف؛ 189)، وجعل ماءها في تريبتيها، ومن أجله تكون شفقة الأمّ [على الولد أكثر من شفقة أبيه لأنّ وجه الأم][4] إلى مائها وذلك من الأب وراء ظهره، وجعل رحمها مزرعة وحرثا للأولاد، وخلق فيهما الشهوة الداعية إلى المباشرة[5]، فتهيج رياح الشهوة من هواء[6] الهوى بواسطة أُلفة الجنسيّة إلى المباشرة، فتحرّك النطفة من مكامنها بمماسة العضوين ودغدغتهما، وتجري النطفة[7] من الصلب حاملا [كذا] للذرّة التي قدّر الله تعالى تخليق الولد منها كما يجري السيل بالحميل الذي ينبت منه النبات على شطوط الأنهار كما جاء في الحديث، فيختلط في الرحم بماء المرأة فيسمّى حينئذ أمشاجا، مثاله الريح الربيعيّة[8] تهبّ على البحار فتجري مياهها في الأنهار ومعها بذور النبات، فتسوقها إلى الصحاري والمزارع فينبت منها بقدرة الله أزواج من نبات شتّى، فالذرّات

---

(1) الرابع عشر في (س).
(2) في (س) (ص) و (ع) "والظهر".
(3) سقط من (ش).
(4) ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ش).
(5) في (ص) زيادة: "وقال: "نساءكم حرث لكم".
(6) في (ص) "جانب".
(7) سقطت من (س) و(ص) و(ع).
(8) سقط من (ع).

البذور[1]، والنطف المياه الحاملة لها، والعروق الأنهار، والأرحام الحروث. قال الله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ (البقرة؛ 223). وماء الرجل غليظ لاختلاطه بالذرّات الترابيّة، بخلاف ماء المرأة فإنّه رقيق. وقد دلّت الآيات الكثيرة من كتاب الله على هذا الأصل، منها قوله[2] الله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع﴾ (الأنعام؛ 98)، وقوله: ﴿خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (النساء؛ 1)؛ فيها إعلام بأنّ ذرّيّة آدم إلى انقراض العالم من نفس واحدة وهي نفس آدم عليه السلام، وكانوا هم الذرّات المستخرجة من ظهره الذين أشهدهم على أنفسهم يوم الميثاق، وكانوا ذكرانا وإناثا كما قال[3]: ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ (الشورى؛ 49)، ولا علّة لمشيئته وإنّما هي كمال حكمته. وذكر في الآية الأخرى||82 ﴿فمستقرّ ومستودع﴾ (الأنعام؛ 98)، فدلّنا فيها على أنّ لبعض الذرّات التي تصحب النطف في تقلّبها من الأصلاب إلى الأرحام مستقرا لا تتجاوزه إلى صلب ورحم بعدّ[4]، وبعضها مستودع فيها فينتقل من ظهر إلى [ظهر][5] إلى وقت استقراره في علم الله تعالى. ولعلّ المشار إليه في قوله تعالى: ﴿مخلّقة وغير مخلّقة﴾ (الحجّ؛ 5)، فالمستقرّ هو الذي قرن به الروح المقدّرة له، ثمّ ينقله إلى فضاء الأرض كما قال[6]: ﴿ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾ (الأعراف؛ 24). وهو [كذا] المخلّقة التي تمّت خلقتها، والمستودع ما تركه في الماء وديعة، ثمّ يخلق من الماء بشرا آخر، وردّ تلك الذرّات إلى صلبه، ثمّ يقرن الروح بما شاء منها، ويدع الباقيات مستودعات إلى أنْ يبلغ الكتاب أجله، ويتحقّق وقت خروجه إلى الأرض، وهو الذي كان غير مخلّقة قبل ذلك، أي لم يتمّ خلقه[7] بعد. هكذا تجري مقاديره باقتران الأرواح بالمستقرات

---

[1] في (ق) البذورة، والصواب من (ش).

[2] في (ق) "قال".

[3] في (ق) "منها قوله تعالى".

[4] في (ق) "تعد".

[5] سقطت من (ق).

[6] في (ق) قوله تعالى.

[7] في (س) و(ع) "أن يتمّ خلقه" دون "أي"، وفي (ص) "إلى أن يتمّ خلقه".

كلّها، وإخراجها من الأرحام إلى الدنيا، وترك المستودعات في الأصلاب إلى أوان خروجها حتّى تخرج جميع الذرّات التي أخذ عليها الميثاق، فينقطع النسل حينئذ وتقوم الساعة.

واعلم أنّ لتلك الذرّات آجالا مقدّرة عنده، فمنها ما يفنى مع النطفة المضيّعة بالاحتلام وغيره، ومنها ما تغيض الأرحام[1]، ومنها ما تموت جنينا، ومنها ما تموت سقطا، وذلك على مقتضى علم الله ومشيئته وحكمه، وحكمتهُ لا يطّلع عليه أحد من الخلائق، وذلك هو الأجل المسمّى عنده. وهذه الجملة دالّة[2] على أنّ أصل الإنسان وجوهره هو تلك الذرّة، وهي ممتزجة[3] بمنيّ الرجل والمرأة امتزاجا سمّاها الله أمشاجا حيث قال: ﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾ (الإنسان؛ 2)، فعلى ذلك قد خلق الله تعالى الإنسان من النطفة المشتملة على تلك الذرّات ولهذا قال: ﴿ألم يك نطفة من منيّ تمنى﴾ (القيامة؛ 37)، وقال: ﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفة.﴾ ثمّ أنشأناه[4] كما شاء ذكورا وإناثا، وزاد في الخلق كما شاء على ما قال: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ (فاطر؛ 1)، وقدّر أشخاصهم في الطول والقصر وآجالهم كذلك، وقسّم أرزاقهم في القلّة والكثرة، وخلق أخلاقهم في الحمد والذمّ، وصبغ ألوانهم في السواد والبياض، ورسم صورهم في الحسن والقبح، كلّ ذلك على وفق مشيئته واقتضاء حكمته[5]: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (يس؛ 38). قال النبيّ ﷺ: "كلّ شيء بقدر حتّى العجز والكيس"[6].

واعلم أنّ النطفة إذا سقطت في الرحم يبعث الله تعالى ملكا فيأخذها ويربّيها إلى أن يتمّ خلق الجنين، وهو الملك المسمّى مصوّر الأرحام. ||83 وسنشرح ذلك من بعد إن شاء الله تعالى. وذكر أنّ الله تعالى يأمر ملك الأرحام أنْ يأخذ من تراب قبره الذي يدفن فيه نصف مثقال دانقان للرجل، ودانق للمرأة، فيمزجه بمائه، [والله أعلم][7].

---

[1] في (ص) "ما تغيض في الأرحام".

[2] ورد في هامش (ش) زيادة: "لمن تأمّلها".

[3] في (س) "الممتزجة".

[4] في (س) و(ع) "أنشأه".

[5] في (ج) و(س) و (ع) "وحكمه".

[6] القاضي القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 149، حديث: 204.

[7] ليس في (س).

قال الله تعالى: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (الطارق؛ 7)، وذلك أنّ ماء الرجل من ظهره، وماء المرأة يخرج من الثديين من أعلى الرحم، وللرحم[1] رباطات متسلسلة[2] من الأعصاب يحتمل التمدّد عند الولادة، ولولا ذلك لامتنعت الولادة. والثديان خلقهما الله من شرايين وعروق وعصب كثيرة يقلب الله فيها الدم لبنا خالصا ليكون غذاء للولد[3] بعد الخروج، كما كان ذلك غذاءه في الرحم قبل الخروج، وكان [هو][4] دم الحيض. ولذلك ينقطع أيّام الحمل. وفي الحديث: "إذا سبق ماء الرجل نزع الولد إلى شبه أبيه وأعمامه، وإذا سبق ماء المرأة نزع إلى شبه أمّه وأخواله[5]"[6]. وفي الحديث: "إذا اجتمع ماء الرجل والمرأة، يأخذ ملك الأرحام ماء الرجل بيمينه، وماء المرأة بشماله، فيبقى الماءان في قبضته أربعين يوما، فإذا تمّت الأربعون خلط الماءين خلط مزاج فظهر عليهما التراب الأصلي الذي خلق منه".

وروي أنّ هنديّا توفّي بالمدينة فدفن فيها[7]، فقال النبيّ ﷺ: "سبحان الله، كيف سيق[8] إلى تربته التي خلق منها"[9].

وقال النبيّ ﷺ: "إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها حاجة". [10] ثمّ يجعله الملك بعد الأربعين [علقة غير سائلة، وإلى تمام الأربعين][11] الأخرى يجعله مضغة وهي لحم إلى الصلابة، ثمّ بعد أربعين أخرى ينفخ فيه الروح فيتحرّك في بطن الأمّ، [وفي الشهور الأفراد يزيد، وفي

---

[1] في (ص) "والمرحم".

[2] في (س) "مسلسلة".

[3] في (ص) "الولد".

[4] سقطت من (ق).

[5] في (س) "وأخلاله".

[6] أبو نعيم، دلائل النبوة، تحقيق محمّد رواس قلعه جي، بيروت، دار النفائس، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1986، ج 2، ص 356-357، حديث: 247.

[7] في (ص) "منها".

[8] في (ج) و(س) و(ص) "سبق".

[9] البيهقي، شعب الإيمان، ج 7، ص 173، حديث: 9891، بصيغة: " لا إلـه إلا الله سيق من أرضه وسمائه إلى تربته التي خلق منها ".

[10] شعب الإيمان، ج 7، ص 172، حديث: 9890.

[11] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

الشهور الأزواج ينقص، وهو في بطن الأمّ][1] قائم وجهه إلى ظهر الأمّ، وقفاه عند[2] صدرها، وظهره إلى بطنها كيلا يصيب وجهه وبطنه ضرر من خارج، فإذا حانت الولادة أمر الله الملك أن يقلب الصبيّ ويجعل رأسه إلى أسفله، ورجله[3] إلى صدر أمّه، فيلهمه الملك محن الدنيا ومصائبها فيكره الخروج ويلزم مكانه، وهو عسر[4] الولادة، ولذلك[5] إذا رقمت أشكال الأعداد الهنديّة وهي تسعة[6] على صورة مخصوصة إشارة إلى أن مدّة المقام تسعة أشهر على خزف، لم يصبها الماء، إشارة إلى أصل طينته التي هي صلصال كالفخّار، ثمّ ينظر[كذا] إليها الحامل فيراها الجنين برؤيتها، ||84 ثمّ تكسرها هي بعقبها إشارة إلى أن عاقبته الزوال[7] بعد انقضاء أصول الأعداد وهي التسعة الأشهر، وبعد انكسار طينته بالأجل المسمّى فيخرج حينئذ شاء أم أبى وفي صياحه عند الخروج أقوال. قيل إنّ الملك يختطف[8] الكتاب الذي خطّ فيه قضاياه من يده فيصيح ويبكي، وقيل لأنّ الشيطان يضع يده على رأسه، وقيل لأنّ ما سيصيبه من صروف الدهر.

[واعلم أنّ هذه المحاورات إنّما تكون بين روح الجنين والملك، فإذا وصل الولد إلى هذا العالم، يخلق له الحواسّ الخمس والنطق فيشغله ذلك عن رؤية الملائكة ومحاوراتهم وسماع كلامهم، وهذا أصل كبير ينكشف به جميع ما جاء في الأحاديث من تعارف الأرواح، ومعاينة الملائكة بعد الموت وحالت النزع، فإذا حشر الناس في القيامة وردّت الأرواح إليه استكمل حينئذ حال الإنسان، واستجمعت المدارك الحسيّة والعقليّة الجبلّيّة، فاطلع بها على عالم الملكوت وشاهد الجنّة ولذّاتها، وعاين الجحيم وعقوباتها -نعوذ بالله-][9] يتمثل بين عينيه. قال ابن الرومي[1]:

---

(1) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(2) في (س) "إلى".

(3) في (س) "ورجليه".

(4) في (ص) "عسرة".

(5) في (ص) "وكذلك".

(6) في (ص) زيادة "من الشهر والساعة من اليوم".

(7) في (ص) "الزوال من الرحم".

(8) في (ص) "يحفظ".

(9) ما بين المعقوفتين سقط من (س) و(ع) و(ص) وورد بهامش (ش).

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد[2]

وزعمت الأطباء [أنّ الولد في الشهر الثامن لا يعيش][3] لأنّ الزوج ثقيل عسر[4] والفرد خفيف، والثمّانية أربعة أزواج. وزعم المنجّمون إنّما لا يعيش لأنّه قد وقع [في][5] تربية[6] زحل بعد انقضاء تدابير السبعة من الكواكب. والربّ سبحانه أبطل قوليهما بميلاد عيسى عليه السلام في ثمانية أشهر وأبقاه حيّا إلى يوم القيامة.

واعلم أنّ الولد أصله من الذرّة التي أخذ عليها الميثاق، ثمّ لمّا امتزجت بالنطفة صارت شيئا واحدا، وازدادت وتمّت وتكاثفت فسمّيت ماء ونطفة ومنيّا، ماء لصورته، ونطفة لقلّته، ومنيّا لما مني به[7] فيه من خلق، أي قدّر. ثمّ يأخذ في التسويّة فيزداد بالدم الذي يغتذيه من حيض الأمّ إلى أن ينتهي إلى تمام الخلق بعد الأطوار التي تجري عليه، ثمّ ينشئ الله تعالى خلقا آخر وهو نفخ الروح فيه. ومقادير تلك الزيادات الملتحقة بها في علم الله تعالى، تارة يزيد فيها وتارة ينقصها كما قال تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كلّ أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، وكلّ شيء عنده بمقدار﴾ (الرعد؛ 8). ثمّ إذا فارق الأمّ يزيد فيه من الغذاء في صحّته وينقص منه بالهموم والأسقام كما قال تعالى: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ (فاطر؛ 7)، وقال: ﴿ثمّ رددناه [أسفل سافلين﴾ (التين؛ 5). وهذه الزيادات توابع تلك الذرّة[8] || 85 الأصليّة، وهي][9] ممتزجة فيها، شائعة في جملتها شيوع

---

(1) أبو الحسن عليّ بن العباس بن جريج، (221-283هـ/ 836-896م)، شاعر ولد ونشأ ومات ببغداد له ديوان شعر، رتب الصولي شعره. الذهبي، سير، ج 13، ص 495-496؛ كحالة، معجم المؤلّفين، ج 7، ص 114-115.

(2) بيت 31 من قصيدة مطلعها:

أبين ضلوعي جمرة تتوقد على ما مضى أم حسرةٌ تتجدد

ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصّار، القاهرة، دار الكتب القومية، الطبعة الثالثة، 1424هـ/ 2003م، ج 2، قصيدة 444، ص 586.

(3) ما بين المعقوفتين ورد بهامش (ج).

(4) سقط من (س) و(ش) و(ص) و(ع).

(5) سقط من (ق).

(6) في (ص) "تربيته"

(7) سقط من (س).

(8) في (س) "الذرات"

(9) سقط ما بين المعقوفتين من (ج).

قطرة ماء زمزم في حوض ماء قراح[1]، [وهي في رأي العين مستحيلة، وفي علم الله ظاهرة بادية ممتازة عن غيرها، غير أنّ أصلها في العجب][2] كما جاء في الخبر، وأثرها وثمرتها في صميم القلب [لقوله ﷺ: "القلب أمير الجسد." وأغصانها ممتدّة في جميع البدن][3]. وكما أنّ أصل تلك الذرّة من الأرض كذلك أصل[4] تلك الأجزاء الملتحقة بها [من الأغذية من الأرض[5]، فإنّ الزروع[6] والنبات ولحوم الحيوانات كلّها من جملة][7] ما ينبت من الأرض. قال الله تعالى[8]: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنّا صببنا الماء صبّا [ثمّ شققنا الأرض شقّا... إلى قوله متاعا لكم ولأنعامكم][9]﴾ (عبس؛ 24-32)، وذلك بعد قوله تعالى: ﴿من نطفة خلقه فقدّره﴾ (عبس؛ 19)؛ فتأمّل في سياق الآية جدا[10].

مناجاة[11]:

سبحان من ينقش الصور على قطرات الماء في ظلمات ثلاث، مقدّرا فيها قسمة الذكور والإناث، فيوزع في علمه أجزاءها على أعضائها، وهي بعد على هيئة[12] مائها، ثمّ يجعلها علقة بنفسها معتلقة، فيقدّر من بعضها عروقا، ومن بعضها عظاما، ويكسوها لالتحامها لحما، ثمّ يجعل

---

(1) في (س) "قراج".

(2) سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

(3) ما بين المعقوفتين جاء في هامش (ش).

(4) سقط من (ق).

(5) سقط من (ق)، وفي (ص) "الأرضية أيضا".

(6) في (ص) "الزرع".

(7) سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع).

(8) في (ص) "كذلك تعالى".

(9) سقط ما بين المعقوفتين من (س).

(10) سقط من (ق)..

(11) في (ج) "المناجات".

(12) في (س) و(ع) "صورة".

الأعضاء مبسوطة، ويجعلها بالأعصاب مربوطة، ويكتب على جبين [كل جنين][1] سينا ليست[2] منقوطة، ليلّا يعلم الملك أنّها سين السعادة أم شين الشقاوة حين يربيها في الغشاوة، ثمّ يمسحه بالجمال فيحسن وجه ممسوحه، أو يلطمه لطمة مقبوحه، ثمّ ينفخ فيه من روحه، فينتصب الجنين وحيا[3] ويصير بإذن الله حيا.

إلهي، صن عن شطط الأقوال أفواهنا، وق عن نقط الشين جباهنا، وارحم ضعف بنيتنا، وخور طينتنا، وأعذنا من حدّة غضبك، وشدّة بأسك، فليس يُرمى البعوض بالصخور الثقال، ولا يقوى النمال جرّ الجبال، أعذنا يا ذا الجلال[4].

---

[1] ليس في (ق).

[2] سقط من (س).

[3] أي "سريعا". في (ص) حيا" وفي (ق) "وجيا".

[4] في (س) زيادة "والإكرام". وكذلك في هامش (ص).

الباب الرابع عشر(1)
في تصوير الجنين [في قرار مكين](2)

اعلم أنّ الملائكة العظماء المشاهير في السماء لكلّ واحد منهم أعوان في الأرض يتردّدون إليهم ويتولّون أعمالهم ويفعلون ما يؤمرون. فالكرام الكاتبون [هم أعوان](3) الملك الأعظم الذي هو صاحب القلم الأعلى، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾ (عبس؛ 15-16)، وأقسم بكتابتهم فقال: ﴿ن، والقلم وما يسطرون﴾ (القلم؛ 1)؛ ﴿والنازعات غرقا﴾ (النازعات؛ 1)، هم أعوان عزرائيل عليه السلام، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿الذين تتوفّاهم الملائكة﴾ (النحل؛ 32)، وقال: ﴿توفّته رسلنا﴾ (الأنعام؛ 61)؛ ﴿والمقسّمات أمرا﴾ (الذاريات؛ 4) هم أعوان ميكائيل عليه السلام الذين يقسّمون أرزاق العباد؛ ومنهم: ﴿الذاريات ذروا، والحاملات وقرا﴾ (الذاريات؛ 1-2)، وُكِّلوا بالريّاح والسحب والأمطار. والملائكة الموكّلون بنفخ الأرواح في النسمات هم أعوان جبريل عليهم السلام، وصاحبهم موكّل بعالم الجبروت. وملائكة الأرحام الذين يتولّون تصوير الأجنّة هم أعوان إسرافيل عليه السلام الموكّل بالصور، وهو ناظر(4) إلى صور الخليقة المصوّرة تحت العرش [فإنّ في الحديث: "إنّ لكلّ ما خلق الله || 86 صورة مخصوصة في ساق العرش](5) أظهرها(6) الله تعالى قبل تكوينهم". ولصور(7) بني آدم تشابه وتشاكل(8) في الخلقة(9)،

(1) في (س) الخامس عشر.
(2) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).
(3) ورد بهامش (ج).
(4) في (ص) "وهم ناظرون".
(5) ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ش) وورد "ساق العرش" بهامش (ع)..
(6) في (ص) "أظهره".
(7) في (ج) "تصور".
(8) في (ش) هامش هذا نصه: "في الجملة، وإن كانت لهم اختلافات واختصاصات في الهيئات والألوان".
(9) في (س) "الخليقة".

وأصل ذلك كلّه صورة آدم عليه السلام، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: "إن الله خلق آدم على صورته."[1] وفي رواية: "على صورة الرحمن."[2] ومعناه على الصورة التي صوّرها الرحمن في العرش أو اللوح قبل خلق آدم عليه السلام. مثاله أنّ النقّاش يصوّر على كارنامجه صورا أو نقوشا من اختراعه وتلقاء نفسه وإنشاءه أوّلا، ويكون ذلك عنده، فإذا أراد أن يصوّر سقف إنسان أو حائطا ينقشه ويصوّره على تلك الأمثلة فيقول: "صوّرت سقف فلان على صورتي ونقشي. "أي على مثال صورتي ونقشي[3] التي أنا اخترعتها من نفسي وخططتها في كارنامجي من قبل".

وذلك في الحقيقة راجع إلى علم الله الأزليّ[4]، والصور في العرش، أو[5] اللوح تكون إراءة له للملائكة وإعلاما لما في علمه جلّ جلاله. فعلى هذا ملك الأرحام عند تصوير الجنين ناظر إلى إسرافيل عليه السلام، وإسرافيل ناظر إلى الصور المنقوشة في العرش، وتلك الصور حكاية عمّا في[6] علمه الأزليّ جلّ جلاله، فيأخذ[7] إسرافيل عليه السلام تلك الصورة المختصّة المسمّاة عند الله لتلك الذرّة المخلّقة[8] المربّاة ويلقيها إلى ملك الأرحام، وملك الأرحام يلقيها إلى الجنين في الرحم فيصوّره بتلك الصورة المعيّنة، وإلقاء الصورة إنّما يكون بإلقاء نسختها التي تليق بها. وكان بعض أئمّتنا شبّهه بنسخة الديباج ذي التصاوير عند إلقاء الحلق من فوق إلى الناسخ أسفله موازيا للصورة المنقوشة على مثال ما في الكارنامج عنده، فيظهر عند النسج في المنسوج شيئا فشيئا [حتّى][9] تستكمل[10] الصورة، وهذا إنّما يعرف بالمشاهدة. وقد أضاف الله تعالى ذلك إلى نفسه فقال جلّ جلاله: ﴿هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء﴾ (آل عمران؛ 6)، وقال تعالى:

---

(1) الكلاباذي، معاني الأخبار، ص 77؛ الطيوري، الطيوريات، مجلد 1، ص 11-12، حديث: 6.

(2) الكلاباذي، معاني الأخبار، ص 77-79.

(3) في (ق) "نقشي".

(4) في (ص) "الأولي".

(5) في (ص) "إذ"

(6) في (س) "عما كان في".

(7) في النسختين يأخذه.

(8) في (ص) "المختلفة".

(9) سقط من (ق).

(10) في (س) "استكمل".

﴿وصوّركم فأحسن صوركم﴾ (غافر؛ 64)، وذلك لأنّ هذه الأسباب معدّات على قضيّة علمه وتدبيره إجراء للعادة الحسنى، فهو جلّ جلاله على الحقيقة مصوّر للصور، ومصوّر مصوّريها[1]، الخالق البارئ المصوّر، لا خالق سواه، ولا مصوّر إلّا هو. ولذلك شدّد الوعيد في اتّخاذ الصنم، وأوعد[2] المصوّرين بعظائم العقوبات، وأنّهم يكلّفون يوم القيامة بنفخ الروح فيها. وقال ﷺ: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة[3] ". [4]

واعلم أنّ هذه الصور عند إعادة الأرواح إلى الأبدان ربّما تتغيّر عن شكلها الأوّل لغلبة الأخلاق الباطنة على الخلقة الظاهرة واستعلائها | |87 عليها، وربّما بقيت على هيئتها، وربّما تصوّرت بصورة هي أحسن وأجمل من الصورة الأولى، وذلك لأنّ الصور في الدار الآخرة تابعة للصفات والمعاني، فإنْ كانت الصفات قبيحة صورة صاحبها تقبح، وإنْ كانت جميلة فصورة صاحبها جميلة. ولهذا الكلام غور لا يحتمله هذا المختصر. ويكفيك التأمّل في حديث معاذ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "يحشر الناس يوم القيامة على أصناف، صنف يحشرون عماة، وصنف يحشرون مزرّقة عيونهم، وصنف يحشرون مسودّة الوجوه[5]، وصنف على صورة الخنازير..."[6] إلى آخر الحديث. ذكر في التفاسير عند قوله تعالى: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾ (النبأ؛ 18). ويروى أنّ النائحة تبعث على صورة الكلب[7]. والأخبار الواردة في تغيير الصور كثيرة.

---

[1] في (س) و(ع) "مصوبها".

[2] في (س) "وإذا وعد".

[3] في (ش) و(ص) "صور".

[4] البخاري، صحيح، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، فوافقت...، حديث: 3054؛ وباب إذا وقع الذباب فب شراب أحدكم...، حديث: 3144؛ كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، حديث: 3780؛ كتاب اللباس، باب التصاوير، حديث: 5605؛ وباب من كره القعود على الصور، حديث: 5613.

[5] في (ق) "مسودة وجوههم".

[6] جزء من حديث طويل أخرجه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 32، ص 383- 385؛ وهي رواية مخالفة بعض الشيء لما ورد ههنا إذ ليس فيها مثلا: "صنف يحشرون عماة، وصنف يحشرون مزرّقة عيونهم".

[7] لم نعثر على هذا الأثر، ولكنّنا وجدنا حديثا قريبا من هذا المعنى عند القرطبي وغيره وهو: " عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:" هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين، صفا عن اليمين، وصفا عن الشمال، ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثمّ يؤمر بهنّ إلى النار". وله روايات أخرى. انظر القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، ص 212.

واعلم أنّ الله جلّ جلاله جعل الصورة مسخّرة لأهل الجنّة، فكلّ ما اشتهت أنفسهم وتلذّذت أعينهم إذا أجالوه في الوهم والفكر[1] يرونه عيانا في الحال، وذلك مثل ما سخّر الله لنا [في الدنيا][2] تصاوير الخيال، فإنّا نرى كلّ ما اشتهيناه في الخيال مصوّرا، ولكن لأهل الجنّة يتحقّق تلك الصور وجودا يعاينونها كرامة لهم. وتصديقه ما روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: "إنّ في الجنّة سوقا ما فيه بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها." [3] وفي رواية: "إنّ في الجنّة سوقا يباع فيها[4] الصور." وتصديق هذا[5] الجميع قول الله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين﴾ (الزخرف؛ 71).

مناجاة:

سبحان من أظهر الكائنات في ملابس الصور الجميلة، ليستدلّ على معانيها بتلك الوسيلة، ونقش على ساق العرش صور مبدعاته، من جميع أهل أرضه وسماواته، فكلّ طاعة ومعصية تجري لأهل الفرش تتراءى صورتها على ساق العرش. وهناك ملائكة يطالعون، فإن تكن طاعة أظهر الله لهم فيستغفرون، وإن تكن معصية سترها حتّى لا يرون. ولهذا قال نبينا[6] ﷺ في أثناء التسبيح: "يا من أظهر الجميل وستر[7] القبيح"[8].

---

[1] في (ج) "التفكر"؛ وفي (س) و(ص) و(ع) "والخيال".

[2] سقطت من (ق).

[3] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 686، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، حديث: 2550؛ أبو نعيم، صفة الجنة، ج 3، ص 254، حديث: 418.

[4] سقط من (ج) و(س) و(ع) وورد في هامش (ش)..

[5] في (ص) "هذه" وسقط من (س) و(ع)..

[6] في (ق) "النبي".

[7] في (ج) و(س) و(ع) "وستر على".

[8] البيهقي، كتاب الدعوات الكبير، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الكويت، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ج1، ص 154-155، حديث: 207.

إلهي، حسّن صورتنا هناك بحسن سيرتنا[1] هنا، ولا تقبّحها بقبح سيرتنا في الدنا[2]، فإنك ستّار العيوب، غفّار الذنوب[3].

---

[1] في (س) و(ع) "سيرتها".

[2] في (ق) و(ص) "في الدنيا".

[3] في (س) زيادة "يا رحيم".

الباب الخامس عشر[1]
في الأرواح وما قيل فيها و[2]المعاد

اعلم أنّ البعث والمعاد من أمّهات المسائل العظام، وفيها مزلّات الأقدام، وقد ضلّ فيها أكثر الملل السالفة، ومبناها على معرفة الروح، وقد تحزّبوا أحزابا كثيرة. فزعم بعضهم[3] أنّ المعاد للروح خاصة، وادّعى آخرون أنّه يكون للبدن فحسب، || 88[4] وقال آخرون: المعاد للبدن والروح جميعا. والذين قالوا إنّه للرّوح خاصّة اختلفوا، فقال بعضهم: الروح غير جسم، وقال آخرون[5]: هو جسم لطيف، وأنّه يعاد في النشأة الآخرة إلى هذا البدن بعينه، وهم الأكثرون من أهل الحقّ. وقال بعضهم: يجوز أنْ يكون له محلّ غير هذا القالب المعيّن.

وجماعة اعتقدوا أنّه جوهر نورانيّ من عالم النّور محلّها البدن المظلم وهم المجوس، والثَّنَوِيَّة، والمانَوِيَّة، وزعموا[6] أنّ سعادتها أنْ تخلص من الظلمة وتخرق الأفلاك حتّى تصل بعالم النور، ولذلك عبدوا الأنوار والنيران، استعانة بها[7] في إعلاء أرواحهم إلى عالمها.

---

[1] السادس عشر في (س).

[2] في (ق) من.

[3] في (ص) "فذهب بعضهم"، وفي (ق) "وقال آخرون".

[4] بهامش (ق) بيتان للمعري من قصيدته في رثاء فقيه حنفي يدعا أبا حمزة والتي مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنّم شاد

والبيتان هما:

بان أمر الإله واختلف النا ... س فداع إلى ضلال وهــاد

والذي حارت البرية فيـــه ... حيوان مستحدث من جماد

سقط الزند، ص 12.

[5] سقط من (س).

[6] في (ق) زعموا.

[7] في (ح) "استغاثة لها".

والذين قالوا إنّ المعاد للبدن خاصّة قالوا: الإنسان بحيوانيّته وإنسانيّته، وهما عرضان خلقا في الإنسان، والموت يعدمهما[1]، وادّعوا أنّ الروح هو الحياة بعينها، صار[2] البدن بوجودها فيه حيّا وبعدمها ميّتا، وبالإعادة إليه في القيامة يصير حيّا، وهذا هو مختار أكثر متكلّمي الإسلام. وإنّما خالفه الأحاديث الواردة في الأرواح[3] الدالّة على أنّها جسم لطيف قد ذكرنا أكثرها في كتاب "*مسالك البحث عن مدارك البعث*". واعتقد قوم من العرب أنّ الروح جسم، وهي بعينها تعاد في القيامة في جسد آخر، وربّما يعبّرون عن ذلك بالبوم[4] والصدى. قال شاعرهم[5]:

سلّط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام[6]

وقال مجنون بني عامر[7]:

ولو يلتقي أصداؤنا بعد موتنـــــا ... ومن دون رمسينا صفيح منصّـب

لظلّ صدى رمسي وإن كنت رمّة ... لصوت صدى ليلى يهشّ ويطرب[8]

وجماعة زعموا أنّ عقوبتها تردادها في الأبدان مرّة بعد أخرى، وهو أنْ ينتقل من بدن إلى بدن، ونعيمها تخلّصها من تعلّق الأبدان، وهم أهل التناسخ؛ وقد افترقوا أربع فرق، النسوخيّة، والمسوخيّة، والفسوخيّة، والرسوخيّة.

---

[1] في (ص) "يعد منهما".

[2] في (ص) "ضاء".

[3] في (ص) "في الألواح".

[4] في (ص) "بالنوم."

[5] في (ق) قال شاعر.

[6] في (ع) "سلط القوم". والبيت لأبي داود الإيادي من قصيدة مطلعها:

منع النوم ماوي التهمام ... وجدير بالهمّ من لا ينام

انظر الأصمعي، الأصمعيّات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1387هـ/ 1967م، ص 178، قصيدة: 65.

[7] حول قيس بن الملوح انظر مقدمة هدى وائل عامر، ديوان أشعار مجنون بني عامر، رواية أبي بكر الوالبي، بيروت، المؤسّسة العربيّة للطباعة والنشر، 1432هـ/ 2011م، ص11-45.

[8] تجد البيتين في قصيدة مطلعها:

فوالله ثمّ والله إنّي لذائب ... أفكّر ما ذنبي إليك فأعجب

المصدر السابق ص 320-321.

- فالنسوخيّة جوّزوا تناسخ[1] الأرواح من الآدميّ إلى الآدميّ فقط، وكان منهم من أوجب التناسخ للنفوس الشقيّة وحدها حتّى تتكامل بالترداد من بدن إلى بدن، فتتخلّص من الجسدانيّة وتلحق بعالمها.

- والمسوخيّة من جوّزوا انتقالها من الآدميّ إلى البهائم والسباع والطير، ||89 ومنهم من زعم أنّ السعيدة ترجع إلى حيوان شريف كالفرس، والشقيّة ترجع إلى حيوان خسيس كالكلب والخنزير. ومنهم من زعم أنّها ترجع إلى حيوان يشاكلها بالطبع أو بالعمل، حتّى ادعى[2] أنّ روح القصّار ترجع إلى بنات الماء، وروح الصيّاد إلى جوارح الطيور.

- والفسوخيّة أوجبوا انتقالها إلى جميع دوابّ الأرض من الحيّات والعقارب والديدان وسائر الحشرات، وربّما يستشهدون على ذلك من كتاب الله تعالى: ﴿وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلّا أمم أمثالكم﴾ (الأنعام؛ 38)، وقوله تعالى: ﴿حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط﴾ (الأعراف؛ 40). زعموا أنّه يدخل روح[3] جمل في دودة كانت في الصغر تدخل في سمّ الإبرة، أي ثقبها.

- والرسوخيّة جوّزوا انتقالها إلى أنواع الشجر والنبات، ومنهم من يعبد لذلك بعض الأشجار كالعزى في العرب وغيرها[4].

وهذه كلّها خباط وظلمات بعضها فوق بعض، إنّ اللبيب بمثلها لا يخدع[5]، وقد صدق من قال: "الناس كلّهم أكياس، فإذا جاءوا إلى الأديان افتضح الأكثرون". فأعرضنا عن جواباتهم إذ لا فائدة فيها لأنّهم قد ذلّوا وقلّوا حتّى لم يبق إلا شرذمة من الهنود[1].

---

[1] في (ص) "انتساخ".

[2] سقط من (ق).

[3] استدرك فوق السطر في (س).

[4] سقط من (ص). وقد ورد مثل هذا الكلام ولكن بغير تفصيل في كتاب الأضحوية في المعاد لابن سينا، تحقيق حسن عاصي، طهران، شمس تبريزي، 1403هـ/ 1983م، ص 94-96.

[5] شطر من بيت ينسب لعمران ابن حطان

روي عن قتادة أنّه قال: لقيني عمران بن حطّان فقال: يا عمّي، احفظ عنّي هذه الأبيات:

حتّى متى تسقى النّفوس بكأسها ... ريب المنون وأنت لاهٍ ترتع

وأما المنتحلون إلى التصوّف فقد تشعّبوا فيها شعبا أيضا، فزعم بعضهم أنّ الروح خلق من نور العزّة، وإبليس خلق من نار العزّة، وإنّما لم يسجد لآدم ظنّا منه أنّ الأكرم عند الله من كرمت جوهريّته فقال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (الأعراف؛ 12)، ولم يدر أنّ نور العزّة فوق نار العزّة.

وسئل أبو سعيد الخرّاز[2] عن الروح أمخلوقة هي؟ قال: "نعم، ولولا ذلك لما أقرّت بالربوبيّة حتّى قالت: بلى".

وقال بعضهم: [إنّما قرن الله تعالى العلم بالروح فقال: ﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾ (الإسراء؛ 85)، لأنّها للطافتها تنمو بالعلم نموّ[3] البدن بالغذاء، وهو يجول في علم الله، ولا يدخل تحت علم الخلق لأنّ علم الخلق قليل] [4].

وقال بعضهم: الروح من عالم الأمر، ولله عالمان، الخلق والأمر كما قال: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف؛ 54)، فعالم الخلق يرى بالأبصار، وعالم الأمر يعلم بالبصائر، وليس يعلم من علم الروح إلّا قليله كما قال: ﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾ (الإسراء؛ 85) [أي من علمها][5].

وقال يعقوب النَّهْرَجُوري[6] في بعض كتبه أنّ المشايخ[7] على أنّ الأرواح كلّها مخلوقة، ولكن قال بعضهم: إنّها لا تموت ولا تبلى. وقال قوم: ينشئ الله لها أجسادا من الجنّة أو من النار. وقال

أفقد رضيت بأن تعلّل بالمنـــى ... وإلى المنيّة كلّ يومٍ تدفــع

أحلام نومٍ أم كظلّ زائـــــــلٍ ... إنّ اللّبيب بمثلها لا يخـدع

[1] في (ص) "اليهود".

[2] أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز، من أعلام التصوّف من أهل بغداد. توفي على ما يبدو سنة 279هـ/ 892م وقيل غير ذلك. السلمي، طبقات الصوفيّة، 228-232؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 5، ص 454- 457، رقم: 2294؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 5، ص 129- 143، رقم: 70.

[3] بياض ب(ص).

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ق)

[5] ما بين المعقوفتين استدرك في هامش (ق).

[6] إسْحَاق بن محمّد النَّهْرَجُوري، وكنيته أَبو يَعْقُوب، أحد علماء أعلام التصوف في القرن الرابع الهجري، توفي في مكة سنة 330هـ/ 941م. السلمي، طبقات الصوفية، 378-381؛ الذهبي، سير، ج 15، ص 233-232.

[7] لكي يستقيم الكلام يظهر أنّه يجب إضافة كلمة "أجمعوا".

قوم: الأرواح روحانيّات نورية سطعت من الملكوت فإذا صفت رجعت إليها، وفي هذا نظر. وقال قوم: الأرواح على صورة الإنسان لها رأس، ووجه، وعين، وفم، وسمع، وبصر[1]، ورجل إلى غيرها.

ورووه[2] عن إسماعيل بن أبي خالد[3] | |90، قال: "سألت أبا صالح[4] [عن الروح][5] فقال: أخبرت أنّها[6] كهيئة الناس وليسوا بالناس"[7].

وروى بعضهم عن ابن عبّاس أنّه قال: "الروح خلق من خلق الله[8] وأمر من أمر الله على صورة بني آدم، وما نزل من السماء ملك إلّا ومعه روح"[9].

قال يعقوب[10]: "والصوّاب من هذه المقالات هو أنّ الأرواح كلّها مخلوقة وهي أمر[11] من أمر الله، وليست بينها وبين الله نسبة، غير أنّها من ملكه، وخلقه، وطوعه، وقبضته، وليست هي متناسلة ولا متناسخة، وأنّها تذوق الموت كما تذوق الملائكة، وتنعم بنعيم البدن وتعذب بعذابه في القيامة في البدن الذي خرجت منه في الدنيا".

---

(1) سقط من (س).

(2) في (ص) "ورواه".

(3) في (ق) خلد. وهو الحافظ أبو عبد الله البجلي، الأحمسي، مولاهم الكوفي، واسم أبيه هرمز، وقيل سعد، وقيل: كثير. كان محدّث الكوفة في زمانه مع الأعمش، بل هو أسند من الأعمش. مات على أصحّ الأقوال سنة 146هـ/ 760م. الذهبي، سير، ج 6، ص 176-178.

(4) بَاذَام، ويقال: بَاذَان المكّيّ، ثمّ الكوفيّ، الهاشميّ مولى أمّ هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، وكنيته: أبو صالح، وهو مشهور بها. ذكره البخاري فيمن توفي بين سنة 90 و100هـ/ 709 و718م. البخاري، التاريخ الصغير، تحقيق محمّد إبراهيم زيد، بيروت، مكتبة المعرفة، 1406هـ/ 1986م، ج 1، ص 272-273.

(5) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(6) في (ص) "أجزت أنه".

(7) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، تحقيق محمّد زاهد الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، دون تاريخ، ص 344، من طريق أبي معاوية وزاد: " لهم أيد وأرجل ".

(8) ليس في (ص).

(9) البيهقي، الأسماء والصفات، ص 344؛ أبو الشيخ الأصبهاني: كتاب العظمة، تحقيق رضاء الله المباركفوري، الرياض، دار العصمة، 1408هـ / 1988م، ج 3، ص 865، أثر: 404.

(10) يعني به أبا يعقوب النهرجوري.

(11) ليس في (ق).

وقال محمّد بن عليّ الترمذي في النوادر[1]: "الروح سماويّ ومسكنه الرأس وهو بارد، والنفس أرضيّة ومسكنها في الرئة وهي حارّة، وهما ريحان وضع في كلّ واحد منهما شيء من الحياة، [فيعملان في البدن بتلك الحياة][2] "[3].

هذا هو مذهب المشهورين من المشايخ. قال الإمام أبو منصور البغدادي[4] رحمه الله في كتاب الأصول الخمسة عشر[5]: "كلّ ما اشتمل عليه كتاب تاريخ الصوفيّة[6] [لعبد الرحمن[7] السلمي من مشايخ الصوفيّة][8] -وهم زهاء ألف شيخ[9]- ما فيهم أحد من أهل الأهواء، بل كلّهم من أهل السنّة سوى ثلاثة منهم: أحدهم أبو حلمان[10] الدمشقي[11]، فإنّه تستّر[12] بالصوفيّة وكان من

---

(1) نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، تحقيق توفيق محمّد تكلة، دمشق، دار النوادر، 1431هـ/ 2010م.

(2) سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

(3) ورد هذا النصّ في النوادر كالتالي: " إلّا أنّ الروح مسكنه في الرأس، وهو يدعو إلى الطاعة لأنّه سماويّ، والنفس تدعو إلى الشهوات لأنّها أرضيّة، وكلاهما ريحان قد وضع في كلّ واحد منهما شيء من الحياة فيعمل بتلك الحياة..." ج 7، ص 106-107.

(4) أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي التميمي، من أئمّة الأصوليّين وأعيان فقهاء الشافعيّة، صاحب كتاب "الفرق بين الفرق". مات سنة 429هـ/ 1037م. الذهبي، سير، ج 17، ص 572-573؛ السبكي، طبقات، ج 5، ص 136-148.

(5) وهو المعروف اليوم بكتاب أصول الدين، نشر لأوّل مرّة في إستانبول، دار الفنون التوركية[كذا]، 1346هـ/ 1928م.

(6) وهو غير كتاب طبقات الصوفيّة.

(7) في (ص) "لأبي عبد الرحمن".

(8) سقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(س) و(ش) و(ع).

(9) وهذا يؤكّد أنّ البغدادي لا يقصد كتاب طبقات الصوفية للسلمي كما قد يتوهّمه البعض، لأن كتاب الطبقات لا يحتوي إلا على مائة وثلاث تراجم. وأمّا كتاب تاريخ الصوفية فهو مؤلف آخر ذكره من ترجم للسلمي.

(10) في جميع النسخ أبو جلمان والصواب أبو حلمان البغدادي، *أصول الدين*، ص 317.

(11) أبو حلمان الدمشقي عليّ الحلبي، أبو حلمان بضم المهملة وسكون اللام كما ذكره البغدادي وابن عساكر. قال ابن حجر: " ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفيّة فقال دخل الشام، يحكى عنه في الأرواح والشواهد مناكير إن صح ذلك ما هو من القوم في شيء." ولم نعثر عليه في مختلف الطبعات المتوفرة لدينا من كتاب طبقات الصوفيّة للسلمي، ويبدو هذا أنّ ابن حجر قصد تاريخ الصوفيّة، والصواب ما ذكره البغدادي وهو أن السلمي ترجم له في تاريخ الصوفية. وقد ذكره ابن عساكر تحت كنية أبي حلخان، وكذلك في مختصرات تاريخ دمشق. انظر ابن عساكر تاريخ دمشق، ج 66، ص 153، ترجمة: 8480؛ ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبو غدّة، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، 1423هـ/ 2002م، ج 9، ص 53، ترجمة 8820.

(12) في (ص) "يستتر".

الحلوليّة؛ والثاني القنّاد[1] فإنّه اتّهمته الصوفيّة بالاعتزال فطردوه وقالوا: "إنّ الطيّب لا يقبل الخبيث"؛ والثالث الحسين بن منصور[2] وشأنه مشكل، وقد رضيه ابن عطاء[3]، وابن خفيف[4]، وأبو القاسم النصراباذي[5]"[6] هذا لفظه[7].

وأمّا الشطّاحون فقد رويت منهم أقوال منكرة، فقال بعضهم: "الروح لم يخرج من كن لأنّها لو خرجت منه لكان عليه الذلّ." قيل له: "فمن أين خرجت؟" قال: "من بين جماله وقدسه". وهذا من الطامّات الفارغة[8].

وروي عن بعضهم أنّ الروح من نور الله، فإذا اتصل النور بالنور فهو هو، وهذا كفر صراح.

---

[1]عليّ بن عبد الرحيم أبو الحسن القنّاد الواسطي الصوفيّ، أحد الصوفيّة ممّن سافر على التجريد ولقي المشايخ، وله كلام. روى عن الحسين بن منصور الحلاج شيئا من كلامه، وروى عنه عبد الله بن أحمد الفارسي، وأحمد بن أبي حاتم القزويني، وأبو العباس بن تركان وغيرهم. لم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ وفاته إلّا أنّنا إذا تتبعنا من عاصر من الصوفية نستطيع أن نقول بأنّه من أعلام القرن الرابع وبداية الخامس. ولم نعثر له على ترجمة فيما طبع من طبقات الصوفية للسلمي. انظر السمعاني، كتاب الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، 1408هـ/ 1988م، ج 4، ص 545.

[2] في (س) "المنصور". أبو مغيث الحسين بن منصور بن محمى الملقب بالحلاج، يعتبر من الرجال الذين اختلف فيهم، ولد وتوفي في بغداد، حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون.. قتل سنة 308هـ/ 922م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 307-311؛ الذهبي، سير، ج 14، ص 313-354.

[3]أبو العباس أحمد بن محمّد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي، من أعلام الصوفية، قال عنه أبو عبد الحمن السلمي: "من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، له لسان في فهم القرآن يختصّ به "، توفي ما بين سنة 309 و 311هـ/ 923 و925م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 265-272؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 10، ص 302- 305.

[4]أبو عبد الله محمّد بن خَفِيف بن إِسْفَكْشاذ الضَّبِّيّ الشيرازي، صوفيّ من أعلام القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الحمن السلمي: "كان شيخ المشايخ في وقته، وكان عالما بعلوم الظّاهر وعلوم الحقائق، أوحد المشايخ في وقته حالا وعلما وخلقا." توفي سنة 371هـ/ 981م، السلمي، طبقات الصوفية، ص 462-466؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 10، ص 285-387.

[5]أبو القاسم إبراهيم بن محمّد بن أحمد بن محمويه الخراساني النصراباذي النيسابوري الزاهد، ونصراباذ: محلة من نيسابور. قال أبو عبد الرحمن السلمي: " كان شيخ الصوفية بنيسابور، له لسان الإشارة مقرونا بالكتاب والسنة، وكان يرجع إلى فنون منها حفظ الحديث وفهمه، وعلم التاريخ، وعلوم المعاملات والإشارة ". توفي سنة 367هـ/ 977م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 484-488؛ الذهبي، سير، ج 16، ص 263-267.

[6] البغدادي، أصول الدين، ص 316-317.

[7] في (س) "الفطة".

[8]سيتراجع المؤلف عن هذا الرأي ويوضح أسباب هذا التراجع في استدراك جعله آخر الكتاب.

وقال بعضهم: روح العبد تجتمع بالقديم على معنى استهلاكه في ذات القديم كاستهلاك نور السراج في ضوء الشمس، وأنشد في ذلك:

وتحقّقتك في سرّي ... فناجاك لسـاني

فاجتمعنـــا لمكـــان ... وافترقنا لمكان[1]

وأنا أتبرأ من هذه المقالة وإنْ عدّ قائلها من المشايخ.

وأمّا الفلاسفة | |91 المنتسبون إلى الإسلام فزعم بعضهم أنّ الروح لمّا اقتبست العلم، اتّحدت بالعلم، ودفعت به كدورة النفس الحسّية حتّى صفت الحساسة[2]، فامتزجت الثلاثة العلم، والروح، والنفس الحسّيّة الصافيّة؛ والعلم هو كلمة الله العليا وهو التوحيد، وما جاء به الأنبياء من الشرائع؛ واستشهد بقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيّب، والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر؛ 10). قال: "وإذا فارقت الروح البدن، تصعد بالعلم، وتصحبها النفس الحسّية فتحسّ بها الآلام واللذّات"[3]. وقد عمل صاحب هذه المقالة على هذا الأصل كتابا سماه كتاب المعاد[4]، وإنّي أرى أنّه أراد أنْ يقرّب اعتقاده من الإسلام بتحذلقه فوقع في دين النصرانيّة القائلين بالأقانيم الثلاثة، كما قيل: "فرّ من الشآبيب إلى ظلّ الميازيب." [والشؤبوب المطر][5].

---

[1] تنسب هذه الأبيات للحلاج، ولها روايات متعدّدة، وهي كما نجدها بمختلف المصادر على الشكل التالي:

قد تحقّقتك في سرّ ... ي فخاطبك لـساني

فاجتمعنا لمعـــان ... وافترقنا لمعــــان

إن يكن غيبك التعـ ... ظيم عن لحظ العيان

فلقد صيّرك الوجــ ... د من الأحشـــاء دان

انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 8، ص 693.

[2] في (ح) "الخسّية حتّى صفت الخساسة".

[3] يقصد القزويني بهذا الكلام ابن سينا وتجد كلاما قريبا من هذا الذي أشار إليه صاحب السراج في كتاب الأضحوية في المعاد لابن سينا، ص 150-151. وسيذكر القزويني ابن سينا مرّة ثانية عند حديثه عن البعث في الباب الثامن عشر.

[4] لا يتعلّق الأمر هنا بكتاب ابن سينا الذي نشر بعنوان المبدأ والمعاد، تحقيق عبد الله نوراني، طهران، 1984م، وإنّما بالأضحوية في المعاد الذي سبق وأن أحلنا عليه.

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ش) و(ص) و(ع)، وكتبت كلمة مطر وحدها في هامش (ش).

وزعم بعض القدماء منهم أنّ الروح إذا فارق البدن يحتمل معها القوّة الوهميّة بتوسّط النطقيّة، فتكون حينئذ مطالعة للمعاني المحسوسات، لأنّ تجرّده من هيئات البدن عند المفارقة غير ممكن، وهي عند الموت شاعرة بالموت، وبعده متخيّلة نفسها مقبورة، وتتصوّر جميع ما كانت تعتقده حال حياته، وتحسّ بالثواب والعقاب في القبر[1].

وكان ثابت بن قرّة الحرّاني[2] يعتقد أنّ النفس تنفصل من البدن في جسم لطيف[3].فهذه الأقوال متقاربة لمن اعتزى منهم إلى الإسلام، وكلّهم يدندن[4] حول الفلسفة.

واعلم أنّ معظم الفلاسفة اعتقدوا أنّ النفس جوهر بسيط غير منقسم ولا متحيّز، وإنّما هي من جنس جواهر[5] الملائكة، وأنّ سعادتها باستكمال جوهرها[6] وهو اتّصافها بالأخلاق الملكيّة، وشقاوتها في نقصانها وهو التدنّس بالشهوات البهيميّة.

وهذا كلام[7] منهم هائل وليس وراءه طائل. والدليل على استحالته أنّ الموجود في تقدير العقول السليمة ضربان[8]، قديم وحادث، فالقديم هو الحقّ تعالى بذاته وصفاته، والحادث ما سواه. ثمّ الحادث أيضا على ضربين: جوهر قائم بالنفس، وعرض قائم بالجوهر، ونعني بالجوهر الجزء الفرد الذي لا يتجزّأ. والفلاسفة أكثرهم ينكرون ذلك ويزعمون أنّ الحادث ثلاثة أقسام: جسم ذو أبعاد ثلاثة، وعرض قائم بالجسم[9]، وجوهر بسيط غير متحيّز ولا متجزّئ. وهذا عندنا باطل لأنّه لو كان هذا البسيط غير متحيّز فبأيّ شيء يتمايز عن القديم مكانا أو زمانا أو حقيقة؟ فإن قال صاحبه يتميّز بالمكان كما يتمايز الجسمان في مكانين فمحال، ||92 لأنّه صرّح باستحالة

[1] ابن سينا، الأضحوية في المعاد، ص 156-157.

[2]ثابت بن قرّة بن مروان (221 هـ -288 هـ/ 836-901 م) اشتهر بعمل الفلك والرياضيات والهندسة والموسيقى. ولد في مدينة حرّان. له كتاب في الهيئة، وكتاب في أوجاع الكلى والمثاني، إلى غير ذلك من الكتب في مختلف العلوم. القفطي، إخبار العلماء، 89-90.

[3] ابن سينا، الأضحوية في المعاد، ص 157.

[4] في (ج) "يذبذب".

[5]سقط "جنس" من (س) و(ع)؛ و في (ق) "جنس من جواهر".

[6] في (ق) جواهرها.

[7] سقط هذا من (ق) وسقط كلام من (ع) وفي (ج) "الكلام".

[8]سقط من (ش).

[9] في (ص) "الجسم".

مكانيهما حين نفى التحيّز عنهما. وإنْ ادّعى أنّهما يتمايزان بالزمان كتمايز السوادين في محلّ واحد في زمانين فمحال أيضا، لأنّه معترف بأنّ ذلك البسيط غير قائم بمحلّ. وإنْ زعم أنّهما يتمايزان بحقيقة نفسيهما، [وهو متكأه في دعواه، إذ يدّعي أنّ تمايزهما][1] كتمايز[2] السواد والحركة في محلّ واحد وزمان واحد. فيقال له: هذا يبطل أيضا، إذ لا محلّ للقديم[3] ولا تقدير محلّ حتّى يتمايز به ما يغايره، وكذلك [ذلك][4] البسيط عنده لا يقدّر له محلّ بخلاف حقيقتي[5] السواد والحركة في المحلّ الواحد، فإنّ[6] تمايزهما باعتبار محلّهما الذي قاما به. ألا ترى أنّك لو رفعت محلّهما عن ذهنك لم يتمايزا، بل لم يعقلا[7] لأنّ احتياجهما إلى المحلّ لنفسهما، وبانتفاء ذلك انتفاء أنفسهما. فإذا لم يتمايز ذلك البسيط عن القديم بوجه ولا يكون هو قديما فهو محال وخيال. وأيضا هذا البسيط إنْ كان مقدّرا فمنقسم، وإنْ كان غير مقدّر فهو غير مقدور، فلا يكون حادثا لأنّ تعلّق القدرة بالممكنات [والممكنات][8] مقد[9]رات عقلا. ثمّ لو ادّعى[10] قدمه أدرنا عليه إبطال القديمين واستحالة تغايرهما بهذا الدليل أيضا. فليتأمّل الناظر في هذا الكلام شافيا، فإنّ كتب الأصول وجدتها خالية[11] من هذا البيان، وما لم تستحكم هذا الأصل لا تتخلّص من تخاييل الفلاسفة وشبههم، وإذا أبطلت هذا الأصل عليهم بطل جميع ما قالوه، على اختلاف طرقهم، ما ذكرنا عنهم وما لم نذكر.

---

(1) ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ش) وسقط من (س) و(ع).

(2) في (ص) "تمايز".

(3) في (ق) للقائم.

(4) سقط من (ق).

(5) في (س) "حقيقي".

(6) في (ق) فإنّما.

(7) في (ص) "يعتقلا".

(8) سقط من (ق).

(9) في (ق) "مقدورات".

(10) في (س) و(ع) "ثم لو ادعى".

(11) في (ق) "خالية وجدتها". وسقط "خالية" من (س) و(ع).

وأقول إنّما وقعت لهم هذه الشبهة لأنّهم لمّا وجدوا أجساما لطيفة، متّسعة، منبثّة، منبسطة، سائحة، بعضها محسوس كالأنوار، وبعضها غير محسوس كالملائكة، والجنّ، والشياطين، والأرواح، والرياح[1] ولم يقدروا على تحصيل أبعادها الثلاثة من الطول، والعرض، والعمق في الوهم، ولا تقدير تصويرها في الخيال من غاية رقّتها[2]، [ولطافتها][3]، وشدّة انتشارها، وانبساطها، وفرط اتّساعها، وانفراجها في الجهات كلّها، ظنّوا أنّها غير متناهيّة وأنّها إذا كانت غير متناهيّة كانت غير منقسمة، وإذا لم تدخل تحت القسمة كانت غير ملاقية[4] للأحياز، وإذا لم تكن غير ملاقيّة[5] للأحياز كانت بسيطة غير متحيّزة ولا متجزّئة على ما توهّموه. وهذا خيال لمن استهواه الشيطان وتداركه الخذلان. وإنّما جاءهم الغلط من قبل[6] الوهم وعجزه عن ضمّ[7] جوانب الأجسام البسيطة اللطيفة المنتشرة. ولو رجعوا إلى حاكم العقل ||93 لقضى لهم بالاستدلال من البعض على الكلّ، فنظروا في تغايير الأنفس والأرواح، ثمّ تعدادها في أنفسها حتّى علموا أنّها لو كانت قائمات بأنفسها فهي أجسام لطيفة كالهواء والريّاح، وإنْ كانت قائمات بأغيارها فهي أعراض زائلة كالألوان والأكوان، فلا تخرج إذن عن القسمين الحادثين: الجوهر والعرض.

والدليل القاطع على إثبات الجزء الفرد الغير المتجزّئ ما لاح لي، وهو أنّ خصومنا في هذه المسألة، الفلاسفة، وهم بأجمعهم يعتقدون أنّ عالم الأجسام مدوّر كُريّ من الفلك الأعلى إلى مركز الأرض، الذي هو عندهم كالنقطة بالنسبة إلى محيط دائرة الفلك الأعظم، والكرة لا بد وأن يكون لها مركز، والمركز هو النقطة التي لا تنقسم إنْ كان على سطح، والجوهر الفرد [إن كان ذا حجم، وهذا هو الذي ادّعيناه بأنّه الجوهر الفرد][8] الذي لا يتجزّأ، والدليل على ذلك أنّك لو

---

[1] ليس في (ق).

[2] في (ص) "دقتها".

[3] سقطت من (ش).

[4] في (س) "متلاقية".

[5] نفس الملاحظة.

[6] سقطت من (ج) و(س) و(ع) و(ق).

[7] في (س) "الضم".

[8] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

أحطت وهمك بجميع أجزاء محيط كرة الأرض، فإمّا أنْ تتلاقى أوهامك في قلبها ووسطها بلا حاجز، أو لا تتلاقى[1] لأجل حاجز يمنع نفوذ النظر في الوسط، ويمنع[2] الأوهام المحيطة إلى التلاقي، فتترادّ[3] دونه حينئذ، فإنْ تلاقت بلا حاجز فقد انتهت، [وإذا انتهت][4] فقد تناهت إلى عدم محض، وإنْ أحاطت الأوهام في قلب الأرض بجزء حاجز يمنع نفوذ الأوهام والأفكار فيه بالتقسيم، فهو تصريح بثبوت الجزء الفرد[5]، وهو الذي أردناه، وعليه مدار التوحيد لمن فهم، فإنّ من لم يثبته[6] لم يمكنه إلّا إثبات تناهي الأجسام، وهي إذا لم تكن متناهيّة كانت غير مقدورة، إذ القدرة الأزليّة لا تتعلّق إلّا بالمتناهي الممكن[7]، فيلزم على ذلك حينئذ قدم العالم.

ومن العجب[8] العجاب أنّ بعض علمائنا الكبار، مع علوّ شأنه في الشرعيّات والعقليّات، قد تعقّل عقله[9] بشبكة هذه الشبهة، فكان يكرّر على الناس في تصانيفه أنّ الروح جوهر بسيط[10] غير متحيّز، وأنّه حادث، وكذا وكذا على وتيرة ما ادّعته الأوائل، غير أنّه خالفهم في قدم الروح فادّعى حدوثه وأبطل مع ذلك الجزء الذي لا يتجزأ. وهذا هو الحرف المتزلزل الذي يقول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ (الحجّ؛ 11).

ورأى بعض أهل العصر إمّا في منامه أو في حال غيبته[11] الشيخ أحمد الغزالي[1] رحمه الله فقال له: "هل كانت حقيقة الروح على ما ذكره أخوك في كتبه." فقال: "لا." فسأله بعد ذلك أنْ يخبره

---

(1) في (ق) "أو تتلاقى".

(2) في (س) "ومنع".

(3) في (س) "فتزاد" وفي (ع) "فتراد".

(4) سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

(5) في (ص) "والفرد".

(6) في (س) "ينته".

(7) في (س) "تغفل غفلة"

(8) في (ص) "العجيب".

(9) في (ص) "تعلق".

(10) إضافة من هامش (ش).

(11) في (ص) "عينيه".

بحقيقتها فقال: "سبحان الله، هل أحد يقول من أنا؟" ثمّ قرأ: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ (الأعراف؛ 198)؛ فعاوده بالسؤال عن معرفتها فقال: "أما بلغك حديث الرستاقيّ، | |94 كان معه ثلاثة أحمرة وهو راكب أحدها، فعدّها فكانا[2] حمارين." فقال: "يا مكاري سرق حماري." فقال المكاري: "انزل تجده".

وهذه إشارة إلى كفّ العقول والأوهام عن البحث عن كيفيّة الروح، وأنّها ما صحبتك[3] في الدنيا لا تعلمها، وإنّما علمها عند الله إذ[4] كان من أمره كما قال: ﴿قل الروح من أمر ربّي﴾ (الإسراء؛ 85). فمن رام أنْ يدركها بالعلم القليل تعاشى عقله فيه [كذا] كما يتعاشى البصر في شعاع الشمس، فلن ترى الشمس أبصار الخفافيش. فليعتقد المؤمن أنّ الروح شيء مخلوق أجرى[5] الله تعالى العادة بأنْ يحيى البدن ما دام متّصلا به، وأنّه أشرف من الجسد يذوق الموت بمفارقة[6] الجسد كما يذوق الجسد بمفارقته. أمّا كيفيّتها وحقيقتها على ما هي عليه فموكولة إلى علم خالقها ومبدعها، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك؛ 14). ولم يكلّفنا الله معرفتها، وما قيل: "من عرف نفسه عرف ربّه"[7]. فمن عرف هذا المقدار، وهو غاية ما أعطي [الخلق من العلم القليل، فقد عرف نفسه بقدر طاقته، وكان ممّن عرف نفسه عرف ربّه][1].

---

[1]أبو الفتوح مجد الدين أحمد بن محمّد بن محمّد بن أحمد الطوسي الغزالي. درّس بالنظامية نيابة عن أخيه أبي حامد الغزالي لما ترك التدريس فيها. توفي بقزوين سنة 520 هـ/ 1127م، وقيل 527 هـ/ 1135م. ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج 1، ص 397-400، رقم: 131؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 6، ص 60- 62، رقم: 595.

[2] بياض بـ (ع).

[3] في (ص) "صحبك".

[4] في (ح) "أو".

[5] في (س) "أجرى".

[6] في (ق) "بمفارقته".

[7] ذكره العجلوني في كشف الخفاء، وقال: " قال النووي ليس بثابت، وقال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع أنّه لا يعرف مرفوعا وإنّما يُحكى عن يحيى بن معاذ الرازي، يعني من قوله. وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي أنّه ليس بثابت، قال لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره. قال وذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ، شارح الجامع الصغير للسيوطي، بأنّ الشيخ محيي الدين بن عربي معدود من الحفاظ؛ وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محيي الدين قال هذا الحديث وإن لم يصحّ من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سمّاه القول الأشبه في حديث من

فإنْ قيل: قد حصرتم الموجودات في أقسام أربعة: قديم، وجسم، وجوهر، وعرض، فالروح من أيّ قسم منها؟

الجواب عنه أنّ المختار عند أكثر الأصحاب أنّه جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر النابت. هكذا ذكره إمام الحرمين أبو المعالي الجويني رحمه الله. وقد دلّت على ذلك الأخبار الكثيرة المشعرة[2] لها بصفات الأجسام من القبض، والردّ، والعروج، والهبوط، والذهاب، والمجيء، وغيرها، ولأنّه يوصف بأوصاف كثيرة، والعرض [لا يوصف، لأنّ الصفة معنى والمعنى لا يقوم بمعنى.

فإن قيل فهلّا اخترتم العرض][3] منها. قلنا كان الشيخ أبو الحسن رحمه الله اختار أوّلا العرض، وهو موافق[4] لمذهب المعتزلة والرافضة، ثمّ اختار بعد ذلك الجسم اللطيف للأحاديث الواردة فيه[5]، إذ وجدها كثيرة، وفي تأويل جميعها تعسّف وبشاعة وتعصّب وشناعة. وأيضا أنّ إعادة الأعراض إنّما تكون على سبيل البدَل والمماثلة، أمّا إعادتها بأعيانها فمحال لأنّها تؤدي إلى قلب حقيقة نفسها، إذ من حقيقة العرض أنْ لا يبقى وقتين، فإنْ قدّر إعادة عرض وكان المعاد هو المبتدأ بعينه فلقد بقي وقتين، وقت الابتداء ووقت الإعادة، وكان ذلك يؤدّي إلى قلب جنسه ونقله عن حقيقة نفسه؛ وأيضا لو قدر عرض معاد كان | 95 لا يتمايز عن العرض المبتدأ [تمايزا ذاتيّا البتّة، فلا يمكننا التفرقة بين المبتدأ][6] والمعاد. وما قالوه بأنّ التفرقة راجعة إلى علم الله فإنّ المبتدأ غير مسبوق في علمه والمعاد مسبوق فهو وهم، لأنّ تقدير الفرق في العلم إنّما يكون بعد صحّة الجواز، أمّا إذا استحال ذلك فكيف يقدر السابق والمسبوق إذ العلم يتبع المعلوم ولا

عرف نفسه فقد عرف ربه ". كشف الخفاء، ج 2، ص 343، حديث 2532. وبخصوص رسالة السيوطي انظر الحاوي للفتاوي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1402هـ/ 1982م، (طبعة مصوّرة عن طبعة قديمة بتاريخ 1352هـ/ 1934م)، ج 2، ص 238-241.

[1] ما بين المعقوفتين لا سبيل لقراءته لرداءة صورة النسخة (ش).

[2] في (ع) "أخبار كثيرة مشعرة".

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[4] في (ق) "الموافق".

[5] سقط من (ص).

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ص)..

يستتبعه؟ وهذا اختيار القلانسي[1] من أصحابنا، فإنّه قال: "يصحّ إعادة الأجساد ولا يصحّ إعادة الأعراض." وكان من أصله أنّ المعاد يكون[2] معادا لمعنى، ولا يصحّ قيام المعنى بالمعنى.

وقد روي عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قيل له: "أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان؟" فقال: "أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الأدهان؟" فقيل له: "وأين تذهب الجسوم[3] إذا بليت؟" فقال: "وأين تذهب سمنها[4] إذا مرضت؟"[5] وإنّما أراد بذلك الحياة فعبّرها[6] بضوء المصباح ولم يفرّق بين الروح والحياة، وهذا يدلّ على أنّه رأى أنّ الروح عرض.

وقد وجدت بخطّ الإمام هبة الله بن زاذان[7] رحمه الله في بعض تعليقاته أنّه سأل رجل الأستاذ أبا إسحاق الإسفراييني رضي الله عنه عن الروح أنّها عرض أو جسم، فقال: "إذا ناظرت الحلوليّة فقل عرض، وإذا كان مع نفسك فيجوز أن تراه جسما." قال الرجل: "فإذاً أكون شاكّا في معرفتها." قال: "لا بأس بهذا الشكّ بعدما علمت حدوثها فإنّك لم تكلّف بمعرفة حقيقتها، بل نهيت عن ذلك بقوله: ﴿قل الروح من أمر ربّي﴾ (الإسراء؛ 85).

---

(1) أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، من متكلّمي القرن الثالث الهجري. أحد أعلام الكلابيّة ومن أبرز رجالها. لا يعرف تحديداً مكان وتاريخ ولادته ولا مكان وتاريخ وفاته، ولكن من المؤكد أنه كان معاصراً لأبي الحسن الأشعري وكان أعلى منه طبقة. وله كما ذكر البغدادي أكثر من مائة وخمسين كتابا في الكلام. البغدادي، أصول الدين، ص 310؛ ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، القاهرة، المكتبة الأزهريّة للتراث، تقديم وتعليق محمّد زاهد الكوثري، الطبعة الأولى، 1347هـ/ 1929م، الطبعة الثانية دون تاريخ، ص 293.

(2) في (ش) كان.

(3) في (ص) "الحياة"

(4) في (ع) "سمتها" وفي (ق) "سيمته".

(5) السهروردي شهاب الدين، عوارف المعارف، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، دار المعارف، ج 2، ص 246.

(6) في (ش) و(ق) "عيرها".

(7) عمر بن محمّد بن عمر بن عبد الله بن زاذان أبو حفص الزاداني القزويني الملقّب بهبة الله، الإمام المحدّث القاضي والشاعر، توفي سنة 464هـ/ 1072م. الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج 3، 454-461.

فإن قيل: لو كان الروح جسما لكان كلّ جسم روحا، لأنّ الأجسام متماثلة فلا اختصاص لبعضها بأنْ يكون روحا دون بعض، إذ الجسد والروح مشتركان في الجسميّة، وليس أحدهما بأولى من الآخر بأن يكون روحا.

الجواب: أنّها وإنْ كانت متماثلة في تحيّزها وقبولها الأعراض [فهي][1] مختلفة في لطافتها وكثافتها، فالأشجار والنبات جسم، والماء والهواء جسم، ولكنّ الأشجار جسم كثيف، والماء جسم لطيف، والهواء ألطف من الماء، والله سبحانه يحيى النبات بالماء كما قال تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ (النحل؛ 65)[2].

فإن قيل: فإنْ كانت الروح جسما كان لا يخلو إمّا أن يكون اتّصالها بالبدن على سبيل المجاورة أو على سبيل الامتزاج، [فإنْ كان على المجاورة فليس البدن كلّه حيّا، بل الروح حيّ والبدن موات، وإنْ كان على جهة الامتزاج][3] فقد استحال الروح والبدن جميعا، ||96 وصار منها شيء آخر غيرهما.

فالجواب[4]: لا يبعد أنْ يكون الروح جسما لطيفا شفّافا ساريا بلطافته وصفائه ورقّته في تجاويف جميع البدن على سبيل المجاورة حتّى لا يبقى جزء من أجزاءه الأفراد إلّا وقد لاصقها جزء من أجزاء الروح، وذلك كالماء الساري بلطافته[5] في جميع أجزاء النبات وعروقها، وأوراقها، وثمارها. أما ترى مجاريه في أجزاء الأوراق إذا قابلتها بالشمس كيف يمتدّ متّصلا بعضها بالبعض، ويعطي الله لها الحياة باتّصال تلك الرطوبات إليها كما قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ﴾ (الأنبياء؛ 30)، كذلك يعطي الله حياة البدن بمجاورتها الروح جريا للعادة، ويعتبر نفوذ الروح في البدن بنفوذ السمّ فيه، غير أنّ السمّ ضدّها إذ يعقبه الهلاك والروح يعقبها الحياة، وهما يسريان في البدن للطافتها ويظهر فيه أثرهما من الحياة والموت.

---

[1] زيادة ضرورية لاستقامة المعنى.

[2] في (ص) زيادة الآية التالية: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد﴾ (ق؛ 9).

[3] ما بين المعقوفتين استدرك بهامش (ج).

[4] في (ص) "الجواب".

[5] في جميع النسخ عدا (ق) "بلطافتها".

واعلم أنّ السمّ غير مهلك والروح غير محيية بنفسيهما، وإنّما هما سببان يخلق الله الموت والحياة في أجزاء الجسد عند وصولهما إليها إجراء لعادته[1] المستمرّة، وهذا هو العلم القليل الذي أوتينا، والعلم بحقيقتها[2] عند الله [سبحانه وتعالى][3].

مناجاة[4]:

سبحان من شرّف الأرواح بخلعة الياء[5]، وجعلها [أسبابا][6] لحياة[7] الأحياء، خلقها قبل خلق الأجسام بألفي عام، وأخفاها عن رؤية الأبصار ودرك الأفهام. لقد ترك باب الأرواح غلقا بلا مفتاح، واستأثر بعلمها وحده، وجعلها من سرّه عنده، وأعجز خلقه عن علمها حتّى يعلموا جلال جبروته، ويعترفوا بقصورهم عن عجائب ملكه وملكوته. فكلّ ما قالوا فيها من الأقوال وهم وخيال، وحيرة وضلال، فهم في غفلة ساهون[8]؛ و﴿في ريبهم يتردّدون﴾ (التوبة؛ 45) و﴿في طغيانهم يعمهون﴾ (البقرة؛ 15) و ﴿الحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (لقمان؛ 25).

اللهمّ[9] ثبّت على ألواح أرواحنا نقش الإيمان، وطهّرها عن كدورات النفس وأدخنة العصيان، فإنّك قديم الإحسان، دائم الامتنان، يا رحيم[10] يا رحمن.

---

[1] في (ص) "العادة".

[2] في (ص) "تحقيقها"

[3] ما بين المعقوفتين زيادة من (ص).

[4] في (ج) "المناجات".

[5] في (ص) زيادة "يعني قوله: روحي".

[6] في (ق) سببا.

[7] في (ص) "بالحياة".

[8] لعلّه يقصد قوله تعالى: ﴿في غمرة ساهون﴾ (الذاريات؛ 11).

[9] في (ص) "إلهي".

[10] ليس في (س).

الباب السادس عشر[1]
في تهيئة الأجساد لقبول[2] الأرواح

إنّ المنكرين للمعاد وردّ الأرواح إلى الأجساد زعموا أنّ تعلّق الأرواح اللطيفة بالتراب الجاسي[3] الغليظ الجافي[4] مستبعد مستحيل للتنافر[5] بينهما طبعا، وإنْ قدّر ذلك فلا يتصوّر إلّا بعد[6] أنْ ينقلب التراب نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ||97 حتّى ينتهي إلى حدّ التسويّة، وهيهات ذلك، فإنّكم تدّعون أنّ الرفات والتراب[7] يحيى[8] بالروح وذلك رجع بعيد[9]. فنقول لهم: اعتبروا هذا بالنشأة الأولى، فالقدرة الأزليّة ما قصرت عمّا كانت عليه في الخلق الأوّل من التراب إذ قال له[10] كن، فكان.

ثمّ إن هؤلاء إنّما يقيسون الأحياء في الآخرة على ما عهدوه في الدنيا من إجراء الله العادة في خلق الجنين، ولو لم يشاهدوا ذلك في الابتداء وأُخبروا به لكانوا لذلك أشدّ إنكارا. على أنّا[11] نقول لعلّ الله سبحانه وتعالى ينقل تراب القبور في تغييرات نوازل الساعة واستحالته طورا بعد طور

---

(1) السابع عشر في (س).

(2) في (ج) "بقبول".

(3) في (ج) و(ص) الحاسي"، وفي (ق) "الجاشي".

(4) سقط من (ع).

(5) في (ص) "للتنافي".

(6) في (س) "في الأبعد".

(7) في (س) و(ع) "التراب والرفات".

(8) في (س) "يجيء"

(9) إشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم عند ذكر منكري البعث حيث قالوا: ﴿أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد﴾ (ق؛ 3)".

(10) سقط من (ق).

(11) في (س) "أن".

حتّى يبلغ إلى حالة التسويّة، ثمّ يأمر بنفخ الروح فيه كما كان ذلك في تخمير طين آدم عليه السلام حين سوّاه ونفخ فيه من روحه؛ وذلك أنّ الأطوار المتعارفة[1] في خلق الجنين نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ عظم، كما دلّت الآية عليه، وكانت تلك الأطوار في خلق[2] آدم عليه السلام قوله تعالى: ﴿خلقكم من تراب.﴾ (فاطر؛ 11) ؛ ﴿خلقكم من طين.﴾ (الأنعام؛ 2)؛ ﴿من حمإ مسنون.﴾ (الحجر؛ 26)؛ ﴿من صلصال كالفخّار.﴾ (الرحمن؛ 14)؛ فاستوى مراتب خلق آدم وخلق الجنين، ثمّ عدّل أعضاء آدم هناك، ثمّ أعضاء بنيه ههنا بالتصوير، فخلق آدم على صورته[3] الخاصّة به كما شاء، فتمّ ذلك في حقّ آدم في أربعين صباحا التي[4] هي مدّة التخمير، وتمّ في خلق الجنين من أولاده في مائة وعشرة أيّام هنّ ثلاث أربعينات، وفي هذا المقام تساوى الأب والولد في استتمام الخلقة، غير أنّ صورة الأب طين، وصورة الولد لحم ودم وعظم، فسوّى الله تعالى جسد آدم مع جسد الجنين بقوله: ﴿كن﴾ فكان الطين لحما، ودما، وعصبا، وعظما، وذلك قوله: ﴿كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن، فيكون﴾ (آل عمران؛ 59)، فأخبر أنّ تكوينه بعد خلقه إذ تقدّم قوله: ﴿خلقه من تراب﴾ وهذا الطور هو التسويّة في قوله: ﴿فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي﴾ (الحجر؛ 29) وقال في الجنين: ﴿ثمّ أنشأناه خلقا آخر﴾ (المؤمنون؛ 14). وعلى هذا إشارات الآيات والأحاديث بتلويحات خفيّة وجليّة منبّئة[5] بأنّ هذه[6] الأطوار أيضا تتعاور[7] على التراب عند النشأة الأخرى.

---

[1] في (ص) "المتفارقة".

[2] في (س) "حق".

[3] في (ص) "صورة".

[4] سقط من (ص).

[5] في (ص) "مبنية".

[6] في (ق) "هذا".

[7] في (ص) "تتعاقد".

وأنا أبيّن ذلك فأقول: إنّ الأرض كفات، أودعت ذرّات الأموات، بعد اختلاطاتها[1] وتفرّقاتها في جهات الأرض بكرور الدهور، ومرور الأيّام والشهور، فإذا اقتربت الساعة، وفنيت الجماعة، وأراد الله تعالى أن يبعثهم من القبور[2]، ويعيد إليهم الأرواح بعد النشور، ||98 غشّاها من نوازل الساعة، وزلازلها العظام والدواهي الهائلة، والجوائح المتواترة، ما[3] أبلغت في التغايير إلى أنْ يبلغها إلى هيئة تلك التسويّة القابلة للروح من النفخ في الصور؛ ألا ترى أنّه تعالى أخبر أوّلا بالزلزال، ونسف الجبال فقال: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ (الزلزلة؛ 1؛ ﴿إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (الحج؛ 1)؛ ﴿كلّا إذا دكّت الأرض دكّا﴾ (الفجر؛ 21)؛ ﴿فقل ينسفها ربّي نسفا﴾ (طه؛ 105)؛ ﴿إذا رجّت الأرض رجّا، وبسّت الجبال بسّا﴾ (الواقعة؛ 4-5)؛ ثمّ يسيّرها في مشارق الأرض ومغاربها كما قال: ﴿ويوم نسيّر الجبال﴾ (الكهف؛ 47)؛ ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (القارعة؛ 5)؛ هكذا يفعل بها حتّى تتساحق أجزاء الأرض والجبال فتصير كالرمال كما قال: ﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (المزمّل؛ 24). ثمّ لا يزال ينسحق بعضها بالبعض من الجبال والأرض تحت هذه القوارع والوقائع حتّى يصير جميع أجزائها هباء هابيا[4] كما قال: ﴿وبسّت الجبال بسّا فكانت هباء منبثّا﴾ (الواقعة؛ 5-6). فلعلّه تعالى يصيّر ذرّات الأرض في هذه الدكادك والأهوال صفوا من الكدورات، ويزيل عنها جميع الشوائب والخبث حتّى تبدي جواهرها التي هي المتهيّئة[5] لقبول الأرواح، وهي معنى قوله: ﴿إذا بعثر ما في القبور، [وحصّل ما في الصدور][6]﴾ (العاديات؛ 9-10)، فتبقى بعد ذلك في نهاية الصفاء والرقّة والنعومة والدقّة[7] كالهواء الصافي، وما سواها من أجزاء الأرض الغريبة تتلاشى وتنعدم[8]. ألا ترى إلى قوله: ﴿وسيّرت الجبال

---

[1] في (ج) و(ع) "اختلاطها" وفي (س) "اخلاطها".

[2] في (س) "من في القبور".

[3] في (س) و (ع) "فما".

[4] في (س) "هائبا"، وفي(ق) "منثورا".

[5] في (ص) "المنتهاة".

[6] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[7] سقط من (س).

[8] في (ص) "ويتقدم"

فكانت سرابا﴾ (النبأ؛ 20). ولا شكّ أنّ جرم الجبال أشدّ من جرم الأرض، فإذا صارت الجبال سرابا، فما حال التراب؟ والسراب هيئته كالخيال[1] يتلاشى في الحال: ﴿حتّى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾ (النور؛ 39) للطافته. وهذه إشارة إلى إعدام الله تعالى جميع أجزاء الأرض سوى ذرّات بني آدم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض﴾ (إبراهيم؛ 48). وما أشبه تلك الذرّات بذرّات الذهب في المعدن، فيمطر عليها الأمطار، ويغسلها من تراب المعدن، فهي تبرق منها.

وفي الحديث: "ينزّل الله تعالى أمطارا متواليّة كمنيّ الرجال، فينبتون من الأرض كما ينبت البقل[2]."[3] وفي رواية "كما ينبت الحبّة في حميل السيل، أما ترونها تخرج بيضاء ملتوية"[4]. وقد شبّه الله تعالى في القرآن إحياء الموتى بإحياء الأرض بعد موتها في مواضع منها قوله: ﴿ومن آياته أنّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء | |99 اهتزّت وربت، إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ (فصّلت؛ 39). وشبّه بعض العلماء اجتماع ذرّات بني آدم وتخلّصها من أجزاء الأرض الغريبة عند حركة الأرض وزلازلها بتمايز أجزاء الزبد من اللبن عند مخض السقاء. قال النبيّ ﷺ: "يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد."[5] وقال عليه السلام في حديث: "فتكون الأرض[6] خبزة واحدة يتكفؤها الجبّار بيده نزلا لأهل الجنّة."[7] وفي رواية ابن عبّاس: "تأكلها الناس [من تحت][8] أقدامهم". ولعلّ الأكل إشارة إلى تناولها الأرواح. فهذه

---

[1] في (ص) "كالجبال".

[2] في (ح) "البصل"، وفي (ق) "كالبصل".

[3] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾، حديث: 4651.

[4] أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 6، ص 350-351.

[5] البخاري، صحيح، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، حديث: 6156، وفيه "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي". وانظر أيضا رواية مسلم، صحيح، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، حديث: 2790.

[6] سقط من (ق).

[7] البخاري، صحيح، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، حديث: 6155؛ مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب نزل أهل الجنة، حديث: 2792.

[8] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

التغييرات[1]والتبديلات لذرات الأموات بمنزلة تغايير التراب في أيّام تخمير طينة آدم، وتغايير النطف في تخليق الأجنّة في الأرحام، فإذا جرت على الأرض لا يبقي للتراب جساوة ولا قساوة تنافي الأرواح في لطافتها، بل[2] تصير من تقاربها منها[3] في لطفها وصفائها حانّة إلى أرواحها حنين الإبل إلى مراحها، بل حنين الإلف فارقه الإلف. قال بعض الشعراء:

أحنّ وللإنضاء بالغور حنّة ... إذا ذكرت أوطانها بربى نجد[4]

فيكفيك هذا القدر في التنبيه من تهيؤ الذرات وصلاحيّتها لقبول الأرواح. على أنّ الله تعالى إذا أراد أمرا لم يحتج إلى آلات، ووسائط، وأصول، وروابط، وإنّما يقول له: ﴿كن، فيكون.﴾ وقد أرى الله موسى [بن عمران][5] عليه السلام في ضمن قصّة البقرة، وإحياء عاميل هذه الجملة[6] حتّى رآها عيانا فقال تعالى: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها، كذلك يحيي الله الموتى﴾ (البقرة؛ 73)، فصار الحشر والنشر له معاينة بمّا اختصّ به من ذلك العلم عنده[7].

مناجاة[8]:

سبحان من يخرج ناعم النبات، من الأرض الجرز الموات، ويعيد جنى الورد اللطيف، إلى العود الكثيف، كلّ عام، عبرة منه للأنام، ليعلموا أنّه قادر على رجع الحياة إلى العظام الرفات. سبحانه[9]، سبحانه، له القدرة الشاملة، والصنعة الكاملة، أدار رحى المنجنون[10] بين[11] الكاف

---

[1] في (ص) " الأرواح بهذه التغييرات".

[2] في (س) "كل".

[3] في (س) و(ع) "منه".

[4]البيت للشاعر محمّد بن أحمد الأبيوردي، ياقوت، معجم الأدباء، ج 5، ص 2363.

[5] ليس في (س).

[6] هناك خرم في نسخة (ص) حال بيننا وبين مقارنتها بباقي النسخ.

[7] في (ع) "عبده".

[8] في (ج) "المناجات".

[9] ليس في (ج).

[10] المنجنون: أداة السانية التي تدور.

[11] في (س) "المنجمون عن"

والنون، بما كان وما سيكون، ولا يصعب[1] عليه شيء فيهون، إنْ شاء كثّف اللطائف كاللؤلؤ[2] المعقود من قطر المطر، وإنْ شاء لطّف الكثائف كالياقوت الشفّاف من صلد الحجر، فلا عجب أنْ يلطف جساوة تراب الأرض معيدا لها إلى أصل الفطرة، | |100 وينفخ فيها الأرواح بالقدرة.

إلهي، [كما تزيل جساوة ذلك التراب فيقبل الأرواح][3] والصور، أزل قساوة هذا القلب ليقبل المواعظ والعبر، إنّك على كلّ شيء قدير، وإليك المرجع والمصير.

---

[1] في (س) "ولا يصف".

[2] أثر الخرم في ظهر الورقة أيضا فحار بيننا وبين قراءة قسط يسير من هذه المناجاة في (ص).

[3] ما بين المعقوفتين استدرك في هامش (ع).

الباب السابع عشر[1]
في صورة الصور وإحياء من في القبور

عن أبي سعيد الخدريّ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور، وأصغى سمعه، وحنى جبهته، وشخص ببصره، ينظر متى يؤمر بنفخ فينفخ فيه." قالوا[2]: " يا رسول الله، وما تأمرنا؟ " قال: " قولوا سبحان الله ونعم الوكيل"[3].

وعن [عبد الله][4] بن عمر عن النبيّ ﷺ: "الصور قرن ينفخ فيه"[5]. وفي خبر آخر أنّه ذو ثقب، بعدد كلّ إنسان ثقبة فيها روحه.

واعلم أنّه ينفخ فيه مرّتين، مرّة نفخة صعقة، والثانية نفخة إحياء، تسمّى إحداهما الراجفة، والأخرى الرادفة، وبينهما أربعون عاما على الأصحّ، [وقيل أربعون يوما.][6] وقيل يسمّى الصور الناقور، قال الله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ (المدثر؛ 8). وفي الحديث أنّه يقول فيه: "أيّتها الأعضاء المتهشّمة، والعظام الباليّة، والأجسام المتفرّقة، والجلود المتمزّقة[7]، والأوصال المتقطّعة، والشعور المتطايرة، قوموا إلى العرض[8]."[1] فيخرج حينئذ أرواحهم من ثقب الصور ولها دويّ كدويّ النحل، وربّ العزّة يقول: "وعزّتي وجلالي أعيدكم كما خلقتكم أوّل مرّة".

---

[1] الثامن عشر في (س).

[2] في (ص) "قيل".

[3] ابن المبارك، الزهد، ص 433، حديث: 1597؛ الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 620، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور، حديث: 2431؛ ج 5، ص 372، حديث: 3243؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج 1، ص 309، حديث: 352.

[4] ليس في (س).

[5] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 620، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور، حديث: 2430؛ ج 5، ص 372، حديث: 3244.

[6] ما بين المعقوفتين سقط من (ص) و(ق).

[7] في (ح) "المتمزة".

[8] في (ح) "عرض".

فهذه الأحاديث مع ما شاكلها دلّت بمجموعها على أنّ الصور شيء على هيئة القرن وله تدوير، إذ جاء في الحديث: "دائرة رأس الصور كعرض السماوات والأرض، وإسرافيل تحت العرش، والصور من فمه نافذ بجميع أطباق السماوات إلى تخوم الأرضين، وبعدد أرواح الخلق فيه ثقوب فيها أرواحهم محتبسة، فإذا نفخ فيه النفخة الأولى صعق كلّ من في السماوات والأرض من ذي روح لشدّة الفزع إلّا من شاء الله". قيل هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل. وقيل: الحور العين. وقيل هو موسى لأنّه صعق في الدنيا مرّة. ثمّ بين النفختين يأمر الله عزرائيل أن يقبض روح جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثمّ يقول له: "مت." فيموت أيضا، فحينئذ يعمّ الهمود والخمود أربعين سنة، ولا يبقى في الكون حيّ إلّا الحيّ الذي لا يموت، ثمّ ينفخ فيه النفخة الثانية كما قال تعالى: ﴿ثمّ ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (الزمر؛ 68). فهذه الجملة [كذا] ما دلّت عليه آيات

---

[1] قال البيهقي في شعب الإيمان ج 1، ص 311-313، حديث: 353: " وروينا في حديث آخر بإسناد ضعيف عن ابن عباس في صفة القيامة فذكر فيه صفة الصور وعظمه وعظم إسرافيل ثم قال:" فإذا بلغ الوقت الذي يريد الله، أمر إسرافيل فينفخ في الصور النفخة الأولى، فتهبط النفخة من الصور إلى السموات، فيصعق سكان السموات بحذافيرها، و سكان البحر بحذافيرها، ثم تهبط النفخة إلى الأرض فيصعق سكان الأرض بحذافيرها، و جميع عالم الله و بريته فيهن من الجن، و الإنس، و الهوام، و الأنعام ". قال: " و في الصور من الكوى بعدد من يذوق الموت من جميع الخلائق، فإذا صعقوا جميعا يقول الله عزّ و جلّ: يا إسرافيل من بقي ؟ فيقول: بقي إسرافيل عبدك الضعيف. فيقول: مت يا إسرافيل! فيموت. ثم يقول الجبار تعالى: ﴿لمن الملك اليوم؟﴾ فلا هميس ولا حسيس، ولا ناطق يتكلّم، ولا مجيب يفهم، وقد مات حملة العرش، وإسرافيل، وملك الموت، وكلّ مخلوق. فيردّ الجبار على نفسه: " لله الواحد القهار، اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم، إنّ الله سريع الحساب. " وذلك حين " تمت كلمة ربّك صدقا وعدلا، لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم. "فيتمّ كلمته بإنفاذ قضائه على أرضه وسمائه لقوله تعالى: ﴿كلّ شيء هالك إلاّ وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون﴾ فأمّا إسرافيل فيموت ثم يحيى في طرفة عين، وأمّا حملة العرش فيحيون في أسرع من طرفة عين، فيأمر الله تعالى إسرافيل بعد النفخة الأولى بأربعين، وكذلك هو في التوراة بين النفختين أربعون، لا يدرى ما هو. فإذا انقضت الأربعون نظر الله إلى أهل السماوات وإلى أهل الأرضين فيقول: "وعزّتي لأعيدنكم كما بدأتكم ولأحيينّكم كما أمتّكم." ثمّ يأمر إسرافيل فينفخ النفخة الثانية وقد جمعت الأرواح كلّها في الصور، فإذا نفخ خرج كلّ روح من كوة معلومة من كوى الصور، فإذا الأرواح تهوش بين السماء والأرض لها دويّ كدويّ النحل، فينادي إسرافيل: يا أيّتها الجلود المتمزّقة، ويا أيّتها الأعضاء المتهشّمة، ويا أيّتها العظام البالية، ويا أيّتاها الأجسام المتفرّقة، ويا أيّتها الأشعار المتمرّطة، قوموا إلى موقف الحساب والعرض الأكبر، فيدخل كلّ روح في جسده. قال: ويمطر الله طيشا من تحت العرش على جميع الموتى فيحيون كما تحيى الأرض الميّتة بوابل السماء. فيبعث الله الأجساد التي كانت في الدنيا من حيث كانت، بعضها في بطون السباع، وبعضها من حواصل الطير، وبنيان البحور وبطون الأرض و ظهورها، فيدخل كلّ روح في جسده، ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ (الزمر؛ 68) " فيبعث الله نارا من المشارق، فتحشر الناس إلى المغارب، إلى أرض تسمّى الساهرة، من وراء بيت المقدس، أرض طاهرة لم يعمل عليها سيئة ولا خطيئة، فذلك قوله:" فإنّما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة. "... وانظر أيضا القرطبي، التذكرة، ص 229.

القرآن وأحاديث الرسول عليه | |101 السلام، وهي مشعرة بأنّ الصور هَيْئَةُ حبس الله تعالى فيها أرواح الموتى، وهو البرزخ الأكبر، رأسه إلى عليّين، وأسفله في سجين. وما ورد [في الأحاديث][1] من مواضع الأرواح مثل قوله ﷺ أنّ أرواح الأنبياء في جنّات عدن، تصعد مرّة وتنحدر أخرى، وتكون في اللحد مؤنسة لأجسادهم ساجدة لله تعالى، وأرواح السعداء في الفردوس، وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر في قناديل معلّقة تحت العرش، وأرواح أطفال المسلمين في حواصل عصافير الجنّة عند جبال المسك، وأرواح ولدان المشركين[2] في الجنان وليس لها[3] مأوى، يخدمون أهل الجنّة، وأرواح المسلمين الذين لهم تبعات معلّقة في الهواء لا تصل إلى الجنّة ولا إلى السماء حتّى يرضى الخصماء، وأرواح الفسّاق المصرّين تعذّب في القبر مع الجسد، وأرواح المنافقين في بئر بَرْهوت، وأرواح الكفّار في سجّين تعرض النّار عليها[4] غدوّا وعشيّا.

قالوا إنّ شعب الصور تلاقي هذه الأرواح في مواضعها بأكملها من العرش [إلى الفردوس][5] إلى السماوات إلى الأرض لعظمها. فالأرواح في الصورة في هذه المواضع التي ورد الحديث بها، وهي في المعنى محبوسة في الصور فإنّه يضبطها[6] إلى يوم القيامة، وهذا من علم الأولياء، وهم يشاهدون ذلك عيانا. ومثاله أنْ يقال فلان بالمشرق، وفلان بالمغرب، وفلان في بغداد، وفلان بمكّة، وفلان بالمدينة، وآخر بأصفهان، إلى غير ذلك من البلدان وكلّهم في ضوء النهار يضمّهم شعاع الشمس، فعلى هذا المعنى لا تناقض في الأحاديث فاعلم.

فإذا عرفت ذلك، فاعلم أنّ للأموات برزخين، برزخ في القبور إلى يوم يبعثون، وبرزخ في الصور. فبرزخ القبور محبس أجسادهم، وبرزخ الصور محبس أرواحهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ومن ورائهم

---

[1] وردة في هامش (ش).
[2] في (ق) المسلمين والصواب من (ش).
[3] سقط من (س) و(ع).
[4] سقط من (ج).
[5] سقط من (س) و(ع).
[6] في (ص) "يضمها".

برزخ﴾ (المؤمنون؛ 100)، ولفظ البرزخ معرّب [أصله[1] برزه][2]، وهو المكان المرتفع،[3]} فالقبر سمّي به لارتفاعه من الأرض، والصور لارتفاعه إلى العرش، وإنّما سمّي صورا لصَوَرِه أي ميله وانحنائه. [والصَّوْر في اللغة الميل، كذلك القرن[4] يكون مميَّلا، فكأنّ الصور بانحنائه][5] تطوّق بالعالم كلّه والله أعلم.

قال أبو عبيدة[6]: "الصور جمع صورة كالكور جمع كورة." وفيه معنى لطيف وهو أنّ إسرافيل عليه السلام، لمّا كان موكّلا بحفظ كلّ ||102 روح[7] {بصورتها المختصّة بها حتّى [يؤدّيها إلى جسدها الخاصّ بها،][8]}[9] بصورتها[10]، فكان صوره[11] مكمن الصوَر للأرواح [على ما هي عليها في الدنيا، كما ذكر أنّ لها صورة الإنسان][12] [والله أعلم][13].

ومعنى النفخ هو أنّ الأرواح لطائف كالريّاح، وإنّما تدخل في تجاويف الأجسام بالنفخ كما دخلتها أوّلا، قال الله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ (الحجر؛ 29) أي نفخ جبريل روحه فيه بأمري.

---

[1] في (ص) "وأصله".

[2] سقط من (س) و(ع).

[3] ورد ما بين القوسين المزهرين في (ج) كالتالي: " البرزخ أصله برزه، وذلك قوله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ (المؤمنون؛ 100)، ولفظ البرزخ معرّب وهو المكان المرتفع،".

[4] في (ج) "القران".

[5] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

[6] أبو عبيدة معمر بن المثنّى التيمي بالولاء البصري النحوي. درس على يد أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وغيرهما؛ لغوي ونسابة له كتب كثيرة في الشعر واللغة والغريب، توفي سنة 209 هـ/ 824م. ابن قتيبة، المعارف، ص 543؛ الذهبي، سير، ج 9، ص 445- 447.

[7] في (ق) "دي روح".

[8] استدرك في هامش (ش) وسقط من (ج) و(ق).

[9] سقط ما بين القوسين المزهرين من (س) و(ع).

[10] ليس في (ج).

[11] في (ع) و(ق) "صورة"، وفي (ص) "وكان الصور".

[12] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[13] ليس في (س).

وقالت الدهريّة: النفخ شيء واحد، فكيف يميت مرّة ويحيي أخرى؟

الجواب: النفخة[1] الأولى نفخة قهر، تطمّ الأجساد بفزعها[2]، وتصخّ الآذان بقرعها، وهي الطامّة الكبرى، والصاخّة العظمى، والقارعة[3]، تنهدّ الأجساد بهدّتها، وتفارقها الأرواح بشدّتها[4]؛ والنفخة الثانية نفخة الرحمة، والعطف، والإصلاح. فالأولى بها يميت الخلق، وبالأخرى يحييهم. مثاله النفخة القويّة فإنّها تطفئ النار العظيمة، واللطيفة تحييها، قال الشاعر:

أسقمني طرفك من سقمـــه ... وصحّتي من سقم الطــرف

منك[5] صلاحي وفسادي معا ... كالنفخ مذكي النار والمطفي[6]

فإذا عرفت صفة الصور والأرواح المحتبسة فيه، وعرفت أنّ ذرّات الأجساد المصفّاة من الأوساخ والكدورات الأرضيّة بما لطّفها الله بقوارع الأشراط[7] وحوادثها كما قيل: "إنّ الحوادث صيقل الأحرار."[8] وأنّها صارت إذ ذاك أرضا فضيّة، وخبزة[9] نقية متهيّئة لقبول أرواحها، كالأرض الطيّبة المهيأة لقبول الزرع فيها. وكانت كلّ ذرّة منها ناظرة إلى روحها الخاصّة بها وكذلك روحها ناظرة إليها، سعيدة كانت أم شقيّة، وعرفانها ذلك فطرة وإلهام من الله تعالى كما قال الله تعالى في مثل ذلك: ﴿قد علم كلّ أناس مشربهم﴾ (البقرة؛ 60). فإذا تمّت الأربعون من النفخة الأولى وليس في

---

[1] سقط من (س) و(ع).

[2] سقط من (س) و(ع).

[3] في (ق) "والقارعة التي".

[4] في (ص) "لشدّتها"

[5] في (ق) "مثل".

[6] الشعر للأستاذ أبي الفرج عليّ بن الحسين بن هندو، انظر الثعالبي، تتمة يتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمّد قميحة، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1403هـ/ 1983م، ص 156.

[7] في (ج) و(س) و(ع) و(ش) "الأرض".

[8] مأخوذ من قول أبي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي:

الله در النائبات فإنها ... صدأ اللئام وصيقل الأحرار

وهو البيت 87 من قصيدة قالها في رثاء ابن له مطلعها:

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرار

ديوان التهامي، ص 317.

[9] في (ص) "وحسدة". وفي (س) أو خبزة". وفي اليواقيت والجواهر للشعراني: "أرض فضة وحبرة بقيت متهيئة لقبول".

الدار ديّار، يلقي الله تعالى الروح إلى إسرافيل عليه السلام أوّلا فيحييه[1] وذلك قوله: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء لينذر يوم التلاق﴾ (غافر؛ 15)، ثمّ يأمره أنْ ينفخ نفخة ثانية وذلك قوله: ﴿ثمّ نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأشرقت الأرض بنور ربّها، [ووضع الكتاب، وجيء بالنبيئين والشهداء]﴾ (الزمر؛ 68-69)؛ وقوله: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾ (النبأ؛ 18)؛ وقوله: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون﴾ (يس؛ 51)، أي يخرجون من الأرض متخلّصين عمّا ليس من ذرّاتهم من غرائب أجزاء الأرض. وقال صاحب المجمل[2]: " النسِيل | |103 العسل إذا ذاب وفارق الشمع"[3].

واعلم أنّه يحتمل أنْ يكون انجذاب كلّ ذرّة إلى روحها وتمايزها من سائر أجزاء الأرض كانجذاب كلّ ذرّة من برادات[4] الحديد ممتازة من ذرّات سائر الأجساد إلى حجر المغناطيس، ألا تراها كيف تلتصق به خالصة من غيرها. وكيف وهي في علم الله تعالى كلّ روح مع جسده حاضران مجتمعان، وإن كانا في الصورة عندنا مفترقين، قال الله تعالى: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ (ق؛ 4)؛ وقال: ﴿بلى قادرين على أن نسوّي بنابه﴾ (القيامة؛ 4)؛ وقال: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة﴾ (يس؛ 79).

وإنّما طوّلت النَّفَس في هذه المسألة وأبوابها لكثرة ما يعتري[5] النفوس من الشكوك والشبه فيها، سيما في هذا الزمان الذي شاع فيه البدع والأهواء، وأظهرت الباطنيّة ما تبطّنوه إلى اليوم من الإباحة وإنكار أمور الآخرة، ويدعون الخلق إلى متابعة الهوى ومقتضى الشهوات[6]، وأنّه لا تبعة لأحد فيما يفعل، وليس بعد هذه الحياة من حياة وثواب وعقاب. وشاعت هذه الدعوات لهم في نواحينا[7]، والنفوس جبلت مائلة إلى شهواتها، والشيطان يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

---

[1] في (ق) فيجيبه".

[2] يقصد أبا الحسن أحمد ابن فارس اللغوي، توفي سنة 395هـ/ 1004م. ياقوت، معجم الأدباء، ج 1، ص 410-418.

[3] المجمل، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسّسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1986م، ج 3، ص 865.

[4] في (ق) من برادة.

[5] في (ص) "يفتري".

[6] ورد في هامش (ع).

[7] في (ص) "نواحيها".

وكان الأئمّة الماضون عارفون بحقائق هذه المسائل ودقائقها لوفور علومهم، ولكنّهم لم يدوّنوا في الكتب لاستغنائهم عن ذلك، إذ القلوب يومئذ مطمئنّة بالإيمان لقربهم من زمان الوحي والتنزيل، ولم تكن البدع والأهواء ذائعة[1]، بخلاف زماننا هذا، فلقد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم[2]، واجترأ[3] الشيطان على استهوائهم لكثرة أهوائهم، وكان يومئذ يفرّ[4] من ظلّ عمر، ولهذا قال الصدّيق الأكبر: "طوبى لمن مات في نأنأة الإسلام".

وأئمّتنا اليوم، أعزّهم الله وحماهم، اعتناؤهم[5] في تصحيح علم الخلاف، واستنباط دقائق الجدل[6] لرواج سوقه بين أهليه، معرضين عن العلم الأهمّ، فلا جرم احتجنا نحن في كل مسألة أخرويّة إلى أمثلة محسوسة دنيويّة لتستأنس بها النفوس، ويطرد بها إبليس، والعصمة من الله تعالى.

مناجاة[7]:

سبحان من صيّر شعب الصور للأرواح لاقطة، وترك أشباحها في الترب ساقطة، وجعل بينهما من خفيّات لطفه رابطة، وسيجعل الأرواح في القيامة هابطة، ولأجزاء أشباحها ضابطة. 104| |

إلهي، كيف ننعم وإسرافيلك قد التقم الصور، والشياطين حاصرت من صدورنا القصور، فأنزل بساحتنا جندك المنصور، يا رحيم يا غفور.

---

[1] في (ص) "داعية".

[2] سورة الحديد، آية 16.

[3] في (ص) "أخبر".

[4] في صونا "نفر".

[5] في (ص) "اغتناؤهم".

[6] في (ص) "الجدل فيه".

[7] في (ح) "المناجات".

الباب الثامن عشر[1]
في شبه المنكرين للبعث

اعلم أنّ المنكرين للبعث من الفلاسفة [لعنهم الله][2] تعلّقوا بشبه ضلّوا بها وأضلّوا كثيرا من الناس، ومعظم شبههم[3] سؤالان:

- أحدهما قالوا: إنّ الإنسان ليس إنسانا بمادّته بل بصورته، وإنّما تكون الأفعال الإنسانيّة صادرة عنه لوجود صورته، [فإذا بطلت صورته][4] عن مادّته، وعادت المادّة إلى أصولها من العناصر، فقد بطل الإنسان بعينه، ثمّ إذا خلقت في تلك المادّة بعينها صورة إنسان جديد، حدث منها إنسان آخر، لا ذلك الإنسان الأوّل، فإنّ الموجود[5] في الثاني من ذلك الأوّل هو مادّته لا صورته، فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا لثواب أو عقاب بمادته بل بصورته، وبأنّه إنسان لا بأنّه تراب، فيكون الإنسان المثاب والمعاقب ليس هو الإنسان المحسن المسيء، بل إنسان آخر مشارك في مادّته، وربّما يستشهدون على ذلك بقوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين [على أن نبدّل أمثالكم﴾ (الواقعة؛ 61)، وقوله: ﴿قادر على أنْ يخلق مثلهم﴾ (يس؛ 81).][6] قالوا: ومثل الشيء لا يكون عين ذلك الشيء. هذا أورده ابن سينا[7] في كتابه *في المعاد*[1].

---

[1] التاسع عشر في (س) وقد نقله الشعراني بتصرف في المبحث 66 من اليواقيت والجواهر وضمه إلى ما جاء في الباب 17 من السراج.

[2] ليس في (س).

[3] في (ص) "شبههم في ذلك"..

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[5] في (ص) "فإن قيل الموجود"

[6] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[7] أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن سينا، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق. ولد في قرية أفشنة الفارسية سنة 370هـ/ 980م، وتوفي في همذان سنة 427هـ/ 1037م. عرف باسم الشيخ الرئيس، وسمّاه الغربيون بأمير الأطباء. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 157-162، رقم: 190؛ القفطي، إخبار العلماء، ص 303-312. الذهبي، سير، ج 23، ص 531- 536.

والجواب عنه، أمّا قوله: ليس الإنسان إنسانا بمادّته بل بصورته، يريدون بالمادّة جوهريّته المركّبة من الأخلاط ويسمّونه الهيولى، وبالصورة معانيه المودعة فيه، وهذه منهم دعوى لا برهان عليه[كذا]، بل الإنسان عند أهل البصائر هذا المجموع من الجسد والروح بما فيه من المعاني، فإذا بطلت صورة جسده بالموت، وزالت عنه المعاني بقبض روحه لا يسمّى إنسانا، فإذا جمعت هذه الأشياء إليه بالإعادة ثانيا كان هو ذلك الإنسان بعينه. ألا ترى أنّ الجسد الفارغ من الروح والمعاني يسمّى شبحا وجثّة ولا يسمّى إنسانا. وكذلك الروح المجرّد لا يسمّى إنسانا، وكذلك المعاني المختصّة به من العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، لا تسمّى إنسانا بمجموعها وتفاريقها على الانفراد، لا عقلا ولا عرفا. فعلى هذا قولهم: || 105 الإنسان إنسان بصورته فحسب، كلام باطل، بل الإنسان بجسده وروحه ومعانيه المختصّة به إنسان. ألا ترى أنّه يضاف بعضه إلى بعض في الخطاب فيقال له نفسك، وروحك، وجسدك، وقلبك، وعلمك، وقدرتك. وكذلك[2] يضاف إليه جميع أعضائه فيقال رأسك، ويداك، ورجلاك، وظهرك، وبطنك، إلى آخرها. فلولا أنّ الإنسان مجموعها فمن المخاطب بكاف الخطاب من جملتها وقد أضفت الجميع إليه؟ فعلى هذا الأصل يكون تبديل الصفات بالموت والإعادة إليه[3] غير مخرج له عن أن يكون ذلك الإنسان الأوّل، بل هو بعينه، إنْ كان محمودا فمحمود، وإنْ كان مذموما فمذموم، وكان مستحقّا للثواب والعقاب لأنّه هو الأوّل.

وأمّا قولهم إنّ مثل الشيء لا يكون حقيقة ذلك الشيء تمسكا بقوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم﴾ (الواقعة؛ 61) فمعناه على أنْ نبدّلكم، والمثل يزاد في الكلام تأكيدا كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى؛ 11)، والعرب تقول: "مثل الأمير لا يقول هذا" يعني الأمير لا يقول هذا. وقد صرّح أبو الطيّب بذلك [في شعره][4] في تعزيّة عضد الدولة[1]:

---

[1]ذكرنا فيما مضى أنّ القزويني يقصد بكتاب المعاد مؤلَّف ابن سينا الذي يحمل عنوان الأضحوية في المعاد. انظر كلام ابن سينا في الأضحوية، ص 103-104.

[2] في (ق) "ولذلك".

[3] في (ش) "عليه"، وفي (ص) "عنه".

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

مثلك يثني الحزن عن صوبه ... ويستردّ الدمع عن غربه[2]

ولم أقل مثلك أعني بـــــه ... سواك يا فردا بلا مشبـه[3]

وهذا المعنى شائع في العربيّة لا يخفى على من شمّ رائحتها.

- والسؤال الثاني وهو الصيلم[4] الإدّ، ضلّ فيه عالم من الناس. قالوا: المُعاد من الإنسان ما هو، أجزاؤه الحاضرة عند الموت، أم جميع أجزائه التّي فارقته مدّة عمره؟ فإن كانت هي التّي كانت حاضرة عند الموت[5] فيجب أن يبعث المجدوع، والمصلوم[6]، والمقطوع على صورته تلك، وهذا لم يرد به شرع، وإن أعيد إليه جميع أجزائه التي كانت له[7] مدّة عمره ثمّ زالت وتبدّلت، وجب أن يكون جزءا واحدا بعينه يدا، ورأسا، وقلبا، وكبدا، لأنّ الأجزاء العضويّة المركبّة من الدم وسائر الأخلاط سيّالة[8]، تنتقل من عضو إلى عضو عند الاغتذاء[9]، وكذلك إذا أكل إنسان إنسانا فصار بالاغتذاء[10] واحدا، فكيف تتعلّق روحان بإنسان واحد؟ وكذلك، إذا قطعت يد كافر فأسلم، فكيف تكون يده في النار وهو في الجنّة أقطع؟ وعلى عكسه لو قطعت يد مسلم فكفر؟ وكذلك أنّ الغالب على أجزاء كلّ ظاهر الأرض جثث الموتى المتترّبة، وقد | |

---

[1] أبو شجاع عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه (324-372هـ/ 936-983م) وُلِدَ في أصفهان. تولى حكم بلاد فارس وهو في الثالثة عشرة من عمره بعد أن نزل له عنها عمّه عماد الدولة المتوفى من غير عقب سنة 338هـ/ 949م. وحصل أبو شجاع على لقب عضد الدولة من الخليفة المطيع أبي القاسم الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد، سنة 351هـ/ 961م. الذهبي، سير، ج 16، ص 249-252؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 142.

[2] في (ص) "عن صوته".

[3] المتنبّي، *ديوان*، ص559.

[4] في (ج) "الصلم".

[5] في (ص) "عند موته".

[6] في (ج) و(س) و(ع) "المصلوب". والمصلوم: المقطوع الأذن.

[7] سقط من (س) و(ع).

[8] في (ص) "شيئا له".

[9] في (ص) "الاعتداء".

[10] في (ص) "الاعتداء."

106 زرع فيها زروع، وغرس فيها أشجار وكروم، واغتذى منها الناس، وانعقد في أبدانهم ذلك لحما ودما، فكيف يكون مادّة واحدة وأصلا واحدا حاملة لصور[1] أناسي كثيرة؟

هذه جملة شبههم الهائلة المتضمّنة لهذا السؤال المنسوب إلى ابن سينا. وقد أطال الحليمي[2] رحمه الله، في كتابه *المنهاج*[3]، الكلام فيها وأوغل في ورطات يصعب الخروج منها حتّى التبس بالشرح[4]. ونقل الإمام أحمد البيهقي[5] في *شعب الإيمان*[6] عيون كلامه في هذه المسألة وخلط ولم يشف الغليل. وكان الإمام [حجّة الإسلام][7] الغزالي رحمه الله قد سلّم المسألة وصرّح في التهافت[8]، والعنوان[9]، والفتاوى[1]، أنّه[2] لا يجب أنْ يكون المعاد بعينه هو الجسد الأوّل، بل أيّ

---

[1] في (ص) "حائلة بصور".

[2] أبو عبد الله الحسين بن أبي محمد الحسن بن محمد بن حليم الحليمي، القاضي العلامة (338- 403هـ/ 950- 1013م) وُلِدَ في جرجان وتوفي بنيسابور. من أشهر محدِّثي ومتكلّمي بلاد ما وراء النهر، أخذ عن أبي بكر القفّال، وأبي بكر الأودني وحدّث عن خلف بن محمّد الخيام، وأبي بكر محمّد بن أحمد بن خنب وآخرين، يعدّ من كبار علماء الشافعية في القرن الرابع الهجري، كان أيضا مبرّزاً في الأدب والبيان. ينقل البيهقي كثيرا من أقواله في كتابه شعب الإيمان. السهمي، حمزة، تاريخ جرجان، بيروت، عالم الكتب، 1407هـ/ 1987م، الطبعة الرابعة، ص 198- 199، رقم: 286؛ الذهبي، سير أعلام، ج17، ص232- 234؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج 4، ص 333- 343، رقم: 388؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5، ص 19.

[3] المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق حلمي محمّد فودة، بيروت، دار الفكر، 1399هـ / 1979م، ج1، ص 345-353.

[4] في (ج) "بالشرع".

[5] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، ولد في بيهق (384- 458هـ/ 994- 1066م) الإمام المحدث المتقن صاحب التصانيف الجليلة والآثار المنيرة، تتلمذ على جهابذة عصره وعلماء وقته، وشهد له العلماء بالتقدم. قال أبو المعالي الجويني: "ما من شافعي إلّا وللشافعي عليه منّة إلّا أبو بكر البيهقي، فإنّ له منة على الشافعي في نصرة مذهبه." وقال الشيخ الجليل الذهبي متابعا الجويني: أصاب أبو المعالي، هكذا هو، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، ولهذا تراه يلوح بنصر مسائل ممّا يصحّ فيها الحديث". الذهبي، سير، ج 18، ص 163-170؛ السبكي، طبقات، ج 4، ص 8-16، رقم: 250؛ حاجي خليفة، سلم الوصول، ج 1، ص 139- 140، رقم: 358.

[6] شعب الإيمان، ج1، ص 239-242.

[7] ليس في (س).

[8] تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السابعة، 1407هـ/ 1987م.

[9] ذكر عبد الرحمن بدوي في كتابه مؤلفات الغزالي أنّ حاجي خليفة أورده في كشف الظنون برقم 8933 (ج 3، ص، 375) ولم يرد في غيره وقد ذكره هكذا: "العنوان للإمام الغزالي." وأضاف بدوي: "وهذا غامض لا يدلّ على شيء." ولكن يبدو ممّا ذكره القزويني أن هذا الكتاب من مؤلفات الإمام الغزالي، وأن عدم العثور عليه ليس دليلا على أنّ من ذكره وهم. بدوي، مؤلفات الغزالي، ص 397.

جسد كان جائز. وجماعة من الأئمّة الكبار قد أهملوا أو لم يتعرّضوا لبيانه، وهو أهمّ ما تصرف العناية إليه في الأصول.

فأقول: الجواب الحقّ أنّ المعتقد بإجماع السلف والخلف هو أنّ المُعاد يكون هذا الجسد بعينه، وبيانُه أنْ تعلم أنّ الذرّة التي قبضها عزرائيل عليه السلام من الأرض أوّلا في كلّ إنسان باقيّة لا تتبدّل[3] البتّة، وهي الجزء الفاهم منه الذي أخذ عليه الميثاق، ويتوجّه عليه في القبر سؤال الملكين، ويتولّى جوابها بردّ الروح إليه والحياة له، وسائر أجزائه سُبْت[4] صُمْت، وهو الذي يتعلّق به الروح عند نفخ الصور على ما دلّت عليه الأخبار، ثمّ ينضمّ إليه سائر الأجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتّى يقوم الشخص تامّا[5] كما كان في الدنيا. هذا شيء لا يخالفه عقل ولا شرع.

فأمّا قولهم المُعاد من الإنسان ما هو، أجزاؤه عند الموت أم الأجزاء التي فارقته؟

فأقول: المُعاد إنّما يكون أكمل أجزاء حالاته في أيّام حياته لقول النبيّ ﷺ: "يحشر الناس عراة غرلا[6]."[7]، يعني قلفا، والأغرل[8] والأقلف هو الذي لم يختن. ثمّ يجوز أنْ يزاد في أجساد أهل النعيم ليتوفّر[9] عليهم اللذّات، ويزاد في أجساد أهل الجحيم تغليظا للعقوبات. فقد جاء في الحديث أنّ أهل الجنّة جرد، مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم، طولهم ستّون ذراعا في

---

[1] في (ص) "والعنوان في العتاوى" وهو تصحيف. نشر الكتاب تحت عنوان فتاوى الإمام الغزالي بتحقيق مصطفى محمود أبو صوى، كوالالمبور، المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، 1416هـ/ 1996م.

[2] في (ص) "لآنه".

[3] في (س) "تبتدل".

[4] في (ص) "سبب".

[5] في (ص) "تاما كاملا".

[6] في (س) "غزلا".

[7] الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، حديث: 2423.

[8] في (س) "الأعزل".

[9] في (ح) "ليتوفوا"، وفي (س) و(ع) "ليوفر"، وفي (ص) "ليتوفن".

عرض سبع أذرع[1]. وقد جاء في صفة أهل النار: "سنّ الكافر يصير مثل أحد."[2] وهذا كلّه جائز في العقل، وورد به الشرع.

وقوله: إنْ كانت أجزاؤه الحاضرة عند موته يجب أنْ يبعث المجدوع[3]، والمصلوم، والمقطوع يده على صورتهم، وهذا لم يرد به شرع.

فالجواب، قد | |107 ذكرنا أن المُعاد هو أكمل أجزائه التي كانت له في عمره لقوله تعالى: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة﴾ (يس؛ 79). فكل جزء أنشأه الله[4] أوّل مرّة فيه[5] أيّام عمره يعيدها [كذا] إليه، بخلاف المبدلات بعد الهزال والانحلال، فإنّها بالإضافة إلى ما تحلّلت وفنيت كانت منشأة ثاني مرّة، فلو أعيدت هي أيضا في الآخرة لقال: يحييها[6] الذي أنشأها أوّل مرّة، وثاني مرّة، فعلى هذا صحّ أنّ المُعادات في الآخرة هي المُنشآت[7] في الدنيا أوّل مرّة، وهي أكمل الأجزاء المبتدعة التي خصّ بها كلّ شخص. ومثاله رجل كان في يده دنانير يتصرّف فيها عمره، تارة تزيد، وتارة تنقص، فبلغت في بعض الأوقات مائة، ثمّ انتقصت[8]، ثمّ زادت، هكذا إلى آخره[9]، فكان أكمل ما ملكه من ماله المجتمع في يده مائة. هذا الذي دلّ عليه مضمون الآية.

وقولهم: إنْ أعيد إليه جميع أجزائه التي كانت له مدّة عمره ثمّ زالت وتبدّلت، وجب أنْ يكون جزء واحد بعينه يدا، ورأسا، وكبدا، وقلبا[10]، لأنّ الأجزاء العضويّة المركّبة من الأخلاط سيّالة[1] تنتقل من عضو إلى عضو عند الاغتذاء[2].

---

[1]ابن أبي الدنيا، صفة الجنة وما أعدّه الله لأهل النعيم، تحقيق عبد الرحيم أحمد العساسلة، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1417هـ/ 1997م، ص 163، حديث: 218.

[2]مسلم، صحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون ...، حديث: 2851.

[3] في (ق) "المجذوم".

[4] في (ص) "فكل واجزؤا نشا الله".

[5] سقط من (س).

[6] في (ص) "قل يحييها".

[7] في (ص) "المنشأة".

[8] سقط من (ص).

[9] في (ص) " إلى آخر عمر".

[10] في (ص) "وقلبا وكبدا".

الجواب[3]: قد ذكرنا أنّ المُعاد منه ما هو، وما ذكره من سيلان الأخلاط من عضو إلى عضو عند الاغتذاء فلا يلزم أنْ يصير القلب كبدا، والرأس يدا، لأنّ الذرّة التي هي الأصل في الشخص وأخذ الميثاق عليها، كانت هيئة الإنسان مقدّرة فيها بجميع أشكال أعضائه في علم الله تعالى، وإنّما سمّاها [ذرّة تشبيها][4] بالذرّة التي هي النملة الصغيرة، وهي مع صغرها لها أعضاء مخصوصة محسوسة، فلا يستحيل أنْ يكون لتلك الذرّة أعضاء مقدّرة، ثمّ إذا خلقها[5] الله إنسانا تنبسط تلك الأعضاء على قدر الجثّة، وتنضمّ إليها الأجزاء السيّالة من الأخلاط، فتتشكّل على هيئة الشكل المقدّر في الذرّة الأولى، فعلى هذا[6] المنتقل من عضو إلى عضو هو تلك الأجزاء السيّالة الغذائية[7] دون أجزاء الذرّة الأولى التي شَكْلُ الإنسان فيها مُقدّر في علم الله بجميع أعضائه، وهي بعينها قائمة منبسطة في جميع البدن حافظة لشكلها وصورتها ولا تبلى قطّ لقوله تعالى: ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾ (الشعراء؛ 219)، والأجزاء الغذائيّة تارة تنضمّ إليها، وتارة تفارقها، فعلى هذا المعنى الرأس رأس، واليد يد، والقلب قلب، والكبد كبد باعتبار أجزائها الأصليّة التي هي على غاية اللطافة، والأجزاء الغذائيّة التي هي الدم وغيره تجري من عضو || 108 إلى عضو وتستحيل، وتلك الأصليّة باقية على حالها. ومما يقرّب من مثالها[8] المحسوس هو راية الأسد والثعبان المخيط من الحرير، تدخل الريح من جوفها، وتنتقل من عضو إلى عضو، فينتفخ[كذا] الراية على هيئة الأسد والثعبان، ثمّ يخرج منها وهي تبقى على ما كانت. وقريب منه الإسفنجة، وهي شيء كالغيم[9] هشّ، متخلخل، خفيف، إذا طرح في الماء يتشرّب الماء بتجاويفه فيربو،

---

[1] في (ص) "شيئا له."
[2] في (ص) "الاعتداء".
[3] في (س) "فالجواب".
[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).
[5] في (ص) "خلق".
[6] استدرك في هامش (ج).
[7] في (ص) "الغراسة".
[8] في (ص) "أمثالها".
[9] في (ص) "كالغنم".

ويعظم، ويتثاقل، ثمّ إذا جفّف عاد إلى الأصل؛ فيعلم من هذين المثالين أنّ أجزاء الذرّة في كلّ شخص باقيّة على هيئتها بالنصّ الوارد الذي قد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾ (الشعراء؛ 219)؛ والأجزاء الملتحقة[1] بها تستحيل، وتزيد، وتنقص، وأصل تلك الأجزاء الأصليّة في الخلقة[2] العجْب، [وهو أصل الذنب][3]، وسمّي به لتعجب بقائه عند بلي[4] سائر الجسد. قال النبيّ ﷺ: "كلّ شيء من الآدمي يبلى إلّا العجْب[5]".[6] وكأنّ عليه يتركّب الجسد عند الإحياء في الحشر [والله أعلم][7].

قولهم: إذا أكل إنسان إنسانا فصارا بالاغتذاء واحدا، فكيف يتعلّق روحان بإنسان واحد؟

الجواب أنّ الذرّة الأصليّة للآكل والمأكول باقيتان كما كانتا، والدليل عليه إجراء الله تعالى العادة كما أخبر[8] في قوله: ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾ (الشعراء؛ 219). فعلى ذلك[9]، الروحان يتعلّقان بذرّتي[10] الآكل والمأكول، ثمّ سائر الأجزاء تلتحق[11] بها أينما كانت، فإنّها وإنْ استحالت في رأي العين وتفرّقت فهي في علم الله سبحانه موجودة حاضرة، سواء امتزجت بالأرض أم بالهواء كما قال تعالى: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ (ق؛ 4) الآية. والقدر الذي نقص منه[12] يردّه

---

[1] في (ص) "المختلفة".

[2] في (ص) "الحلقة".

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[4] في (ص) "عندما يبلى".

[5] في (ص) زيادة "وهو أصل الذنب".

[6] البخاري، صحيح، كتاب التفسير، باب ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾، حديث: 4651؛ مسلم، صحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، حديث 2955؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج 1، ص 314، حديث: 354.

[7] ليس في (س).

[8] في (ص) "كما قال".

[9] في (ق) "فعلى هذا".

[10] في (س) "بذرى".

[11] في (س) "لتحق".

[12] في (ص) "منها".

إليه كما ردّه في الدنيا عند الهزال، ويخلق الحياة فيها فيصير الشخصان متكاملين كما كانا في الدنيا.

قولهم: إذا قطع [كذا] يد كافر فأسلم كيف تكون يده في النار وهو في الجنّة أقطع، وكذلك على عكسه؟

فالجواب: أمّا اليد المقطوعة[1] فحكمها تابع للجملة في الإيمان والكفر اعتبارا بالذرّات، فإنّهن كأبعاض الآباء حكما، قال الله تعالى: ﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّيّاتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّاتهم﴾ (الطور؛ 21) وقال النبيّ ﷺ: "فاطمة بضعة منّي". فعلى هذا يد الكافر، ما دامت متّصلة به حكمها [الكفر، فإن قطعت وآمن الكافر[2]، صار حكمها][3] حيث كانت حكم الإيمان اتّباعا للجملة، وكذا الثواب والعقاب عليها يقعان تبعا لإيمان الجملة وكفرها، وهذا ظاهر ||109 لا استحالة فيه.

وأمّا[4] قولهم غذاء[5] الإنسان مستحيل من تراب أجساد الموتى القديمة إذ[6] صارت أجسادهم الرميمة ترابا، والتراب زرعا، والزرع غذاء.

الجواب أنّ ذلك غير مسلّم، وإنْ[7] سلّم فلا نسلّم استحالة الذرّة الأصلية التي عليها مدار البدن[8] كلّه لما بيّناه من قبل. وقد ذكرنا غير مرّة أنّ سائر الأجزاء تابع لتلك الذرّة، وهي في علم الله تعالى مجتمعة وإن تفرّقت في رأي العين، وباقية وإن استحالت. والدليل على أنّ المُعاد من الإنسان هي الأجزاء التي كانت في الدنيا بعينها قول الله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم

---

[1] في (ص) "المقطوع".

[2] من هنا ينتهي اعتمادنا على (ش) لبتر فيها يستعرق عدّة صفحات تشمل ما بقي من هذا الباب أي الثامن عشر إلى منتصف الباب الثاني والعشرين.

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[4] سقط من (س).

[5] في (ص) "عن"

[6] في (ق) "إذا".

[7] في (ص) "ثم إن".

[8] في (ص) "البدل".

[بما كانوا يعملون][1]﴾ (النور، 24)، فلو كان المعاد[2] غيرها [كما ذكر][3] ذكر كانت شهادتها زورا وبهتانا[4]. ولم أسمع أنّ أحدا وجد هذا المعنى في هذه[5] الآية.

فإنْ قيل: يد الكافر إذا قطعت وآمن[6] هو، لو ردّت إليه[7] لكانت تشهد عليه بالكفر [وهو مؤمن؟ الجواب أنّ شهادة الأعضاء في القيامة بالمعاصي والطاعات لا بالكفر][8]. والإيمان لقوله[9]: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ (يس، 65)، إذ الإيمان يتعلّق بالقلب لا بالأعضاء، ولم يقل "بما كانوا يعتقدون". ومن العجب إنكار الفلاسفة الحشر والنشر، وهل الحشر إلّا إعادة أجزائه في الآخرة على مثال ما كان الله يعيدها في الدنيا حالا فحالا[10]؟ أليس الشيخ الكبير في الدنيا هو الذي كان كهلا، وقبل الكهولة شابّا، وقبل الشبيبة[11] صبيّا [وطفلا، وقبله جنينا][12]؟ وهو في هذه الأطوار إنسان واحد بعينه بلا شكّ، ولا اعتبار بتلك الأجزاء المتبدّلة هناك، كما لا اعتبار بها ههنا، بل تكون تلك الأجزاء قليلة كانت أم كثيرة تابعة للذرّة التي خلق منها أوّلا. وأيضا، فلا يبعد من قدرة الله تعالى أن يردّ جميع الأجزاء التي تعاورت[13] على تلك الذرّة أيّام عمره، ولكنّه سيلطّفها ويلزّزها فلا يكون الشخص متجاوزا عن الحدّ. فالقدرة متّسعة، والإمكان كائن، ولكن الظاهر ما بيّنّاه. هذا غاية الكلام في هذه المسألة، وأنا السابق[14] الهادي إلى ما أقوله فلا يمكنك طوله.

---

[1] ما بين المعقوفتين ليس في (ص) وتجد بدله "الآية".

[2] سقط من (ق).

[3] سقط من (ص).

[4] سقط من (ص).

[5] في (ق) و(ص) جاءت هذه العبارة كالتالي: "ولم أسمع أنّ أحدا وجد في هذا المعنى هذه الآية." والصواب ما أثبتناه والله أعلم.

[6] في (ص) "وآمنت".

[7] سقط من (ق).

[8] سقط ما بين المعقوفتين من (س)

[9] في (ص) "كقوله في الآية".

[10] سقط من (ص).

[11] في (ج) و(س) و(ع) "الشيبة".

[12] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[13] في (ق) "تعاوت".

[14] في (ص) "القائل".

فصل

فإن قيل: ما الحكمة في أنْ يقبض الله أرواح العباد ثمّ يردّها إليهم في المعاد وقد خلقهم لأبد الآباد[1]؟ فهلّا استدام حياتهم أبدا من غير قطع المنون؟

الجواب: لو فعل ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو أحكم الحاكمين، ولكنّه[2] أماتهم في دار الفناء ليبقيهم بقاء الأبد في دار البقاء[3] من وجوه، منها أنّ رقعة هذه الخطة الغبراء التي هي الربع المسكون من الأرض بالنسبة إلى أجساد بني آدم جميعا صغيرة، لا سيما | | 110 القدر المعمور منها، وكانت لا تسعهم، ولا تفي زروعها وثمارها بأقواتهم التي هي سبب معاشهم. قال أبو الطيب:

سُبقنا إلى الدنيا ولو عاش أهلها ... مُنعنا بها من جيئة وذهوب[4]

وفي الحديث: "إنّ الله تعالى لمّا استخرج الذرّ من صلب آدم، امتلأ وجه الأرض منهم، فقالت الملائكة: إلهي [كذا] قد امتلأت الأرض منهم وهم ذرّات فكيف تسعهم إذا تمّمت خلقهم؟ فقال تعالى: "إنّي كلّما آتي بقوم أميت الآخرين..." إلى آخر الحديث[5].

ومنها أنّ القبور [برزخ الأجساد والصور][1] برزخ الأرواح، ولله في البرزخين إنشاءات خفيّة لأجسادهم وأرواحهم يصيّرها بها قابلة للبقاء الأبديّ، ولا يعلم كيفيّة ذلك إلّا هو كما قال: ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ (الواقعة؛ 61).

---

[1] وقد خلقهم للأبد". في (ص) "

[2] في (ص) "ولكنه أن يعم" في (س) و(ع) "ولكن"..

[3] في (ص) "النقاء".

[4] البيت الخامس من مرثية مطلعها:

لا يحزن الله الأمير فإنّني ... لآخذ من حالاته نصيبي

الديوان، ص 322.

[5] لم نجده إلا عند المتأخرين مثل الشعراني وغيره.

ومنها أنّه تعالى فرّق بين الأرواح والأجساد ليعرفوا بالقطيعة قدر الوصال [فإن الوصال إذا استدام حقر[2]، وعند الفراق يكون التحنن والاشتياق، وبها يعرف قدر المواصلة][3]. قال بعضهم (شعر):

ماكنت أعرف ما مقدار وصلكم ... حتّى هجرتم وبعض الهجر تأديب[4]

[ولعلّ لهذا التشوّق[5] والحنين[6] تأثيرات في التصفية التي بها الإنشاءات][7]. وسمعت بعض من أتق به من أرباب القلوب بهمذان[8] أنّه نظر من ربوة إلى بعض المقابر فرآها مدّ البصر، فخطر بقلبه ما هذه الأطلال والأحجار؟ فهتف به هاتف في الحال[9]:

قشور بيوض طار عنها فراخها ... وهل ترجع الأطيار يوما إلى البيض

فاضطرب باطنه لمعنى البيت، فسمع على أثره يقول (شعر):

بلى يجعل الله القشور هوادجا ... من الدرّ بيضاء لإكرامه للقبض

فترجع فيها الطائرات أوامنا ... من الصيد لا يبرحن من أرج الروض

مناجاة[10]:

سبحان من جعل الشريعة ذريعة إلى النجاة، والفلسفيّ يراغمهما ببضاع عقله المزجاة، ألا كلّ معقول لم يصحبه نور النبوّة طيف، وكلّ نقد لم يضرب على سكّة الشرع زيف. النبيّ يأتي

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[2] في *اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر* " خفي"..

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[4] في (س) "مقدار وصلهم". والبيت لمهيار الديلمي من قصيدة مطلعها:

استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب

ديوان مهيار الديلمي، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1344هـ/ 1925م، ج 1، ص، 24.

[5] في (ص) "هذا الشوق".

[6] سقط من (ق).

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع).

[8] سقط من (ص).

[9] سقط من (ق).

[10] في (ج) "المناجات"

البيوت[1] من أبوابها، والفلسفيّ يبغي[2] بابها من شعابها، هذا يمشي هاديا على الصراط[3] سويّا، وذاك يمشي مكبّا على وجهه غويّا. لقد جعل[4] الشرع شمسا أضاءت الخافقين بنورها وآياتها، وجعل العقل لمعة من لمعاتها، والشمس إذا طلعت[5] من أفق المشرق، انطفأ[6] مصباح كلّ متحذلق.

إلهي، آمنّا بأنّك ستعيدنا كما بدأتنا، | | 111 فلا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

إلهي، صقّل[7] مرائي قلوبنا عن صدأ الشبهات، ونقّ أناسي عيوننا عن قذاة الضلالات، يا محيي الأموات، والمنقذ من الهلكات، يا الله، [يا رحمن يا رحيم][8].

---

[1] في (ص) "الأمور".

[2] في (ص) "يطلب".

[3] في (ق) "الصراط المستقيم".

[4] في (ص) "جعل الله".

[5] في (ص) "فإذا طلعت الشمس".

[6] في (ق) "تنطفئ".

[7] في (ص) "صيقل".

[8] زيادة من (ق).

الباب التاسع عشر[1]

في محصول البدء[2] والإعادة [على الإيجاز][3]

اعلم أنّ تراب الأرض التي خلق الله آدم منها قد قدّر الله تعالى لكلّ ذرّة منها من ذرّات ذرّيّته روحا مختصّة بها وهو قوله تعالى: ﴿خلقه فقدّره ثمّ السبيل يسّره﴾ (عبس؛ 19-20). قيل معناه: فقدّر له روحا. ثمّ لمّا أخرجها من صلب آدم قرن كلّ ذرّة بروحها، وأخذ الميثاق عليها، ثمّ ردّهم إلى ظهره، وردّ أرواحهم إلى خزانة الغيب، ثمّ أخرج تلك الذرّات كلّها من ظهر آدم ممتزجة بأمشاج النطفة إلى رحم حوّاء، ثمّ من أصلاب بنيه قرنا بعد قرن إلى الأرحام، وينمّيها بالأغذية كما يشاء[4]، وينقلها في أطوارها كما شرحناه، [بعد إنشاء الخلق الآخر وهو نفخ الروح فيها][5]،ثمّ يخرجها من الأرحام إلى فضاء الدنيا، ثمّ بعد انقضاء آجالهم يقبض أرواحهم ويرجعهم إلى بطون الأرض، ثمّ يردّ إليهم في القبور أرواحهم عند سؤال الملكين. فكانت تلك الذرّة الفاهمة من الجملة تفهم الخطاب[6]، وتجيب الجواب، وسائر الأجزاء أموات. ومن ذلك غلطت المعتزلة فأنكروا السؤال. وربّما يتحرّك جميع الجسد ويتكلّم تبعا لتلك الذرّة الأصليّة لقوّتها، وذلك يكون للأنبيّاء والأولياء كما جاء في الأخبار[7]. ثمّ ما دام في البرزخ فبين الأرواح وتلك الذرّات المقبورة تواصل معنوي، وتزاور إلهامي، وإنْ صارت هي في الصورة رفاتا، فالأخبار وردت بأنّ القبر

---

[1] العشرون في (س)

[2] استدرك بهامش (ع).

[3] زيادة من (ص).

[4] في (ص) "شاء".

[5] ما بين المعقوفتين انفردت به (ص)..

[6] في (ص) "الجواب".

[7] في (ص) كما جاء في الحديث والأخبار".

روضة[1] من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران[2]. هكذا يكون إلى أنْ دنا ميعاد المعاد في النشأة الأخرى بعد الطامّة الكبرى، فينقّيها الله بالزلزال، والرجفات، والريّاح المؤتفكات، ويعجنها بالأمطار الشبيهة[3] بمنيّ الرجال كما جاء في الأخبار، فتهيّأت حينئذ لقبول أرواحها، [وكانت أرواحها][4] حانّة إليها حنين الغريب إلى أوطانه كما قال الشاعر:

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي ... وأوّل أرض مسّ جلدي ترابها [5]

| |112 فإذا نفخ في الصور نفخة أخرى، طارت الأرواح من مكامنها إلى أجسادها التي فارقتها بالنفخ أسرع من طيران الحمامة إلى الفرخ، وهو[6] قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ (الأعراف؛ 29). ثمّ بعد الحساب والجواز على الصراط يخلدون إمّا في نعيم مقيم أو في عذاب أليم. وتسميتهم[7] في هذه المنازل "ذرّيّة آدم" يدلّ على أنّهم كانوا جميعا من تلك الذرّات، والصحيح أنّ الذرّية فعليّة من الذرّ كالسُّرِّية[8] من السِّرّ وهو النكاح. وهذا القدر كاف في صحّة البعث والنشور، فقد أشبعنا القول في كتابنا الموسوم "*بمسالك البحث عن مدارك البعث*"، فاطلبه منه.

---

(1) في (ح) و (ق) "روض".

(2) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر بصيغة " القبر حفرة من حفر جهنّم أو روضة من رياض الجنّة. " تحقيق شرف محمود القضاة، عمّان، دار الفرقان، 1403هـ/ 1983م، ص 55، حديث: 50،

(3) في (ص) "الشبهة".

(4) استدرك في هامش (ح).

(5) في (س) مرة لذي ترابها". نسبه أسامة بن منقذ إلى صبيّة في بلاد طيء، في كتابه الديار والمنازل، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت، مطبعة سعاد الصبّاح، الطبعة الثانية، 1412هـ/ 1992م، ج 1، ص 62؛ وعزاه الزرقاني للرماح بن ميادة، انظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، القاهرة، المطبعة الخيريّة، 1310هـ/ 1902م، كتاب العقيقة، ج 2، ص 361؛ ونسبه صاحب لسان العرب لرقاع بن قيس الأسدي، انظر ج 7، ص 417، مادة (نوط).

(6) سقط من (ق).

(7) في (ح) "نسمتهم".

(8) جاء في (ق) الشرية، وهو تصحيف والصواب السرية ومعناها كما في لسان العرب الجارية المتخذة للملك والجماع.

مناجاة[1]:

سبحان من كوّن الأشياء بالكاف والنون فأظهرها إظهارا، وخلق الإنسان خلقا بعد خلق أطوارا، ليستكثر له في التكوين إليه[2] أنظارا، فقال تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا، وقد خلقكم أطوارا﴾ (نوح؛ 13-14).

سبحان من بدأ بخلق الإنسان ذرّة، ثمّ جعلها تربة، ثمّ جعلها نطفة، ثمّ علقة، ثم مضغة، ثمّ كساها صورة، ثمّ جعلها رمّة، ثمّ يعيدها كرّة، ثمّ يجعلها إمّا في الجنّة شمعة، أو في النار فحمة، ثمّ خلود لا موت بعده أبدا.

إلهي، لا تحرمنا من نظرك في هذه الأطوار، واذكرنا إذا نسِيَنا أهل هذه الدار، يا غفّار.

---

(1) في (ج) "المناجات".

(2) سقط من (ق).

الباب العشرون[1]

في السبب الداعي إلى إنكار الآخرة لمنكريها

اعلم أنّ[2] الداعي إلى إنكار المنكرين للشرائع والأمور الأخرويّة هو الركون إلى المألوفات المعتادة، وصعوبة انخلاع النفس عن المعهود المتعارف، فإذا أخبروا بما[3] لم يروه ولم يشاهدوا جنسه اشمأزّت طباعهم عن القبول، وأبت قلوبهم التصديق به، فبادروا إلى إنكار البعث[4]، ومنشأ ذلك قصور العلم عن عظم قدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء، ولا يتقاصر عمّا تستعظمه النفوس وتستغربه العقول. ولو وفّوا[5] حقّ التأمّل في معنى قوله: "إنّ الله على كلّ شيء قدير." لانفتح[6] لهم من عجائب الملك والملكوت ما لا خطر على قلب بشر. ومن ذلك جحود إبليس وإباؤه عن السجود، واستبعاد الملائكة أن يجعل الله في الأرض خليفة، فلمّا أظهر الله حجّته انقادوا واعترفوا بالقصور: ﴿سبحانك لا علم لنا﴾ (البقرة؛ 32)، فعفا عنهم، وأصرّ الملعون على الإباء فأبلس فسمّي إبليس. كذلك هؤلاء المنكرون للبعث والنشور، والأمور الأخرويّة من الصراط، والميزان[7]، والجنّة، والنار وغيرها، إنّما يستبعدون لعدم رؤيتهم أمثال ذلك في الدنيا. أولئك الحمقى، لو لم يروا نارا تسقط من الزندين مرخ[8] وعفار، ثمّ ترجع إليهما فتأكلها[9]، أو لو

---

[1] الحادي والعشرون في (س).

[2] سقط من (ص).

[3] في (ص) "إنما".

[4] في جميع النسخ "البحث"، والصواب ما أثبتناه.

[5] في (س) و(ع) "وفقوا".

[6] في (ص) "لا يقبح".

[7] في (س) "الميزان والصراط".

[8] في (ص) برحرح".

[9] في (ق) "إليهما فأهلكهما".

لم يعاينوا قطّ أزهارا[1] وأوراقا خضرا ثمّ شجرا ثمّ ثمارا من تلك الأزهار مختلفات ||113
الصور، والألوان، والطعوم، والروائح، بعدما شاهدوه في الشتاء حطبا جزلا، لكانوا لها أشدّ إنكارا من إنكارهم الإحياء بعد الموت[2]. وقد قال الله تعالى: ﴿كذلك النشور﴾ (فاطر؛ 9).

ذكر صاحب *كتاب مفيد العلوم*[3] أن زهير بن أبي سلمى[4] كان كلّما مرّ بعضاة[5] قد أورق يقول: "لولا أنّ العرب تسبّني لقلت: آمنت بأنّ الذي أحياك بعد يبس يحيي العظام الرميم"[6]. وكذلك لو لم يروا قطّ سفينة مشحونة بالأثقال والرجال، جارية على سطح الماء، وأخبرهم بذلك إنسان بأنّه رآها في بعض أسفاره، لتسارعوا إلى تكذيبه ونسبوه إلى الخرافة كما فعل قوم نوح يوم صنع الفلك ﴿وكلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ (هود؛ 38). كذلك يكون حال المنكرين لأمور الآخرة. فبان من هذه الجملة أنّ مثار الشبهات لأهل الضلالات من صعوبة انخلاع النفس عن المألوفات، واستئناسهم بالمحسوسات، وعجزهم عن الترقّي عنها، وتصوّر ما لم يروها [كذا]. وسبب ذلك هو الجهل بسعة قدرة الله وتعلّقها بالممكنات، فإذا ورد شرع بشيء لم يروه فإمّا مثّلوه بما رأوه كالمشبّهة، وإمّا نفوه كالمعطّلة. وذلك مثل ما جاء من صفات الله وأفعاله، وما دروا أنّ ذات الله لا تشبه ذوات الخلق، فلا تشبه أيضا صفاته صفاتهم، ولا أفعاله تشبه[7] أفعالهم.

ومن ذلك إنكار نفي المكان ونفي الصورة عن الله تعالى، وإنكار معراج المصطفى ﷺ بجسده، وهؤلاء الحمقى لو لم يروا الطير صافّات في الهواء صاعدات في السماء، وحكي لهم ذلك لكانوا

---

[1] في (ص) "زهارا".

[2] في (س) "الموتى".

[3] في (ج) و(س) و(ص) "المفيد" و(ع). مفيد العلوم ومبيد الهموم، تأليف جمال الدين أبي بكر الخوارزمي. توفي سنة 383هـ/ 993م. القاهرة، دار التقدم، 1323هـ/ 1906م.

[4] زهير بن أبي سلمى المزني، أحد أشهر شعراء العرب وحكيم الشعراء في الجاهلية. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 137-153.

[5] في (ق) عصاة، والصواب من كتاب الملل والنحل للشهرستاني الذي يورد كلام زهير بن أبي سلمى مع أبيات من الشعر. انظر الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمّد الوكيل، القاهرة، مؤسسة البابي الحلبي وشركاه [كذا]،1387هـ/ 1968م، ج 3، 88.

[6] لم نجد ما ذكر هنا على لسان زهير في الطبعة المتداولة من كتاب مفيد العلوم. وانظر الهامش السابق.

[7] سقط من (ق).

أشدّ إنكارا ولقالوا: إنّ الثقيل يهوي بطبعه سفلا فكيف يصعد علوّا، وكيف يقف في الجوّ من غير عماد تحتها أو علاقة فوقها؟

هذا مقتضى عقلهم وقياسهم إذا اتّكلوا عليه ورضوا بقضائه. وكذلك المنكر للبعث لو[1] عرض عليه قطرة نطفة رجراجة في زجاجة وقيل له إنّك من هذه، ولم يكن له سبق علم وتمييز[2] [وخبر][3] بأن الإنسان خلق من نطفة، لبادر إلى تكذيب هذا القائل وشتمه. وقد قال الله تعالى: ﴿أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من نطفة﴾ (مريم؛ 67). وأيضا من لم ير المصباح قطّ وحكي له أنّ في بلدة [من بلاد][4] المغرب[5] شيء يضيء بالليل كالشمس فيعمل الصنّاع صناعتهم عليه في ضوئه، فلن يقبل عنه ولو حلف بالمغلّظة، ثمّ لو سأل عن صفته فقيل إنّه مملحة فيها[6] ذهن وفتيلة قطن لازداد نكرا وجحودا، ولكنه لمّا رأى المصباح قَبْلَهُ قَبِلَهُ[7] ولم ينكره. ثمّ إذا قيل إنّ تحت العرش قناديل معلّقة وأنّ في قبر المؤمن مصباحا يستضيء به ربّما أنكره، لأنّه لم ير إلّا هذه القناديل[8] والمصابيح المعهودة المتعارفة، ثمّ إنْ قبله فلا يمكنه إلّا أنْ يصوّر في نفسه قناديل من ذهب أو فضّة، ومصابيح[9] من | |114 فضة[10] أو نحاس لأنّه لم يرذلك[11]. فإذا قيل إنّها قناديل من نور، توقّف فيها وتحيّر في كيفيّتها، وأنّه لم يبصرها بحاسّة البصر، وكان غايته أنْ يؤمن بها مطلقا، وبعد يتلجلج في صدره حزازات كان يخفيها عن نفسه فضلا عن غيره، وهذا كلّه من الاتكال على المألوفات والعكوف على المحسوسات. ومن سافر بقلبه عن العوالم الحسّيّة،

---

[1] في (ص) "أو".

[2] سقط من (ج) و(س) و(ع) و(ق).

[3] سقط من (س) و(ع) و(ص).

[4] زيادة من (ق).

[5] في (س) و(ع) "من العرب".

[6] في (ص) "فيها قدر".

[7] سقط من (ج).

[8] سقط من باقي النسخ عدا (ص).".

[9] في (ص) "بمصابيح".

[10] في (ص) "خزف"..

[11] في (ص) "لم ير ذلك إلّا كذلك".

وفارق عن العادات الدنيويّة، ووطئ[1] بعقله حظائر[2] القدس، ونظر بسرّه[3] إلى عالم الملكوت، وغاص[4] بفكره في بحار القدرة الأزليّة، كان لا يتمارى قطّ فيما جاء به الأنبياء صلوات الله عليهم من الأمور الأخرويّة والأخبار الغيبيّة، وعلم أنّ الدنيا لا تشبه الدين، وأنّ الملائكة لا تقاس بالحدّادين، فلا يجد ما عاش في صدره وخز[5] شوك الشكوك.

مناجاة ودعاء[6]:

إلهي، اجل أبصارنا وبصائرنا بنور هداك، ومِل بقلوبنا إليك عمّن سواك.

إلهي، بصّرنا بمواقع أقدامنا، ومطارح أبصارنا، ومشايح[7] أفكارنا، ومواقف عقولنا، حتّى نرى بواطن الأشياء من ظواهرها، فنختار الحقّ من باطلها.

إلهي، لا تكلنا في أحوالنا إلى غيرك، لذّذ قلوبنا بطاعتك، وكرّه إليها[8] معصيتك، وحُل بيننا وبين كلّ من يحول بيننا وبينك، واجعلنا ممّن إذا قال صدق، وإذا عمل حقّق. صُن أقوالنا عن سموم الريّاء والسمعة، وأزل عن وادينا سراب الأمانيّ والغرة. توجّهنا إليك في مدارع الرجاء والخوف، زافّين عرائس الأمل، مادّين أيدي الافتقار، فاملأها[9] من برّك ولطفك، ولا تردّنا خائبين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

[1] في (ق) "وظن".

[2] في (ص) "لحظائر".

[3] في (ص) "بسيره".

[4] في (ص) "وغاض".

[5] في (ص) "وحر".

[6] في (ج) "المناجات والدعاء".

[7] في (س) و (ع) "ومسابح" (ص) "ومشابخ" وفي (ق) "ومشايخ".

[8] في (ق) "إلينا".

[9] في (ق) "فاملأ".

الباب الحادي والعشرون[1]
في الأوّليّات العظائم المخلوقة للبقاء

اعلم أنّ اللوح، والقلم[2]، والعرش، والكرسيّ، والجنّة، والنار، أوّليّات من عالم الملكوت خلقت للبقاء أبد الآبدين. وأوّليّات هذه الدنيا من السماوات والأرضين [وما فيهنّ][3] خلقت للفناء، سوى الذرّات التي كانت مناظر النظرة[4] الإلهية في الجوهرة المخلوقة أوّلا، وهي التي رشّحها للخلافة في قوله تعالى: "إنّي جاعل ||115 في الأرض خليفة" وقوله: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ (الأنعام؛ 165). وقد أعدّ لها أرواحها قبل خلقها كما قال النبيّ ﷺ[5]: "خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام"[6]. وقال عليّ [بن أبي طالب رضي الله][7] عنه: "خلقتم للأبد، وإنّما تنقلون من دار إلى دار"[8]. وقد رفع ذلك إلى النبيّ ﷺ. وقد قال الله تعالى: ﴿بل أحياء عند ربّهم يرزقون...﴾ الآية (آل عمران؛ 169). وما سواها من أجزاء الأرض وما عليها فإنّها للفناء كما قال الله[9]: ﴿كلّ من عليها فان﴾ (الرحمن؛ 26). والفناء على معنيين: إعدام وموت، وقول الله تعالى:

---

[1] الثاني والعشرون في (س).

[2] في (ص) "القلم واللوح".

[3] سقط من (س) واستدرك في هامش (ع).

[4] في (ج) "نظرة".

[5] جاء في (ص) بعد ﷺ قال: "قال تعالى بل ربهم".

[6] انظر ما قاله العجلوني بصدد هذا الحديث في كشف الخفاء، ج 1، ص 122.

[7] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[8] ورد هذا الأثر في حلية الأولياء منسوبا إلى عمر بن عبد العزيز: "وقال عمر بن عبد العزيز: "إنّما خلقتم للأبد، وإنّما تُنقلون من دار إلى دار". حلية الأولياء، ج 5، ص 287. وابن أبي الدنيا، كتاب ذم الدنيا، ضمن مجموع رسائل ابن أبي الدنيا، بيروت، مؤسّسة الكتب الثقافية، 1414هـ/ 1993م، ج 2، ص 112، أثر: 234. الغزالي، إحياء، ج 6، ص 54. ونسبه ابن عساكر لبلال بن سعد. انظر تاريخ دمشق، ج 5، ص 492.

[9] في (ق) "وقد قال".

[﴿والسماوات مطويّات بيمينه﴾ (الزمر؛ 67)، قيل معناه: مفنيّات. وقوله تعالى][1]: ﴿كلّ شيء هالك إلّا وجهه﴾ (القصص؛ 88)، أي كلّ شيء قابل للهلاك إلّا ذاته تعالى.

واعلم أنّ من العرش إلى سدرة المنتهى اثنتي عشرة طبقة من أصناف الملائكة، هكذا جاء في الكتب[2] المنزلة قدما. وقد روي عن بعض المشايخ أنّ الاتساق نور الحقّ في نسوق[3] نوره من نور طور الياقوت إلى نور طور سدرة المنتهى المذكور في القرآن العظيم، اثنتي عشرة روحا قدسيين[4]. ولله المثل الأعلى. هذا يشير إلى طبقات هؤلاء الملائكة الذين خلقهم الله فيما بين العرش[5] إلى السماء السابعة، ويعني بالروح الملائكة، ويعني بطور الياقوت العرش، إذ ورد في الخبر أنّ العرش خلق من ياقوتة[6] حمراء؛ ويريد بطور سدرة المنتهى الشجرة التي فوق السماء السابعة، وهي مقام جبريل، وعندها جنّة المأوى[7]، وهؤلاء الملائكة غير الحافّين بالعرش، وغير سكّان السماوات السبع، وإنّما هم الصافّات[8] صفّا، والملأ الأعلى فافهم[9].

واعلم أنّ الجنّة درجات [يسمى جنات][10] وهي: فردوس، وخلد، وعدن، وعِلّيّون، ونعيم، ودار السلام، ودار القرار، وجنّة المأوى.

وعن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: "الجنّة مائة درجة، ما بين كلّ درجة ما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها، وفيها تنفجر أنهار الجنّة"[1]. قال الله تعالى: "وفتّحت أبوابها" تسمّى واو الثمانية، ولنا فيها رسالة عجيبة[2].

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[2] في (ق) "كتب".

[3] في (ص) "مسبوق" وفي (س) و (ج) "بسوق".

[4] في (ق) "قديسين".

[5] في (ق) "العرش إلى العرش".

[6] في (س) "ياقوت".

[7] في (ص) "وعندها سدرة المنتهى، وعندها جنّة المأوى".

[8] في (ق) الصفات.

[9] في (ص) زيادة "فافهم".

[10] زيادة من (ص).

وأبواب النار سبعة، قال الله تعالى: ﴿لها سبعة أبواب﴾ (الحجر؛ 44)، فكأنّ جهنّم خلقت على هيئة سَبُع لقوله: ﴿تكاد تميّز من الغيظ﴾ (الملك؛ 8).

وفي الحديث أنّها تجرّ إلى القيامة بالسلاسل فتزفر زفرة[3]. فكما سمّي السبُع سبُعا لأنّه بمنزلة سبعة حيوان في شدّة قوّته، لذلك[4] جعل الله لجهنّم سبعة أبواب دلالة على غاية شدّتها ونهمتها في ابتلاع العُصاة كما قال: ﴿لا تبقي ولا تدر﴾ الآية" (المدثّر؛ 28)، وقال: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ (ق؛ 30). وقد يوصف التنّين العظيم بأنّ له سبعة رؤوس [والله أعلم][5]. | |116

واعلم أنّ العرش من أعظم المخلوقات، وروي أنّه سقف الجنّة.

وعن عليّ رضي الله عنه: "إنّ للعرش ستّين ألف قائمة، بين القائمة إلى القائمة خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام، والعرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أنْ ينظر إليه خلق من خلق الله" [6].

عن ابن عبّاس: "إنّ الله خلق العرش من نوره، وخلق الكرسيّ من نور العرش، والعرش ملتصق بالكرسيّ، والماء في جوف الكرسيّ، والماء على الريح، والسماوات والجنّة والنار في جوف الكرسيّ، والكرسيّ من نور يتلألأ، وهو عند العرش كحلقة في فلاة"[7].

عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام: "ما خلق الله من[1] شيء إلّا وتمثال ذلك الشيء على العرش، وهو قوله تعالى: ﴿وإنْ من شيء إلّا عندنا خزائنه﴾ (الحجر" 21)[2].

---

[1] الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة، حديث: 2530؛ أبو الشيخ الأصبهاني، كتاب العظمة، ج 2، ص 629، حديث 246.

[2] يشير إلى "*الرسالة الواوية*".

[3] في (ص) "زفيرة".

[4] في (ص) "كذلك".

[5] ليس في (س).

[6] ذكره البغوي في تفسيره فقال: " وروى جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه أنّه قال: إنّ ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام، والعرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة ". تفسير البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمّد عبد الله النمر وآخرون، الرياض، دار طيبة، 1412هـ/ 2002م، ج 7، ص 140.

[7] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 23، ص 274-275 عن أبي ذر الغفاريّ.

وحملة العرش ثمانية أصناف من الملائكة، حملوها على أكتافهم وأقدامهم معلّقة في الهواء. ويقال إنّ مواقع أقدامهم محاذيات لأبواب الجنّة الثمانية لأنّ العرش سقف الجنّة، وهم على صورة إنسان، وأسد، ونسر، وبقرة. وقال أميّة بن أبي الصلت[3] يصف العرش وحامليه في شعره:

لك الحمد والنعماء والفضل ربّنا ... ولا شيء أعلى منك جدا وأمجد

مليك على عرش السماء مهيمـن ... لعزّته تعنوا الوجـوه وتسجـــد

رجل وثور تحت رجل يمينــــه ... والنسر للأخرى وليــث مرصـد

والشمس تطلع كل آخر ليلـــــة ... حمراء في غسق الظلام توقــــد[4]

فسمع النبيّ ﷺ هذه الأبيات فقال: "صدق أميّة بن أبي[5] الصلت، هكذا خلقها الله تعالى". وهو الذي قال رسول الله ﷺ [فيه] [6]: "آمن شعره[7] وكفر قلبه"[8].

مواعظ ومناجاة[9]:

اعلم أنّ السماوات صحائف العبر للبشر. قال الله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها﴾ (ق؛ 6)" فطوبى لامرئ كحّلت عيناه بنور الهداية، فيقرأ بنظره الثاقب فيها عجائب الحكم والمواعظ بالحظوظ الإلهيّة، فيتّعظ بها قبل أنْ تطوى الصحف بيمين القدرة الأزليّة ﴿كطيّ

---

[1] سقط من (ص).

[2]جاء في تفسير البغوي: " وعن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه قال: في العرش مثال جميع ما خلق الله في البرّ والبحر، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه﴾. ج 4، ص 375.

[3] في جميع النسخ عدا (ص) "أمية بن الصلت". أميّة بن أبي الصلت الثقفي، ويقال له " أبو الحكم "، شاعر جاهلي اشتُهر بالحنيفية والتوحيد، وكان من الدعاة إلى نبذ الأصنام. وهو أحد شعراء ثقيف، توفي سنة 5هـ/ 626م. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 459- 462؛ نفسه، المعارف، ص 60؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 9، ص 255- 287، رقم: 811.

[4]ابن عبد البرّ، التمهيد، ج 4، ص 7-8.

[5] زيادة من (ص).

[6] زيادة يستقيم بها الكلام.

[7] في (ص) "شعر".

[8]ابن عبد البرّ، التمهيد، ج 4، ص 7.

[9] في (ح "المواعظ ".

السجّل للكتاب﴾. [1] وكذلك وجه الأرض ألواح منقوشة بالآيات والعجائب، كما[2] قال تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ (الذاريّات؛ 20)، فطوبى لقلب تأمّلها قبل أنْ ﴿مدّت وألقت ما فيها وتخلّت﴾ (الانشقاق؛ 2-4).

ألا إنّ ذرّات الملك والملكوت خطباء الحقّ يقرأون عليك آيات الزبور، وأنت تتصامم عنها تصامم من في القبور. ﴿وكأيّ ||117 من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون﴾ (يوسف؛ 105).

اليوم قد نشرت صحف السماء [لقلوب الأبرار، وطويت صحف الأعمال عن الأبصار، وغداً تطوى صحف السماء][3] عن الأبصار، وتنشر صحف الأعمال. ﴿وإذا الصحف نشرت، وإذا السماء كشطت﴾ (التكوير؛ 10-11).

فرحم الله امرأ فتح عينه قبل أنْ يعاين حيْنه[4] فيحال بينه وبينه. يا سلام سلّم[5].

---

[1] (الأنبياء؛ 4). والمناجات

[2] سقط من (ق).

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[4] في (س) "جبينه".

[5] في (س) زيادة "يا رحمن".

الباب الثاني والعشرون[1]
في الرؤيا [ورؤية الله][2] ورؤية رسوله في المنام[3]

وفيه فصول أربعة:

الأوّل: في فضيلة الرؤيا وحقيقتها.

الثاني: في أقسام الرؤيا والتمييز بين الصادقة منها والأضغاث.

الثالث: في رؤية رسول الله ﷺ في المنام.

الرابع: في رؤية الله تعالى في المنام.

الفصل الأول
في فضيلة الرؤيا وحقيقتها:

قال أبو محمّد بن قتيبة: "ليس فيما يتعاطاه[4] الناس من فنون العلوم[1] ويمارسون[2] من صنوف الحكم شيء هو أغمض، وألطف، وأجلّ، وأشرف، وأصعب مراما [وأشدّ إشكالا][3] من الرؤيا لأنّها جنس من الوحي وجزء[4] من النبوّة"[5].

---

[1] الثالث والعشرون في (س).

[2] سقط من (ج).

[3] في (ص) "في النوم".

[4] في النسخة المطبوعة من تعبير الرؤيا، القاهرة، دار المدائن، 1425هـ/ 2005م، ص 6، "يتعاطى".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: "الرؤيا الصالحة جزء من ستّة وأربعين جزءا من النبوّة". [6] واختصاص أقسام الرؤيا بهذا العدد هو أنّه ﷺ كان قبل الوحي يرى ستة أشهر رؤيا صادقة، فكانت نسبة الستّة الأشهر إلى ثلاث وعشرين سنة التي كان يأتيه جبريل فيها بالوحي جزءا من ستّة وأربعين جزءا.

وقال ﷺ[7] يوم توفيّ: "أيّها الناس ذهبت النبوّة فلا نبوّة بعدي[8]، وبقيت التباشير والمبشّرات، وهي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن وترى له"[9]. وأمّا حقيقتها فقد قال الله تعالى: ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ (النبأ؛ 9)، قال المفسّرون: أي راحة لأبدانكم وذلك أنّ الإنسان ما دام في إصلاح معاشه ساعيا، متحرّكا، مشغول النفس بالتفكّر فيما[10] تورد عليه الحواسّ، يكون متعبا، فإذا كلّت نفسه وضعفت قواه ضرب الله النوم على أذنه كما قال تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم﴾ (الكهف؛ 11)، أي ضربنا[11] النوم على آذانهم كي لا تدخلها الأصوات فتشغلها، وهذا كما يقال ضربت على الكتابة إذا خططت عليها حتّى لا يمكن قراءتها. فعند ذلك يتثاقل رأسه قليلا قليلا حتّى تركد أحساسه الخمس، فتستريح النفس من شغل البدن، ويأخذ البدن من قوّة الغذاء بدلا[12] لما تحلّل منه حالة

---

[1] في تعبير الرؤيا "العلم".

[2] في تعبير الرؤيا "ويتمارسونه".

[3] زيادة من (ص).

[4] في تعبير الرؤيا "ضرب".

[5] ابن قتيبة، تعبير الرؤيا، ص 6-7.

[6] البخاري، صحيح، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستّة وأربعين جزءا من النبوّة، حديث: 6588.

[7] أعاد ناسخ (ص) كتابة الفقرة الأولى بعد قوله: "كان قبل الوحي...".

[8] سقط من (ق).

[9] مسلم، صحيح، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، حديث: 479.

[10] في (ص) "مما".

[11] في (ص) "فضربنا".

[12] في (ص) "أبدا".

اليقظة عند اضطرابه[1]، فيخفّ جسمه مدّة نومه[2] وراحته، فذلك هو السبات المذكور في الآية.
118||

وأما سبب ما يراه في النوم، فقال الإمام محمّد بن عليّ الترمذي رحمة الله عليه: "إذا جاء النوم من طريق الأذن فمرّ من الحواسّ فيرقدها، يعني يركدها - وأنا أظنّ أن القاف بدل من الكاف، والرقود ركود الحواسّ - قال: فيثقل حينئذ الرأس لذلك، ثمّ ينزل إلى الصدر، ويرتفع النفس إلى الرأس متعلّقة بالروح ليخلّصها من شواغل الإحساس - والروح تسمّى بالفارسية "روآن"، لأنّه يجول في الملكوت والعالم كلّه - فيسطع نور النفس حتّى يجول في الدنيا ويصعد إلى الملكوت فيعاين الأشياء، ثمّ يرجع إلى معدنها. فإن وجدت مهلة عرضت على العقل ما رأته، والعقل استودع[3] الحفظ ذلك، فإذا استيقظ ردّ الحفظ ما استودعه العقل إليه فنظر[4] فيه، وإن لم يجد مهلة، استيقظ وقد علمت أنّها رأت شيئا ولا تذكره". والدليل على صعود روح النائم الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال[5]: "إذا خرجت النفس في منامها[6]، صعدت في الملكوت إلى الله، فإن كانت طاهرة سجدت من تحت العرش، وإن كانت غير طاهرة سجدت قاصية[7]"[8]. وروى ابن قتيبة عن أبي حاتم[9]، عن الأصمعيّ[1]، عن معتمر بن سليمان[2]، عن

---

[1] في (ص) "اضطراره".

[2] في (ص) "مدة نومه، وتعود إليه قوته".

[3] في (ص) "يستودع".

[4] في (س) "نظر".

[5] سقط من (ق).

[6] في (ص) "منامه".

[7] في (ص) "قاصيا".

[8]نوادر الأصول، ج 6، ص 13-14.

[9] أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني ثمّ البصري. توفي ما بين 248 و254هـ/ 862-868م، مقرئ نحوي لغوي فارسي، نزيل البصرة وعالمها؛ كان إماماً في علوم الآداب، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمّد بن دريد، والمبرد، وابن قتيبة الدينوري وغيرهم. أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، د.ت.، ص 80-82؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 430-433، رقم: 282؛ الزركلي، الأعلام، ج 3، ص143- 144.

رجل وصفه قال: "خرجنا مرّة في سفر وكنّا ثلاثة نفر، فنام أحدنا فرأينا مثل المصباح خرج من أنفه فدخل غارا قريبا منه، ثمّ رجع فدخل أنفه فانتبه ومسح وجهه وقال: رأيت عجبا، رأيت في هذا الغار كنزا. فدخلنا الغار فوجدنا فيه بقيّة[3] من كنز كان فيه"[4]. وحكي عن المعتمر[5] أنّ روح الإنسان كمثل شهرقة الغزل يرسل فيمضي ويمضي ثمّ يطوي فيدخل، فروح الإنسان يرسل في النوم منه شيء، ومعظمها في البدن متّصل به اتّصالا خفيّا، فإذا استيقظ جذت معظم روحه ما انبسط منه فعاد. قال[6]: "والدليل على هذه الجملة قوله تعالى: ﴿الله يتوفّى الأنفس حين موتها﴾ الآية (الزمر؛ 42).

واعلم أنّ العلماء اختلفوا في الروح والنفس فقال بعضهم: إنّهما[7] شيئان. قال القتيبيّ: "الروح بارد والنفس حارّة، والنفخ من الروح فلذلك برد، والنفس من النَّفَس التي في الرئة فلذلك حارّ." وكذا قاله الترمذي قالوا: "وقد عظّم الله الروح وشرّفه بالإضافة إلى نفسه." [فقال: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ (الحجر؛ 29)، وأضاف النفس إلى بني آدم فقال: ﴿بل سولت لكم أنفسكم﴾ (يوسف؛83)؛ وقال آخرون وهم الأكثرون "إنهما عبارتان عن شيء واحد"، تقول العرب: "فاضت نفسه"][8] و"خرجت روحه" بمعنى واحد[9] إذا مات.

---

[1] عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن عليّ بن أصمع الباهليّ، (121- 216هـ/ 740-831م) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص 46-65؛ الحاكم الكبير، الأسماء والكنى، ج 3، ص 418- رقم: 2767؛ الذهبي، السير، ج 10، ص 175- 182.

[2] أبو محمّد معتمر بن سليمان بن طرخان البصري التيمي، (106 -187هـ/ 734-802م)، من كبار محدّثي البصرة. لم يكن من بنى تيم، وإنّما نسب إليهم لأنه نزل فيهم، وهو مولى لبنى مرّة، وهو من تابعي التابعين، مات بالبصرة في خلافة هارون الرشيد. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، تتمة جامع الأصول، تحقيق بشير محمد عيون، بيروت، دار الفكر، 1411هـ/ 1991م، ج 10، ص 909، رقم: 2598؛ الذهبي، سير، ج 8، 477-479.

[3] في (ح "ثقبة".

[4] الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ج 8، ص 317-318.

[5] يعني معتمر بن سليمان.

[6] في ص) "فعاد. قال".

[7] في (س) و(ع) "إنما هما".

[8] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[9] سقط من (ق).

وقال الإمام[1] الغزالي رحمة الله عليه: "قد يعبّر عن اللطيفة التي يحيي الله تعالى الإنسان بوجودها فيه الروح، والنفس، والقلب، والعقل جميعا، ثمّ إنّ لهذه الألفاظ معاني أخر لأنّهن من الأسماء | |119 المشتركة." [ذكره في *الإحياء*][2].

وقال الشيخ أبو الحسين النوري[3] رضي الله عنه[4] [في كتاب النوم واليقظة][5]: "ومن عجائب ما أودع الله تعالى الإنسان روحه التي هي من لطفها وبساطتها تصعد إلى السماء في لحظة، وتجول في الدنيا في طرفة، ترى البعيد قريبا، والغائب شاهدا، والمستور مكشوفا، فلا تمنعها الحجب والستّور، ولا تردّها الجدران والسور، ولا تصدّها النيران والبحور، تعاين القرون الخاليّة كما تعاين الحاضرة، ترى الدنيا الموجودة الآن كالمعدومة، والآخرة كالمكوّنة اليوم، فهي ديذبان الجسد وطليعته، وبها جعل الله آدم خليفة وأمر ملائكته بالسجود له، ولإثرته وشرفه حسده إبليس فلعنه الله، ولأجله نكس رؤوس جميع الحيوانات[6] بين يديه كالعبيد لمولاهم، ورفع رأس الإنسان ونصب قامته كالسيّد العالي على خدمه، وسهّل له النظر إلى السماء ليستدلّ بها على باريه جلّ جلاله".

---

[1] في (ق) "حجّة الإسلام".

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (س). لم نجد كلام الغزالي بهذا اللفظ ولكنّه ورد بتفصيل في الإحياء، ج 5، ص 13-19؛ و معارج القدس في مدارج معرفة النفس، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1395هـ/ 1975م، ص 15-18.

[3] أبو الحسين أحمد بن محمّد البغوي النوري، المعروف بـ "ابن البغوي"، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، بغدادي النشأة والمولد، خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ، يقال لها "بغشور" صحب سري السقطي، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمّد بن عليّ القصّاب، وكان من أقران الجنيد. وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنّه من أجلّ مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً. توفي سنة 295هـ/ 908م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 164-169، الذهبي، سير، ج 14، ص 70-77.

[4] في (ص) و(ع) "رحمه الله" وسقط من (س).

[5] لسقط من (س) ولم نجد لهذا الكتاب ذكرا فيما توفّر لدينا من المصادر.

[6] في (ص) "الحيوان".

الفصل الثاني
في أقسام الرؤيا

روى أبو محمّد بن قتيبة عن أبي حاتم[1] عن الأصمعيّ، عن قرّة بن خالد[2]، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "الرؤيا ثلاثة، فرؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحذير من الشيطان، ورؤيا يحدّث بها الإنسان نفسه فيراه في النوم."[3] وأقول في شرح الحديث:

أمّا القسم الأوّل وهو الرؤيا التي من الله سبحانه بلا واسطة وتكون للبشرى أو الإنذار فيما قال الله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (يونس؛ 64)، وهي ما يتعلّق بالزمان المستقبل، ويكون من أنباء الغيب، إذ الغيب لا يعلمه[4] إلّا الله. قال الله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو﴾ (الأنعام 59)؛ وقال الله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلّا الله﴾ (النمل؛ 65)؛ ومثل هذه الرؤيا يكون للأنبيّاء والأولياء، وهي الرؤيا الصادقة التي لا تحتاج إلى التعبير، لأنّ الشيطان والخيال لا يبلغان إلى الله تعالى ولا إلى اللوح المحفوظ. قال النبيّ ﷺ: "إذا نام العبد في صلاته، يباهي الله به الملائكة فيقول: انظروا إلى عبدي، روحه عندي وجسده بين يديّ ساجد". [5]

---

[1] في (س) "أبي حازم".

[2] في (ق) قرّة بن خلد والصواب ما أثبتناه.

[3] ابن قتيبة، تأويل مشكل الحديث، تحقيق محمّد محيي الدين الأصفر، بيروت، المكتب الإسلامي، 1419هـ/ 1999م، ص، 485. بسند مختلف عن الذي ذكره القزويني.

[4] في (س) "يعلمها".

[5] ابن قتيبة، *الرؤيا*، ص 10، حيث نسبه إلى الحسن البصري ولم يرفعه إلى رسول الله ﷺ.

وأمّا القسم الثاني من الرؤيا الذي هو[1] من الشيطان، فذلك تخويف منه وتحذير. قال الله تعالى: ﴿إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه﴾ (آل عمران؛ 175). ولمّا كان جرى الشيطان في جسد الإنسان في مجاري الدم التي هي العروق[2]، ويقال سمّيت عروقا لأنّ الشيطان يعرق في مضايقها ليجري من ابن آدم مجرى الدم. | |120 قال النبيّ ﷺ: "إنّ الشيطان ليجري[3] من ابن آدم مجرى الدم، فضيّقوا مجاريه بالجوع والعطش"[4]. فالدم أبدا على صفة أمزجة البدن من الحرّ، والبرد، والرطوبة، واليبس، فإذا خالط الشيطان الدم في مجاريه اتّصف بصفة الدم، فيرى النائم ما يجانس جثّته منه، فإنْ كان الغالب عليه الحرارة يريه النيران والأشياء الصفر، وإنْ كانت الغلبة للبرودة يريه الثلوج والجمد والزمهرير، [وإنْ كان الغلبة على مجاريه اليبس يريه الأشياء[5] السود والظلمات والموتى والبكاء[6]، وإنْ كانت الغلبة للرطوبة يريه الأمطار والأنداء والمياه][7]. وكذلك[8] إنْ كان في الدم خفّة يريه من خفّته كأنّه يطير، ويريه الملاهي والسماع والرقص، وإن كان فيه الثقل يتثاقل منه الشيطان، فيرى النائم كأنّه ضغط من شيء ثقيل[9] [وهو الكابوس][10]. هذه كلّها أضغاث[11] لا تأويل لها.

---

[1] سقط من (ص).

[2] في (ص) "عروق".

[3] في (ص) "يجري".

[4] " إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم، فضيّقوا مجاريه بالجوعِ ". ذكره في الإحياء، قال العراقي :متّفق عليه من حديث صفيّة دون قوله: " فضيّقوا مجاريه بالجوع". علي القاري، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق محمّد بن لطفي الصبّاغ، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1986م، ص 142، حديث: 78.

[5] سقط من (س).

[6] سقط من (س).

[7] ورد ما بين المعقوفتين في (س) و(ع) كالتالي: "وإنْ كانت الغلبة للرطوبة يريه الأمطار والأنداء والمياه. وإنْ كان الغلبة على مجاريه اليبس يريه الأشياء السود والظلمات والموتى والبكاء".

[8] سقط من (س) و(ع).

[9] في (ص) "فقيل".

[10] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[11] في (ق) "أضغاث أحلام".

وأمّا القسم الثالث من الرؤيا التي هي حديث النفس، وأكثره يتعلّق بالزمان الماضي والحاضر، وهو أنْ يحدّث الإنسان نفسه بشيء فيبقى صورة ذلك الشيء في خياله، فإذا نام يراها بعينها في المنام، مثاله مَنْ داوم النظر في فوطة أو شبكة ثمّ يغمض عينيه يرى ذلك في الخيال. قال الشاعر:

سقيا لزورك من طيف أتاك به ... حديث نفسك عنه وهو مشغول[1]

واعلم أنّ شأن الخيال عجيب جدا، وكنّا أوردنا في باب خلق الأرض حديثا رواه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: "أنّ الله خلق الجوهرة أوّلا، ثمّ نظر إليها فذابت وارتعدت فصارت ماء، فخلق العرش من نصفها، فارتعد العرش فكتب الله عليه لا إله إلّا الله، فسكن العرش على الماء".

قال زين العابدين رضي الله عنه: "لمّا خلق الله تعالى آدم من الماء والطين، أودع قطرة من ذلك الماء المرتعد في مقدّمة رأسه، [فجعلها محلّا للخيال والوهم، ترتعد[2] أبدا فيتخيّل الأشياء في صفاتها][3] كالمرآة المجلوّة، لا تهدأ من محاكاة الصور نوما ولا يقظة، فتأتي في اليقظة بالخواطر وفي النوم بالأحلام، وإنّما يلقي إليه الرؤيا تلك الصور إمّا من المشاهدات بالحواسّ حالة اليقظة [قبل ذلك][4]، وإمّا من تصويرات أدّاها الفكر إليه من الأمانيّ والمخاوف." قال بعضهم:

من طول التفكير كلّ يوم ... رأيتك كلّ ليل في المنام[5]

| | 121وقد يلقيها الشيطان أيضا من تسويلاته ومخاوفه، من أجل ذلك تكون تلك القطرة المخيّلة أبدا مضطربة، مترجرجة، دائمة الحركات والانتقالات من صورة إلى صورة حالة النوم[6]، {ومن

---

[1] البيت لجِران العَوْد ويروى مكان طيف "زور"، وهو من قصيدة مطلعها:

بان الخليط فهالتك التهاويل ... والشوق محتضر والقلب متبول

انظر ديوان جِران العَوْد النميري، رواية أبي سعيد السكري، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1420هـ/ 2000م، ص 55.

[2] في (ق) "فترتعد".

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[4] سقط من (س) و(ع).

[5] في (ص) " أراه كلّ ليلي في المنام". لم نوفّق للوقوف على صاحب هذا البيت.

[6] سقط من (ج).

إلقاء الخواطر المختلفة حالة اليقظة، [فيسمّى ما تريك حالة [النوم][1] أضغاث أحلام[2]}، وما تريك حالة اليقظة][3] هواجس[4] النفس. وليس للخيال وصول إلى اللوح المحفوظ فيطالعه، ولا إلى الملك الموكّل باللوح فيلقي إليه بما فيه، ولا إلى الحضرة الإلهيّة فيتلقّى منه[5] وحيا.

قال أبو الطيّب في عمل الخيال (شعر):

لا الحلم جاد به ولا بمثاله ... لولا ادّكار وداعه وزيالـه[6]

إن المعيد لنا المنام خيالـه ... كانت إعادته خيال خياله[7]

فإن قيل كيف عروج الأنفس إلى اللوح، وكيف تبديل الخيال ما أخذته منه إلى أشكال أخر وهو لا يصل إلى اللوح فيطالعه؟

الجواب: أنْ تعلم أنّ معلومات الله تعالى لا تتناهى، ثمّ هي مع عدم تناهيها على ضربين، منها ما تعلّقت به الإرادة للإيجاد، ومنها ما لا تتعلّق به، فبقيت غير متناهيّة على ما كانت[8] ولم تدخل تحت العدّ والإحصاء. والذي تعلّقت به الإرادة للتكوين صارت متناهيّة داخلة تحت الإحصاء، وهي التي أثبتها في اللّوح المحفوظ، فذلك قوله: ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ (يس؛ 12)، أي أحصيناه فيما لا يتناهى من المعلومات، وأردنا أنْ نبرزها إلى الوجود، وهو المسطور في قوله: ﴿وكلّ صغير وكبير مستطر﴾ (القمر؛ 53)، قال: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ (الإسراء؛ 58).

ثمّ إنّ لمعاني تلك الأشياء المسطورة في اللّوح صورا منقوشة تحت العرش، وهو قوله تعالى: ﴿وإنْ من شيء إلّا عندنا خزائنه﴾ الآية. (الحجر؛ 21).

---

[1] زيادة يستقيم بها الكلام استنتجناها من السياق.

[2] سقط ما بين القوسين المزهرين من (س) و (ع).

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[4] في (ص) "هو حس".

[5] في (س) "فيه".

[6] في (ج) "لا الحلم جاءته".

[7] المتنبي، ديوان، ص 284.

[8] في (ص) "كان".

وفي الحديث: "ما خلق الله من شيء إلّا وله صورة تحت العرش". وللعرش باللّوح اتّصال خفيّ عن أفهام الخلق، والناظر إلى اللّوح ملك عظيم يسمّى الروح، وهو الذي يقوم صفّا والملائكة صفّا، والناظر إلى العرش إسرافيل عليه السلام، والصور في فمه، والملائكة الحافّون حول العرش هم الحاملون للعرش بقوّة التسبيح والتحميد كما قال تعالى: ﴿وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم﴾ (الزمر؛ 75).

واعلم أنّ مثل العرش العظيم لا يستطاع حمله بقوّة الجسد البتّة، لأنّ قوّة الجسد متناهيّة. وإنّما يحملونه ||124 بقوّة التسبيح والتحميد[1] التي هي من القوّة الملكوتيّة التي تتسخّر لها الأشياء وتتصاغر، وبها قلع عليّ رضي الله عنه [باب خيبر وهو ألوف مَنٍّ من حديد][2]، فقال: "ما قلعت باب خيبر بقوّة جسدانيّة، ولا بحركة غذائيّة ولكنّي قلعتها بقوّة ملكوتيّة، ونفس بنور ربّها مضيئة"[3]. وفي شرح هذه القوّة طول لا يحتمل هذا الكتاب.

فعلى هذا، إذا توفّى الله سبحانه[4] نفس العبد التي لم تمت في منامه، أي استوفاها عنده، وأراها من عجائب ملكوته أشياء، وأطلعها على الصور تحت عرشه، والمكتوب في لوحه، ثمّ يرسلها إلى البدن، فأوّل ما يلاقيه عند العود محل الخيال والوهم[5]، لأنّ ذلك في الخلقة بين الحسّ والعقل، والنفس[6] في تلك الحالة راجعة من عالم[7] المعاني المعقولات إلى عالم الحسّ، فيكون منزله الأوّل هو الخيال والوهم الذي مرتبته بين الحسّ والعقل، فيبادر[8] ملك[9] الرؤيا إلى تلك المعاني المجرّدة التي معها، ويصوّرها في الخيال بما يشاكلها من المحسوسات، كما يصوّر حقيقة الرجل

[1] في (ص) "والتمجيد".

[2] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ج).

[3] الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 152.

[4] زيادة من (ص).

[5] في (ص) "الوهم والخيال".

[6] في (ص) "واليقين".

[7] سقط من (ص).

[8] في (س) "فبادر".

[9] في باقي النسخ عدا (ق) "تلك".

مثلا[1] بالشجر[2]، والعداوة بالحيّة، والحكمة بالجوهر. وهذا الملك، أعني ملك الرؤيا[3]، هو من أعوان إسرافيل عليه السلام، وإنّما يأخذ الخيال منه تلك الصور اضطرارا وتسخيرا [من الله][4]، إذ لا اختيار للخيال البتّة، ولكنّه جبل على ذلك. والمعبّر يعبّر بسياحة[5] الفكر عن تلك الصور المخيّلة إلى ما يناسبها في معانيها، ويرجع قهقرى، وينتقل ثمّ ينتقل إلى مشكلاتها حتّى يطّلع على المرئي الأوّل فيذكره، فهذا معنى التعبير والتأويل، فتأمّله فإنّك لا تجده في كتاب.

---

[1] سقط من (ص).

[2] في (ص) و(ق) "السحر".

[3] في (ص) "الرؤيا بالرؤيا".

[4] ليس في (س) و(ع).

[5] في (س) و(ع) "بساحة".

الفصل الثالث[1]

في رؤية رسول الله[2] ﷺ في المنام:

قال النبيّ ﷺ: "من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي"[3].

واعلم أنّه إنّما لا يتمثّل لِما جاء في الحديث، لأنّه ﷺ لمّا ولد، رنّ إبليس رنّة سمعها جميع الشياطين في الأرض، فجاءوه واحْتَوَشوا به وقالوا: "ما أصابك؟" قال: "حدث في الأرض حادثة بطلت بها مكايدي كلّها." قالوا: "وما هي؟" قال: "ولد مولود بمكّة. "فتهافتت الشياطين إلى مكّة حتّى وصلوا إلى النبيّ ﷺ، فوجدوا نورا يسطع من السماء له شعاع كلّما دنا شيطان منه أحرقه، فكانوا من يومئذ يفرّون ويفزعون من صورة النبيّ ﷺ، وكان لفزعه[4] أسلم شيطانه كما في الحديث. ومن ذلك ما قال الله تعالى: ﴿فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه [وقال إنّي بريء منكم، إنّي أرى ما لا ترون][5]﴾ (الأنفال؛ 48).

وقال بعض المفسّرين، إنّ الشيطان يومئذ لمّا ظهر في صورة سراقة [6]، رأى | |123 أشعّة تتطالع من وجه النبيّ ﷺ يحترق بها كل من لاقاه من الشياطين، فقال للحارث بن هشام [7]: ﴿إنّي أرى ما لا ترون.﴾ وهرب. وقيل إنّه رأى الملائكة محتفّين بالرسول عليه السلام على خيول بلق، فلهذا

---

[1] سقط "الثالث" من (ص).

[2] في (س) "النبي".

[3]البخاري، صحيح، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، حديث: 110؛ 6593؛ مسلم، صحيح، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ "من رآني في المنام فقد رآني"، حديث: 2266.

[4] في (ص) "وكالفزعة".

[5] ما بين المعقوفتين ليس في (س) ولا في (ع).

[6]الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 222؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8، ص 26.

[7]ورد اسمه هكذا في (ق) ولعلّه الحارث بن هشام. انظر الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 222-223.

المعنى قال النبيّ ﷺ: "فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي". وقوله: "فقد رآني" أي فقد رآني حقيقة، جسمي وروحي وصورتي معا، وذلك أنّ الأنبياء لا تبلى أجسادهم ولا تتغيّر صورهم، وهم في قبورهم يصلّون كما ورد [كذا] به الأحاديث[1].

فإنْ قيل: كيف يراه وهو بالمدينة وبينه وبين هذا الرائي مسافات بعيدة؟

الجواب [أنّه إذا][2] رآه في المنام فليس يراه بالعين التي في رأسه حتّى يجب الحضور، وإنّما يراه بالعين التي في باطنه، وتلك لا تستدعي حضور المرئيّ، بل يرى من المشرق إلى المغرب، ومن الأرض إلى العرش، وهل كان ذلك إلّا كما ترى الصور في المرآة المحاذية لها، وليست الصورة منتقلة إلى جرم المرآة، وعين الباطن في مقابلة جميع الكائنات كالمرآة.

فإن قيل: فما قولك فيما إذا رآه[3] خلق كثير[4] في حالة واحدة، فيرى بعضهم شيخا، ويراه[5] آخر شابا، ويراه[6] غيره ضاحكا، وواحدا يراه[7] باكيا، إلى غير ذلك؟

الجواب، هذه الاختلافات كلّها راجعة إلى الرائين لا المرئيّ ﷺ. ومثاله من قابل مرايا كثيرة مختلفة الأشكال والمقادير وجه إنسان، فيرى وجهه في المرآة الكبيرة[8] كبيرا، وفي الصغيرة صغيرا، وفي المعوجّة معوجّا[9]، وفي الطويلة طويلا، وفي المقعّرة مقعّرا إلى غير ذلك، فتكون الاختلافات راجعة [10] إلى اختلاف أشكال المرايا لا إلى وجه المرئيّ. كذلك الراؤون للنبيّ ﷺ أحوالهم بالنسبة إليه مختلفة، فمن رآه متبسّما إليه يدلّ على أنّ الرائي مستنّ بسنّته، آخذ بطريقته، ومن رآه غضبان دلّ على أنّ الرائي قد خالف قوله، وترك سنّته، [وإن رأى في عضو منه نقصانا

---

[1] في (س) "ورد في الحديث".

[2] ليس في (س).

[3] في (ق) "أراه".

[4] في (ص) "كبير".

[5] في (ص) "يريه".

[6] في (ص) "يريه".

[7] في (ص) "ويريه غيره".

[8] في (س) "الكثيرة".

[9] في (س) "معوجة".

[10] من هنا نستأنف المقارنة بين النسختين بعد النقص الذي شاب (ش).

يكون نقصان سنّته][1] بين أولئك القوم. وإنْ رآه في سلاح فنصرة دينه وهلاك عدوّه، إلى غير ذلك كما ذكر في كتب التعبير.

ومثال آخر وهو أنّ جماعة ينظرون خلف جامات من الزجاج ملوّنة[2] بألوان الحمرة، والصفرة، والخضرة، والبياض وغيرها، فوقع طائر أبيض [وراء الجامات، أليس أنّ أحدهم يراه أصفر، وآخر يراه أحمر، وآخر يراه كما هو أبيض؟][3] فتكون حينئذ تلك الاختلافات راجعة إلى الرائين لاختلاف مناظرهم لا إلى المرئيّ، كذلك ههنا. وإنّي لأرى جماعة من الحمقى إذا طرق سمعهم هذه الأمثال، ||124 اشمأزّت طباعهم من سماعها ويرونها بدعة شنعاء، وذلك جهل محض: ﴿يضاهون قول الذين كفروا من قبل﴾ (التوبة؛ 30)، حين ضرب الله الأمثال بالذباب[4] والعنكبوت[5] حتّى أنزل الله تعالى: ﴿إنّ الله لا يستحيي أنْ يضرب مثلا بعوضة فما فوقها﴾ (البقرة؛ 26). فالأمثال أعظم شيء في تفهيمات المعاني. يقال الأمثال مرائي القلوب، يعني أنّ عين القلب ترى في الأمثال من صور المعاني ما تراه عين الرأس في المرآة من صور الأجسام[6]. قال الله تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلّا العالمون﴾ (العنكبوت؛ 43). والكتب المنزّلة من السماء أكثرها أمثال مضروبة، وفي أحاديث نبيّنا ﷺ أمثال لا تحصى كقوله: "مثل المؤمن مثل النخلة"[7]؛ و"مثل أصحابي كالنجوم"[8]؛ و"مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح"[9] إلى غيرها.

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[2] في (ص) "متلونة".

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[4] سورة الحج، آية 73.

[5] سورة العنكبوت، آية 41. في (س) العنكبوت والذباب".

[6] في (ص) "الأشخاص".

[7] البيهقي، شعب الإيمان، ج 6، ص 504، حديث: 9072.

[8] ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم، ج 2، ص 926، حديث: 1760.

[9] القضاعي، مسند الشهاب، ج 2، ص 273-175، حديث: 1342؛1343؛1344؛ 1345.

واعلم أنّ الرائي بتلك الصور والأشكال المختلفة في نومه كان رائيا للنبيّ ﷺ حقيقة، فإنّ تلك الصور أمثلة له خياليّة، والمرئيّ بواسطتها هو حقيقته ﷺ. وهذا كما يقول الرجل رأيت وجهي في الماء، ومعلوم قطعا أنّ وجهه ليس منتقلا إلى الماء حتّى يراه، ولكنّ معناه رأيت حقيقة وجهي بواسطة مثاله في الماء، فيكون المثال واسطة لا يلتفت إليه، إذ لا حقيقة له [في نفسه][1] حتّى يكون مرئيّا لذاته، وإنّما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها، وذلك من عجائب قدرته التي تكلّ الأفهام عن دركها. ولا فرق بين أنْ تقول رأيت وجه صديقي بعيني وبين قولك رأيت وجه صديقي في الماء، إذ المرئيّ في الحالتين واحد. غير أنّ الله أجرى العادة أنّ من نظر في صقيل[2] كالماء والميناء والمرآة[3] يرى في ذلك الصقيل وجهه فيظنّ أنّ في ذلك الصقيل شيئا يراه هو مثالا لوجهه، وذلك خيال باطل لأنّ الصقيل في تلك الحال متلوّن بلونه الخاصّ به[4]، ولا يقوم لونان بمحلّ واحد في حالة واحدة، وهذا شرح أظنّه ما سبقني إليه أحد.

فعلى هذا من رأى النبيّ في نومه فقد رآه حقيقة بروحه وجسده، كما قال النبيّ ﷺ: "فقد رآني." كما أنّه رأى جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبيّ[5]، رآه حقيقة لا مثالا. هذا ما عندي من هذه المسألة. وكان حجّة الإسلام محمّد الغزالي رحمة الله عليه يقول في بعض فتاويه: "من رأى الرسول لم ير حقيقة شخصه المودع في روضة المدينة، وإنّما رأى مثاله لا شخصه." ثمّ قال: "وذلك المثال مثال روحه المقدّسة عن الصورة والشكل." وشبّه رؤية الله في المنام بذلك، ولا أدري ما أراد به، والله أعلم. ||125

---

[1] سقط من باقي النسخ عدا (ص) وورد في هامش (ش).

[2] في (ص) "صيقل" وقد استمر الناسخ على ضبطها هكذا.

[3] سقط من (ع) وفي (س) سقط "الماء والميناء والمرآة".

[4] سقط من (ص).

[5] سقط من (ص).

الفصل الرابع
في رؤية الله في المنام:

اعلم أنّ أكثر المتكلّمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله في المنام، واحتجاجهم في ذلك أنّ ما يُرى في المنام يكون مصوّرا لا محالة، ولا صورة للربّ تعالى، أو يُرى ذلك بواسطة مثال مناسب له، ولا مثل ولا مثال لله ربّ العالمين. قال الله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ (النحل؛ 74)، وقال: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى؛ 11)، وقال: ﴿ولم يكن له كفؤا أحد﴾ (الإخلاص؛ 4). قالوا: فمن رأى من ذلك شيئا[1] وتخيّل أنّه الإله فذلك من إراءة الشيطان وتخييله وإغوائه وتضليله، أو كان مشبّها يعتقده كذلك في اليقظة أيضا.

وقال بعضهم: يجوز أنْ يرى الله تعالى في المنام بغير صورة ومثال، وذلك أنّ النائم كما علم الله تعالى في يقظته، واعتقده من تعظيمه وجلاله وتنزيهه عن الأشباه والأمثال، وتقديسه عن الصور والأشكال، يجوز أنْ ينكشف في منامه معلومه ذلك على ما يعتقده من التقديس والاتصاف بالصمديّة والجلال من غير تشبيه ومثال، ويستيقن [في نفسه[2]] أنّه ربّه وإلهه، ولكن يكون مغلوبا مدهوشا في تلك الحالة، فإذا استيقظ عجز عن الحكاية عنه لما يلحقه من الحيرة والوله[3]، ويبقى معه أثر ذلك إمّا دهشة وإمّا بسطة.

وجوّز مشايخ السلف رؤية الله في المنام لما جاء من الأحاديث، وصحّ عن الثقات من الصحابة والتابعين بأنّهم رأوه في النوم.

---

[1] سقط من (س).

[2] ما بين المعقوفتين ليس في (س) ولا (ع)؛ وسقط "في" من (ص).

[3] في (ج) و(ق) "من الحيرة والوله". وفي (ص) " من الحكاية والوله والحيرة".

أمّا الأحاديث فمنها قول النبيّ ﷺ: "خير الرؤيا أن يرى العبد ربّه في منامه، أو يرى نبيّه، أو يرى أبويه إن كانا مسلمين"[1]، وقال ﷺ: "رأيت ربّي في أحسن صورة" الحديث[2]. وقال ابن سيرين: "من رأى ربّه في المنام دخل الجنّة"[3].

وأمّا رؤية الصالحين من السلف ربّهم تعالى، فمنهم رقبة[4] بن مصقلة[5] قال[6]: "رأيت ربّي في المنام فقال: وعزّتي لأكرمنّ مثوى سليمان التيميّ[7]".

ومنهم حمزة الزيّات المقرئ[8]، رأى الله في المنام فقال له: "اقرأ القرآن وارق بكل حرف درجة." فقرأ حمزة القرآن على ربّ العزّة فلمّا بلغ "وأنا اخترتك." في سورة طه، نادى: ﴿وأنا اخترناك﴾ (طه؛ 13)؛ ولمّا بلغ في سورة يس إلى قوله: ﴿تنزيلُ العزيز الرحيم﴾ (يس؛ 5)، قال: قل تنزيلَ العزيز[9] بالنصب، إنّي نزّلته تنزيلا".

---

[1] هذا الأثر من قول أبي بكر الصديق كما جاء في كتاب السنة لابن أبي عاصم، تحقيق باسم بن فيصل الجوابرة، الرياض، دار الصميعي، 1419هـ/ 1998م، ج 1، ص 342، رقم: 498، ولفظه: "أفضل ما يرى أحدكم في منامه أن يرى ربه، أو يرى نبيه، أو يرى والديه ماتا على الإسلام."

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 34، ص 458.

[3] أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 2، ص 276.

[4] في (ص) "رقية".

[5] في (س) معقلة". أبو عبد الله رقبة بن مصقلة بن عبد الله بن خوتعة بن صبرة العبدي الكوفي، إمام ثبت عالم روى عن الصحابي أنس بن مالك وغيره. الذهبي، سير، ج 6، ص 156.

[6] الترمذي، نوادر الأصول، ط 2، ص 449؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 3، ص 32.

[7] سليمان بن طرخان، شيخ الإسلام أبو المعتمر التيمي البصري، نزل في بني تيم فقيل التيمي، هو من حفاظ البصرة، توفي سنة 143هـ/ 761م. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 3، ص 27- 37، رقم: 203؛ الذهبي، سير، ج 6، ص 195-202.

[8] أبو عمّار حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي. لقّب بالزيّات لأنّه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، أحد القراء السبعة، وعنه أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة، وأخذ هو عن الأعمش. توفي سنة 156هـ/ 774م بحلوان وعمره 76 سنة. ابن قتيبة، المعارف، ص 529؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 216، رقم: 208؛ الذهبي، سير، ج 7، ص 90-92.

[9] ليس في (ش) ولا في (ص).

ورآه أبو بكر الآجرّي [1] من المشايخ فقال له: "سل حاجتك." فقال: "اللهم[2] اغفر لجميع عصاة أمّة أحمد[3]." فقال له: "أنا أولى بهذا منك، سل حاجتك".

وقال أبو يزيد البسطامي[4] رحمة الله عليه: "رأيت ربّي في المنام فقلت له: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك ||126 وتعال".

ورأى أحمد بن خضرويه[5] الربّ في المنام، قال له: "يا أحمد، كلّ الناس يطلبون منّي إلّا أبا يزيد فإنّه يطلبني".

وقال يحيى بن سعيد القطّان[6]: "رأيت في المنام ربّي فقلت يا ربّ، كم أدعوك فلا تستجيب لي." قال: "إنّي أحبّ أنْ أسمع صوتك".

وكان شاه الكرمانيّ[7] تعوّد السهر فغلبه النوم مرّة فرأى الله تعالى في المنام، فكان بعد ذلك يتكلّف النوم، فقيل له[8] في ذلك فقال (شعر):

رأيت سرور قلبي في منامي ... فأحببت التنعّس والمناما[9]

---

[1] أبو بكر محمّد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، نسبة إلى قرية من قرى بغداد يقال لها (الآجُرّ)، كان الآجري من المحدّثين، حدث ببغداد قبل سنة (330 هـ/ 941م)، ثم انتقل حاجًا إلى مكّة فأعجبته، فقيل "إنّه سأل الله أن يرزقه الإقامة بها، فأقام بمكة مجاورا ثلاثين عاما حتّى كانت وفاته بها سنة 360هـ/ 971م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4، ص 292- 293، رقم: 623؛ الذهبي، سير، ج 16، ص 133-136.

[2] ليس في (ق).

[3] في (ص) "عصاة محمّد".

[4] أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي، سبقت ترجمته.

[5] أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، من كبار مشايخ خراسان، وصفه الذهبي بـ "الزاهد الكبير الربّاني الشهير،" صحب أبا تراب النخشبي، وحاتماً الأصمّ، ورحل إلى أبي يزيد البسطامي، توفي سنة 240 هـ/ 854م. السلمي، طبقات الصوفية، 103-106؛ الذهبي، سير، ج 11، ص 487-489.

[6] يحيى بن سعيد بن فروخ، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري، الأحول، القطان، الحافظ، الإمام الكبير، أمير المؤمنين في الحديث، هو أجلّ أصحاب مالك بالبصرة، وكان الثوري يتعجّب من حفظه، واحتجّ به الأئمة كلّهم، وقالوا: من ترك يحيى تركناه. توفي سنة 198هـ/ 813م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 103-106؛ الذهبي، سير، ج 9، ص 176.

[7] أبو الفوارس الكرماني شاه بن شجاع، كان من أبناء الملوك، وتشمّر للسلوك، صحب أبا تراب النخشبي، وأبا عبيد البسري، كان ظريفا في الفتوّة عريفا في المروءة. السلمي، طبقات الصوفية، ص 192-194؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 10، ص 237-238.

[8] سقط من (س) و(ع).

[9] في (ح) "والمنايا" وفي (س) "والمنامات".

أمّا وجه جواز رؤية الله في النوم، وبيان حقيقة ذلك فما قال الإمام أبو عبد الله محمّد بن عليّ الترمذيّ رحمه الله وهو من العلماء بالحقائق، المكاشف بصحبة الخضر صلوات الله عليه، وقوله حجّة في مثل هذه الغوامض، وهو قوله: "إنّ أصل هذا أنّ الإنسان فيه نفس وروح، وقد ركبّ فيهما الحياة[1]، فالنفس مسكنها[2] الرئة في الجوف ومنها النَّفَس، وقد قرن بها الهوى، والروح مسكنها في الرأس وقد قرن بها العقل والحفظ؛ ثمّ إنّ النفس والروح منبثّان[3] منتشران في جميع الجسد يفيدان الحياة له بمجاورتهما، فإذا جاءه النوم ولج في الأذن فمرّ في الحسّ حتّى ينزل الصدر، فإذا التقيا على القلب في الصدر خرجت النفس من أصلها مع الروح خروج انتشار متّصل أصلها بالجسد، فساح في العالم والملكوت الأعلى، وقد وكّل بالرؤيا ملك ينظر في أمّ الكتاب، ويرفع منه قصص الآدميين فيضرب لكلّ شيء مثلا بالحكمة، فيريه مثال ذلك الشيء من طريق الحكمة، فتراه[4] النفس وتؤدّيه [إلى العقل][5]، هذه هي الرؤيا." قال[6]: "ولا يكون ذلك برؤية العين في الرأس، ولا رؤية القلب، إذ عيناهما قد شملهما النوم، والنوم أخو الموت. والدليل على أنّ عين القلب نائمة[7] قول النبي ﷺ: "تنام عيناي ولا ينام قلبي."[8] قال: " ولو لم ينم قلوب غيره لم يجب عليهم الوضوء. وكان ﷺ لا يتوضّأ من النوم"[9]. هذا قوله فتأمّل، [ولا أدري][10] ما مستنده عنده. غير أنّي أرى المشايخ قد وصفوه بالعلم، والحكمة، والزهد، والديانة، والتقدّم في الطريقة، فلا أظنّه مجازفا في ذلك، والله أعلم.

---

[1] سقط من (س). وفي (ح) "منهما الحياة".

[2] في (ص) "مسكنه".

[3] سقط من (س).

[4] في (ص) "فيريه".

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (ح و(س) و(ع).

[6] سقط من (ص).

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[8] البخاري، صحيح، كتاب صلاة التراويح، باب من قام رمضان، حديث: 1909، مسلم، صحيح، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ ...، حديث: 738؛ الكلاباذي، معاني الأخبار، ص 299.

[9] البخاري، صحيح، كتاب العلم، باب السمر في العلم، حديث: 117، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء حديث: 138.

[10] سقط من (ق).

وأنا أقول: إنّ الإشكال فيها أنّ ما يراه[1] النائم يكون له صورة ومثال، كما ذكرنا[2] في رؤية الرسول ﷺ، فإنّه لمّا كان له صورة ومثال، جاز أن تحاكي تلك الرؤيا شخصه بمثال يناسبه. والربّ جلّ جلاله لا مثال له ولا شبه ولا صورة حتّى يأخذ الملك ذلك بمثال يناسبه، فيلقيه[3] إلى النفس الصاعدة التي ذكرها الترمذي رحمه الله تعالى[4]، | |127 تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.

والتخلّص عن هذه[5] الشبهة المشكلة هو أنْ تعلم أنّ هذه إنّما وقعت من توهّم أنّ كلّ ما لا صورة له ولا شخص له لا يصحّ أن يمثّل له مثال فيرى في المنام، وهذا خطأ، لأنّ كثيرا من الأشياء التي لا أشخاص لها ولا صورة، ومع ذلك يصحّ رؤيتها في المنام بأمثلة تناسبها بأدنى معنى، لا يوجب التشبيه والتمثيل مطلقا. وهي كالمعاني المجرّدة مثل الإيمان، والكفر، والشرف، والبخت، والقرآن، والهدى، والضلالة، والحياة وغيرها، وهي أكثر من أنْ تحصى. أمّا الإيمان فمثل رؤيا النبيّ ﷺ قال: "رأيت الناس في المنام فيعرضون منهم من قميصه إلى كعبه، ومنهم من قميصه إلى أنصاف ساقيه، فجاء عمر وهو يجرّ قميصه." فقيل: "يا رسول الله على ما أوّلت؟" قال: "الإيمان"[6]. فالإيمان لا شكل له ولا صورة، ولكن جعل القميص له مثالا فرئي بواسطته. وكذلك الكفر[7] يمثّل في النوم بالظلمة، وكذلك[8] الشرف والعزّ بصورة الفرس، والبخت بصورة الحمار،

---

[1] في (ص) "يريه".

[2] في (ص) "ذكرناه".

[3] في (ص) "يلقنه".

[4] هامش أسفل الورقة من (ق) (... فتأمّل تأدّبهم في وقتهم وتورّعهم في عقيدتهم.... كيف كانوا يتوقّفون في هذه المسألة التي يعرفها الأئمّة. وأدنى مريد إذا سألته يقول: إنّ الله تبارك وتعالى يتجلّى لعباده في أيّ شيء شاء كما تجلّى لموسى في الشجرة وفي النار. وأمّا قوله أو حلّه الرموز رضي الله عنه فهو غامض جدا (هامش اليمين) لأنه يقول ما عنده مكاشفة، ولا يقدر على التصريح. وسئل عنه قطب العربي رضي الله عنه...)

[5] في (س) "ذلك".

[6] كلّ من أخرج هذا الحديث رواه بالدين عوض كلمة إيمان، انظر على سبيل المثال البخاري، صحيح، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، حديث: 23؛ كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، حديث: 3488؛ كتاب التعبير، باب القميص في التعبير، حديث: 6606.

[7] سقط من (ج).

[8] في (ش) و(ق) "وكذا".

ويمثّل القرآن باللؤلؤ، ويمثّل الهدى بالنور، والضلال بالعمى. ولا شكّ أنّ بين هذه الأشياء مضاهاة لتلك المعاني المرئية[1]. وموضع الغلط في ذلك هو الظنّ بأنّ المَثَل بالفتحتين كالمِثْل بكسر الميم وسكون الثاء، وهو خطأ فاحش، لأنّ المِثْل بالسكون يستدعي المساواة[2] في جميع صفات النفس كالسوادين والجوهرين، ويقوم كلّ واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كلّ حال، بخلاف[3] المَثَل بالفتحتين فإنّه لا يشترط فيه المُماثَلَة في كلّ شيء، وإنّما يستعمل فيما يشاركه بأدنى وصف. أليس الله تعالى يقول: ﴿إنّما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾ (يونس؛ 24). ألا ترى أنّ الحياة لا صورة لها ولا شكل، والماء ذو شكل وصورة، وقد مثّل الله تعالى به الحياة. وكذلك قوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ (النور؛ 35). وفي الحديث: "إنّ البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان أو غيابتان"، شبّههما بالغمامة ولا صورة لهما. فعلى هذا لا مِثل لله تعالى[4] "ولكن: ﴿له المثل الأعلى في السماوات والأرض﴾ (الروم؛ 37). فلذلك جوّز الأكثرون من المشايخ المتقدّمين أنْ تتجلّى ذات الله، [تعالى وتقدّس][5] عن الصور والأشكال، لعبده بمثال، والمثال والمَثَل بالفتحتين واحد، فيراه العبد في منامه بواسطة ذلك المثال الذي يليق به، يكون نورا أو صورة جميلة صادقة في التعريف بما فيه من مناسبة الصفات العلى[6] من العظمة، والجلال، والقدرة، والقدس، والرحمة، واللطف، التي هي المثل الأعلى في القرآن. والمرئيّ من ذلك ذاته[7] جلّ جلاله، || 128منزهّة[8] عن اللون والشكل والصورة، تعالى عنها[9] علوّا كبيرا. فيكون تجلّيه في ذلك المثال كتفهّم[10] كلامه القديم المنزّه

[1] فيفي (ج) "المرسة" وفي (ص) "المرتبة". وفي (ق) "المرتية".

[2] في (ص) "المساراة".

[3] في (ص) "حال خلا".

[4]ورد في هامش (ش) الآية التالية: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى؛ 11).

[5] ليس في (س).

[6] في (ش) "صفات العلى".

[7] سقط من (ص).

[8] في (ص) "منزها".

[9] سقط من (ص).

[10] في (ق) و(ص) "لتفهم".

عن الحرف والصوت بواسطة الحروف والأصوات، فكما أنّ الكلام الأزليّ[1] منزّه عن الحرف والصوت، والحرف والصوت حادثان، ويفهم بواسطتهما كلام القديم، كذلك يجوز أنْ يكون ذاته الأزليّة المنزّهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بأدنى معنى، فيكون كالمثل المذكور في القرآن ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ (النور؛ 35)؛ لا كالمِثْل الذي يوجب المماثلة من كلّ وجه [والله أعلم][2].

أمّا إذا رآه[3] في صورة لا تناسب جلال الصمديّة في معنى ما، فالرائي ممّن أوثغ[4] دينه، وعبث به الشيطان.

فإنْ قيل: إنّ رائي الله تعالى كما هو بذاته المقدّسة جلّ جلاله، فلا مثْل له ولا مثال، والنائم لا يرى الشيء في منامه إلّا بصورة ومثال، وإنْ رآه بمثال وصورة، فينبغي[5] أنْ يكون معتقدا أنّه رأى ذلك المثال فقط، ولا يدري أنّه رأى الله تعالى حتّى يخبره المعبّر أنّ من رأى هذا فقد رأى الله، كما أنّه إذا رأى الجواهر مثلا يعتقد أنّه رآها بعينها حتّى يخبره[6] المعبّر أنّ الذي رأيته هو[7] الحكم والعلوم، وكذلك إذا رأى الكعبة يظنّ أنّه رآها بعينها حتّى يقول المعبّر إنّك ترى[8] الإمام الأعظم، كذلك ههنا. وليس الأمر هكذا، فإنّ الرائي لله تعالى يعلم قطعا أنّه رأى الله من غير إعلام معبّر وتأويل مؤوّل.

الجواب أنّ الله سبحانه إذا تجلّى بذاته المقدّسة للعبد في منامه، فالروح يعرفه بالفطرة الأوليّة أنّه هو الإله الحقّ، بخلاف سائر رؤياه المحتاجة إلى التعبير. والنفس بآلاتها الخياليّة لا تستطيع رؤية

---

[1] سقط من (ش) آخر الباب الثاني والعشرين وقسم من بداية الباب الثالث والعشرين.

[2] زيادة من (ص).

[3] في (ق) "أراه".

[4] في (س) "أوقع" وفي ص "أولغ" وفي (ق) "أوقع".

[5] في (ص) "فيبقى".

[6] في (ص) "يخبر".

[7] سقط من (ص).

[8] في (ص) "رأيت".

من لا صورة له فتتصوّره بوسائط وأمثلة، ثمّ تذهب الأمثلة هباء[1] كالزبد يذهب جفاء ويبقى معها رؤية الله حقّا، كما أنّ كلام القديم يتعلّم بأمثلة الحروف في اللوح، ثمّ تمحي اللوح ويبقى القرآن في الحفظ والله أعلم.

هذا آخر ما رأيناه في هذه المسألة، ولم أر أحدا أنهاه إلى هذا[2] الاستقصاء، وبالله العون والتوفيق.

مناجاة[3]:

سبحان طارد اليقظة بالنوم، طرد الشبيبة[4] بالشيب، وجاعل الرؤيا روزنه[5] إلى عالم الغيب، وأعطاها من القوّة ما بلغت بها جزء من النبوّة. فالنائم جثّته في الأرض ملقاة، وصدره للملكوت مرآة، تتجلّى فيها غرائب الغيوب في كسوة المثال، بواسطة الخيال، فيراها حالا بعد حال، والشياطين في طريقه يزوّقون الأباطيل، ويعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل.

إلهي، أعذنا من سوء الأحلام[6]، وتخاييل الشياطين، وأرنا في منامنا من التباشير || 131 والمبشّرات الحسان.

إلهي، أنمنا عن يقظة الشهوات، وأيقظنا عن نومة الغفلات، يا من جعل الدنيا نومة، والآخرة يقظة، وجعل لذات النفس لحظة، يا حيّ يا قيّوم، يا من لا تأخذه سنة ولا نوم[7].

---

[1] في (ص) "بنباء" وفي (ق) "ههنا".

[2] في (ق) "هذه".

[3] في (ج) "المناجات".

[4] في (ج) "النسبية" وفي (س) "الشبيه" وفي (ع) "الشيبة"

[5] في (ج) "رؤية".

[6] في (ص) "الأعلام".

[7] بهامش هذه المناجاة حاشية مبتورة الأول ولم نستطع قراءة إلّا بعض كلماتها (التعبد وإظهار الافتقار [...] والإنابة إلى الله أوّلا).

الباب الثالث والعشرون[1]

في استجابة الدعاء

اعلم أنّ من المشكل أنّ الله تعالى أمر عباده بالدعاء مع علمه السابق أنّ الحكم الأزليّ والقضاء الأوليّ لا يتبدّل ولا يتغيّر، وفي ذلك تحيّرت أئمّة الأمّة، فقال بعضهم: الدعاء عبادة فيجب الإتيان به، وإنّما يُستجاب من الدعاء ما وافق القضاء[2]. وقال بعضهم: الأقضية [على نوعين][3]، مطلقة، ومقيّدة، فالمطلقة ما لم تكن مشروطة بشرط وذلك واقع لا محالة، والمقيّدة ما كان مشروطا معلّقا بشرط كالدعاء، والصدقة، وصلة الرحم، فإنْ وقع الشرط وقع القضاء، {[وإلّا فلا وقال آخرون الدعاء لا أثر لع في تبديل القضاء أصلا][4]. وإنما هو أمر بنوع من العبادات][5]. وسكت جماعة من المشايخ الكبار عن الدعاء وقالوا: ما لنا والتصرّف في إجراء حكم الله على عباده وتدابيره في مملكته.

واعلم أنّ حقيقة هذه المسألة إنّما تظهر بمعرفة أصول أربعة:

الأول[6]: أنّ أحكام الله وقضاياه في سابق علمه وكتابه الأوّل لا تتغيّر ولا تتبدّل أصلا كما قال: ﴿ما يبدّل القول لديّ﴾ (ق؛ 29)؛ ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ (يونس؛ 64)؛ ﴿لا معقّب لحكمه﴾ (الرعد؛ 41)؛ ﴿ولكن حقّ القول منّي﴾ (السجدة؛ 13)؛ ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ (الصافّات؛ 171)، إلى غير ذلك.

---

[1] الرابع والعشرون في (س).

[2] سقط من (ق).

[3] في (ص) "غير عين".

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[5] سقط ما بين القوسين المزهرين من (ق).

[6] في (ق) "الأصل الأول".

والأصل[1] الثاني: أنّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالدعاء في مواضع نحو قوله: ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ (غافر؛ 60)؛ ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ (غافر؛ 14)؛ ﴿ادعوا ربّكم تضرّعا وخفية﴾ (الأعراف؛ 55)، وعلّمنا ذلك فقال: ﴿لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا﴾ (البقرة؛ 286)، إلى آخر السورة، ﴿ربّنا لا تزغ قلوبنا﴾ الآية (آل عمران؛ 8)؛ ﴿ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾[2] (آل عمران؛ 193)، إلى غير[3] ذلك من آيات كثيرة. فمِن الجملة علمنا أنّ الدعاء من قبيل العبادات، وقد صرّح النبيّ ﷺ بقوله[4]: "الدعاء هو العبادة."[5] و " الدعاء مخّ العبادة "[6].

والأصل[7] الثالث: أنْ تعلم أنّ الله تعالى قد أعدّ بين القضاء والمقضيِّ عليه[8] أسبابا جمّة مترتّبا بعضها على بعض، منها خافيّة ومنها بادية، وهنّ لوقوع القضاء كوجود الشرط لوجود المشروط. فالدعاء إذن سبب من تلك الأسباب كالسلاح سبب لدفع الخصم، قال الله تعالى: "وليأخذوا أسلحتهم."[9] النساء؛102). وقال النبيّ ﷺ: "الدعاء سلاح المؤمن"[10]. وبيانه[11] أنّ ربط الأسباب بالمسبّبات هو القدر[12] الأوّل، وهو كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسبّبات على تفاصيل[13] الأسباب على التدريج في التقدير الأوّل هو القضاء، والذي قدّر الخير قدّره بسبب،

---

[1] سقط من (س).

[2] في (ق) "ربنا واغفر لنا" ولا وجود لآية بـ "واغفر".

[3] سقط من (ق).

[4] في (ص) "يقول".

[5] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 5، ص 456، كتاب الدعاء، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث: 3372؛ القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 52، حديث: 29.

[6] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 5، ص 456، كتاب الدعاء، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث: 3371.

[7] سقط من (س).

[8] سقط من (ق).

[9] وخذوا أسلحتكم". في (ق) "

[10] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 117، حديث: 143.

[11] في (ص) "وشأنه".

[12] في (ج) "القدرة".

[13] في (ق) "تفصيل".

والذي قدّر الشرّ قدّره بسبب، ثمّ قدّر أيضا لدفعها سببا آخر[1]، فلا تناقض في هذه الأمور. وروي أن[2] النبيّ ﷺ كان إذا مرّ بصدف[3] مائل ||130أسرع المشي، فقيل له: "يا رسول الله تفرّ من قضاء الله؟" قال: " أفرّ من قضائه إلى قدره"[4]. وقال أهل العربيّة: "القدر[5] تقدير الله الأمور كلّها أوّل مرّة". ثمّ قضاها وفصلها. وآثار كسب العباد واختيارهم تظهر في هذا الفصل، والأوامر والنواهي الشرعيّة تتوجّه إليهما لا إلى القدر الأوّل، ولولا ذلك[6] لانسدّ باب دعوة الأنبياء عليهم السلام، وقد استوفينا القول في بابه، والإشكال في باب الدعاء إنّما وقع لإهمال هذا الأصل فاعلم.

الأصل[7] الرابع: أنّ لهمم[8] النفوس الزكيّة، وصفاء القلب السليم، والإلحاح في الدعاء، والتضرّع إلى الله تعالى عن صدق النية، وإخلاص الطويّة، آثارا عظيمة في أسباب الملك والملكوت، فإنّها إذا توجّهت خالصة إلى أمر من الأمور المقضيّة زعزعت أسبابه، وشوّشت شروطه، لأنّ مطارها فوق مطار[9] الأفلاك[10] بكثير. فربّما يقف ذلك الأمر معلّقا دون الوصول إلى المقضيّ عليه، وذلك أنّ الأسباب السماويّة والأرضيّة جميعا سخّرها الله تعالى لسرّ[11] المؤمن المخلص فقال الله تعالى: ﴿وسخّر لكم [ما في السماوات][12] والأرض جميعا منه﴾ (الجاثية؛ **13**)؛ ﴿وسخّر لكم

---

[1] في (ص) "سببا آخر لدفعها".

[2] في (ق) "عن".

[3] في (ص) "هدف".

[4] بدر الدين العيني، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تحقيق ياسر بن إبراهيم أبو تميم، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1429هـ/ 2008م، ج 14، ص 100، حيث نسب هذا الكلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[5] بعد هذا النقص الذي شاب (ش) نستأنف المقارنة بينها وبين باقي النسخ.

[6] في (ص) "ولولاهما"

[7] سقط من (س).

[8] في (س) و(ع) "همم".

[9] في (ص) "مدار".

[10] في (س) "الأفكار".

[11] في صويا "لشرف".

[12] ليس في (س) واستدرك بهامش (ع).

الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار﴾ (إبراهيم؛ **33**)، وفي ذلك مقام كرامات الأولياء، وإليه الإشارة النبويّة بقوله: "ينزل القضاء ويصعد الدعاء فيعتلجان في الهواء حتّى يموت صاحبه"[1]. وقال: "لا يردّ القضاء إلّا الدعاء".[2] وجاء في بعض الكتب القديمة: "ازدحام الأصوات في بيوت العبادات بصفاء النيّات[3] يحلّ ما عقدته الأفلاك الجاريات". ليست الأفلاك تعقد بنفسها شيئا وإنّما هي عبارة عن القضاء النازل المارّ بها. وقال ﷺ: "صلة الرّحم تزيد في العمر." [4] وقال: "الصدقة تردّ البلاء، وصدقة السرّ تطفئ غضب الربّ تعالى."[5] وقال: "داووا مرضاكم بالصدقة، وأعدّوا للبلاء الدعاء"[6].

فإذا عرفت هذه الأصول الأربعة، فاعلم أنّ القضاء الأصليّ والحكم الأوليّ لا يتغيّر البتّة كما قال تعالى: ﴿لا معقب لحكمه﴾ (الرعد؛ 41). وهو المعبّر عنه بقوله: ﴿وعنده أمّ الكتاب﴾ (الرعد؛ 39)، وقوله: ﴿حتما مقضيّا﴾ (مريم؛ 71).

فأمّا [القضاء الذي][7] هو يندفع بالدعاء والصدقة فهو الذي يدخله المحو والإثبات في قوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبّت﴾ (الرعد؛ 39)، وهو المعبّر عنه: ﴿ثمّ قضى أجلا﴾ (الأنعام؛ 2). وهذان القضاءان سمّاهما أهل الأصول مطلقا ومقيّدا. فالدعاء، والصدقة، وصلة الرحم وغيرها لا تؤثّر في أصل القضاء المبرم البتّة، وإنّما تؤثّر في بعض شرائطه حتّى تزيلها من الوسط فلا يصل القضاء[8] إلى المقضيّ. فإذن القضاء الأوّل مثل نفوذ السهم من القوس إلى جهة المرمِيّ، والدعاء مثل الترس والدرع المعترضين الحائلين[9] بين وقع السهم والمرمِيّ، فيقف السهم | |131 هناك

[1] القضاعي، مسند الشهاب، ج 2، ص 49-50، حديث: 859؛ 861.

[2] القضاعي، مسند الشهاب، ج 2، ص 37-36، حديث: 832-833.

[3] في (ص) "النبات".

[4] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 93، حديث: 100.

[5] انظر ابن الجوزي، البرّ والصلة، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، بيروت، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، 1413هـ/ 1993م. الباب السابع والأربعون في ذكر ما تدفع الصدقة من البلاء، ص 215-220.

[6] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 401، حديث: 691.

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(س) (ع) و(ق) واستدرك في هامش (ش).

[8] في (ص) "القضاء حينئذ".

[9] هنا نتوقّف عن المقارنة بين (ش) وباقي النسخ لسقط أخل بها.

ولا يصل إليه. ولهذا قال النبيّ ﷺ: "الدعاء سلاح المؤمن"[1]. وقد علمت أنّ الترس والدرع ما ردّا السهم إلى القوس، إذ[2] لم ينقلب سهم إلى قوس مرتمي، وإنّما ردّ[3] وصول السهم إلى شخصه. ونظيره إذا جاء الشتاء وبرد الهواء، فالناس يفزعون إلى إعداد الفراء، وإيقاد الصلاء، مع أن الفراء والصلاء لا يردّان البرد إلى السماء ولكنّهما يردّان وصوله[4] إلى أبدان الناس. فكذلك الحكم في الدعاء والقضاء، وإنّما الفرق بينهما أنّ أسباب السهم والبرد محسوسة ظاهرة بادية، وأسباب القضاء باطنة[5] مستترة عن أعيننا خافية[6] حتّى لو انكشف تلك الأسباب المعدة في الأقضيّة لم تشكل عليك[7] المسألة.

ولقد سمعت أنّ بعض العلماء قال: كنت متحيّرا في هذه المسألة مدّة فبينا أنا ذات يوم في بعض الطواحين أتأمّل في استدارة الرحى، وتركيب أسباب دورها من الماء، والناعور[8]، والقطب، والأجنحة، والحجرين الثقيلين، وانطباق أحدهما على الأخر، ولهوتها التي تلتقم الحبّ وهي تدور كلمح البصر ولمع البرق، وتدقّ الحبّات دقّا، والحبّات دائمة الانحدار من المشعب[9]، منكسة رؤوسها، مضطرّة إلى التساقط، ومن التساقط إلى التكسّر، [ومن التكسّر][10] إلى الدفع إلى جوانب الرحى منبثّة متطايرة، وكان كلّ ذلك لتركيب تلك الأسباب بعضها على بعض. فبينا أنا في هذه الفكرة، إذ جاء الطحّان وقلع خشبة دقيقة من وسط الرحى، وهي التي كانت تستنزل الحبّ باضطرابها[11]، فإذا قد بقيت الحبوب ساكنة في مكانها [سالمة من الدق والكسر والرحى تدور

---

[1] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 116-117، حديث: 143.

[2] في (ص) "إذا".

[3] في (ص) "ردوا".

[4] في باقي النسخ عدا (ص) "وصولهما".

[5] سقط من (ص).

[6] زيادة من (ص).

[7] في (ق) "عليه".

[8] في (ص) "والماعون".

[9] في (ق) من "المثقب".

[10] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[11] في (ص) " يستنزل الحبّ اضطرابها".

كما كانت فعلمت أن برفع بعض الأسباب يندفع الحكم][1] المحكوم عليه من غير تبديل أصل الحكم".

فإن قيل: فلم لا يستجاب بعض الأدعيّة وقد وعد الله بالاستجابة بقوله: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ (غافر؛ 60)، ووعده صدق كما قال: ﴿لا يخلف الله وعده﴾ (الروم؛ 6)؟

الجواب: إنّما لا يستجاب بعض الأدعيّة لأنّ الداعي قد أخلّ ببعض أركانه، أو ترك بعض شروطه. فقد ذكرنا أنّ للدعاء المستجاب أسبابا وشرائط وهي كثيرة:

منها ما يُترصّد له الأوقات الشريفة كيوم عرفة، ويوم الجمعة، ووقت الأسحار، والدعاء بين الأذان والإقامة وغيرها من الأوقات المختارة في كتب الأئمّة. وقرأت في بعض الكتب: "اغتنموا الدعاء في الربيع عند أصوات الخطاطيف، وفي الصيف عند أصوات الشقراق، وفي الخريف عند أصوات الكراكي، وفي الشتاء عند أصوات القنابر".

ومنها أن يكرّره أفرادا مثل ثلاث مرّات، أو خمس مرّات، أو سبع مرّات، فإنّ الله تعالى وتر يحبّ الوتر[2]. ||132 وللسبعين والأربعين اختصاصات عجيبة فعليك بهما. روي أنّ رجلا تبع النبيّ ﷺ فقال له: "علّمني دعاء لا يردّ" فقال له: "قل اللّهم إنّي أسألك باسمك المخزون الأعلى الأعزّ الأعظم وكرّر سبعين مرّة"[3].

ومنها أنْ يغتنم فيها أحوال الرقة في الأمور العظيمة نحو زحف الصفوف في الغزوات، ووقت نزول الغيث، فإنّ أبواب السماء حينئذ مفتوحة، قال الله تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ (القمر؛ 11)؛ وعند ختمات القرآن، فقد قال ﷺ: "عند ختمه دعوة مستجابة"[4]. ومنها دعاء

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من (ق).

(2) حديث رواه الترمذي، الجامع الصحيح، ج 2، ص 316، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، حديث: 453.

(3) لم نعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ ولكن هناك أحاديث أغلبها مرفوع، وآثار تنسب لعليّ بن أبي طالب وغيره قريبة معنى ولفظا من هذا الأثر، ولكن دون لفظة وكرر سبعين مرّة. منها ما ذكر الرافعي في التدوين، "عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: إنّ يوشع بن نون دعا ربّه: "اللهم إنّي أسألك باسمك الزكي الطاهر المطهّر المقدس المخزون الرحيم الصادق، عالم الغيب والشهادة، بديع السموات والأرض ونورهن وقيمهن، ذي الجلال والإكرام، حنان جبار نور قدوس حي لا يموت. قال: هذا ما دعاه به فحبست الشمس ". التدوين في أخبار قزوين، ج 4، 65. وانظر أيضا ابن أبي الدنيا، *كتاب المنامات*، ص 96، أثر 139.

(4) البيهقي، *شعب الإيمان*، ج 2، ص 374، حديث: 2086؛ 2087.

المضطرّ، ودعاء الوالد، ودعاء المسافر[1]، ويتحرّى الأوقات التي ترقّ فيها القلوب نحو ازدحام الأصوات في التلبيّة، وعند المزدلفة، والمواقف الشريفة في الحجّ، وعند اجتماع الهمم، وحالة السجود والبكاء، فقد قال النبيّ ﷺ: "اغتنموا الدعاء عند الرقّة فإنّها رحمة"[2].

ومنها أنْ يستقبل القبلة، ويرفع يديه إلى بياض إبطيه إعلاما بشدّة الرغبة، وقد جاء في الحديث: "إذا سألتم الله فاسألوه بباطن الكفّين، وإذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرها"[3]. [وأنْ يشير بالمسبحة إعلاما للحضور والمشاهدة والتعظيم، وأنْ يرفع بصره إلى السماء فإنّها قبلة الدعاء، ويخفض صوته إعلاما بالتذلّل والخشوع، وينادي خفيّا، ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ (مريم؛ 3)، إعلاما للتخشّع وانكسار القلب،][4] وأنْ يلحّ بالدعاء إعلاما لصدق الرغبة وتحقيق الاستجابة. قال النبيّ ﷺ: "إنّ الله يحبّ الملحّين في الدعاء."[5] ويقال: هيئات الدعاء خمسة: تضرّع، وابتهال، وتبتّل، ورهبة، ورغبة. قال الصادق: "التضرّع تحريك الأصابع يمينا وشمالا، والابتهال جري الدموع، والتبتّل رفع السبّابة والرغبة[6] إبراز وباطن الكفّ إلى السماء، والرهبة إبراز ظاهرها إلى السماء". وفي بعض التفاسير ﴿فما استكانوا لربّهم وما يتضرّعون﴾ (المؤمنون؛ 76)، أي ما دعوا، ولا رفعوا أيديهم إليه، ولا بسطوا راحتهم، ولا حرّكوا أصابعهم". قال بعض المشايخ: "إنّي لأعلم متى استجاب الله دعائي." فقيل له: "ومن أين تعلم؟" قال: "إذا اقشعّر جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عيناي، فتلك علامة الاستجابة"[7]. [وختم الدعاء بكلمة آمين موافقة لتأمين الملائكة موجب للاستجابة، فإنّ آمين][8] أمان من الردّ ودرفة الدعاء[1] إلى موضع الاستجابة.

---

[1] في (س) زيادة "ودعاء المظلوم".

[2] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 402، حديث: 692.

[3] أبو داود، سنن، تحقيق محمّد عبد العزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1416هـ/ 1996م، ج 1، ص 438، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث: 1486.

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع).

[5] أخرجه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول، ج 4، ص 259، رقم: 949.

[6] سقط من (ق).

[7] الترمذي، نوادر الأصول، ج 2، ص 403، أثر: 458؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 2، 324؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج 2، ص 51، أثر: 1139.

[8] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

ومنها أنْ يدعو الله بأحسن[2] أسمائه نحو يا الله، يا رحمن، يا ربّ يا رؤوف، يا كريم، يا عظيم، يا حيّ يا قيّوم، وأن يتوسّل ||133 في كلّ حاجة باسم يوافق حاجته مثل إنْ كانت مسألته الرحمة والمغفرة يقول: يا رحمن يا رحيم، يا غفّار يا غفور؛ وإنْ كانت المسألة الزيادة في الرزق: يا رزّاق، يا وهّاب، يا منعم، يا معطي؛ وإنْ كانت المسألة للإنقاذ من الهلكة: يا مغيث، يا منجي، يا كاشف البلوى؛ وإنْ كانت لشفاء مريض: يا شافي، يا كافي، يا معافي.

ومنها [3] أنْ يوقن بالإجابة ويتحقّقها علما منه بأنّ الله لا يعجزه شيء، بيده ناصية الخلق من العرش إلى الثرى، يتردّدون في قبضته تحت حكمه وقضائه ومشيئته، وهو غالب على أمره. فعلى ذلك إذا توسّلت إليه فقوّ قلبك في الدعاء، واستيقن الإجابة. وقلت أنا (شعر):

إنّي لأدعوا على من كان يظلمني ... لكنّني بدعائي زائـــد مضـــضي

لو أنّ قوس يقيني كان ذا وتـــر ... أصاب سهم دعائي شاكل الغرض[4]

ومنها أنْ يصلح باطنه أوّلا باللقمة الحلال، فقد قيل: "الدعاء مفتاح باب السماء، وأسنانه لقمة الحلال". وأنْ يطهّر نفسه بالصوم، وصدره من الكدورات، والغشّ، والغدر، والحقد، والخيانة، فإنّه هو الأصل في الاستجابة[5] [لكونها قاطعات لطريق[6] الدعاء إلى الله تعالى][7]. وفي الحديث: "إنّ الله طيّب لا يقبل إلّا الطيّب"[8]. وأنْ يُقدم عليه بالتوبة وردّ المظالم، والإقبال على الله بكنه الهمّة، فإنّ هذه أسباب القربة، [بها يرفع الدعاء إلى الله تعالى كما قال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيّب، والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر؛ 10)][9]. [والقربة داعية الإجابة][10]، فإذا عُدِمَت أو عُدم معظمها

---

[1] في (ق) وبدرته للدعاء"، وفي (ص) "وبدرقة الدعاء". ولعلها ما أثبتناه.

[2] في (ص) "بأحبّ".

[3] من هنا نستأنف المقارنة بين النسخ بعد هذا السقط المخل بنسخة (ش).

[4] في (س) "لو أن قوس نفسي".

[5] في (ص) "الاستحالة".

[6] في (س) "بطريق".

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[8] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 5، ص 220، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، حديث: 2989.

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[10] زيادة من (ص).

لا يستجاب الدعاء[1]، لا لخُلف في وعده، لكن لتقصير الداعي ونقصان شرائطه إذ قوله تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ (غافر؛ 60)، كقوله تعالى: ﴿وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم﴾ (الأنبياء؛ 80)، فلو كانت اللبوس مهلهل النسج مخرقا لا يحصن أحدا من بأس خصمه من أجل ضعفه ونقصانه، لا لأنّ وضع الدروع [في الأصل][2] لدفع الأسلحة باطل[3] أو تغيّر وتبدّل، كذلك الدعاء. [والقطب الذي يدور عليه رحى الدعاء][4] هو حضور القلب، فإنّ حركة اللسان وصياحه من غير حضور القلب، وَلْوَلَة على الباب، وصوت حارس على السطح. أمّا إذا كان القلب في الحضرة كان كالشفيع له.

فإنْ قيل: فما سبب سرعة الإجابة عن بعض الدعوات وتأخّرها[5] على البعض؟

الجواب أنّ العبد إذا دعا الله بشرائطه فربّما لا يهتدي إلى ||134 مسألة ما له فيه مصلحة، فيسأل الله شيئا ضرره[6] فيه [وهو لا يعلم][7]، والله سبحانه حفيّ[8] بمسألة العبد، عالم[9] بما هو الأصلح له[10]، فلا يجيبه عن ذلك السؤال بعينه شفقة ورحمة، وإنّما يعطي عوضه بما هو أصلح[11] له وأنفع. وربّما يؤخّره إلى وقت يرى مصلحته في ذلك الوقت، وقد أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربّهم أنّي لا أضيع عمل عامل منكم﴾ الآية. (آل عمران؛ 195)، وربّما يحبّ صوته فيؤخّره حتّى يتردّد[12] العبد إلى بابه كثيرا، أو يكرّر الدعاء والتضرّع طويلا، فينال به درجة

---

[1] زيادة من (ص).

[2] ليس في (س) ولا في (ع).

[3] سقط من (ص).

[4] في (ج) و(ش) والقطب الذي يدور عليه رحى الدعاء عليه؛ وفي (ق) "والقطب الذي يدور عليه الرحى رحى الدعاء".

[5] في (ص) "وتأخيرها".

[6] في (س) "مزيه فيه".

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[8] في (ص) "خفي".

[9] سقط من (ص).

[10] سقط من (ص).

[11] في (ص) "الأصلح".

[12] في (ق) "يردد".

القرب، ويبلغ[1] إلى حالة يستحقر تلك المسألة فيها، فكان يستنكف عن سؤال ذلك. وله أسباب أخر ورد [كذا] الأحاديث بها [ومعظمها ما ذكرناه][2].

فإنْ قيل: ما[3] معنى قوله: "داووا مرضاكم بالصدقة، [وأعدّوا للبلاء الدعاء][4]." [5]؟

الجواب، هذا أيضا يرجع إلى الدعاء، فإن الفقير المستحقّ إذا أعطي صدقة ارتاح قلبه بها سيّما في السرّ، فإذا دعا الفقير في حالة تلك الارتياح والفرحة، أزالت دعوته بعض تلك[6] الشرائط الموجبة لعلل[7] ذلك العليل في الأقضيّة السماويّة، فتزول العلّة ويقع الشفاء عاجلا، وهذا بخلاف دعوة المظلوم، فإنّ منشأها حرقة قلبه من شرر الظلم وحرّه، فإذا دعا على الظالم في تلك الحالة أدّت شعلته إلى الأسباب المعدّة، لسلامة نفس الظالم فتخرقها وتُحرقها، فيهجم عليه الهلكة كما جاء في الحديث: "اتّقوا دعوة المظلوم فإنّها تحمل على الغمام."[8] الحديث؛ [وفي رواية "فإنّها تخرق الحجب حتّى تصل إلى العرش"][9]. واعلم أنّ لدعوة المظلوم سرّا قد خفي على الأكثرين، وهو أنّ المظلوم إذا وكّل ظالمه إلى الله تعالى وكان يصبر على أذاه، ويتحمّل مشقّة ظلمه من غير شكوى إلى أحد، بل يكظم ألم الظلم، ويتجرّع غصّته حتّى يمتلئ قلبه، وخرج أمره عن ضبطه، فحينئذ فارت نيران قلبه من غير قصده فوران النار من التنانير المطبقة، إذا غليت[10] رمت الأطباق وجاشت فلا تَذَر من شيء تمرّ عليه إلّا أحرقته وجعلته كالرميم. والأولياء المكاشفون قد عاينوا ذلك وأخبروا عنها. فأمّا إذا دعا المظلوم على من ظلمه في أوّل وهلة، وكان يتشفّى صدره

---

[1] في (ص) "ويقرب".

[2] سقط ما بين المعقوفتين من باقي النسخ عدا (ص)، وورد مستدركا في هامش (ش).

[3] في (ص) "فما".

[4] ما بين المعقوفتين سقط من (س) و(ع).

[5] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 402، حديث: 691.

[6] سقط من (ص).

[7] في (ص) "لعلة".

[8] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص، 427، حديث: 733.

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[10] في (ش) و(ص) و(ع) و(ق) "غلبت".

بالشكوى، والشتم، واللعن، فإنّ حاله حال النار الموقدة يتنفّس[1] من كلّ جانب شيئا فشيئا حتّى يضعف قليلا قليلا، وتخمد وتترمّد، فلا يبقى لها أثر في الإحراق البتّة، وهذا معنى قوله | |135 ﷺ: "من دعا على من ظلمه فقد انتصر"[2]. وقال لعائشة رضي الله عنها حين دعت على لصّ: "لا تسبِّخي عنه بدعائك عليه."[3] أي لا تخفّفي عنه العقوبة بدعائك عليه. [والله أعلم][4].

مناجاة[5]:

سبحان من جعل الخلق مضطرّين إلى الدعاء، لافتقار وجودهم إلى البقاء، وجعل الدعاء الصادر عن صدق الإرادة مخّ العبادة، [وكان به يمحو للمضطرّ بعض ما قضاه فقال: ﴿أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه﴾ (النمل؛ 62).

إلهي، دعوناك][6] بصدق الرجاء، واليأس من جميع الأرجاء، فأغثنا إغاثة الملهوفين، وأجبنا إجابة الموقنين، فلقد وعدتنا الاستجابة فقلت: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ (غافر؛ 60).

إلهي، عبيدك ببابك، خائفين من عذابك، مادّين أيدي الافتقار إليك، ممعّكين[7] وجوهنا في الترب[8] بين يديك، واضعين حوائجنا على طبق الضر، داعين بلسان الفقر، باتّين حبال الأمل عن سواك، فلن ندعو إلّا إيّاك.

إلهي، القلوب واجفة، والعيون ذارفة، والدموع واكفة، والأعضاء راجفة، والألسنة لعظمتك واصفة، والأقدام في مقام الذل بين يديك واقفة، فأرسل إلينا من خزانة رحمتك عاطفة.

إلهي، استجب دعاءنا، واستمع نداءنا، يا قريب يا مجيب[1].

---

[1] في (س) "التنفس" وفي (ص) "يتنفر".

[2] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 243، حديث: 286؛ 287؛ 288.

[3] أبو داود، سنن، ج 3، ص 283، كتاب الأدب، باب في من دعا على من ظلمه، حديث: 4909.

[4] زيادة من (ق).

[5] في (ج) "المناجات".

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[7] في (ص) "معفرين".

[8] في (ص) "التراب".

(1) في (س) زيادة "يا رحمن".

الباب الرابع والعشرون[1]

في حقيقة الحبّ لله وحبّ الله للعبد

وفيه فصول ثلاثة[2]:

الفصل الأوّل: في حقيقة المحبّة وجوازها في حقّ الله[3].

الفصل الثاني: في درجات المحبّة.

[الفصل الثالث: في معنى محبّة الله للعبد][4].

الفصل الأول:

اعلم أنّ أكثر المتكلّمين أنكروا محبّة العبد لله وأوّلوها على امتثال أوامره، والإقبال على طاعته، وجوّزت مشايخ التصوّف[5] ذلك، وهو المختار للإجماع والنصوص الواردة فيها[6]، قال الله تعالى: ﴿يحبّهم ويحبّونه﴾ (المائدة؛ 54)؛ وقال: ﴿والذين آمنوا أشدّ حبّا لله﴾ (البقرة؛ 165)؛ وقال: ﴿قلْ إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم... إلى قوله...أحبّ إليكم من الله ورسوله﴾ الآية (التوبة؛ 24). وقال النبيّ ﷺ للأعرابيّ الذي سأل عن الساعة: "ما أعددت لها؟" فقال: "حبّ الله ورسوله." فقال عليه السلام:

(1) الخامس والعشرون في (س).

(2) في (س) "وفيه فصلان".

(3) لم يرد هذا العنوان في (ص) وورد بدله عنوان الفصل الثاني.

(4) سقط ما بين المعقوفتين من (س).

(5) في (ق) "التصوّفية".

(6) في (ص) "فيما".

"المرء مع من أحبّ."[1] وقال الصدّيق[2] رضي الله عنه: "من[3] ذاق خالص محبّة الله، شغله عن طلب الدنيا، وأوحشه عن جميع البشر"[4].

وأمّا حقيقة المحبّة فاعلم أنّ كلّ ما يلائم النفس ويوافقها لذيذ، وكلّ لذيذ محبوب. ومعنى كونه محبوبا هو ميل القلب إليه ضرورة وخلقة[5]، | |136 وإنّما يُدرك ذلك بإدراكين:

- أحدهما إدراك الحواسّ الخمس،
- والثاني إدراك القلب.

ألا ترى أنّ لذّة العين في الصورة الجميلة، ولذّة السمع بالنغمات الموزونة، ولذّة الشمّ بالروائح الطيّبة، ولذّة الذوق[6] بالحلاوة والمطعومات الملائمة، ولذّة اللمس بملامسة الأشياء الليّنة المعتدلة.

فأمّا اللذّة المدركة بالقلب فخارجة عن هذه الخمسة، وإنّما التذاذه[7] بإدراك صور المعاني الجميلة كالتذاذه مثلا بحبّ الأنبياء عليهم السلام، وحبّ الصالحين، وحبّ الذين زيّنهم [الله][8] بالخصال الجميلة من السخاء[9]، والزهد، والورع، والعلم[10]، والشجاعة[11]، وغيرها من محاسن

(1) البخاري، صحيح، حديث: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، حديث: 3485؛ كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل "ويلك"، حديث: 5815؛ وباب علامة الحب في الله عز وجل، حديث: 5819؛ كتاب الأحكام، باب من شاقّ شقّ الله عليه، حديث: 6734.

(2) في (س) "أبو بكر الصديق".

(3) سقط من (س).

(4) هذا الكلام وما قبله جاء نقلا عن كتاب الإحياء للإمام الغزالي، ج 8، ص 365-368.

(5) سقط من (ص).

(6) في (ص) "الفوه".

(7) في (ص) "اللذاذة".

(8) ليس في (ق).

(9) سقط من (ص) وورد بدله "الكرم".

(10) سقط من (ص).

(11) ورد في (ص) قبل "الزهد." وسقط من (س) و(ع).

الأخلاق، فإنّك تحبّ هؤلاء قطعا لا لجمال صور ظاهرهم التي تدرك بالبصر الظاهر، لكن لجمال صور باطنهم التي تدرك بالبصيرة الباطنة. قال أبو الطيّب:

ليس الجمال لوجه صحّ مارنه ... أنف العزيز بقطع العزّ يجتدع [1]

وقال آخر:

ليس الجمال بمئزر ... فاعلم وإنْ رديت بردا

إنّ الجمال مناقب ... ومكارم أورثن مجدا [2]

فعلى هذه الصورة[3] يرجع هذا الجمال المعنويّ المحبوب حقّا[4] بإدراك القلب إلى ثلاثة أشياء: العلم، والقدرة، والنزاهة عن العيوب.

- أمّا العلم فعلمهم بالله، وملائكته، وكتبه، [ورسله][5] وعجائب ملكه وملكوته، ودقائق شرائع أنبيائه.

- وأمّا القدرة فإنّك تحبّهم لقدرتهم[6] على إصلاح الخلق بسياستهم، وعدلهم، وإرشادهم إلى طريق الحقّ، وإحسانهم إلى الخلق، وقد قال النبيّ ﷺ: "جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها[7]"[8].

- وأمّا النزاهة فتحبّهم لسلامة بواطنهم عن معايب الجهل، ورذائل البخل، والحسد، وخبائث[1] الأخلاق في الباطن.

---

[1] البيت الرابع من قصيدة مطلعها:

غيري بأكثرِ هذا النّاس ينخدع   إنْ قاتلوا جبنوا أو حدّثوا شجعوا

ديوان، ص 311.

[2] ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي، تحقيق مطاع الطرابيشي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، الطبعة الثانية، 1405هـ / 1985م، ص 79-80.

[3] في (ص) "الوتيرة".

[4] في (ص) "حلقا".

[5] ا سقط "ورسله وعجائب" من (س) و(ع) واستدرك في هامش (ش). وسقط "رسله" من (ج).

[6] في (س) "بقدرتهم".

[7] سقط من (ج) و(س) و(ع) واستدرك فوق السطر في (ش).

[8] وأبو نعيم في *الحلية*، ج 4، ص 121؛ البيهقي، *شعب الإيمان*، ج 6، ص 481، حديث: 8948.

فكأن من اتّصف بهذه الصفات، كان لباطنه صورة جميلة غير مركبّة من اللحم والدم، لذيذة في عين الباطن. فإذا أدركها القلب، أحبّها والتذّ بها حبّا يزيد على حبّ الصور الجميلة الظاهرة. اعتبر بما يجري بين أصحاب المذاهب على حبّ أبي بكر، وحبّ عليّ رضي الله عنهما من بذل الأموال والمهج[2].

فإذا صحّ لك أنّ من المحبوب ما يدرك جماله ببصيرة القلب فيلتذّ به القلب، وقد ذكرنا أنّ جملتها ترجع إلى ثلاثة أشياء العلم والقدرة والنزاهة، فلو أنّ من اتصف بعلم استحقّ أن تحبّه لعلمه، فالله[3] تعالى كان أحقّ | |137 أنْ تحبّه إذ لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السماوات والأرض. وعلم جميع الخلق إلى علمه أقلّ من قطرة إلى البحر المحيط، وكيف وعلم جميع الخلق منه.

ولو أنّ من أحسن إليك بنعمة استحق أنْ تحبّه لإحسانه ونعمته، فالله سبحانه أولى بأنْ نحبّه فإنّه المحسن المنعم حقّا على الإطلاق ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (النحل؛ 18). وهو الذي خلق ذلك المحسن وأنعم عليه حتّى أنعم هو عليك. وكذلك[4] لو أحببت إنسانا لقدرته على المصالح فالله أحقّ بالمحبّة، إذ الكون كلّه من آثار قدرته وهو أقدر القادرين.

ولو أحببت إنسانا[5] لنزاهته عن العيوب فالله سبحانه أحقّ بالمحبّة منه، فإنّه القدّوس الطاهر المنزّه من كلّ عيب ووصمة[6]، بل نفي العيب عن غيره مدح، لأنّ غيره قابل للعيوب وذاته المقدّسة لا تقبل العيب لذاتها، ومن هذا قال الشبليّ: "نفي العيب عمّن لا يقبل العيب عيب". فصحّ من هذه الجملة أنّه ليس في الوجود موجود أحقّ بالمحبّة من الله سبحانه وتعالى. ومن لم يجد في قلبه محبّته فإنّما لا يجدها لإعراضه عن التفكّر في هذه الآثار الموجبة للمحبّة. قال الله تعالى: ﴿وكأيّ من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون﴾ (يوسف؛ 105). [فلو لاحظها

---

[1] في (ص) "وخيانة".

[2] في (س) "المبهج" وفي (ع) والمسطح".

[3] في (ق) "فإن الله".

[4] في (س) "لذلك".

[5] في (ص) "شخصا".

[6] في (ص) "وصمة وعيب".

لوجدها، لكنّه مشغول بحبّ الشهوات ﴿من النساء والبنين...﴾ الآية (آل عمران؛ 14)، **فلا يتفرّغ إلى الله**][1].

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

الفصل الثاني:
في درجات المحبّة لله تعالى

والصواب أنْ نورد ههنا ما ذكره شيخ الإسلام[1] عبد الله الأنصاري رضي الله عنه *في منازل السالكين إلى الله*[2]، وهو كتاب لطيف لم يصنّف في[3] مثله، وأشرح كلماته[4] الغامضة فيها. قال الشيخ رضي الله عنه: *"المحبّة تعلق القلب بين النهمة[5] والأنس في البذل[6]، والمنع على الإفراد. والمحبّة أوّل أودية الفناء، والعقبة التي تنحدر [7] منها على منازل المحو، وهي آخر منزل تلتقي[8] فيه مقدّمة العامّة بساقة الخاصّة، وما دونها أغراض[9] لأعواض[10]. والمحبّة هي سمة الطائفة، وعنوان الطريقة، ومعقل [11] النسبة، وهي على ثلاث درجات.*

---

[1] في (ص) "الإمام".

[2] سبق وأن أشرنا إلى أن المطبوع يحمل عنوان منازل السائرين إلى الحقّ.

[3] في (ص) "في فنه"..

[4] في (س) "كلمة".

[5] في المطبوع الهمّة، وفي (ص) "التهمة" وسنلاحظ أن القزويني عند شرحه لكلام الأنصاري استعمل النهمة وشرحها على أنّها شدة القرم إلى الغذاء.

[6] في (س) "بالبذل".

[7] في طبعة القاهرة وشرح الفركاوي: ينحدر.

[8] في (ص)"تتلقى".

[9] طبعة القاهرة: أعواض.

[10] في (ص) "لأعراض".

[11] طبعة القاهرة: معقد.

الدرجة[1] الأولى: محبّة تقطع الوسواس، وتلذ[2] الخدمة، وتسلّي عن المصائب، وهي محبّة [تنبت][3] من مطالعة المنّة، وتثبت باتباع السنّة، وتنمو على الإجابة للقادة[4].

والدرجة[5] الثانية: محبّة تبعث على إيثار الحقّ على غيره، وتلهج اللسان || 138 بذكره، وتعلّق[6] القلب بشهوده، وهي محبّة تظهر من مطالعة الصفات، والنظر في الآيات، والارتياض بالمقامات.

والدرجة الثالثة[7]: محبّة خاطفة[8] تقطع العبارة، وتدقّق الإشارة، ولا تنتهي[9] بالنعوت. وهي[10] قطب هذا الشأن[11]، وما دونها محابّ تنادي[12] عليها الألسن، وادّعتها الخليقة، وأوجبتها العقول[13]"[14].

شرح هذه الكلمات.

أقول أمّا قوله: "المحبّة تعلّق القلب...إلى آخرها" فاعلم أنّ النهمة شدّة القرم[15] إلى الغذاء، ومنه قوله ﷺ: "منهومان لا يشبعان..."[16] الحديث. والأنس روح القرب من جانب الحبيب، ويزيد وينقص[17] بالبذل والمنع حالتي الوصل والهجر، فإنّ بينهما للمحبّ استهلاكا في اللذّة[1].

---

[1] سقط من (س).

[2] في شرح الفركاوي: الوساوس، وتلذذ.

[3] زيادة من طبعات منازل السائرين.

[4] في (س) و(ص) "للعادة"، وفي باقي الطبعات "بالفاقة".

[5] سقط من (س).

[6] القاهرة: تقلق.

[7] سقط "الدرجة" من (س) وسقط "الثالثة" من (ع).

[8] في (س) و(ع) "عاطفة" وفي (ج) و(ص) "حاطفة".

[9] في شرح الفركاوي: وتنتهي إليها.

[10] في القاهرة: وهذه المحبّة هي.

[11] في باقي الطبعات: اللسان.

[12] في (ص) "مجاز نادى"، وفي (ع) "شادي". وفي طبعة بيروت والفركاوي: "نادت".

[13] في (ص) "القبول".

[14] *منازل السائرين إلى الله*، الفركاوي، ص 94؛ القاهرة، ص 32؛ بيروت، ص 88-90.

[15] في(ج) و (ص) و(ق) "القَوَم"، وفي (س) و(ع) "العزم". والصواب من (ش). والقرم بالتحريك: شدة الشهوة.

[16] الحاكم، المستدرك، ج 1، ص 169، كتاب العلم، حديث: 312.

[17] في (س) و(ص) و(ع) "ويريد بالبذل"، وسقط منها "ينقص"..

قال المتنبّي:

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى... مجال لدمع[2] المقلة المترقرق[3]

ويريد بالإفراد، إفراد المحبوب عن[4] المحبّ بصفة الوجود، وذلك لفناء المحبّ في حبّه، ولذلك قال: "المحبّة أوّل درجات الفناء، والعقبة التي تنحدر على منازل المحو." يعني أنّ للفناء أودية ومهالك يفنى فيها السالك. والفناء عندهم اضمحلال ما دون الحقّ، وتلك الصفة في المحبّ تنحدر منها على منازل المحو، وهي انمحاء صفات النفس كما قال النبيّ ﷺ: "من أراد أن ينظر إلى ميّت يمشي على الأرض فلينظر إلى أبي بكر"[5].

وقوله: "هو منزل يلتقي فيه[6] مقدمة العامّة بساقة[7] الخاصّة." جعل للخاصّة والعامّة في السلوك إلى الله تعالى عسكرين[8] يتلاحقان [فالخاصّة هم السابقون والعامّة اللاحقون، وإنّما يتلاحقان[9]][1] في منزل المحبّة، فإنّ فيها يتّصل أوائل العامّة بأواخر الخاصّة.

---

[1] في (ص) "لذة".

[2] في (ص) "الدمع".

[3] البيت الثالث من قصيدة مطلعها:

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي ... وللحبّ ما لم يبق منّي وما بقي

ديوان، ص 345.

[4] في (س) و(ع) "على".

[5] المشهور كما جاء في *مسند أبي يعلى*، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق، دار الثقافة العربية، 1406هـ/ 1996م، ج 8، ص 302- 303، رقم: 4900، وفيه: "من سره أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى أبي بكر"، ورواه الديلمي في *الفردوس بمأثور الخطاب*، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1406هـ/ 1986م، ج 3، ص 540، رقم: 5684، بلفظ: "من سره أن ينظر إلى رجل على وجه الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى هذا يعني أبي بكر الصديق وضمان الله عليه". ثم إن المعروف المتداول والقريب من الأثر الذي ذكره القزويني هنا هو الأثر الذي أخرجه الترمذي في *الجامع الصحيح*، تحقيق أحمد محمّد شاكر ومحمّد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي،1397هـ/ 1977م، ج 5، ص 644، رقم: 3739، "من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله."؛ وانظر أيضا الطبراني، *المعجم الكبير*، ج 1، ص 117، رقم: 215.

[6] سقط من (س) و(ع).

[7] في (ص) "العادة مساقة".

[8] في (ج) "عشرين".

[9] في (ص) يتلاقيان".

وقوله: "فما[2] دونها أغراض لأعواض." يعني أنّ ما دون مقام المحبّة من المقامات التي [قبلها][3] لا تخلوا من حظوظ النفس، [وفي مقام المحبّة تسقط حظوظ النفس][4]، كلّها فلا يطمع في أجر على ما يتحمّله من تباريح الحبّ. قال المتنبي[5]:

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوة... ضعيف الهوى يرجى عليه ثواب[6]

وفي الحديث: "لا يكوننّ أحدكم كالأجير السوء، إنْ لم يعط أجرا لم يعمل."[7] هذا معنى قوله: "فما دونها أغراض لأعواض."

قوله: "المحبّة سمة الطائفة، وعنوان الطريقة، ومعقل ||139 النسبة." يعني أنّما يصحّح نسبة أهل الطريقة، وطائفة الصوفيّة في هذا المقام، فإنّ المحبّة سمتهم وعلامتهم.

قوله: "الدرجة الأولى إلى آخرها." يقول إنّ المحبّة تقطع وسواس الشيطان لأنّ علامة حبّ الله كثرة ذكره كما جاء في الحديث: "ذاكر الله مع الله." لمّا قال: " أنا جليس من ذكرني"[8]. ومن أحبّ شيئا أكثر ذكره. [والشيطان إذا ذكر اللهَ العبدُ خنس عن صدره فلا يوسوس، ولذلك سمّي[9] خنّاسا][10].

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[2] في (س) "عما" وفي (ع) "وما".

[3] في (ق) "فيها".

[4] ما بين المعقوفتين سقط من (ش).

[5] في (ص) "أبو الطيب".

[6] البيت من قصيدة مطلعها:

منى كنّ لي أنّ البياض خضاب ... فيخفى بتبييضِ القرون شباب

ديوان، ص 481.

[7] الغزالي، إحياء، ج 8، ص 403.

[8] البيهقي، شعب الإيمان، ج 1، ص 451، حديث: 680. ج 1، ص 458، حديث: 709؛

[9] في (ص) "سمي قوله".

[10] ما بين المعقوفتين جاء في هامش (ش).

قوله: "تلذّ الطاعة" لأنّ المحبّ لا يملّ من[1] خدمة محبوبه بل يلتذّ بها لما فيها من موافقة أمره ومراده. قال بعضهم:

لو كان حبّك صادقا لأطعته ... إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع[2]

قوله: "وهي[3] محبّة من مطالعة المنّة." والمنّة النعمة. يعني أنّ الإحسان[4] والنعمة أحد أسباب المحبّة. قال النبيّ ﷺ: "تهادَوا تحابّوا."[5] وقال عليه السلام: "احبّوا الله تعالى لما أرفدكم به من نعمة، وأحبّوني لحبّ[6] الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي[7]"[8].

قوله: "وتثبت باتباع السنّة." معناه أنّ محبّة الله مربوطة منوطة باتباع سنّة رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿قل إنْ كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران؛ 31)؛ وحبّه لهم سبب لحبّهم له كما يأتي شرحه بعد هذا.

قوله: "وتنموا على الإجابة للقادة." يعني هذه المحبّة تزيد بمجالسة العلماء في استماع كلامهم. قال النبيّ ﷺ: "الأنبياء سادة، والعلماء قادة، ومجالستهم زيادة"[9].

الدرجة الثانية، قوله[10]: "وهي محبّة تبعث على إيثار الحقّ على غيره إلى آخر الفصل[11]." اعلم أنّ هذه المحبّة[1] تنشأ من مطالعة الصفات الأحديّة، والنعوت الصمديّة كالعظمة، والجلال،

---

[1] في (س) "عن".

[2] ينسب هذا البيت للإمام الشافعي، وأبي العتاهية، وابن المبارك. والراجح أنّه لمحمود الورّاق كما ذكر القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمّديّة، تحقيق صالح أحمد الشامي، بيروت، المكتب الإسلامي، 1425هـ/ 2004م، ج 3، ص 284، حيث أشار إلى أنّ المحاسبي أورد هذا البيت في كتابه القصد والرجوع منسوبا إلى محمود الورّاق، لكننا لم نجده في النسخة المطبوعة من هذا الكتاب. تجد هذا البيت أيضا في ديوان محمود الورّاق، ص 227.

[3] سقط من (س).

[4] في (ص) "الإنسان".

[5] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 381، حديث: 657؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج 11، ص 302، حديث: 8568.

[6] في (ص) "بحب".

[7] في (ص) "كحبي".

[8] البيهقي، شعب الإيمان، ج 2، ص 11، حديث: 404 و ص 503-504، حديث: 1315.

[9] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 203-204، حديث: 307.

[10] في (س) "قوله الدرجة الثانية".

[11] سقط من (س). وفيه "إلى آخرها".

والكبرياء، والكمال، والقدم، والبقاء، والجمال، والعلاء، والقدس، والطهارة، والقدرة، والمشيئة، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة الأبدية السرمديّة، فإنّ من عاين الربّ تعالى بعين سرّه موصوفا بهذه الصفات، واقفا على معانيها، أحبّ الموصوف بها لا محالة لاستحقاقه بالمحبّة وأهليّته لها، وهذه محبّة المقرّبين يحبّونه إعظاما وإجلالا لاطلاعهم على عظمة صفاته. قالت رابعة العدوية[2] رحمها الله:

أحبّك حبّين حبّ الهوى ... وحبّا لأنّك أهل لذاكا[3]

| |140 تريد بأحد الحبّين الحبّ من رؤية[4] النعم والإحسان، [وذلك حبّ يتغيّر بتغيّر الإحسان][5] وهو من باب الأفعال. والحبّ الثاني حبّ التعظيم [والإجلال لوجهه، فذلك هو الباقي على الأبد لبقاء صفة العظمة][6] والجلال لله تعالى، ومثله قول الآخر:

سأعبد الله لا أرجو مثوبته ... لكن تعبّد إعظام وإجلال[7]

وهذه المحبّة هي التي تبعث على إيثار الحقّ تعالى على غيره كما ذكر في الكتاب، لأنّ صاحبها يرى الخلائق كلّهم مضطرّين إليه، عاجزين دونه، مقهورين تحت حكمه وقضائه، لا يملكون

---

[1] سقط من (س).

[2] أمّ الخير رابعة بنت إسماعيل ولاؤها للعتكيّين، من أعلام التصوّف، من أتباع التابعين، كانت مشهورة بالعبادة والزهد، أثنى عليها أئمّة السلف منهم: سفيان الثوري وغيره، وقد ذكر ابن الجوزي مناقبها في صفة الصفوة، وألف في سيرتها جزءا خاصّا. توفيت سنة 180هـ/ 727م. الشريشي، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصريّة، 1413هـ/ 1992م، ج 4، 345 – 348؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 285– 288، رقم: 231؛ الذهبي، سير، ج 8، ص 241-243.

[3] هذا البيت من قطعة لرابعة العدوية مطلعها:

عرفت الهوى مذ عرفت هواكا ... وأغلقت قلبي على من عداكا

قال الغزالي بعد أن استشهد بأبيات رابعة العدوية: " ولعلّها أرادت بحبّ الهوى حبّ الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة، وبحبّه لما هو أهل له: الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها؛ وهو أعلى الحبّين وأقواهما، ولذة مطالعة جمال الربوبية ". انظر الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 8، ص 418-419.

[4] في (س) "برؤية".

[5] سقط ما بين ما المعقوفتين من (ق).

[6] ما بين المعقوفتين جاء في هامش (ش).

[7] نسب هذا البيت للمعري. القفطي، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، 1406هـ/ 1986م، ج 1، ص 112.

لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا[1]. ويرى الله سبحانه مالك نواصيهم، بيده ملكوت كلّ شيء، جبارا عليهم، يبدئ ويفني ما يشاء كيف يشاء، لا سلطان فوقه، ولا قاهر دونه، فيضطرّ هذا المحبّ في هذه الدرجة إلى اطراح ذكر غير الله عن قلبه، متقلّبا بين النظر إلى جماله مرّة، وإلى جلاله أخرى، لهجا لسانه بذكره، موقوفة أعضاؤه على طاعته، إعظاما منه لقدره، وإجلالا لربوبيّته، لما يتجلّى له من معاني[2] صفاته في مدارج آياته، وهذا إنّما يتيسّر له بعد ارتياض نفسه بطيّ المقامات المتقدّمة على مقام المحبّة.

الدرجة الثالثة[3]: وهي الغاية القصوى للعبد، ولا غاية لها، وهي "محبّة خاطفة[4]، تقطع العبارة، وتدقّق الإشارة، ولا تنتهي بالنعوت." إلى آخر الفصل[5]. اعلم أنّ هذه المحبّة بخلاف المحبّتين الأوليين إذ [ليست][6] هي متنشّأة[7] من رؤية النعم والإحسان التي من باب الأفعال، ولا من رؤية الصفات من الجمال والجلال، بل جذبة من جذبات الحقّ كانت من أثر محبّة الله للعبد في السبق [كما][8] قال الله تعالى: ﴿إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى﴾ (الأنبياء؛ 101)؛ وقد سمّى الله تعالى محبّته لهم في الأزل بلا علّة بالحسنى منه في حقّهم، والحسنى في اللغة تأنيث الأحسن، وأنّثها على تقدير [الكلمة يعني][9] الكلمة الحسنى، يريد بها المحبّة، لأنّ الحُسن[10] يقتضي المحبّة، كما أنّ الإثم يقتضي العقوبة قال[11] الله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾ (الفرقان؛ 68)، أي عقوبة، فعبّر عن العقوبة بمقتضيها، كذلك عبّر هـهنا عن المحبّة بمقتضيها ثمّ أخبر عن ذلك فقال:

---

[1] سورة الفرقان، آية 25.

[2] في (س) "معالي".

[3] في (س) "وقوله الدرجة الثالثة".

[4] في (س) و(ص) "عاطفة".

[5] في (س) "إلى آخرها".

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[7] في (س) و(ص) "منشأة" وفي (ع) و(ق) "متنشأة".

[8] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[10] في (ص) "المحسن"

[11] في (ق) "كما قال"

﴿يحبّهم ويحبّونه﴾ (المائدة؛ 54)، إشارة إلى أنّهم ما أحبّوه حتّى أحبّهم هو أوّلا، فمحبّتهم له لمحبّته[1] لهم، وذلك أنّ محبّته لهم كانت في الأزل من غير علّة، فلمّا استخرجهم من ظهر[2] آدم تجلّت محبّته على قلوبهم فجذبتها إليه، وأفنتهم عن أنفسهم فدخلوا الدنيا على تلك الصفة. قال بعض الوالهين: | | 141

غذينا بالمحبّة يوم قالت ... له الدنيا أتينا طائعينا[3]

سئل الجنيد عن المحبّة فقال: "دخول صفات المحبوب على البدَل من صفات المحبّ." وهي قوله جلّ جلاله: "فإذا أحببته كنت سمعا وبصرا [[4]ويدا ومؤيّدا." وذلك عبارة عن فناء المحبّ عن نفسه، فيتولّى الله بأموره فكان مسمعا له، ومبصّرا له، ومؤيّدا له، كما نبّه في آخر الكلمة حتّى كأنّه هو سمعه، وبصره، ويده، وذلك معنى قوله: "بي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش[5]."[6] إذ[7] ما كان يتوصّل إليه بهذه الآلات[8] من قبل، كنت[1] أوصله إليه بنفسي من غير واسطة.

---

[1] في (ص) "بمحبته".

[2] سقط من (ج) و(س) و(ع) ورد بهامش (ش).

[3] نظام الدين الحسن بن محمّد بن حسين القمّي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1416هـ/ 1996م، ج 2، ص 146 حيث استشهد بالبيت دون عزوه.

[4] من هنا يبدأ السقط الذي اعترى نسختي (س) (ع) والذي يشمل باقي الباب 24 والأبواب 25-26-27 وبداية الباب 28. وقد ترك الناسخ بعض الأوراق فارغة كعادته للتدليل على مكان السقط. بينما ألحق ناسخ (س) هذا الموضع بمناجاة معظمها مستقى من مقدمة كتاب المحبة في إحياء العلوم لحجة الإسلام الغزالي، هذا نصها "سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، سبحان من احتجب عن أبصار العميان غيرة على جماله وجلاله، سبحان من *نزّه قلوب أولياءه عن الالتفات إلى متاع الدنيا ونضرته (في (س) وحضرته" والصواب من الإحياء)، سبحان من صفى أسرارهم عن ملاحظة غير حضرته، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته، سبحان من تجلى بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنواع معرفته ثم كشف لها سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت (في (س) "تألهت" والصواب من الإحياء) في بيداء كبرياءه وعظمته*". والنص بالخط المائل هو من الإحياء، ج 8، ص 363. أما عبارة "سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته" فتعزا غالبا لأبي بكر الصديق انظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد عبد العزيز بسيوني، الرياض، دار الوطن، 1420هـ/ 1999م، ج 1، ص 528. وأما قوله "سبحان من احتجب عن أصار (وفي الإحياء "بصائر" العميان غيرةً على جماله وجلاله" فانظر الإحياء، ج 8، ص 402.

[5] في (ص) "ينظر".

[6] انظر ابن حجر، فتح الباري، ج 11، ص 341-347، حديث: 6502.

[7] في (ص) "إلى".

[8] في (ج) "الآيات".

وقال النبيّ ﷺ: "حبّك الشيء يعمي ويصمّ."[2] يعني يعميه عن رؤية غيره، ويصمّه عن سماع حديث غيره. وهذا معنى قول سمنون[3] المحبّ: "إنّ المحبّة فناء حبّ المحبّ في بقاء حبّ المحبوب." لأنّ المحبّة إذا بلغت هذه الدرجة فني المحبّ عن الحبّ أيضا، كما قال أبو يعقوب السوسي[4]: "لا تصحّ المحبّة حتّى تخرج عن رؤية المحبّة إلى رؤية المحبوب، لفناء علم المحبّة من حيث كان المحبوب في الغيب ولم يكن هو بالمحبّة، فإذا خرجت المحبّة إلى هذه الصفة كان محبّا من غير محبّة." وهذا فيه دقّة فتأمّله.

قال ابن المهتدي[5]: "رأيت ملكا من الملائكة في المنام فقلت له: أتحبّون الله أنتم؟" فقال: "وايش معكم من هذا الأمر، إنّ فينا من أفنته المحبّة عن المحبّ وعنها".

وهذه هي المحبّة التي تقطع العبارة عنها، الذي ذكره الأنصاريّ في كتابه، وذلك لأنّ صاحبها مخطوف عنه، مجذوب[6] إليه، لا لسان له فيعبّر به عن حاله، وإذا أشار عن حاله بلسان الحال والشارة[7] دقّت عنه الإشارة، فلا يفهمها النظّارة، ثمّ لا تنتهي نعوت محبّته قطّ لأنّ المحبوب غير

---

[1] في (ص) "حيث".

[2] أبو داود، سنن، ج 3، ص 339، كتاب الأدب، باب في الهوى، حديث: 5130.

[3] سمنون بن حمزة، ويقال سمنون بن عبد الله أبو الحسن الخواص المحبّ، كان يتكلم في المحبة بأحسن الكلام وهو من كبار مشايخ العراق، توفي بعد الجنيد سنة 298هـ/ 908م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 195-199؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 10، ص 324- 327، رقم: 4762؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 10، ص 309- 312، رقم: 581؛

[4] أبو يعقوب السوسي، ذكره السلمي في طبقات الصوفية ولم يخصّص له ترجمة، ولعلّه إسحاق بن إبراهيم بن شاذان أبو يعقوب السوسي الزيدواني، ويقال: الزيداني من شيوخ الإمام الطبراني، شيخ في الطريقة، أشرف على تربية أبي يعقوب إسحاق بن محمّد النهرجوري. لم نجد ذكرا لسنة وفاته في المصادر التي تحدثّت عنه. السمعاني، الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الفكر، 1408هـ/ 1988م، ج 3، ص 188. ابن المقرئ، المعجم، تحقيق عادل بن سعد، الرياض، مكتبة الرشد، 1419هـ/ 1998م، ص 215، ترجمة: 711.

[5] أبو الحسين محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبيد الله الهاشمي العباسي البغدادي المعروف بابن الغريق، كان إماما، عالما، خطيبا، محدّثا، لقب بمسند العراق. (370هـ -465هـ/ 980م -1072م). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 4، ص 183، رقم: 1378؛ الذهبي، سير، ج 18، ص 241-244، الزركلي، الأعلام، ج 6، ص 276.

[6] في (ج) "محذوف".

[7] في (ج) و(ص) و(ق) "الإشارة".

متناه، [فلا يكون لمحبّته تناه][1]. قال ذو النون[2]: "سَأَلْتُ امرأةً من المحبّات[3] هل لحبّ الله نهاية؟ قالت: لا، لأنّ المحبوب ليس له نهاية. "وأنا أقول: لقد صدقت، لا نهاية لحبّ الله في نفسه ولكنّه ينتهي بالمحبّ إلى دهش وحيرة.

فعلى هذا يتبيّن قول صاحب الكتاب "إنّ هذه المحبّة قطب هذا الشأن، وما دونها محابّ نادى عليها الألسن." يعني تدخل أوصافها تحت النطق والبيان، كما صنّف فيه الكتب والرسائل، ويتكلّم فيها الوعاظ على رؤوس المنابر. *وادّعتها الخليقة*، من محقّ ومدّع، *وأوجبتها العقول*، من طريق النظر في الآيات. وهذه الثالثة كما قيل: "سرّ بسرّ، وإضمار بإضمار".

||142 قال صاحب القوت[4]: "هذا وأمثاله لا يرسم في كتاب، لأنّه يؤود[5] العقول فتنفر عنه وتضيق عليه القلوب، وإنّما أمّل من قلب إلى قلب وأوعى من عين إلى عين."[6] فرجع حاصل كلامه رحمه الله إلى أنّ المحبّة لها ثلاث درجات:

- الأولى: ظهورها من الأفعال كرؤية النّعم والإحسان.
- والثانية: ظهورها من رؤية الصفات كاستحقاقه بالجلال والعظمة.
- والثالث من أثر محبّة الله للعبد أوّلا بلا علّة، والله أعلم.

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[2] ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي، يكنى أبا الفيض، ويقال: أبو الفياض. ولد في أواخر أيام المنصور. الزاهد، شيخ الديار المصريّة، مات سنة 245هـ/ 859م. أبو نعيم، الحلية، ج 9، ص 331-391 و ج 10، ص 3-4. السلمي، طبقات، ص 15-26. الذهبي، سير، ج 11، ص 532-536.

[3] في (ص) "رأيت امرأة من المحبات فقلت لها".

[4] أبو طالب محمّد بن عليّ بن عطيّة الحارثيّ المكيّ المنشأ، دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم شيخ الصوفية السالمية وابن شيخهم فانتمى إلى مقالته، وقدم بغداد، فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ. وهو صاحب كتاب "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف المريد إلى مقام التوحيد". (توفي سنة 386هـ/ 996م). البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص151، رقم: 1343؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص303- 304، رقم: 630؛ الذهبي، سير، ج16، ص536- 517.

[5] في (ق) يؤذي والصواب من (ش) وقوت القلوب.

[6] وعبارة صاحب القوت كالتالي: " والكلام في التجلّي والاحتجاب والاتّصال لا أرسمه في كتاب، لأنّه يؤود العقول فتنفر منه وتطرحه وتضيق عنه القلوب فيقبض عليها فتمجّه، وإنّما أمله من قلب إلى قلب، وأوعيه من عين إلى عين. " قوت القلوب، ج 2 ص 1077.

الفصل الثالث:

في صفة حبّ الله للعبد

اعلم أنّ شواهد القرآن متظاهرة على أنّ الله تعالى يحبّ عبده. قال الله تعالى: ﴿يحبّهم ويحبّونه.﴾ وقال: ﴿إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين﴾ (البقرة؛ 222)؛ وقال: ﴿إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّا﴾ (الصف؛ 4). وروى أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ: "إذا أحبّ الله عبدا لم يضرّه ذنب"[1]. وقال حكاية عن ربّ العزّة جلّت قدرته: "ولا يزال العبد يتقرّب[2] إليّ بالنوافل حتّى أحبّه"[3]؛ الحديث.

وأمّا حقيقة هذا الحبّ فاعلم أنّ حبّ الله للعبد لا يكون من ميل[4] النفس، ولا من رؤية الطاعة له، ولا من سبب من جنس الأسباب الموجبة لمحابّ الخلق، بل كلّ صفة من أوصاف الله سبحانه من العلم، والقدرة، والإرادة وغيرها، وإنْ اتّفقت في أسماء صفات خلقه، فلا تشبه حقيقتها حقيقة أوصاف الخلق البتّة. حتّى الوجود الذي يعمّ الخالق والمخلوق[5] جميعا، وذلك لأنّ وجود الخلق عن عدم ووجود الخالق واجب لنفسه، ووجود كلّ ما سواه مستفاد منه. ومن دقّق النظر علم أنْ ليس في الكون إلّا الله، وأفعاله[6] منه، فكأنّه ليس في الوجود شيء ثابت إلّا هو وحده.

---

[1]. القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ص 178.

[2] في (ج) "يتقرب العبد".

[3]البخاري، صحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث: 6137.

[4] في (ص) "مثل".

[5] في (ص) "والمخلوق".

[6]وردت كلمة أفعاله مرّتين في (ج و(ش) فلا ندري هل يجب قراءة النص ليس في الكون إلاّ الله وأفعاله، وأفعاله منه " أم " ليس في الكون إلاّ الله وأفعاله منه." وفي (ص) "وأفعاله وأفعاله".

قرأ القارئ بين يدي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير[1] رحمه الله قوله تعالى: "يحبّهم ويحبّونه" فقال: "بحقّ يحبّهم[2] لأنّه لا يحبّ إلّا نفسه."[3] على معنى ليس في الكون إلّا هو، وما سواه [فهو من صنعه والصانع إذا مدح صنعه فقد مدح نفسه. فإذن لا تتجاوز المحبّة نفسه لأنّ نفسه][4] قائمة بنفسها وما سواه قائم به، فهو لا يحبّ إلّا نفسه. فإذا عرفت هذا فاعلم أنّ محبّة الله للخلق مؤوّلة لا محالة.

قال أبو الحسن النوري[5] رحمه الله: "حبّ الله[6] للعبد من طريق الفضل لا من طريق الأنس والراحة".

وقال أبو حامد الغزالي رحمة الله عليه: "حبّ الله لعبده تصفية قلبه، || 143 ورفع الحجاب عنه حتّى يرى خالقه"[7]. فعبّر عن[8] هذا اللطف بالمحبّة كما قال: "ولا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه". ومثاله أنّ السيّد إذا قرّب عبده وأطلعه على سرائره يعبّر عن ذلك بمحبّته له. قال النبيّ

---

[1]أبو سعيد الفضل بن أبي الخير الميهني المتصوّف والملقّب بشيخ الوقت، أقام في نيسابور وتوفي كوالده في ميهنة، وكان مقدم شيوخ الصوفية في عصره، صحيح الاعتقاد حسن الطريقة، أحواله تبهر العقول اهتدى به فرق من الناس، وجالس أبا عبد الرحمن السلمي (توفي سنة 440هـ/ 1048م). الذهبي، سير، ج 17، 622. السبكي، طبقات، ج 5، ص 306-308.

[2]في (ق) " يحبهم ويحبّونه"..

[3]الغزالي، إحياء، ج 8، ص 472.

[4] ما بين المعقوفتين مستدرك في هامش (ج).

[5] أبو الحسين أحمد بن محمّد البغوي النوري، المعروف بـ "ابن البغوي"، من أعلام التصوف، بغدادي المنشأ والمولد، خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ، يقال لها "بغشور".صحب سري السقطي، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمّد بن علي القصّاب، وكان من أقران الجنيد. توفي النوري عام 295 هـ / 907م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 164-169؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 6، ص 330- 338، رقم: 2828؛ الذهبي، سير، ج 14، ص 70-77.

[6] ليس في (ص).

[7] الظاهر أن القزويني أورد كلام الغزالي مختصرا إذ جاء في الإحياء كالتالي: " محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه من كدورات الدنيا، ورفع الحجاب عن قلبه حتّى يشاهده كأنّه يراه بقلبه ". الإحياء، ج 8، ص 475.

[8] سقط من (ج).

ﷺ: "إذا أحبّ الله عبدا ابتلاه، فإنْ أحبّه الحبّ البالغ اقتناه." [قيل: "وما معنى اقتناه؟" قال:][1] "لم يترك له مالا وأهلا"[2].

[وقال صاحب القوت: "محبّة الله للخلق بخلاف محبّة الخلق له إذ محبّة الخلق لمعان حادثة، وأسباب داخلة، فتتغيّر باختلاف الأوقات والأسباب، ومحبّته لا تتغيّر أبدا لقوله تعالى: ﴿إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى﴾][3]الآية (الأنبياء؛ 101)[4].

قال عمرو بن عثمان[5]: "إنّ أوّل طبقة من العارفين إنّما أظهر الله في قلوبهم المحبّة بأنْ أراهم ما تولّاه[6] منهم يوم استخرج[7] الذرّة من ظهر آدم، فنظر إليهم بعين محبّته، فظهرت في قلوبهم لمعتان، لمعة عرفوه بها، ولمعة أحبّوه بها".

وقيل: محبّة الله للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه كالرحمة، فإن المحبّة أخصّ من الرحمة، والرحمة أخصّ من الإرادة، وإرادته تعالى صفة واحدة، ولكنّها بحسب اختلاف متعلّقاتها[8] تختلف أسماؤها، فإنْ تعلّقت بعقوبة سمّيت غضبا، وإنْ تعلّقت بعموم النعمة سمّيت رحمة، وإنْ تعلّقت بخصوصها سمّيت محبّة. [وقال بعضهم: محبّة الله للعبد مدحه وثناؤه عليه.][9]

---

[1] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

[2] ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، الرياض، دار الراية، 1411هـ/ 1991م، ج 4، ص 445، حديث: 2499، بلفظ " إذا أراد " عوض " إذا أحبّ." وقد أدخل ناسخا (ج) و(ق) ما رمز إليه ناسخا (ج) و(ش) بأنّه حاشية ولم يعدّه من الكتاب، وهذا نصه: " إنّما لم يترك مالا وأهلا يخلص له ولا يشتغل بغيره ". وقد أقحم ناسخ (ج) هذا النص ضمن ما كتبه القزويني لكنه رمز له بلفظ "حاشية". وقد اضطرب في نقل بعض ألفاظه: "إنّما لم يترك مالا وأهلا حتى يحاضر له ولا يستعمل بغيره".

[3] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

[4] أبو طالب المكي، قوت القلوب، ج 2، ص 1047-1048، ويظهر أن القزويني نقل كلام صاحب القوت بتصرف.

[5] عمر بن عثمان بن كرب بن غصص، الإمام الربّاني، شيخ الصوفيّة، أبو عبد الله المكّي الزاهد. صحب أبا سعيد الخزاز، وله تصانيف في الطريق، كان من أئمة الفقه، ولمّا ولّي قضاء جدّة، هجره الجنيد. توفي سنة 297هـ/ 909م.السلمي، طبقات الصوفية، ص 200-205، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، ص 136-139، ترجمة: 6626؛ الذهبي، سير، ج 14، ص 57- 58.

[6] في (ص) "توليه".

[7] في (ق) "استخراج".

[8] في (ص) "بحسب اختلاف حركاتها متعلّقا بها"

[9] ما بين المعقوفتين سقط من (ج) استدرك في هامش (ش).

[قال بعض المشايخ "إذا أحبّك سترك، وإذا أحببته شهرك "][1].

[وقيل: "إذا أحبّك أنامك، وإذا أحببته أقامك"][2].

واعلم أنّ الكلام في باب المحبّة طويل الأذيال لما فيها من كثرة الأقوال، سيما في صفات المحبّين في اختلاف درجاتهم، وتفاوت حالاتهم مع الله. وكتب الصوفيّة مملوءة من ذلك، فلا حاجة بنا إلى نقله فلنقتصر[3] على هذا المقدار الذي جرى به القلم. على أنّ هذه المسألة من فنّ آخر وليست من جنس مبنى الكتاب، ولكنّها لمّا وقعت من جملة مسائلها وجب القول فيها. وقد [أتينا في أثناءه بنكت][4] ودقائق تخلوا الكتب عنها، يعرفها من يعرفها، وضممنا أطراف الكلام في ذلك تقريبا للأفهام، فقد وجدناها في الكتب منتشرة غير مضبوطة، والله وليّ العصمة والتوفيق.

مناجاة[5]:

سبحان فالق ||144 حَبّ القلب بالحُبّ، وفاتق نوى النوى بالقرب، مؤلّف الأضداد، جامع الأفراد، المفتح إلى الفؤاد ألف واد. والمحبّون في كلّ واد يهيمون، وكلّ بارقة يشيمون. تدور رحى الحزن على[6] دموعهم، وتفور نار الشوق بين ضلوعهم. قد فنوا عن أنفسهم ببقاء المحبوب، وفقدوا طلبهم بوجدان المطلوب، فهم بين الرضى والسخط، والنؤى والقرب، أموات غير أحياء، أحياء غير أموات.

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[2] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

[3] في (ج) و(ص) "فلنختصر".

[4] وردت كلمات ما بين المعقوفتين دون تنقيط في (ص).

[5] في (ج) "المناجات" وفي (ق) "المناجاة".

[6] في (ص) "من".

إلهي، أشرِب في حبّات قلوبنا حبّك، واكشف لنا عن وجه جمالك وجلالك حجبك، حتّى نتهادى[1] بينهما، فطورا نراك فنطرب، وتارة نخشاك فنهرب، وكيف الطرب ولا مقرب، وإلى أين الهرب[2] ولا مهرب، أوِدَّنا بودّك يا ودود، يا ذا العرش المجيد.

---

[1] في (ج) "نتهاوى".

[2] في (ش) أهرب.

الباب الخامس والعشرون
في إثبات الجنّ

اجتمعت الأمّة سلفا وخلفا على إثبات الجنّ، وقد نطق القرآن بهم، ووردت[1] الكتب المنزّلة على الأنبياء السابقين بإثباتهم، فوجب الإيمان بذلك. وهم من الخلق الناطق[2] يأكلون، ويتناكحون[3]، ويتناسلون. والدليل على إثباتهم نصوص القرآن، وسائر الكتب، وما تخيّله عامّة الناس من آثارهم الخفيّة. والمعتزلة ينكرون الجنّ أصلا ويزعمون أنّ الجنّ عبارة عن دهاة الناس، والشياطين عبارة عن مردة الناس وأشرارهم، ويردّون بذلك ثلث القرآن الدالّ على وجودهم وأوصافهم.
قال القاضي الماوردي رحمه الله: "إنّ الله خلق الخلق من أربعة أشياء أصولا وهي الماء، والأرض، والهواء، والنار، وكان الماء والأرض ظاهرين للحسّ، والهواء والنار خافيين. وللنار نور ولهب ودخان، فالنور ضياء محض، والدخان ظلمة محضة، واللهب هو المارج المتوسّط. فخلق الله الملائكة من النور، وهو الخير المحض، وخلق الشياطين من ظلمة الدخان، وهو الشرّ المحض، وخلق الجانّ من مارج من نار، لهم نسبة إلى الملائكة بالنوريّة، ونسبة إلى الشياطين بالظلمة ||145 الدخانيّة، فلذلك منهم مطيع، وعاص، ومؤمن، وكافر. فقال تعالى في موضع: ﴿والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم﴾ (الحجر؛27)، قيل هي نار الشمس، وقيل هي نار الصواعق. واختلفوا في إبليس أهو من الملائكة أم من الجنّ؟ فقال قوم: كان أصله من الجنّ الذين استكبروا في الأرض فحاربهم الملائكة وسَبَوا إبليس منهم[4] إلى السماء، فصار بالحكم من الملائكة، فإنّ مولى القوم من أنفسهم، وكان بالنسب من الجنّ، فيصدق فيه القولان. وقيل من

---

[1] في (ج) و(ش) و(ق) "وورد".

[2] في (ج) "الباطن".

[3] وقع في هذه الجملة تقديم وتأخير في (ق) والصواب من (ش).

[4] سقط من (ق).

الجنّ فعلا ومن الملائكة نوعا، فباعتبار فعله كان من الكافرين. وقيل كان من خزنة الجنّة. قال الله تعالى: ﴿وجعلوا[1] بينه وبين الجنّة نسبا.﴾ الصافّات؛ 158)." ثمّ خلق سكان البرّ والبحر من الطين والماء كالإنسان، والأنعام، والوحوش، والحشرات، والسباع، والطيور، والحيتان، والضفادع وغيرها من بنات الماء، فصار هؤلاء الأجناس الأربعة من المخلوقات من الأصول الأربعة جنسان صاعدان لصعود أصليهما، وهما الملائكة والجنّ، وجنسان هابطان لهبوط أصليهما وهما حيوان البرّ وحيوان[2] البحر[3].

وذكر القاضي هذا الكلام في كتاب النبوّة، ثمّ اعتذر فقال: "إنّما نقلت العبارة إلى ألفاظ المنكرين لها، لأنّ الاستدلال بلسان الخصوم يكون أوقع عندهم[4] وأدعى إلى التزام الحجّة عليهم"[5]. وكثيرا ما ترى من[6] كلامنا مثله في هذا الكتاب للسبب[7] الذي ذكره رحمه الله.

واعلم أنّ كلّ جنس من هؤلاء لمّا [تمّ خلقه][8] بقدرة الله زالت صورة أصله عنه وتشكّل بشكل آخر لا يشبه أصله، كما أنّ الإنسان مثلا زال عنه صورة الماء والتراب وصار لحما وعظما وبشرة إلى غيرها، ثمّ تشكّل بصورة مخصوصة وهيئة على حدة، وكذلك جميع الحيوانات من السباع والطيور، أشكالها مختلفة لا يشبه بعضها[9] بعضا. وهكذا تكون صفة الملائكة والجنّ[10] والشياطين، زالت صورة الهواء[11] عن ظاهر أشخاصهم وصيّر الله تعالى لها هيئات نورانيّة لطافا،

---

(1) في (ج) "وجعل".

(2) سقط من (ج) و(ش).

(3) انظر الماوردي، أعلام النبوّة، ص 132، حيث ورد هذا الكلام مختصرا وكأن الكتاب الذي نشر ليس إلّا مختصرا لكتاب أصل وضعه الماوردي واختصره بعضهم والله أعلم.

(4) في (ص) "عنده".

(5) _نفسه_، ص 132، حيث ورد هذا الكلام بعبارة مختلفة عمّا جاء به القزويني.

(6) في (ص) "في".

(7) في (ق) "لسبب".

(8) في (ص) "خلقوا".

(9) في (ش) "بعض" وفي (ص) "بعضها".

(10) في (ص) "والجن والإنس".

(11) سقط من (ج).

ولذلك سمّوا روحانيين. ثمّ لتلك الأنوار أشكال وصور لطيفة لائقة بذواتها يتمايز بها بعضهم عن بعض كأشكال الحيوانات الأرضيّة لا يعرفها إلا الله تعالى، ﴿وما يعلم جنود ربّك إلّا هو﴾ (المدثر؛ 31). وتلك الصور لازمة في اختلافاتها ||146 في تنوّعها[1]، ولكنّها ممنوعة عن أبصارنا لغاية اللطافة كالهواء والريح، وقد يكون بعضها عارضة تظهر أحيانا فيراهم[2] الأنبياء والأولياء بواسطتها ثمّ تزول عنهم، وذلك يجري لهم مجرى اختلاف اللباس[3] لنا. وسببه أنّ أجسامهم لغلبة[4] اللطافة والرقّة كأنّها تمتزج بالهواء، فيتصوّر الهواء بما شاؤوا من الصور في عين الرائي [وتلك الصور مرّة متمثّلة[5] في عين الرائي] [6] دون الهواء، وتارة مرتسمة في الهواء ارتسام قوس قزح حتّى يراها الحاضرون أيضا في صورة الخضرة والحمرة وغيرها[7]، وذلك مثل[8] ما رأى عبد الله بن عبّاس صورة جبريل [مع النبيّ ﷺ ولم يرها أبوه عبّاس[9]، وكان[10] معه في المسجد][11] فأخبر النبيّ ﷺ بذلك[12] فقال: "أما إنّه سيعمى، ولكن الله يفقّهه في الدين ويعلّمه التأويل[13]"[14].

---

[1] في (ص) "نوعها".

[2] في (ص) "فيريهم".

[3] في (ص) "اللبس".

[4] في (ص) "لعلة".

[5] في (ص) "ممثلة".

[6] ما بين المعقوفتين سقط من (ج) و(ق) واستدرك في هامش (ش).

[7] في (ص) "وغيؤهما".

[8] سقط من (ص).

[9] في (ص) "العباس".

[10] في (ص) "وقد كان".

[11] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

[12] سقط من (ص) و(ق).

[13] في (ص) "في التأويل".

[14] الحاكم، المستدرك، ج 3، ص 617-618، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، حديث: 6287.

واعلم أنّ الله تعالى أقدرهم على أنْ يظهروا في أيّ صورة شاءوا كما أقدرنا أنْ نظهر في أيّ لباس شئنا. فكما أنّ أشكال اللبس لنا مسخّرة كذلك كانت أشكال الصور لهم مسخّرة، غير أنّ لباسنا من نسج الغزل والقزّ، ولباسهم من نسج الهواء والأشعّة، و﴿كلّ يعمل على شاكلته﴾ (الإسراء؛ 84).

وقال بعض العلماء: "لمّا كان جسم الملك والجنّيّ[1] أرق من الهواء فدقّ عن أبصارنا، فإذا أراد الله أن يرينا الملك والجنّي، كثّف الهواء وأعطاهم من القدرة على ما تشكّلوا[2] في لباس الهواء بأيّ شكل وصورة[3] شاءوا، فيراهم[4] الناس على تلك الصورة كما قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا [وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ (الأنعام؛ 9)". والملك لا يكون رجلا][5] في الحقيقة، وإنّما تشكّل[6] بصورة الرجل بواسطة الهواء المتكاثف، [لأنّ الهواء إذا تكاثف][7] أمكن إدراكه كالسراب والله أعلم.

ثمّ اعلم أنّ المرئيّ بواسطة هذه الصور على اختلافها هو الملك حقّا والجنيّ حقّا، كما أنّ المسموع بواسطة الحروف والأصوات هو كلام الله حقّا. وكان بعضهم سئل عن حدّ الجنيّ فقال: "حيوان هوائي ناطق، من شأنه أن يشكّل بأشكال مختلفة".

ويقال: إنّ[8] العزائم [وأسماء الله تعالى][9] إذا قرئت على المجنون، كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجنّيّ فيحضرهم ويردّهم إلى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان. [وفي الحديث: "أنّ الشيطان يذوب من عظمة اسم الله كما يذوب الرصاص في النار][10]"[1]. ولقد كانوا لسليمان

---

[1] في (ص) "والجن".

[2] في (ص) "يتشكل".

[3] سقط من (ص).

[4] في (ص) "فيريهم".

[5] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ش).

[6] في (ص) "يتشكل".

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[8] سقط من (ص).

[9] سقط من (ج) و(ق) وورد في هامش (ش).

[10] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش) وسقط من (ج) و(ص).

عليه السلام مسخّرين كما سخّرت له الريح. وهم أجسام لطاف كالريح يدخلون أجواف بني آدم ||147 دخول النار في الفضة المذابة، تراها تضطرب في البوطقة[2]، كذلك المصاب عند قراءة العزائم عليه. وفي الحديث: "إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم"[3].

واعلم أنّ الجنّ مكلّفون لقوله: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجنّ﴾ الآية (الأحقاف؛ 29)، وهم[4] كانوا تسعة: من جن نصيبين، عمرو بن جابر، ومشجب، وحسا، وبسا[5]، وشاصر، وناصر، وابنا الأندرواني، وقردمان[6]. وكان رسول الله ﷺ [رآهم ببطن النخلة، قد أتوا من شعب الحجون[7]][8]، فخطّ [رسول الله ﷺ][9] حول ابن مسعود خطّا وقال: "لا تخرج منه." فقال ابن مسعود: " كان بينهم خصومة في دم، فكنت أسمع لغطهم حتّى أن قضى[10] رسول الله ﷺ بينهم، علمّهم سورة الرحمن، وأوجب عليهم الصلاة"[11]. وهذا في التفاسير مشهور.

واعلم أنّ الناس اختلفوا في دخولهم الجنّة[12] ثوابا على أعمالهم، فقال الضحّاك: "هم يدخلون الجنّة بأعمالهم." وقال سفيان: "يثابون على الإيمان بأنْ يجاوزوا النار خلاصا، ثمّ يقال لهم كونوا ترابا." [13] وأكثرهم لا يعتقدون البعث كما قال تعالى: ﴿وإنّهم ظنّوا كما ظننتم أنْ لن يبعث الله أحدا﴾ (الجن؛ 7).

---

[1] الحافظ عبد الله بن عديّ الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1418هـ/ 1997م، ج 4، ص 7.

[2] في (ص) "البودقة"

[3] سبق ذكر هذا الحديث في الباب الثاني والعشرين في الرؤيا، ورؤية الله، ورؤية رسوله في المنام.

[4] سقط من (ص).

[5] في (ج) "يسا" وفي (ق) "نسا" وقد اختلف في ضبط أسماء هؤلاء النفر.

[6] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 213-214.

[7] في (ص) "الحجرين".

[8] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[9] ليس في (ق).

[10] في ((ج) "حتى انقضى".

[11] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 212.

[12] في (ص) "في دخول الجن الجنّة".

[13] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 217-218؛ ج 17، ص 169.

وأمّا استراقهم السمع فممنوع[1] بعد بعثة نبيّنا محمّد ﷺ بالشهاب الرصد المحرق. وقيل ربّما يسمعون كلمة ثمّ يرمون بالشهب. وفي هلاكهم بالشهب خلاف. قيل: تحرقهم وتفنيهم. وقيل: يخبّلهم. وفي الشهب قولان: قيل هي نور يمتدّ[2] بشدّة ضياءه فيحرقهم ثمّ يعود إلى مكانه. وقيل هو نار على هيئة النجم ينقضّ من تحت السماء فيحرقهم ولا يعود، والله أعلم.

مناجاة[3]:

سبحان من خلق الجانّ من مارج من نار، وجعل الجوّ لهم دار القرار. فالجنّ جوّاني، والإنس برّاني[4]، والملك روحاني[5]، وكلّهم ربّاني، إمّا طاعة وقالا، وإمّا دلالة وحالا. يتوارون عن العيون إذا جاءوا، وربّما يتراءون في أيّ صورة شاءوا. فهم بين التواري والترائي، كمحاكاة الصور في المرائي.

إلهي، كما أجننت[6] الجنّ عن أناسي عيوننا، ||148 فأجننا عن أناسي عيون الإنس، وكما أنست الإنس من لقاء الجنس، فأنسنا من لقائك بأوفر الأنس، [فلا أنس][7] لقلوبنا إلّا في ذراك[8]، ولا وحشة إلّا في الأنس بسواك، يا أنيس الغرباء، يا جليس الوحداء.

---

[1] في (ص) "فمسموع".

[2] في (ص) "كمثل".

[3] في (ج) "المناجات".

[4] في (ص) "ترابي".

[5] في (ص) سبقت عبارة "الملك روحاني" عبارة "الإنس..."

[6] في (ص) "أخفيت".

[7] استدرك في هامش (ص).

[8] في (ص) "ذلك".

الباب السادس والعشرون
في صفة الثور والحوت الحاملين للأرض

شاع في ألسنة الناس أنّ الأرض موضوعة على ظهر الثور، والثور على الحوت. وروي مثل ذلك عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض خطبه، وذكر في التفاسير كذلك، وتمسّكوا بالآثار وآحاد الأحاديث؛ وهذا إن صحّ عن رسول الله ﷺ بالأخبار المتواترة التي توجب العلم يجب الإيمان به، فإنّ قدرة الله واسعة، لا يعجزه شيء عن شيء، ولا يطلع مخلوق على كنه حكمته في خليقته، ولعلّ ذلك لتكون قوّة الحامل على قدر ثقل المحمول كما قيل: "على قدر جرم الفيل تبنى قوائمه." وذلك أنّ الله خصّ البقرة بقوّة عظيمة وشدّة لا تقاومها الأسود السود وغيرها من السباع العظام، والحوت أعظم الحيوانات جثّة حتّى[1] قيل: ما خلق الله شيئا أعجب من الحوت في تفاوت جثّته، إذ صغيره قد يوجد في حدّ لا يدركه البصر من صغره، وكبيره قد يكون في عظم ما يملأ البحر الأخضر، حتّى حكي أنّ جماعة من التجّار أرادوا ركوب البحر فمرّ حوت، وكانوا يترقّبون مروره أربعة أشهر وهو يمرّ مرّ السحاب فلم يظهر ذنبه لهم، فرجعوا وتركوا ركوب البحر. ولهذا قيل: "حدّث عن البحر ولا حرج"[2]. فلمّا اختصّ هذان الجنسان [من الحيوان] [3] بالقوّة الشديدة وعظم الجرم، ربّما خلق الله على هيئتهما[4] ملكين أو شخصين كما شاء، ووضع هذه الأرض الثقيلة على ظهرهما [كما وضع العرش العظيم على كاهل إسرافيل عليه السلام][5]. ولذلك ضلّت[6] جماعة كانوا يعبدون البقر، وكان الهند لا يرون ذبحه. وفي الجاهليّة الأولى إذا

---

[1] سقط من (ص).

[2] في (ص) "حدث عن رسول الله ﷺ ولا حرج". والمثل عند الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج 2، ص 113

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[4] في (ص) "بنيتهما".

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[6] في (ص) "وكذلك صلب".

تتابعت عليهم السنون وحبس عنهم القطر[1]، جمعوا البقور وعقدوا في أذنابها شجر السلع والعشر[2]، ثمّ صعدوا في جبل وعر، وأشعلوا[3] النار في ذانك | |149 الشجرين، وضجّوا بالدعاء، ويرون ذلك من أسباب السقيا، كأنّهم يتوسّلون بتلك البقور إلى البقر الذي عليه الأرض، كما يتوسّل المشركون بالأصنام إلى الملائكة. وسبب توسّلهم إليه في السقيا هو أنّ الثور والحوت قائمان في قاموس[4] البحار، وهو وسطها ومعظمها على ما جاء في حديث ابن عبّاس رضي الله عنه. ويقال إنّ الغيوم تنشأ[5] منه. قال أميّة بن أبي[6] الصلت:

ويسوقون باقر الطود للسهـــــل ... مهازيل خشية أن تثيـــرا

عاقدين النيران في ثكن الأذناب ... منها لكي تهيج البحورا[7]

سلع ما ومثله عشر مـــــــــــا ... عائل ما وعالت البيقورا[8]

وقال بعض الإسلاميين في جوابه[9]:

لا دُرّ دَرّ رجال ضلّ سعيهم ... سيمطرون لذى الأزمّات بالعشر[10]

---

[1] في (ح) "المطر".

[2] في (ح) "العسر".

[3] في (ص) "واستعملوا".

[4] سقط من (ح) و(ق) وورد في هامش (ش).

[5] فغي (ح) "تتنة"، واسترك الصواب في هامش النسخة.

[6] سقط من (ق) و (ش).

[7] في (ص) "الثيران".

[8] في (ص) "وعلت". ديوان أميّة بن أبي الصلت، تحقيق سجيع جميل الجبيلي، بيروت، دار صادر، 1418هـ/ 1998م، قصيدة: 59، ص 73 -75. حيث جاءت هذه الأبيات مختلفة الترتيب في القصيدة وبهذه الرواية:

ويسوقون باقر السهـل للطو ... د مهازيل خشية أن تثيـــــرا

عاقدين النيران في ثكر الأذ ... ناب عمدا كيما تهيج البحورا

سلع وما مثله عشر مـــــــا ... عائل ما وعالت البيقــــورا

وانظر هوامش المحقّق.

[9] تنسب هذه الأبيات للورل الطائي، ولم نجد لهذا الشاعر ذكرا في مصادر الأدب واللغة إلّا برفقة هذه الأبيات، وما ندري لم نعته القزويني بالإسلامي.

[10] في (ص) "قبل".

أجاعل أنت بيقورا مسلعـــة ... ذريعة لك بين الله والمطـــــــــر[1]

وجاء عن وهب بن منبّه[2] أنّ الأرض السابعة على كفيّ ملك يقال له أرغيائيل، ما بين مفصل إبهامه أربعون ألف سنة، والملك قائم على الثور، والثور على صخرة من زمرّدة خضراء، وتحيط بالصخرة حيّة قد تطوّقت بها، والصخرة على جناحي الحوت في بحر يقال له عقيوس، وهو على الريح العقيم، والريح على الهواء، والهواء على الظلمة، والظلمة على جهنّم، وجهنّم على بحر من نار ويقال له القمقام، والقمقام على الثرى، ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى. هذا مذكور في التفاسير ولم أره في الصحاح. فإنْ صحّ فالإيمان به واجب.

وقرأت في التوراة المعرّبة أنّ آدم لمّا أُهبط إلى الأرض قال: "يا إلها أخرجتني من الجنّة ونعيمها وثمارها إلى هذه الأرض الشديدة اليابسة، فكيف أعيش فيها؟ فأوحي[3] إليه أنّ الأرض على[4] يهموثا وأيوثا، وعيشك في كدّك[5]". قال المفسّر لها يهموثا اسم للبقر، وأيوثا اسم الحوت، يعني أنّ قوام الأرض عليهما، يريد أنّ قوام العيش في الأرض بالحرث والماء، بخلاف الجنّة والعيش الرغد فيها، فكنّى عن الحرث بالبقر، وعن الماء بالحوت[6]، لأنّ البقر يبقر الأرض، وسميّ ثورا لإثارتها الأرض للزرع، وبالماء يسقي الزرع والغرس ||150 اللاتي بهنّ معاش أهلها، وكنّى عن الماء بالحوت لأنّ الحوت خلق من الماء في الماء وعيشه في الماء، ومعناه أنّ العيش كان في الجنّة رغدا وفي الأرض كبدا أي مكابدة ومقاساة للزراعة والسقي وغيرهما من الأعمال الشاقّة. قال الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ (البلد؛ 4). وسمّيت كبِد الحيوان كبِدا لأنّها قطعة دم جامد خلقت للمكابدة في تغيير الدم وطبخ[7] الطعام في المعدة. فالإنسان ما دام في الدنيا لا

---

[1] تجد هذه الأبيات عند الجاحظ في كتاب الحيوان، ج 4، ص 468، والثعالبي، ثمار القلوب، ص 580، وابن طباطبا، عيار الشعر، ص 42، إلى غير ذلك من المصادر اللغوية كتهذيب اللغة للأزهري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي.

[2] في (ق) "رضي الله عنه".

[3] في (ق) "فأوحى الله".

[4] ليس في (ص).

[5] في (ج) "كذلك".

[6] في (ق) عن الحوت بالماء والصواب من (ش).

[7] في (ش) "وتطبخ".

يتخلّص من الكبَد، وإنّما يستريح من المكابدة][1] إذا عاد إلى الجنّة في الآخرة فلا كبَد هناك. ولعلّ قوله ﷺ: "أوّل طعام الجنّة كبد الحوت الذي عليه الأرض."[2] [إشارة إلى][3] استراحتهم[4] في العيش الرغد الذي لا مكابدة فيه. وفي القرآن سورتان تسمّيان[5] "البقرة"، و"ن والقلم". قيل النون هو الحوت الذي عليه الأرض، وفي البقرة ذكر البقر إلى قوله: ﴿لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث﴾ (البقرة؛ 71)، وفيها ذكر الزراعة ﴿كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل﴾[6] (البقرة؛ 261)؛ وفي سورة ﴿ن والقلم﴾ ذكر الحوت في قوله: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ (القلم؛ 48)؛ وذكر الحرث في قوله: ﴿أنْ اغدوا على حرثكم﴾ الآية (القلم؛ 22)، فعلى هذا الجمع بين القولين ممكن. فلعلّ الله وضع جرم الأرض على الثور والحوت، وعلّق قوام العيش فيها بهما. فالقول الأوّل خير، والثاني معتبر. [هذا وللمتكلّمين وأهل النجوم أقوال مختلفة في وقوف الأرض تركناها، والله أعلم بذلك][7].

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ح).

[2] لم نجد هذا الحديث كما جاء به القزويني ولكن الرواية الأقرب إليه هي: عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: "تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلا لأهل الجنة." قال: "فأتى رجل من اليهود فقال: "بارك الرحمن عليك أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنّة يوم القيامة؟" قال: "بلى." قال: "تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله ﷺ." قال: "فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثمّ ضحك حتّى بدت نواجذه." قال: "ألا أخبرك بإدامهم؟" قال: "بلى." قال: "إدامهم بلام ونون." قالوا: "وما هذا؟" قال: "ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا". مسلم، كتاب، صفات المنافقين وأحكامهم، باب نزل أهل الجنة، حديث: 2792.

[3] سقط من (ص).

[4] في (ص) "لاستراحتهم هناك".

[5] سقط من (ص).

[6] في (ص) زيادة "في كل سنبلة".

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

مناجاة[1]:

سبحان من قسّم الأرض برّا وبحرا، فخلق من البرّ ثورا، ومن البحر حوتا، [وجعل التسبيح والتحميد لهما قوتا][2]، فغاص الحوت في قاموس بحره، وثار الثور على ظهره بأمره[3]، فحمل عليهما مثقلة الأرض، ذات الطول والعرض، تنبيها بأنّك يا إنسان مخلوق من طين البرّ وماء البحر، ولكنّك مكرّم[4] بشرف العقل وقوّة الفكر، فإن اتّبعت[5] عقلك وأعملت في طلب المعارف فكرك بلغت أعلى علّيين، وجاورت الملائكة المقرّبين، وإنْ واظبت[6] على إصلاح قوت حوت نهمتك، وعلف ثور شهوتك، هبطت إلى أسفل سافلين، وجاورت الثور والنون، فاختر أيّ الجوارين شئت، جوار الملك أم جوار السمك.

إلهي، رقّنا في مدارج أفكارنا، | |151 ومعارج أنظارنا، إلى معاقل العقول [وسماء السموّ][7] عند الملائكة الكرام، ولا تهبطنا[8] إلى معالف ثيران الشهوات، ومسابح حيتان الطبع في الظلمات، يا دائم الخيرات.

---

[1] في (ج) "المناجات".

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[3] استدرك فوق السطر في (ص).

[4] في (ش) مشرّف.

[5] في (ص) "تابعت".

[6] في (ج) "واطيت".

[7] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ص).

[8] سقط من (ش) ما بقي من هذه المناجاة، ومعظم الباب السابع والعشرين عدا أربعة أسطر، تليها مباشرة المناجاة التي ينتهي بها الباب المذكور.

الباب السابع والعشرون
في الزلزلة والهدّات والصواعق

اعلم أنّ الناس تكلّموا في هذه الأشياء، فأمّا[1] الزلزلة فقالوا إنّ بعوضا[2] خلقها الله تعالى وسلّطها على الثور الذي عليه الأرض فهي تطير أبدا بين عينيه، فإذا دخل أنفه حرّك الثور رأسه، فيتحرّك جانب من جوانب الأرض، وإليه الإشارة النبويّة في استحقار هذه الدنيا بقوله ﷺ: "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء."[3] معناه أنّه لو شاء لقلبها[4] ظهرا لبطن بحركة جناح تلك[5] البعوضة، لكنّها[6] أقلّ قدرا عنده من ذلك فتركها حتّى يأكل منها البرّ والفاجر. ويقال إنّ عروق جبل قاف ذاهبة في أصول بلاد الأرض، فإذا أراد الله أن يعذّب أهل بلدة، أمر ملكا بتحريك ذلك العرق الذي[7] هو راسخ تحتها فتتزلزل[8] تلك البلدة. وجبل قاف هو المحيط بالدنيا، سمّي قافا لأنّه قفا العالم. يقال أخذت بقوف رقبته، وقاف رقبته، وقفاه بمعنى واحد على طريق القلب. وعن وهب أنّه لمّا بلغ ذو القرنين جبل قاف صعد عليه وقال له: "أخبرني عن[9] عظمة الله تعالى." فقال الجبل: "إنّ شأن ربّنا لعظيم تقصر عنه[10] الأوهام. إنّ

---

[1] في (ق) "أما".

[2] في (ص) "بعوضة".

[3] القضاعي، مسند الشهاب، ج 2، ص 317، حديث 1439.

[4] في (ص) "قلبها".

[5] سقط ن (ص).

[6] في (ص) "ولكنها".

[7] سقط من (ص).

[8] في (ص) "تزلزل".

[9] في (ج) و(ق) "من".

[10] في (ص) "عنها".

ورائي لأرضا مسيرها[1] خمسمائة عام، وأرضا من جبال الثلج يحطم بعضها على بعض، ولولا الثلج لاحترقت الدنيا بما فيها من حر جهنّم." فقال: "ما هذه الجبال الصغار[2] حولك؟" قال: " هي عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل أرضا، أمرني فحرّكت عرقا من عروقي، فيزلزل تلك الأرض"[3]. [والله أعلم][4].

وقرأت في كتاب *قوت القلوب* أنّه قيل لأبي يزيد: "ما بلغ[5] حمل جبل[6] قاف؟" فقال: "جبل قاف أمره قريب في جبل كاف، وجبل صاد، وجبل عين، فإنّ هذه جبال محيطة بالأرض السفلى حول ثانية وثالثة ورابعة إحاطة جبل قاف بالدنيا"[7].

وقال الأوائل: إنّما تزلزلت لاحتباس الأبخرة الغليظة في تجاويفها تريد التخلّص منها، فتزلزل ||152 الأرض حتّى تخرق بعض نواحيها فيتنفّس منها. فيقال لهم: وما سبب احتباس الأبخرة الموجبة للتحريك؟ وما سبب سببه؟ حتّى اضطرّوا إلى مسبب قادر مختار.

وذكر محمّد بن عليّ الترمذي رحمه الله في *كتاب النقائض* عن عكرمة أنّ الزلزلة والدمدمة من تجلّي الربّ تعالى، وكذلك كسوف الشمس من تجلّيه.

وأمّا الرعد فقيل: صوت تسبيح ملك هو أصغر ملائكة الله يسمّى الرعد. قال الله تعالى: ﴿ويسبّح الرعد بحمده﴾ (الرعد؛ 13). وقيل هو صوت مرتعد يحدث من تحريك مقرعة الملك الذي يسوق السحاب، والبرق نار تسقط من شدّة سوقه. وقيل هو صوت خرق الرياح السحاب[8] المتراكمة بعضها على بعض.

---

[1] في (ق) "مسيرتها".

[2] سقط من (ق).

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص 2

[4] سقط من (ج) و(ص).

[5] في (ق) بلغت.

[6] في (ج) "بلغت جبل قاف".

[7] أبو طالب المكي، قوت القلوب، ج 2، ص 1133.

[8] في (ص) " خرق الرياح والسحاب" وفي (ج) "حرف".

هذا الذي ذكروه فيها، أمّا الأخبار فآحاد لا توجب العلم والله أعلم بصحّتها. وأمّا أقوال الأوائل فظنون غير موثوق بها فلا يبنى عليها أساس الدين.

والجواب الحقّ عندي في هذه المسألة وما شاكله هو الذي دلّ عليه القرآن. قال الله تعالى: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ (الرعد؛ 2)، أثبت للسماء عمدا غير مرئية للخلق. وقال: ﴿إنّ الله يمسك السماوات والأرض أنْ تزولا﴾ (فاطر؛ 41). وكان الرسول ﷺ قد بيّن تلك[1] العمد التي لا ترى، فقال[2] ﷺ: "بالعدل قامت السماوات والأرض"[3]. والعدل هو التوحيد. قال الله تعالى: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل؛ 90)، فالعدل إذاً عماد السماوات والأرض، وهو ميزان الله في أرضه كما جاء في الحديث؛ ومنه الاعتدال في الأشياء دالّ[4] على ثباتها، قال النبيّ ﷺ: "لا تقوم الساعة حتّى لا يبقى أحد على وجه الأرض [يقول الله، الله][5] "[6]. فعلى ذلك إذا ظهر الشرك، وعمّ الفسق، وظهر الفساد في البرّ والبحر، انفطرت السماء، وانشقّت الأرض كما قال تعالى: ﴿تكاد السماوات يتفطّرن منه، وتنشق الأرض، وتخرّ الجبال هدّا أنْ دعوْا للرحمن ولدا﴾ (مريم؛ 90-91). ولهذا الكلام غور يتعلّق بعلم الأولياء يعرفه أهله، ولا يليق بالفنّ الذي كنّا نتكلّم عليه الآن، وأصله معرفة قوله "كن" في تكوين الأشياء، ومعنى قوله: ﴿وكلمة الله هي

---

[1] في (ح) "ذلك".

[2] في (ص) "بقوله".

[3] البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، حلب، دار الوعي، 1412هـ/ 1991م، كتاب الصّلح، باب المساقاة، ج 8، ص 230-231، حديث، 12089؛ 12091، حيث ذكر قصة هذا القول ولكنه غير منسوب للرسول ﷺ: عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فقالوا: يا محمّد، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها، ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، فأعطاهم خيبر على أنّ لهم الشطر من كلّ زرع ونخل ما بدا لرسول الله ﷺ، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم في كلّ عام فيخرصها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ في عام شدّة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: "يا أعداء الله، تطعموني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحبّ الناس إليّ، ولأنتم أبغض إليّ من عدّتكم، من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إيّاكم وحبّي إيّاه على أنّ لا أعدل بينكم"، فقالوا: "بهذا قامت السموات والأرض". انظر كذلك محمود شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، بيروت، تصوير دار إحياء التراث العربي عن إدارة الطباعة المنيرية، 1353هـ/ 1925م، ج 27، ص 101.

[4] في (ص) "ذاك".

[5] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[6] الحاكم، المستدرك، ج 4، ص 539، كتاب الفتن والملاحم، حديث: 8511.

العليا﴾ (التوبة؛ 40). ومنه يتّضح قوله: ﴿إيتيا طوعا أو كرها، قالتا أتينا طائعين﴾ (فصّلت؛ 11)، فلنتجاوز عنه.

فعلى هذه القاعدة كلّ بقعة || 153 من الأرض وناحية من نواحيها، متى جار فيها أهلها وعدلوا عن عدل التوحيد واستمروا على الكفر، والظلم، والبغي، والفسق، والفساد العامّ مكابرين للعقل، مستخفّين[1] بالشرائع، فحينئذ لعدولهم عن العدل والاستقامة، تخرج أمورهم كلّها عن الاعتدال والنظم المعتاد، فتضطرب[2] سماؤهم، ويحمارّ هواءهم، ويرمى بالشهب العظام والنيران الملتهبة، وتظهر في آفاقها النيازك وذوات الأذناب، وتمطر عليهم البرد الكبار، والأحجار المهلكة للحرث والنسل، ويحدث الوباء والسنون المتتابعة، وتتزلزل أرضهم وديارهم فيهلكون بالهدم والخسف والهدّات الهائلة. قال الله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلّا تخويفا﴾ (الإسراء؛ 59)، وقال: ﴿ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (الروم؛ 41)،وقال: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ الآية (الشورى؛ 30).

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: "أرجفت[3] المدينة أيّام عمر رضي الله عنه فخطب الناس ثمّ قال: "إنّ هذا لا يكون في بلد حتّى يكثر فيه الزنا والربا، فإن أرجفت ثانية[4] لم أقم[5] بين ظهرانيكم." قال ابن عبّاس: "فما زلزلت حتّى قبض عمر [رضي الله عنه][6]"[7]. فعلى هذا، أنت الزمان يا إنسان، إنْ صلحت صلح، وإنْ فسدت فسد، و"كما تكونون[8] يولّى عليكم."[1] [﴿وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضا﴾][2] (الأنعام؛ 129).

---

[1] في (ص) "المستخفين".

[2] في (ج) "فيضرب".

[3] بعد هذا النقص الذي شاب (ش) نستأنف المقارنة بينها وبين باقي النسخ.

[4] هنا ينتهي السقط الذي اعترى (ع) والذي شمل جزء من باب المحبة والأبواب 25- و26- و27 إلى حديث ابن عباس هذا حول زلزلة المدينة أيام عمر بن الخطاب.

[5] في (ع) "ثم أقيم".

[6] ليس في (ص).

[7] ذكره ابن أبي الدنيا بألفاظ مختلفة في كتاب العقوبات، تحقيق محمّد خير رمضان يوسف، بيروت، دار ابن حزم، 1416هـ/ 1996م، ص 30-31، أثر: 18، 49، 20.

[8] في (ع) "تكون".

مناجاة[3]:

سبحان من جعل الأرض قرارا، وجعل لعباده فيها استقرارا، وفجّر فيها أنهارا، وغرس أشجارا، لتكون لأهلها اعتبارا، وأنت يا أرضي جزء من أرضك بل كلّ، فإنّ أجزاءها فانيّة، وأجزاؤك منها باقيّة، إذ خلقت للبقاء، وإنّما تنتقل من دار إلى دار، [جنّة أو نار][4]،[5]. وهي تبدّل يوم ﴿برزوا لله الواحد القهّار﴾ (إبراهيم؛ 48)؛ فهي إذاً لشخصك[6] ظلّ، وأنت لتكوّنها أصل مستقلّ[7]، فإنْ اطمأننت فيها أطمأنّت، وإنْ زللت تزلزلت، وإنْ عدلت اعتدلت، وإنْ أنصفت[8] أخصبت، وإنْ منعت الزكاة وطفّفت المكيال أقوت وأجدبت، هكذا كما تكون أنت، ملت أم استقمت[9]. ||154

إلهي، أصلحنا تصلح بصلاحنا الأرض، وأنزل علينا سكينتك تسكن بها الأرض، يا الله، [والله الموفّق للرشاد] [10].

---

[1] القضاعي، مسند الشهاب، ج 1، ص 337، حديث:577.

[2] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[3] في (ح) "المناجات".

[4] ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ص).

[5] في (ق) زيادة هذا البيت:

ماتت ديار الظاعنين بفقدهم ... فكأنّهم كانوا لها أرواحا

وقد ورد في هامش نسخة (ح). والبيت للشاعر أبو الحسن علي التهامي (توفي سنة 416هـ/ 1025م) من قصيدة مطلعها:

لوجادهن غداة رُمْن رواحا ... غيث كدمعي ما أردن براحا

الديوان، ص 142.

[6] في (ق) "لسخطك".

[7] سقط من (ص).

[8] استدرك في هامش (ص).

[9] في (ح) "استفهمت"

[10] ما بين المعقوفتين زيادة من (ش).

الباب الثامن والعشرون[1]
في نزول عيسى عليه السلام

في الصحيح المسند عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: "والذي نفسي بيده، ليوشكنّ أنْ ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصلّيب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال [2] حتّى لا يقبله أحد، حتّى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها." ثمّ قال أبو هريرة: فاقرؤوا إنْ شئتم: ﴿وإنْ من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته﴾ (النساء؛ 159)[3] معنى قوله: "يفيض المال[4]." لأنّ يأجوج ومأجوج كانوا أغاضوه وكبسوا عيونه فيكثر المال[5] بنزوله حتّى لا يقبله أحد لكثرته. وقوله: "تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها." لأنّ الإسلام قد تجدّد بنزوله فعزّت فيه السجدة الواحدة كما عزّت في بدء الإسلام. وقال النبيّ ﷺ في قصّة الدجّال. "إذ بعث الله المسيح عيسى بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء[6] شرقيّ الدمشق[7] بين مهروذتين واضعا كفّه على أجنحة ملكين"[8]. المهروذتان بالدال والذال معا حلّتان مصبوغتان بالورس. قال الله تعالى: ﴿وإنّه لعلم للساعة﴾ (الزخرف؛ 61)، وقرئ لعَلَم بفتح العين واللام، والهاء راجع إلى عيسى عليه

---

[1] السادس والعشرون في (س).

[2] في (ش) و(ص) وجار الله "الماء".

[3] البخاري، صحيح، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، حديث: 3264.

[4] في (ش) و(ص) "الماء".

[5] في (ش) وجار الله الماء.

[6] سقط من (ج).

[7] كذا في جميع النسخ عدا (ق).

[8] انظر الحديث الطويل في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم: 2937.

السلام [لقوله فيما تقدّم: ﴿ولمّا ضرب ابن مريم مثلا﴾][1] (الزخرف؛ 57)، ومعناه أنّ نزوله علامة القيامة. وفي سنة ستّين وخمسمائة، سمع بعضهم عند الانفجار هاتفا يقول: "عسى أنْ ينزل عيسى من السماء، لكنّه لا يرى من فتنة الورى، فإذا سمعت بميّت يحيى، أو أكمه يبرى، فاعلم [أنّه قد أتى[2]، وأنّ الأمر قد دنا، فاطلبه في المسجد الأقصى".

واعلم][3] أنّ ارتفاع عيسى عليه السلام بجسده إلى السماء، ونزوله منها وقت القيامة حقّ، والإيمان به واجب. قال الله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (النساء؛ 158). وأنكرت المعتزلة، والفلاسفة، واليهود، والنصارى، عروجه[4] بجسده. وزعمت النصارى أنّ ناسوته صلب ||155 ولاهوته رفع. أمّا كيفيّة ارتفاعه ونزوله وكيفيّة مكثه هناك على هذه الغاية[5] من غير طعام ولا شراب فممّا يتقاصر عن دركه العقل، ولا سبيل إلّا الإيمان به والتسليم إلى سعة قدرة الله تعالى، فإنّ من الأرض إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، [ثمّ من كلّ سماء إلى سماء هكذا، وبُصْرُ[6] كلّ سماء هكذا مسيرة خمسمائة عام، إلى الرابعة][7] التي هو عليها، وأجرام السماوات صلبة غليظة[8] شديدة قال الله تعالى: ﴿وبنينا[9] فوقكم سبعا شدادا﴾ (النبأ؛ 12)، وهي ينطبق بعضها على بعض لقوله[10]: ﴿سبع سماوات طباقا﴾ (الملك؛ 3).

فإنْ قيل: هب[11] أنّ عجزنا عن معرفة[12] كيفيّة ذلك فمن ادّعاء استحالته، فما الدليل على جوازه؟

---

(1) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(2)توقّف عن المقارنة بين النسخ لسقوط عدّة صفحات من (ش) شملت باقي الباب 28 والباب 29 وقسما من الباب 30.

(3) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(4) في (ص) "عن وجه".

(5) في (س) "القيامة".

(6) في (ق) "غلظ"، والبصر هو السمك والارتفاع.

(7) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(8) سقط من (ق) وفي (ص) "غلظة".

(9) في (ص) "وجعلنا".

(10) في (ص) "كقوله".

(11) سقط من (ص).

(12) في (ص) "معرضة".

الجواب: أمّا العروج إليها والارتفاع فيحتمل أنْ تحمله الملائكة وعرّجوا به إلى السماء[1]. فإنّ الملائكة أجسام لطيفة ذوي قوى شداد، ونحن نرى العاصفات مع لطافتها تقلع الدوحة العظيمة عن أصلها، فلا عجب إنْ حمل بعض ملائكة الله المسيح فرفعه إلى السماء، ومن لم ير قط ارتفاع الحديد إلى حجر المغناطيس كان إنكاره لذلك أشدّ من إنكاره لارتفاع جسد عيسى وإدريس عليهما السلام. أو لعلّه يقرب حاله من حال الملائكة في اللطافة والعروج في السماوات.

ذكر القشيري[2] في تفسيره[3] عند قوله تعالى: ﴿إني متوفّيك ورافعك إلي﴾ (آل عمران؛ 55)، أي متوفّيك عن شهواتك[4] لأنّه لمّا رُفِع صار حاله كحال الملائكة"[5]. والله سبحانه قادر على أن يلطّف الكثيف ويكثّف اللطيف، ألا تراه كيف كثّف الماء اللطيف حتّى يصير جمدا كالحجر، ثمّ كيف يلطّفه بالإذابة فيصير ماء، ثمّ يبالغ في تلطيفه فيجعله بخارا صاعدا في الهواء لا يدركه البصر

---

[1] في (ج) و(ق) زيادة ورد أولها فقط كحاشية في تشستربيتي لنقص في المخطوط، وهذا نصها: "أمّا ما ورد في قصّة المعراج أنّ جبريل كان يستفتح من كلّ سماء بابها حتّى يدخلها الرسول، فالظاهر أنّه لا يصحّ، فإنْ صحّ فلا يستحيل في العقل أن يكون هناك أبواب يليق بها يمكن نفوذ رسول الله فيها كما قال تعالى: ﴿لا ينفذون إلّا بسلطان﴾ (الرحمن؛ 33). وأمّا قوله: ﴿وفتّحت السماء فكانت أبوابا﴾ (النبأ؛ 19)، يعني نقضت وهدّمت في القيامة فتصير مخرقة كالثوب الخلِق لقوله: ﴿وإذا السماء كشطت﴾ (التكوير؛ 11)، وقوله: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ (القمر؛ 11)، وفي التفسير: السماء ههنا السحاب".

[2] لعلّه عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري، إمام الصوفيّة وصاحب الرسالة القشيريّة، في علم التصوّف، من كبار العلماء في الفقه، والتفسير، والحديث، والأصول، والأدب، والشعر. (376-465هـ/ 987-1072م) وهو الملقب بـ "زين الإسلام". ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 205-208، رقم: 394؛ الذهبي، سير، ج 18، ص 227-233؛ السبكي، طبقات، ج 5، ص 153-162.

[3] ذكر ابن خلّكان للقشيري أبي القاسم تفسيرا بعنوان "التيسير في علم التفسير" وأضاف أنّه ألّفه قبل سنة 410هـ/ 1019م، إلّا أن هذا التفسير ليس لأبي القاسم القشيري، وإنّما هو لابنه أبي نصر عبد الرحيم القشيري، انظر ما ذكرناه بصدد هذا التفسير فيما سبق.

[4] في (ص) "سوائك".

[5] لم نجد في التفسير المطبوع والمتداول بين أيدي الناس اليوم أثرا لهذا الكلام وإنما وجدنا محله: "الإشارة فيه: إنّي متوفيك عنك، وقابضك منك، ورافعك من نعوت البشرية، ومطهّرك من إرادتك بالكلّيّة حتّى تكون مصرفا منّا لنا، ولا يكون عليك من اختيارك شيء، ويكون إسبال التولي عليك قائما". تفسير القشيري المسمّى لطائف الإشارات، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1427هـ/ 2007م، ج 1، ص 150. والراجح أنّ القزويني يحيل هنا على تفسير ابن القشيري عبد الرحيم. المجموع في التفسير والتأويل، تأليف أبي نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة 514/ 1120م، نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة أحمد الثالث، تحت رقم 93.

للطافته، وهو بعينه ذلك الجمد الحجريّ المرئي. واللطيف سلطان في النفوذ[1] كالنور يدخل في الزجاج، وهو جسم لطيف عند بعض العلماء، فيتصوّر نفوذ جسد عيسى عليه السلام عند عروجه[2]، [وكذلك جسد | |156 المصطفى عليهما السلام عند معراجه][3] في أجرام السماوات. وكان أصحاب الهيئة يعتقدون أنّ الأفلاك متراصّة شداد، والكواكب السيّارة تخرقها باختلاف مسيرها شرقيّة وغربيّة، فلا أدري كيف يجوّزون ذلك وينكرون عروج عيسى ومحمّد وإدريس عليهم السلام في السماء؛ فإنْ زعموا أنّ أجرام الكواكب تتداخل أجرام الأفلاك فمحال، لأنّ تداخل الأجسام لا يتصوّر، إذ يستحيل أنْ يكون جوهر [بحيث جوهر][4]، فلو دخل جسم في جسم لكان كلّ واحد منهما داخلا ومدخولا [في حاله][5] وهو باطل، فإذا بطل التداخل، والكواكب أجسام، فليت شعري كيف تخرقها[6] عندهم؟ أمّا عندنا فوجهه أنْ يقال ربّما كانت الكواكب في فضاء على سطوح السماوات، إذ لا برهان لهم على أنّها متراصّة، ثمّ لو كانت متراصّة فقد يمكن أن تنفذ فيها الأجسام اللطيفة، إذ ليس بواجب أنْ يكون صمّا مصمّتة لا مسامّ لها البتّة، بل يمكن أنْ تكون فيها تخلخلات لطيفة إذا سارت الكواكب فيها كبست[7] أجزاء من قدّامها[8]، فتنضمّ وتلزّز، وخلّت[9] بقدر تلك الأجزاء خلفها فارغا، فتنبسط هذه الأجزاء المتقدّمة إلى ما قبلها متّصلة بها، وهكذا تسير[10] أبدا بانضمام الأجزاء قدّامها وانبساط الأجزاء التي خلفها كما تمرّ الحيتان في الماء، فإنّها تخرق الماء وهي في مرّها[11] يترادّ الماء من قدّامها إلى خلفها،

---

(1) في (ص) "النفور".

(2) في (ق) "خروجه".

(3) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(4) سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

(5) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(6) في (ق) "بخرقها"

(7) في (ج) "ليست" وفي (ق) "لبست".

(8) في (ص) "أقدامها".

(9) في (ص) "جلت".

(10) في (ق) "تصير".

(11) في (ص) "مسيرها".

وهكذا نحن إذا مشينا نخرق الهواء غير أنّ الهواء تخلخله أكثر، وتخلخل الماء أقلّ، وتخلخل أجزاء السماوات يكون أقلّ الجميع لقوله[1] تعالى: ﴿هل ترى من فطور﴾ (الملك؛ 3)؛ وقوله[2]: ﴿ما لها من فروج﴾ (ق؛ 6). هذا مذهب أهل الحقّ.

أمّا الفلاسفة فزعموا أنّ العالم ملأ لا خلاء فيه البتّة، وهو باطل، إذ لو كان كذلك لامتنع تحرك جسم قطّ، لأنّ الحركة نقلة فيها شغل مكان وتفريغ مكان، فلو[3] كان المكان مشغولا كيف يشغله والمشغول لا يشغل، ثمّ هو بالانتقال[4] يخلي المكان الأول، وعندهم لا خلاء في العالم. وقد أبطلنا القول بالتداخل، فعلى هذا صحّ أنْ ينفذ جسم عيسى ومحمّد | |157عليهما السلام في أجرام السماوات بعد ما لطّفه[5] الله تعالى. [وقد ذكرنا أنّ اللطيف سلطان النفوذ في الأشياء حتّى السماوات. قال الله تعالى][6]: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا، لا تنفذون إلّا بسلطان﴾ (الرحمن؛ 33)؛ فكان عيسى عليه السلام يمكن إذا بلغ السماء الأولى تتضّام أجزاء ممرّه منها، وتتقلّص حتّى ينفذ منها، ولعلّ ذلك هو المعبّر[7] عنه بفتح باب السماء [في أحاديث المعراج وغيره][8]. ثمّ لا يزال تترادّ تلك الأجزاء منبسطة من قدّامه إلى ما جاوزه من خلفه حتّى يبلّغه الله إلى ما شاء منها. وكذلك الحكم في معراج النبيّ ﷺ إلى أن بلغ ما بلغ[9].

فإنْ قيل: فما الجواب من استغنائه عن الطعام والشراب هذه المدّة وقد قال الله تعالى: ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ (الأنبياء؛ 8)؟

---

[1] في (ق) "قوله".

[2] ليس في (ص).

[3] في (ص) "وإذا".

[4] في (ق) "الانتقال".

[5] في (ص) "لطفهم".

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ص)

[7] في (ص) "وهو الذي يعبر"

[8] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[9] في (س) "ما بلغه".

قلنا: أمّا الطعام فهو قوت من يعيش في الأرض مسلّطا عليه هذا الهواء الحارّ والبارد، فتتحلل[1] أبدانه أبدا، ويعوّضها الله[2] بالغذاء إجراء لعادته في هذه الخطة الغبراء كما قال: ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ (الأنبياء؛ 8). أمّا من لطفه تعالى بلطفه وقدرته ورفعه عن الأرض إلى سمائه، فسوف يغنيه عن الطعام والشراب إغناء الملائكة عنهما، فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه التهليل، كما قال رسول الله ﷺ: "أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني."[3] وقد جاء في حديث أسماء بنت زيد قالت: "كان النبيّ ﷺ في بيتي، فذكر الدجّال فقال: "إنّ بين يديه ثلاث سنين، سنة تمسك السماء[4] ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، وفي الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كلّه، والأرض نباتها كلّه." فقلت[5]: "يا رسول الله، إنّا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتّى نجوع، فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ فقال: "يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس"[6].

هذا[7] وقد شاهدنا رجلا في زماننا أمسك عن الطعام قريبا من ثلاث وعشرين سنة يقال له خليفة الخرّاط[8]، كان من قزوين، ومقامه بأبهر ونواحيه، وكان يعبد الله ليلا ونهارا بلا ضعف. فكذلك[9]

---

[1] في (ص) "فيملل".

[2] ليس في (ص).

[3] البخاري، صحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، حديث: 6869.

[4] في (ص) "السماء منها".

[5] في (س) "فقيل".

[6] عبد الرزاق، المصنّف، حديث: 20821؛ ابن حنبل، المسند، حديث: 27032.

[7] سقط من (س) و(ع).

[8] ذكر الرافعي في التدوين في أخبار قزوين أنّ اسمه خليفة بن أميركا الخرّاط الزاهد القزويني، ج2، ص 494-495؛ وأشار في معرض حديثه أن هذا الرجل قد ذكره أبو محمّد البخاري [كذا] في سراج العقول وجاء بهذه الحكاية التي أوردها صاحبنا القزويني. انظر ما ذكرناه في المقدّمة.

[9] في (ق) "ولذلك".

لا يبعد أنْ يكون قوت عيسى عليه السلام التسبيح[1] | |158 والتهليل. والله أعلم [بجميع ذلك، ولم أر أحدا قبلي تكلّم في هذا المعنى][2].

مناجاة[3]:

سبحان من رفع المسيح بقدرته إلى السماء، وأغناه عن الطعام وشرب الماء، ثمّ يجعله علما للساعة، فينزله إلى الأرض الغبراء مكلّفا بالطاعة، فيما بين أهل[4] السنّة والجماعة، فيسكن فتنة الدجّال، ويبسط العدل في الرجال، إلى نفخ الصور، وانشقاق القبور.

إلهي، أسبغ علينا سربال الإيمان، وأمّنّا من نوائب الحدثان، واحفظنا من فتن آخر الزمان، الأمان، الأمان يا رحمن.

---

[1] هامش (ق): قلت: "وكذلك في زماننا في قرية عمواس، من عمل فلسطين، امرأة أخبرني أهل بلدها وغيرهم، لا يجوّز العقل تواطأهم على الكذب، أنّ لها خمس عشرة سنة لم تأكل ولم تشرب شيئا. وسمعت من غير واحد أنّها أكرهت على الأكل مرّة من أختها فحصلت لها مشقّة شديدة [....] امرأة أخرى وقد أحضروها مرّة إلى قاضي القدس [...] من نحو سبع سنين، وشاهدتها [كذا] أبيها ليخبره عن حالها فأبت ذلك عجب القاضي بالمدرسة الأشرفية السلطانية بالمسجد الأقصى الشريف وهو ولي[...]بن [...] محمود [...]، وقد شاهدتها والدتي وأخبرتها عن حالها كما ذكرنا، وهي الآن في قيد الحياة على حالها المذكور." كتبه أحمد بن محمّد بن أحمد العمري الشافعي في يوم السبت رابع وعشرين من شوال من سنة [...]

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[3] في (ح) "المناجات".

[4] ورد في هامش (ص).

الباب التاسع والعشرون[1]
في طلوع الشمس من مغربها

قال النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتّى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعون حيث لا ينفع نفسا إيمانها"[2]. قال الله تعالى: ﴿هل ينظرون إلّا أنْ تأتيهم الملائكة، أو يأتي ربّك، أو يأتي بعض آيات ربّك﴾ (الأنعام؛ 158) الآية. يعني بها طلوع الشمس من مغربها، وهذا جائز في العقل لا استحالة فيها [كذا]، فإنّ القادر على إطلاع الشمس من مشرقها قادر على اطلاعها من مغربها، إذ الجهات إلى قدرته متساوية، وهذا يكون ردا على نمرود، قال له إبراهيم عليه السلام: ﴿فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ (البقرة؛ 258)؛ لو قال له نمرود ربّك لا يأتي بها من المغرب فلا تقوم الساعة حتّى يطلع الله الشمس من المغرب حسما لهذا الخاطر.

وأصحاب الهيئة من المنجّمين يستحيلون ذلك. فيقال لهم: أليس الله أجرى العادة بأنّ كل دوّارة من رحى وغيرها إذا انتهى دورها ترجع منعكسة ثم تقف، فبمَ تنكرون أنّ الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء ادورارها[3]؟ قال الله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقرّ لها﴾ (يس؛ 38)؛ والمستقرّ مصدر بمعنى الاستقرار، واللام بمعنى إلى كما قال: ﴿بأنّ ربّك أوحى لها﴾ (الزلزلة؛ 5)، أي إليها. وعند وقوف الشمس يومئذ تنشقّ السماء وتنكدر النجوم. وفي المثل "الدولاب إذا تعطّل تكسر[4]." وجمع هنالك الشمس والقمر، ||159 [5] فيطلعان إلى وسط السماء أسودين

---

[1] السابع والعشرون في (س).

[2] البخاري، صحيح، كتاب الفتن، باب خروج النار، حديث: 6704.

[3] في (ص) "أدوارها".

[4] في (ق) "انكسر". وفي (ج) "تكسر تعطل".

[5] قد استكمل المعلّق هامشه على هذه الصفحة ولو أن له علاقة بالصفحة السابقة.

كالغرارتين، وفي رواية كالثورين الأسودين[1]. [قال النبيّ ﷺ: "إنهما تطلعا من المغرب مكوّرين كالغرارتين][2] فلا ضوء للشمس ولا نور للقمر"[3]. وبين طلوع الشمس من مغربها إلى نفخ الصور أقلّ من أن يركب الرجل المهر بعد النتاج.

فإنْ قيل: قد روي أنّهما يطلعان بعد ذلك من المشرق إلى نفخ الصور.

فالجواب[4]، لا اعتبار بذلك الطلوع فإنّه يكون طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء، لا طلوع دؤوب[5] لهما بحساب، وكذلك[6] يكون حال كل دوّارة إذا انتهى دورها، تنعكس مرّة، وترجع أخرى ثمّ تقف. هكذا سنّة الله في الخلق، ﴿ولن تجد لسنّة الله تحويلا﴾ (فاطر؛ 48). والله أعلم [بجميع ذلك][7].

مناجاة[8]:

سبحان من يعكس دور[9] الشمس فيطلعها من المغرب، أوان[10] ظهور الدخان ورجوع العنقاء المُغرب، فلمّا بلغت كبد السماء، وهي سوداء، رجعت غاربة، في مغربها حبلها على غاربها[11]، فحينئذ أطبقت الظلمات، والتبست الطرقات، وعن قريب ينشر الأموات، [وعجّت الأصوات][1].

---

[1] سقط من (ص).

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع).

[3] الطبري، تاريخ، ج 1، ص 72.

[4] في (ص) "الجواب".

[5] في (ص) "الرؤب".

[6] في (ق) "ولذلك".

[7] سقط من (س) و(ص) وورد بهامش (ج).

[8] في (ج) "المناجات".

[9] في (ص) "دوران".

[10] في (س) "وآن".

[11] من قولهم: "حبلك على غاربك." قال الأصمعي: "معناه أمرك إليك، اعملي ما شئت". والغارب: أعلى السنام، فإذا أُهمل البعير جُعل حبله على سنامه وتُرك يذهب حيث شاء. فيقول: "أنت مُخلّى كهذا البعير لا يُمنع من شيء". وكان أهل الجاهلية يطلِّقون بهذه الكلمة.

إلهي، احفظ عبادك يوم تقصم بلادك، انظر إليهم بعين الرضا واعفهم عمّا مضى، واصرف عنّا وعنهم سوء القضاء[2]، [يا الله][3].

قال النمر بن ثولب:

فلمّا عصيت العاذلين ولم أطع ... مقالتهم ألقوا على غارِبي حبلي

المفضل بن سلمة، الفاخر، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، القاهرة، البابي الحلبي، 1380هـ/ 1961م، ص 26.

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص). وفي (س) و(ع) "تنشر الأصوات" وسقط منهما "الأموات وعجت".

[2] في (ص) زيادة "يا الله".

[3] ليس في (ق).

الباب الثلاثون[1]

في صفة الصراط

الصراط صراطان، أحدهما في الدنيا وهو علميّ، وصورته في الآخرة[2] وهو الصراط الحسيّ. فالذي في الدنيا هو الطريق إلى الله تعالى وهو الإسلام، وهو المعنيّ بقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة؛ 6). وذلك على الحقيقة جسر ممدود على متن الكفر، والشرك، والبدع، والأهواء. قال الله تعالى: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه﴾ الآية (الأنعام؛ 153). وكان النبيّ ﷺ يقرأ سورة والصافّات، فلمّا بلغ قوله: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم، وقفوهم، إنّهم مسؤولون﴾ (الآيات **23-24**) بكى حتّى تحادر الدموع على لحيته. قال بعض الوفد [3]: "إنّك تبكي خوفا ممّن بعثك؟" قال: إي وربّي، إنّه بعثني على طريق كحدّ السيف، إنْ زغت هلكت"[4]. وهذا الصراط كالخطّ الدقيق الممتدّ بين الله وبين ||160 العبد[5] في عين[6] الاستقامة. قال بعض الوالهين في مناجاته: "إلهي، خذني إليك بخطّ مستقيم فإنّ المستدير لا طرف له". وهو العبارة عن الرتبة الوسطى بين التشبيه، والتعطيل، والجبر، والقدر، وهي الحالة الوسطى أيضا في الأخلاق الحسنة كالسخاء بين التبذير والبخل، وكالشجاعة بين التهوّر والجبن، وكالاقتصاد في الأمور كلّها، مثل التواضع بين الكبر والخساسة، ومثل العفّة بين الشهوة والخمود[7]، فإنّ لهذه الخصال طرفين مذمومين والحقّ في ملازمة الوسط. قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطا﴾ (البقرة؛ 143).

---

[1] الثامن والعشرون في (س).

[2] يقصد بهذه الصورة الصراط الثاني.

[3] من هنا نستأنف المقارنة بين (ش) وباقي النسخ.

[4] أبو نعيم، دلائل النبوّة، ج 1، ص 237-238، حديث: 190؛ السلفي، الطيوريات، مجلد 4، ص 1295-1297، الحديث: 1246.

[5] في (ش) و(ص) "بين العبد وبين الله".

[6] في (ص) "غير".

[7] في (ص) "والجمود".

فالمواظبة على هذا الوسط هي المعبّر عنها بالدقّة[1] والحدّ، وإليها الإشارة في قول الله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ (هود؛ 112).

وأمّا الصراط الأخرويّ الحسّيّ فهو في الحقيقة صورة الصراط الأوّل، وهو الطريق إلى الجنّة، وهو الجسر الممدود على متن جهنّم. قال النبيّ ﷺ: "الصراط جسر يمدّ[2] على متن جهنّم أحدّ من السيف، وأدقّ من الشعر، دحض مزلّة، فيه خطاطيف وكلاليب[3]، وسعدان مضرّسة، وحسك مفرطحة، لا يعرف عظمها إلّا الله، وعلى حافتيه الملائكة قيام يقولون[4] سلّم، سلّم أمّة محمّد. فمن الناس من يمرّ كلمح البرق الخاطف ومنهم من يمرّ كالريح العاصف، ومنهم من يمرّ كالطير الهادي، ومنهم من يمرّ كالجواد المضمر، ومنهم من يسعى سعيا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم من يزحف زحفا، والزالّون والزالّات يومئذ كثير[5]، فمن جاء بحقّ يعطى النور على قدر إيمانه وأعماله"[6]. هذا خبر صحيح مسند وإنْ كانت ألفاظ الروّاة فيه مختلفة، وهو صفة صراط الآخرة الذي يمرّ عليه الناس كلّهم. قال الله تعالى: ﴿وإنْ منكم إلّا واردها﴾ الآية (مريم؛ 71).

واعلم أنّ الذي اعتاد المرور في الدنيا على صراط الإسلام، هان عليه المرور على هذا الصراط في الآخرة، ومن لم يتعوّد ذلك في الدنيا صعب[7] عليه وزلّت قدمه، وطال ندمه. وهل[8] هذا الصراط إلّا مثال محسوس لذلك الصراط المعنوي؟[9] ولقد رأينا من رام مرامات[10] الأبطال في

---

[1] في (ش) في الدقّة.

[2] في (ق) "مد"

[3] في باقي النسخ عدا (ق) "فيه كلاليب وخطاطيف".

[4] في (ق) ينظرون والصواب من (ش).

[5] في جميع النسخ "كثيرة".

[6] البخاري، صحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى "﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، حديث: 7001.

[7] في (ص) "صعبت".

[8] سقط من (ص).

[9] وهو الذي وسمه المؤلف في بداية الباب بالعلمي.

[10] في (ج) "المراماة" وفي (ص) "دام مراماة".

التحام[1] | |161 القتال، أفنى على الاستباق عمره، وأذاب في الرماية نفسه، وصبر على الإدمان والمواظبة[2] على ذلك في خلواته، مهاجرا عن لذّاته، مجتمع الهمّ في حالاته، حتّى يمرن طبعه، ويستدّ[3] ساعده، ويرى من نفسه الثقة بإصابات الهدف، فإذا شهد اللقاء ترى سهامه المنصبّة على المصاليت[4]، كالشهب المنقضّة على العفاريت، مصميات[5] غير مخطئات، كذلك من واظب على دين الإسلام، وتصوّره علما وتحقّقه اعتقادا، ثمّ أقبل على الطاعات والأعمال الصالحات، ملازما للقصد في أمره، مداوما على الخيرات في عمره، متّبعا للسنّة والجماعة، طاوعت حينئذ نفسه على الاستقامة، واعتاد الجواز على الصراط المستقيم، وكان يوم القيامة على ذلك الصراط كالبرق الخاطف. وإنّما يكون لكلّ أحد جريه على الصراط[6] هناك بمقدار[7] جريه ههنا على صراط[8] الإسلام. وما جاء في الحديث من الكلاليب والخطاطيف[9] فهي عبارة عن علائق الدنيا المتعلّقات[10] بالقلب، تجذب صاحبها إلى الدنيا خلفها[11]، فتهويه في الهاويّة؛ والسعدان والحسك تكون بمقدار ذنوبه وخطاياه[12]، وإنّما تؤذي قدميه بالمرور عليه. والحبو والزحف إشارة إلى تثاقل ظهره بالمظالم والتبعات، والزالّون والزالّات هم الناكبون في الدنيا عن الصراط المستقيم والدين القويم.

---

[1] في (س) "الة".

[2] في (س) "والموات".

[3] في (ص) "ويشتد"

[4] في (ج) و (س) و(ص) "المصاليب". والمصاليت جمع المصلات الشجاع الماضي في الأمور.

[5] في (س) "مهميات" وفي (ص) "مصيبات". والمصميات: الراميات المصيبات.

[6] في (ص) "صراط القيامة".

[7] سقط بمقدار من (ج) وسقط "هناك" من (ص).

[8] في (ج) "الصراط".

[9] في (ق) "من الخطاطيف والكلاليب".

[10] في (س) "المعلقات".

[11] سقط من (س) و(ع).

[12] في (س) "وخطائه".

مناجاة[1]:

سبحان من جعل بين القلب والقالب ارتباطا، وجعل لكلّ واحد منهما صراطا، فصراط القلب خطّ الاستواء الممتدّ بين الشرك والإيمان، وصراط القالب جسم ممتدّ على متن النيران، وكلاهما أدقّ من الشعر، وأحدّ من حدّ السيف الذكر، والمرور عليهما[2] من أعظم الخطر. فمن اعتاد المرور في دنياه على صراط الإسلام، هان عليه المرور في أخراه على صراط الأقدام، ومن نكب[3] عنه في هذه الدار، كبّ هناك في النار.

إلهي، أجرنا على هذين الصراطين، ولا تزل أقدامنا في البين، فإنّ الهادي من هديته، والهاوي من خذلته، يا دليل المتحيّرين، ومنقذ الهالكين، ومالك يوم الدين.

---

[1] في (ج) "المناجات".

[2] في (ج) و(س) و(ع) و(ق) "عليها".

[3] في (ص) "تكبر".

الباب الحادي والثلاثون[1]
في صفة[2] قراءة الكتب

|| 162 اعلم أنّ الإنسان إذا قارب البلوغ وَكَّلَ الله تعالى به ملَكين كما قال: ﴿وإنّ عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون﴾ (الانفطار 10-12)، وقال: ﴿إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ (ق؛ 17)، وقال: ﴿بلى، ورسلنا لديهم يكتبون﴾ (الزخرف؛ 80). قال الإمام الغزالي رحمه الله: "كان أحدهما يهديه والآخر يقوّيه[3]"[4]. [وذلك عند اتصافه بالعقل، وتكون رتبة الهادي أعلى من رتبة المقوّي[5]،][6] وهما من الملائكة السفرة الكرام البررة[7]، الذين هم أعوان الملَك الأعظم، الذي هو صاحب القلم عند أكثر المحقّقين. ثمّ إنّ هذين الملَكين [يكتبان الحسنات والسيّئات كتابة لا تشبه كتابة أهل الدنيا، وإنّما][8] يكتبان في صحف مطّهرة مطوية في سرّ القلب، لا يطلّع عليه أحد[9] في هذه الدنيا، لأنّهما وكتابتهما وصحفهما وجميع ما يتعلّق بهما من عالم الملكوت، وشيء من ذلك العالم الذي لا تدركه الأبصار في عالمنا هذا. ثمّ تلك الصحف المطويّة تنشر مرّتين، مرّة عند النزع لقوله: ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ (ق؛ 22)، ومرّة في القيامة على رؤوس الأشهاد لقوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾

---

(1) التاسع والعشرون في (س).

(2) سقط من (ق) وهكذا ذكره المؤلف عندما عرض أسماء الأبواب في بداية الكتاب في (ق).

(3) في (س) "يغريه" وفي (ص) "المقوم" وفي (ع) "يغويه".

(4) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 7، ص 215.

(5) في (س) "المغري" وفي (ص) "المقوم" وفي (ع) "المغوي".

(6) ما بين المعقوفتين سقط من (ق).

(7) في (ص) "الكاتبين".

(8) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(9) في (ش) "أحد عليه".

(الإسراء؛ 13)، وذلك عند وضع الموازين القسط، فترى الكتب هناك طائرة من الهواء، وهو قوله تعالى: ﴿طائره في عنقه﴾ (الإسراء؛ 13)، ويؤتى مكتوب صاحب اليمين باليمين، ومكتوب صاحب الشمال بالشمال لقوله تعالى: ﴿فأمّا من أوتي كتابه بيمينه﴾ الآية (الحاقّة؛ 19)، ﴿وأمّا من أوتي كتابه بشماله﴾ الآية (الحاقّة؛ 25)، فيرى العبد إذ ذاك حسناته مخطوطة نيّرة في كتاب صاحب اليمين، وسيئاته خطوطا سودا[1] في كتاب صاحب الشمال، فعند ذلك يقول: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيّة، ولم أدر ما حسابيّة﴾ (الحاقّة؛25-26).

واعلم أنّ معنى الكتابة في اللغة الجمع والضمّ، ومنه الكتيبة للعسكر المجموع، وإنّما سمّي المخطوط كتابة لأنّه ضمّ الحروف بعضها إلى بعض لفهم المعنى منها، ثمّ قد يستعار لكلّ ما يتدرّج بنظمه على معنى كالقضاء في قوله: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذّبهم﴾ (الحشر؛ 3)، وكالإثبات في قوله ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ (المجادلة؛ 22) وكالفرض في قوله: ﴿كُتب عليكم الصيام﴾ (البقرة؛ 183)، وكالعلم في قوله ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ (القلم؛ 47)، أي يعلمون. وقد سمّى الله تعالى القرآن كتابا فقال: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ (آل عمران؛ 7)، وكالهيئة الداعية إلى معنى من طريق الاعتبار، [ونظيره كثير في الأخبار][2]. قال[3] الشاعر: 163||

قد كتب الحُسْن على خدّه ... يا أعين[4] الناس قفي وانظري[5]

واعلم أنّ نزول الملائكة وعروجهم يكون[6] عند[1] مجيء ضياء النهار ومجيء ظلمة[2] الليل، وكذلك ذهابهما[3] لأنّهم موكّلون بالضياء والظلمة.

---

[1] في (ج) "سوداء".

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[3] في (ص) "كما قال".

[4] في (ص) "بأعين".

[5] البيت لأبي الفرج محمّد الوأواء من قصيدة مطلعها:

مرّ بنا في قُرطقٍ أخضر ... مزرفن الأصداغ بالعنبر

ديوان الوأواء، تحقيق سامي الدهان، الطبعة الثانية، بيروت، 1414هـ/ 1993م، قطعة 124، ص 112.

[6] زيادة من (ص).

واعلم أنّ أصحاب الكتب يومئذ إذا عرضت عليهم كتبهم مضطرّون[4] إلى قراءتها من غير تعليم من أحد، بل بإلهام من الله تعالى.

فإنْ قيل ما معنى قوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلّا مثلها﴾ (الأنعام؛ 160)؟ كيف تكون هذه المماثلة؟ وفي أيّ وصف تماثلهما؟ وما الحكمة في اختصاص المقابلة الحسنة الواحدة بالعشر؟ ومقابلة السيّئة الواحدة بمثلها؟ وما الحكمة من اختصاص مقابلة[5] الحسنة الواحدة بالعشر ومقابلة السيئة الواحدة بمثلها؟

الجواب: أمّا الحسنة فيعبّر بها عن كلّ ما يسُرّ[6] القلب من نعمة ينالها الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله في الدنيا والآخرة جميعا، والسيّئة تضادها في جميع ذلك، وهما من أسماء الأجناس، والمثل أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وتعني بأمثالها[7] في الخيريّة والكمّيّة، ولم يقل عشرة أمثالها لأنّه يريد بالأمثال الحسنات، وهي مؤنّثة فحملها على المعنى كما قال الشاعر:

[يا أيها الراكب المجزي مطيّة][8] ... سائل بني أسد ما هذه الصوت[9]

[أي الصيحة][10].

وأمّا اختصاص الحسنة الواحدة[11] بالعشر من أمثالها، والسيّئة الواحدة بمثلها، فاعلم أنّهما داران، وعملان، وعاملان، وداعيان. فالداران الدنيا والآخرة، والعملان الحسنة والسيّئة، والعاملان النفس

---

(1) في (ق) "عنه".

(2) في (ص) "ظلام".

(3) في (ص) "ذهابها".

(4) في (س) و(ص) و(ع) "يضطرون".

(5) في (ق) "المقابلة".

(6) في (س) "يستر".

(7) في (س) "بالمثالها".

(8) جاء الشطر الأوّل في هامش (ش) فقط وليس له ذكر في باقي النسخ.

(9) ما بين المعقوفتين استدراك من هامش (ش). البيت للشاعر رويشد بن كثير الطائي. انظر شرح ديوان الحماسة، ج 1، ص 166-169.

(10) سقط من (ق) وفي (ع) "الصخة".

(11) زيادة من (ص).

والقلب، والداعيان الملك والشيطان[1]. فللدنيا[2] والسيّئة والنفس والشيطان مشاكلة في الدناءة، فلها المرتبة الأدنى وهي الأولى. وللآخرة[3] والحسنة والقلب والملك مشاكلة في الرفعة والاعتلاء، فلهنّ [4] المرتبة الأعلى وهي الثانية. ولا خفاء[5] في وضع الحساب الذي هو علم[6] منزّل من السماء على بعض الأنبياء أنّ الواحد في المرتبة الأولى: واحد، وفي المرتبة الثانية: عشرة[7]، وذلك من كمال حكمة الله جلّت قدرته من وضع كلّ شيء موضعه[8]، فالحسنة من المرتبة الثانية وإن وقعت في الدنيا صورة فلا اعتبار بذلك، إذ لا حظّ لها من الدنيا، فهي مع وقوعها في الدنيا أخرويّة، ولذلك قال النبيّ ﷺ: "حبّب إليّ من دنياكم ثلاث." الحديث. ثمّ قال: "وجعلت قرّة | |164 عيني في الصلاة" [9]، لأنّ قرّة عينه وإنْ وقعت في عمل الدنيا فليست من الدنيا، فلا جرم قوبلت بالعشر. والسيّئة من المرتبة الأولى وقد وقعت في الأولى فما زادت على الواحد، إذ الواحد في المرتبة الأولى واحد. ولعلّ إشارة النبيّ ﷺ إلى هذا المعنى حيث قال: "ويل لمن غلبت آحاده عشراته"[10]. [يعني سيّئاته حسناته][11].

---

[1] في (ص) "السلطان".

[2] في (ح) و(س) و(ع) "فالدنيا".

[3] في (س) و(ص) و(ق) "والآخرة" وفي (ع) "فالآخرة"..

[4] أدخل ناسخ (ق) هذه الحاشية التي وردت في (ش) كشرح لمقصد المؤلف، وقد أخلت بالمعنى [يعني في حساب الهند مثاله واحد عشرة].

[5] في (ق) "الاخفاء".

[6] زيادة من (ص).

[7] في (ص) "غيره".

[8] في جميع النسخ عدا (ق) "مواضعها".

[9] انظر ما قاله القسطلاني بخصوص هذا الحديث، *المواهب اللدنية*، ج 2، ص 474-479.

[10] قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه: " لما نزلت الآية (الأنعام؛ **160**) شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا: يا رسول الله: وأيّنا لم يعمل سوءاً غيرك؟ فكيف الجزاء؟" قال: "منه ما يكون في الدنيا، فمن عمل حسنة فله عشر حسنات، ومن جوزي بالسيئة، نقصت واحدة من عشر حسنات، وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلبت آحاده عشراته". علاء الدين محمّد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل المسمّى تفسير الخازن، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1425هـ/ 2004م، ج 1، سورة النساء، آية: 123، ص 430. ولقد عزاه ابن عطية في تفسيره الموسوم *بالمحرر الوجيز* لابن مسعود، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1422هـ/ 2001م، ج 3، سورة هود، أية 3، ص 150.

[11] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ص) و(ع).

وأيضا يحتمل أن يقال أنّ الخواطر تجري على القلب كالسيول، فإذا خطرت حسنة فأوّل ما يلابسها صاحبها أنْ يهمّ بها، ثمّ أرادها، ثمّ عزم عليها، ثمّ قصد إلى إيقاعها مصمّما لعزمه، وهو النية في الشرع، ثمّ أوقعها مباشرا لها بالفعل[1]. فهذه أمور خمسة: همّ، إرادة، عزم، قصد، إيقاع، فيكتب[2] بكلّ واحد منها حسنة، ويكتب بترك ضدّ كلّ واحد منها حسنة أخرى. قال عمر رضي الله عنه: "إذا لم تسئ فقد أحسنت، وإذا أحسنت فقد أحسنت مرّتين". والشاعر يقول:

إنّا لفي زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس إحسان وإجمال[3]

وأيضا يمكن أنْ يقال: العوامل من الإنسان ثلاث: قلب، روح، نفس[4]، وسبع جارحات، والحسنة الواحدة اشترك فيها هؤلاء فعدلت بعشر حسنات، والسيّئة الواحدة اشترك فيها التسع وأنكرها القلب فحوسبت بواحدة من أجل إنكار القلب، لأنّ القلب أمير الجسد، وفي مدينته: ﴿تسعة رهط يفسدون في الأرض﴾ (النمل؛ آية 48.) فعفي[5] عن كلّ واحد تسع عمله لإنكار أميرهم، فتبقى واحدة فيجازى بها، فتأمّل هذه الأجوبة الثلاث فإنّك لا تجدها عند أحد.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في حديث النبيّ ﷺ: "من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشرا"[6]. "إنّ الجوهر الإنسانيّ حنّان بطبعه[7] إلى ذلك العالم لأنّه منه هبط[8]، وههنا غريب، والسيّئة تضبطه عن الترقّي على خلاف طبعه[9]، كأنّه نظر إلى قوله: [﴿اثّاقلتم إلى الأرض﴾ (التوبة؛ 38)، قال:

---

[1] في (س) "بالعقل".

[2] في (ص) "فكتب".

[3] البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها:

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النّطق إن لم تسعد الحال

الديوان، ص 490.

[4] في (ج) و(س) و(ع) " قلب، وروح، ونفس".

[5] في (ص) "يعفي".

[6] البيهقي، شعب الإيمان، ج 2، ص 211، حديث: 1557.

[7] في (ص) "يطيعه".

[8] في (ص) "هابط".

[9] في (س) زيادة "إلى ذلك العالم".

"والحسنة ترميه صعدا[1] - كأنّه نظر إلى قوله][2]: ﴿إليه يصعد الكلم الطيّب﴾ (فاطر؛ 10) الآية. - قال[3]: "وذلك لملائمة جبلّتها[4]، وأنّ القوّة التي تحرّك حجرا معلوم الوزن إلى فوق ذراعا هي بعينها إنْ استعملت إلى أسفل حرّكتها عشرة أذرع وزيادة، لأنّ الحجر بطبعه يهوي إلى الأرض، | |165 فكذلك الحسنة بذاتها وحقيقتها تصعد إلى السماء."[5] وهذا منه[6] إشارة إلى تضاعف الحسنات وليس فيه تخصيصها بالعشرة[7].

مناجاة[8]:

سبحان من وكّل عليك[9] ملَكين عن يمينك وعن شمالك، يكتبان ما بدا[10] من أعمالك، في صحيفة[11] خفيّة، في الطويّة مطويّة، تُنشر في المعاد، يوم التناد، على رؤوس الأشهاد، فيقال لك: اقرأ كتابك، واشهد حسابك، وابشر بما أثابك، واصبر على ما أصابك.

---

[1] في (ص) "صعدا إليه".

[2] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[3] في (ص) "ثم قال".

[4] في (ق) "وذلك لأنّ لملائمة جبلّتها".

[5] أورد ابن حجر الهيثمي كلام الغزالي بكامله في الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، تحقيق بو جمعة عبد القادر ومحمّد شادي ومصطفى عربش، جدّة، دار المناهج، 1426هـ/ 2005م، ص 52-53 بهذه الصيغة: "أن الجوهر الإنسانيّ بطبعه حنّان إلى ذلك العالم العلويّ لأنّه مقتبس منه، وهبوطه إلى العالم الجسماني غريب عن طبيعته، والسيئة تضبطه عن الرّقيّ إلى ذلك العالم على خلاف طبعه، والحسنة ترقّيه إلى موافقة الطبع، والقوة التي تحرك الحجر إلى فوق ذراعا واحدا هي بعينها إن استعملت في تحريكه إلى أسفل، حرّكته عشرة أذرع وزيادة؛ فلذلك كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ومنها أنه يوفّى أجره بغير حساب، وهي الحسنة التي لا يدافع تأثيرها، كحجر إن هوى من شاهق لا يصادمه دافع، فإنه لا يتقدّر مقدار هويّه بحساب حتّى يبلغ الغاية والنهاية، والله أعلم". وتجده أيضا عند الزبيدي، مع بعض الأخطاء وشيء من التصرف، في إتحاف السادة المتقين، ج 5، ص 52.

[6] في (ص) و(ق) "فيه".

[7] في (س) "بعشرة". وفي (ص) زيادة "والله أعلم".

[8] في (ج) "المناجات".

[9] سقط من (س) و(ع).

[10] في (ص) "بدا لك".

[11] في (س) "صحفة".

إلـهي، آتنا كتابنا بأيْماننا، وأدخلنا جنّتك بإيماننا، ولا تفضحنا في القيامة بهتك أستارنا، وكشف أسرارنا، يا مقيل العثرات، يا ساتر العورات.

الباب الثاني والثلاثون[1]
في صفة الميزان

ولمّا كانت الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، والله سبحانه الملك العدل، ﴿لا يظلم الناس شيئا.﴾ (يونس؛ آية 44)، ﴿ولا يضيع أجر من أحسن عملا﴾ (الكهف؛ آية 30)، بل يجزي كلّ امرئ بما كسب[2] كما قال: ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ (النجم؛ 31)، وقال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا﴾ الآية (الزلزلة؛ 7). نصب في القيامة ميزانا عدلا توزن به حسنات عبيده وسيّئاتهم إظهارا لعدله، فقال تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وإنْ كان مثقال حبّة من خردل [أتينا بها وكفى بنا حاسبين]﴾[3] (الأنبياء؛ 47). [قيل معناه وزن حبّة خردل][4]، ومن دخلت[5] للتبيين لقوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾[6] وقيل للتبعيض، ومعناه وإنْ كان وزن حبّة من خردل، كأنّه قسّم الخردلة ثمانية وأربعين [جزءا هي حبّاتها[7]، كما أنّ الدرهم ثمانية وأربعون][8] حبّة. والمعنى وإنْ كان وزن جزء من ثمانية وأربعين

---

(1) الثلاثون في (س).

(2) في (س) "كسبت".

(3) ما بين المعقوفتين استدرك في هامش (ش) وسقط من باقي النسخ عدا (ص).

(4) ما بين المعقوفتين ليس في (ج)، وسقط "خردل" من (ص).

(5) في (ص) "داخله".

(6) جاءت هذه الجملة في عدد كبير من آيات القرآن على لسان الرسل والأنبياء عندما أمروا بالدعوة إلى الله الواحد الأحد ونبذ الشرك. انظر على سبيل المثال سورتي الأعراف وهود.

(7) في (ق) حياتها.

(8) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

جزءا من خردل واحد. وقال النبيّ ﷺ: "حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تحاسبوا، وزنوا الأعمال قبل أنْ توزنوا."[1] يعني أن توزن أعمالكم. كقوله تعالى[2]: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم﴾ (المطفّفين؛ 3) أي كالوا لهم ووزنوا لهم. ومعنى[3] وزِنوها أي تعرفوا مقادير أعمالكم بالمقايسة إلى أوقاتكم. وعن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه: "توزن الحسنات والسيّئات في ميزان له لسان وكفّتان، كلّ كفّة كأطباق الدنيا، كفّة من النور، وكفّة من الظلمة"[4]. وقال حذيفة [5]: "صاحب الميزان[6] يومئذ جبريل عليه السلام، أمّا المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفّة الميزان وهو الحقّ، فيثقل كفّة الحسنات على سيّئاته، فينقل إلى الجنّة، ويعرف به وهو المفلح في قوله: "فأولئك هم المفلحون". وأمّا الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة، فيوضع في ميزانه وهو الباطل، فيخفّ وزنه فيقع في النار، فيقال له اِلحق بعملك"[7]. ||166 وعن أنس عن النبيّ ﷺ: "إنّ لله ملكا موكلا بالميزان، [فيجاء بابن آدم حتّى يوقف بين كفّتي الميزان، فيوزن عمله، فإن ثقل الميزان][8] نادى الملك بأرفع صوته: "ألا إنّ فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها[9] أبدا." وإن خفّت نادى: "ألا إنّ

---

[1] جاء هذا الأثر موقوفا على عمر بن الخطاب في كتاب محاسبة النفس لابن أبي الدنيا: قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنّه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزيّنوا للعرضِ الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ". ابن أبي الدنيا، محاسبة النفس والإزراء عليها، تحقيق المستعصم بالله ومصطفى بن عليّ، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1406هـ/ 1986م، ص 22، أثر: 2.

[2] في (ق) "قال الله تعالى".

[3] في (ص) "ومعناه".

[4] البيهقي، شعب الإيمان، ج 1، ص 263؛ القرطبي، التذكرة، ص 364.

[5] أبو عبد الله حذيفة بن اليمان العبسي الغطفاني القيسي، صحابي جليل ولد بمكّة وعاش في المدينة المنوّرة. توفي بالمدائن سنة 36هـ/ 656م حيث كان واليا لها من قبل عمر بن الخطاب. وهو الذي فتح همذان والري والدينور. وقد اشتهر بلقب صاحب سر رسول الله ﷺ. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق عليّ محمّد البجاوي، بيروت، دار الجيل، 1412هـ/ 1992م، ج 1، ص 334-335، رقم: 492؛ الذهبي، سير، ج 2، ص 361-369؛ ابن حجر، الإصابة، ج 2، ص 39-40.

[6] في (ش) صاحب الكفّة.

[7] جاء هذا الأثر منسوبا إلى حذيفة بن اليمان بروايات مختلفة تزيد أو تنقص عمّا أورده القزويني في هذا الموضع، وقد رواه أيضا القرطبي هكذا بدون سند عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه موقوفا. ورواه بسنده اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق نشأت بن كمال المصري، الإسكندرية، مكتبة دار البصيرة، 1422هـ/ 2001م، ج 8، ص 1001، حديث: 2209.

[8] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[9] سقط من (س) وفي (ع) "بعد".

فلانا شقي شقاوة لا سعادة بعدها أبدا"[1]. ويروى أنّ رسول الله ﷺ كان واضعا رأسه على حِجر عائشة رضي الله عنها، فأغفى فلم يوقظ إلّا ودموعها فاضت على وجهه، فقال لها: "ما الذي أبكاك؟" قالت: " ذكرت القيامة ففاضت عيني." فقال: " عندها تنسكب العبرات يا عائشة، ثلاثة مواطن تشغل المرء عن ولده ووالده، عند الصراط حتّى ينظر أينجو أم يزلّ، وعند تطاير الكتب في الأيمان والشمائل، وعند الميزان حتّى ينظر أيثقل أم يخفّ"[2].

هذه وأمثالها من الأحاديث والآيات والآثار[3] دالّة على صحّة الوزن بالميزان، وإنّما يتلجلج في صدور المنكرين له كيفيّة وزن الأعمال، فإنّها أعراض ومعاني عرضت وفنيت، والثقل والخفّة معنيان أيضا، ولا يقوم المعنى بالمعنى، وأنّ الأعمال صفات أصحابها فلا يمكن أن تفصل عنهم فتوضع في الميزان. وقد بيّنا جواز ذلك كلّه في كتابنا الموسوم "*بمسالك البحث عن مدارك البعث*" فليرجع[4] إليه في معرفتها. وخلاصة الحقّ فيه أنْ تعرف أنّ مقصود وزن الأشياء إنّما هو ظهور مقاديرها، فجعل لذلك آلات مختلفة على ما يليق بها كالميزان والقبان [لمعرفة أثقال الأحمال[5]، والإسطرلاب لمعرفة مقادير حركات[6] الشمس والكواكب][7]، ومعيار القبانين[8] لوزن الأراضي وغيرها، [والعروض للشعر وغيرها][9]. فكذلك هـهنا مقصود وزن الأعمال في القيامة هو ظهور مقاديرها ليقابل بأمثالها من الجزاء ثوابا كان أم[10] عقابا. ونحن نرى في الدنيا

---

[1]البزار، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم، 1409هـ/ 1988م، ج 13، ص 330، حديث: 6942.

[2]الآجري، الشريعة، ج 2، ص 210، حديث: 961.

[3] في (س) " من الآيات والأحاديث والآثار" وفي (ع) "من الأحاديث والآثار والآيات ".

[4] في (ص) "فلينقل".

[5] في (س) "الأعمال".

[6] استدرك في هامش (ق).

[7] ما بين المعقوفتين استدرك في هامش (ج).

[8] في (ج) و(ش) "القناايين" وفي (س) "القنابين" وفي (ع) "القبانين" وفي (ص) "القمانين"، وفي (ق) طمس الحرف السادس فنتج منه هذه الصورة: "القنابين". ولعلها القبانين ج قبان والله أعلم.

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(س) و(ص) و(ع).

[10] في (ص) "أو".

آلات وضعت لعرفان مقادير المعاني في الأشياء[1]، كالعروض جعلت ميزانا يعرف به صحيح الشعر من منزحفه ومنكسره، وكالنحو يعرف به فصيح الكلام من ملحونه، وكربيعة الحجارة التي يرفعها الأقوياء من الأحداث، يعرفون بها مقادير قواهم[2] التي خلقها الله تعالى في أعضادهم، وليست هي بمنفصلة عنهم، كذلك لا يبعد أن يجعل الله تعالى الميزان القسط[3] ليوم القيامة آلة محسوسة صالحة لوزن الأعمال التي هي أعراض، فيعرف بها[4] ||167 مقادير الحسنات والسيّئات لأصحابها، فيجازون عليها بمقاديرها من غير عدوان كما قال: ﴿ولا تظلمون فتيلا﴾ (النساء؛ 77). فهذا جائز في العقل، وورد به الشرع فيجب الإيمان به، وكيفيّتها موكولة إلى علم الله سبحانه[5].

مناجاة[6]:

سبحان من يزن أعمال الناس يوم القيامة بالقسطاس، وقد[7] خرجت المعتزلة[8] عليه بالاعتراض، فزعمت أنّ الأعمال أعراض، ولا ثقل للأعراض، فيكون وزنها من المحال على كلّ حال، وما دروا أنّ قوى أعضاد الرجال، يوزن برفع الأحمال وحمل الأثقال.

إلهي، ثَقِّل موازيننا بالطاعات، على مرور الساعات، ولا تخفّفها بالمعاصي، يوم يؤخذ بالنواصي، يا منّان يا وليّ الإحسان.

---

[1] سقط من (ق).
[2] في (ص) "قوتهم".
[3] في (ص) "بالقسط"
[4] سقط من (ص).
[5] في (ق) "تعالى".
[6] في (ج) "المناجات".
[7] سقط من (ص).
[8] وسقط من (ج).

الباب الثالث والثلاثون[1]

في نقل الحسنات[2] من الظالم إلى المظلوم

اعلم أنّ الأعمال أعراض توجد وتفنى ولها آثار في القلوب باقية، فإنْ كانت حسنات فآثارها أنوار تنشرح بها الصدور، وتلذّ بها النفوس، وهي التي جعلها الله علامة للثواب، وإنْ كانت سيّئات فآثارها ظلم تستوحش بها القلوب، وتسودّ وتتألّم وتقسوا[3]، وهي التي جعلها الله علامة للعقاب. ثمّ يجعل الله سبحانه للثواب الذي وعد المتّقين والمطيعين، والعقاب الذي أوعد العصاة المذنبين أسبابا لها صور[4] مختلفة[5]، وألوان متفاوتة، ولذّات[6] وآلام متنوّعة، كما ورد في ثواب الأعمال لأهل الجنّة من النعم المتنوّعة، والحور، والقصور، وأنواع الأطعمة والأشربة مما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين؛ وكذلك ما جاء من العقوبات في أهل النار من الحميم، والزقّوم، والغسلين، والأغلال، والسلاسل، والحيّات، والعقارب، نعوذ بالله منها. فهذه أسباب يترتّب بعضها على بعض أوّلها عمل، وهي حركة الجوارح عرضت ففنيت، والثاني أثرها في القلب، نورا كان أو ظلمة، وهما علامتا ثواب وعقاب باقيتان[7] فيه، والثالث لذّات وآلام تجدها القلوب والنفوس عند وجدان ذلك الثواب والعقاب في صور مختلفة يوصلها الله إليها.

---

[1] الحادي والثلاثون في (س).

[2] في (ص) "الحساب".

[3] في (س) "وشرة تتألم ونفس".

[4] في (ج) "صورة".

[5] في (س) "محسوس"

[6] سقط من (س).

[7] في (ح) "باقيان".

[وزعمت المعتزلة أنّ تلك الأنوار والظلم التي هي آثار الطاعة والمعصية،][1] علل موجبات للثواب والعقاب، وإنّما هي عندنا علامات ربّما توافق وربّما تخالف، فلو كانت عللا[2] موجبة |168| لاضطرّت الربّ تعالى إلى إثابة المطيع وعقاب العاصي، وذلك يفضي[3] إلى إبطال الإلهيّة، لأنّ المضطرّ لا يكون إلها مريدا، فإذا عرفت أنّهما علامتان للثواب والعقاب، فالله تعالى إذا محا أثر نور هو علامة الثواب[4] من قلب الظالم [وأثبته في قلب][5] المظلوم، يقال إنّه نقل حسنات الظالم إلى المظلوم، فكنّى عن السبب بالمسبّب، وكذلك على العكس، إذا نقل السيّئة[6] من المظلوم إلى الظالم، فإنّ الحسنات والسيّئات يتعاقبان تعاقب الليل والنهار.

فإنْ قيل إنّهما ما نقلا حقيقة، وإنّما المعنى يرجع إلى أنّه أبطل النور الذي هو علامة الثواب من قلب الظالم وأثبته في قلب المظلوم، وكذلك أبطل الظلمة التي هي علامة العقاب من قلب المظلوم وأثبته في قلب الظالم.

فالجواب عنه: إذا أبطل علامة الثواب فقد نقل الثواب عنه، وكذلك على العكس. واسم النقل قد يطلق على هذا الجنس استعارة ومجازا كما يقال: انتقل الظلّ من مكان إلى مكان[7]، وانتقل المُلك من فلان إلى فلان، وانتقل القضاء من بيت إلى بيت. قال البحتري:

والدهر ذو دول تنقّل في الورى... أيامهنّ تنقّل الأفياء[8]

فهذا معنى نقل الطاعات، وليس فيه شيء مشكل، إلّا أنّه كنّى بالطاعة عن[1] ثوابها كما يكنّى عن السبب بالمسبّب، فسمّي إثبات صفة في محلّ بإبطال مثلها في محلّ آخر نقلا، وكذلك إذا عمل

---

[1] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

[2] في (س) و(ع) "علامة".

[3] في (س) "لقضى".

[4] في (س) و (ع) "الثواب والعقاب".

[5] استدرك ما بين المعقوفتين فوق السطر في (ج).

[6] سقط من (س) و(ع).

[7] في (ص) زيادة: "وإنما المنتقل هو الشمس".

[8] البيت من قصيدة مطلعها:

زعم الغراب منبئ الأنباء ... أنّ الأحبّةَ آذنوا بتناء

ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار المعارف، ج 1، ص 8.

معصيّة ثمّ أتبعها بطاعة تمحو الطاعة أثر تلك المعصيّة، فكنّى عن ذلك بالتبديل قال الله تعالى: ﴿فأولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات﴾ (الفرقان؛ 70)، [وقوله: ﴿إنّ الحسنات يذهبن السيّئات﴾ (هود؛ 114)][2]. وقال النبيّ ﷺ: "وأتبع السيّئة الحسنة تمحها"[3].

وكذلك الحكم في عكس ذلك. ويتفرّع على هذا الأصل مسائل كثيرة منها: عمل من حجّ عن ميّت، أو تصدّق عن ميّت، أو قرأ القرآن على قبر ميّت، فإنّ هذه أعمال لأشخاص ينتقل منها النور الذي هو علامة ثوابها إلى ديوان الميّت، وإنّما تنقلها النية الخالصة التي هي عمل القلب لذلك العامل، وكانت أعمال جوارحه[4] تابعة لعمل قلبه، إذ الجوارح كواسب القلب؛ ومعنى جرح كسب، قال الله تعالى: ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ (الأنعام؛ 60)، أي كسبتم، فإذا نقل القلب بالنيّة، وهو قطب الأمر[5] ||169 وعمله، إلى ديوان الميّت، كانت أعمال جوارحه تتبعه أينما توجّه. قال النبيّ ﷺ: "إنّما الأعمال بالنيّات"[6].

وعلى عكس هذا الأصل جاء في الحديث: "إنّ الميّت ليعذب ببكاء[7] الحيّ عليه."[8] ويعني هذا[9] البكاء[10] النياحة والتسخّط[11] لقضاء الله. واعرف قدر هذه الكلمات التي أنثرها[1] عليك،

---

(1) في (ص) "من".

(2) سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع).

(3)الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 355، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، حديث: 1987. " عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، أنّ رسول الله ﷺ قال: "اتّق الله حيثما كنت، وأتبع السيّئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن". "

(4) سقط من (ص).

(5) في (س) "الأمّ".

(6) إشارة إلى حديث رواه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: "إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "، متّفق عليه. البخاري، صحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث: 1؛ مسلم، صحيح، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات"، حديث: 1907.

(7) سقط من (ص) وتجد عوضه "به".

(8)البخاري، صحيح، كتاب الجنائز، باب ما يرخص من البكاء في غير نوح، حديث: 1226- 1228.

(9) سقط من (ص).

(10) في (ص) "بالبكاء".

(11) في (س) "والسخط".

فإنّها كشّافة لغوامض طالما بقيت شجى في الحلوق، وحزازة في الصدور، ولم أر في كتب المتقدّمين فيها ما يعقّب شفاء، هذه كتبهم بين يديك فاطلبها فيها، فإن ظفرت بها فواجهني باللّائمة[2] وإلّا[3] فعليك بملازمة الإنصاف والعود إلى الاعتراف، وهذا الكلام منّي تنبيه لا دعوى وتيه.

مناجاة[4]:

سبحان الملك العدل في أمره المحكوم، ناقل الحسنات من ديوان[5] الظالم إلى المظلوم، لا يدركه طالب، ولا يفوته هارب، وهو على كلّ[6] شيء غالب. يجزي[7] من يأته بمثقال ذرّة خيرا أو شرّا، ويمطر من سماء الغيب[8] على الخلق نفعا أو ضرّا، ليس يجري في قضيّته حيف، ولا[9] يطور حول [10] مشيئته كيف، ولا يخفى عليه همهمة، ولا يجوز به مظلمة.

إلهي، اعتق رقابنا عن حمل المظالم، وامح عن قلوبنا ظلمات المآثم، واكفف عنّا شرّ كلّ ظالم[11]، فأنت الذي قلت أنا الظالم إن جاز بي ظالم، تباركت وتعاظمت يا جبّار.

---

[1] في (ص) "أورد بها" وفي (س) "أثرها".

[2] في (ص) "بالأئمة"، وفي (س) بالاية".

[3] سقط من (س).

[4] في (ج) "المناجات".

[5] سقط من (س) و(ع).

[6] سقط من (س) و(ع).

[7] في صويا "مجرى".

[8] في (ق) "الغيث".

[9] سقط من (ج).

[10] في (س) "قضيته منيف ولا نظير لدخول مشيئته".

[11] في (ص) "ظالم غاشم".

الباب الرابع والثلاثون[1]
في صفة الجنّة ونعيمها

اعلم أنّ الجنّة أوسع من السماوات وذلك قوله تعالى: ﴿وجنّة عرضها السماوات والأرض﴾ (آل عمران؛ 133). ذكر المفسّرون في معنى عرضها وجوهاً إذ فسّروها على العرض [الذي هو ضدّ الطول، ثمّ أشكل عليهم أنّ الجنّة بعرضها][2] الذي هو مثل عرض السماوات والأرض كيف تسع السماء؟ وجاءوا في بيان[3] ذلك بما يزيد إشكالا ولا يحلّ شكالا. وإنّي أرى أنّ معنى عرضها إظهارها لأهلها بسماواتها وأرضها كما عرضت هذه الدنيا بسماواتها وأرضها على أهلها. وهو من عرضت المتاع للبيع[4]، ومثالها ﴿وعرضنا جهنّم يومئذ للكافرين[5] عرضا﴾ (الكهف؛ 100)[6]. فكما عرض الله جهنّم للكافرين، وعرض الجنّة للمؤمنين، وهذا ظاهر لا إشكال فيه.

فإن قيل فما معنى قوله "عرضها السماوات والأرض." جعل السماوات ||170 والأرض عرضها؟ فالجواب: هذا جائز في اللغة كما قال الشاعر:

ووجه نوره البدر التمام[7]

أي كنور البدر، فيكون معناه عرضها كعرض السماء والأرض تصديقه قوله تعالى في الحديد: ﴿وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض.﴾[8] فقال لي بعض العلماء: فمن حمله على العرض

---

[1] الثاني والثلاثون في (س).

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[3] سقط من (س) و(ع).

[4] في (ج) و(س) "البيع".

[5] في (ش) على الكافرين.

[6] في (ق) زيادة: "ومثله: ﴿إنّا عرضنا الأمانة﴾ (الأحزاب؛ 72).

[7] لم نوفّق لمعرفة قائل هذا الشطر ولا إلى الوقوف على الشطر المكمّل للبيت.

[8] آية 21. وجاء في حاشية (ش) ما يلي: "فيكون على معنى إظهار".

الذي هو ضدّ الطول، فما وجهه؟ قلت: وجهه أنْ يكون كمن نظر منّا إلى هذه السماء، أليس يرى قدر ربعها بعينه؟ ومحلّ الإدراك من العين تلك اللعبة الصغيرة التي هي مقدار عدسة، فعلى هذا يكون [عرض الجنة إلى عرض السماوات والأرض][1] نسبة هذا الربع مثلا من السماء إلى لعبة عينك[2]، وأنّ الذي قدر على بناء الجِمال والفيول العظام على قوائمهن[3] الصغار، وبناء طلل الإنسان على قدميه الصغيرتين، لا يعجز عن بناء الجنّة بسعتها على السماء التي تصغر في جنبها.

واعلم أنّ سماوات الجنّة درجاتها وأعلاها ما دلّت عليه الأخبار ساق العرش. يروى عن[4] أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: "الجنّة مائة درجة، ما بين كلّ درجة كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها، ومنها تتفجّر أنهار الجنّة، وعليها يوضع[5] العرش يوم القيامة"[6]. وأمّا أرضها فتنتهي إلى سدرة المنتهى لقوله تعالى: ﴿عند سدرة المنتهى، عندها جنّة المأوى﴾ (النجم؛ 14-15). وسدرة المنتهى فوق السماوات السبع على ما جاء في الأحاديث. وفي بعض الروايات عن ابن عبّاس: "الجنّة في جوف الكرسيّ." هذا ما بلغنا من سماء الجنّة وأرضها والله أعلم بذلك.

وأمّا صفة أرضها فيروى عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: "أرض الجنّة من المسك[7] الأذفر، وحصباؤها[8] اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، وبناؤها لبنة من فضّة ولبنة من ذهب، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم". [9] فقد صحّ بهذا أنّ سماوات الجنّة أعاليها درجة فوق درجة إلى أن ينتهي إلى العرش، وعليّون أعلاها. وفي الحديث:

---

[1] سقط من (ص).

[2] في (س) "عينيك".

[3] في (س) "قواتلهن".

[4] سقط من (ص).

[5] في (ص) "موضع".

[6] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 675، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة، حديث: 2530؛ أبو الشيخ الأصبهاني، كتاب العظمة، ج 2، ص 629، حديث: 246.

[7] سقط من (ص).

[8] في (ص)"الأذن وحصاؤها".

[9] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 672، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، حديث: 2526؛ ابن أبي الدنيا، صفة الجنة، ص 43، حديث: 4.

"إنّ أهل الجنّة ليتراءون أهل عليّين كما يرى أحدكم الكوكب الدري في أفق السماء، وأنّ أبا بكر وعمر منهم وأنعما"[1]، أي زادا درجة، ولا يكون في الجنّة شمس ولا قمر كما قال الله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا﴾ (الإنسان؛13). | | 171 قيل معناه ولا قمرا، وقيل حَراً ولا بردا، وإنّما يكون بدل الشمس والقمر أنوار طالعة من سرادقات العرش، وهي الأنوار التي يكسي بعضها شمسنا هذه كلّ ليلة فتطلع مضيئة علينا. روي عن أبي ذرّ الغفاري عن النبيّ ﷺ قال حين غربت الشمس: "أتدري أين تذهب هذه؟" قلت: "الله ورسوله أعلم." قال: "إنّها تذهب حتّى تسجد لله تحت العرش فتستأذن، فتكسى عليها سبعين حلّة من نور العرش ويؤذن لها"[2] الحديث. فعلمنا بهذه الأحاديث التي تركنا أسانيدها مخافة التطويل أنّ للجنّة سماوات وأرضا باقيات خالدات أبد الآبدين لا تفنى ولا تبيد[3]. والآية التي أشكلت على الأئمّة الماضين[4] دالّة على هذا المعنى، وهي قوله تعالى: ﴿وأمّا الذين سعدوا ففي الجنّة خالدين فيها ما دامت السماوات والرض إلّا ما شاء ربّك، عطاء غير مجذوذ﴾ (هود؛ 108)؛ يريد أنّ السعداء يكونون في الجنّة خالدين فيها دوام خلود سماوات الجنّة وأرضها إلّا ما شاء ربّك، زيادة على المكث الدائم من النعم السنيّة، والألطاف الخفيّة التي أعدّ الله، "فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"، وأعلاها الرضى والنظر إلى وجهه الكريم. فهذه هي العطايا الجسام المستثناة عن نعمة الخلود، وتصديق هذا التفسير قوله في آخره ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ (هود؛ 108)، أي غير مقطوع.

وأمّا قوله في صفة أهل النار: ﴿وأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربّك، إنّ ربّك فعّال لما يريد﴾ (هود؛ 106-107)؛ فهي أيضا دالّة على أنّ للنّار أرضا وسماوات، فإنّ السماء في اللغة كلّ ما علاك وأظلّك، والأرض كلّ ما تحت قدمك، فأرض النار الدرك الأسفل، وسماواتها أطباق دركاتها طبقا فوق طبق إلى أنْ

---

[1] ابن حنبل، المسند، ج 10، ص 193، حديث: 11531.

[2] البخاري، صحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، حديث: 3027. مسلم، صحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث: 159.

[3] في (ص) "ولا تتبدل".

[4] في (ص) "الماضيين".

ينتهي إلى الصخرة التي فوقها كالعرش فوق الجنّة، [والله أعلم][1]، وهي أيضا باقيات خالدات. ومعنى[2] قوله: "إلّا ما شاء ربّك." يعني إلّا ما شاء الله بعد خلودهم فيها من أنواع الآلام والعقوبات المتلوّنة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم، وهذا المعنى كنت استنبطه من نظري في الآيتين، ثمّ عثرت عليه في تفسير الحسين بن الفضل[3]، فكان ذلك منّي مثل وقع الحافر على الحافر، وهو أصح[4] | |172 ما قيل في الآيتين. وقد عددت نيّفا وعشرين قولا فيها[5] كلّها ضعيف، ومثال تفسيرنا لها مثال مَلِك استخلص بعض رعيّته لنفسه واسكنه معه في داره، وكان يفيض عليه من مبارِه[6]، وحبس آخر في سجنه، ومع ذلك يأمر كلّ يوم بأنواع العقوبات له، ثمّ هو يخبر الناس عن حالهما فيقول: "أمّا فلان ففي[7] رعايتي وجواري، يتبوأ معي في داري ما عشت إلّا ما شئت له [زيادة[8] على الجوار من الإحسان والخلع الحسان؛ وأمّا فلان ففي سجني ما دمت إلّا ما شئت له من][9] أنواع المثلات والإيلام بصنوف العقوبات زيادة له على الحبس الدائم". هذا كلام سديد[10].

فإنْ قيل: فبيّن الخلود الدائم والنعيم الأبديّ وكذا العذاب السرمديّ، كيف يتصوّر في العقل؟

---

(1) ليس في (س).

(2) في (ش) وقوله.

(3) في (ج) "الفضيل". وهو أبو عليّ الحسين بن الفضل بن عمير بن القاسم بن كيسان البجلي الكوفي ثمّ النيسابوري، العلّامة، المفسّر، الإمام، اللغويّ، المحدّث عالم عصره. له الأمثلة الكامنة في القرآن الكريم. توفي سنة 282هـ/ 895م، الذهبي، سير، ج 13، 414-416؛ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/ 1997م، ج 2، ص 145؛ الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 251.

(4) في (ق) "أوضح".

(5) سقط من (س) و(ص) و(ع).

(6) في (س) "باره".

(7) في (ق) "فهو في".

(8) في (س) "بزيادة".

(9) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(10) في (ص). زيادة "لا تعسف فيه".

الجواب، إنّما يتصوّر في العقل حالات تتجدّد شيئا فشيئا على الدوام وذلك متصوّر، أمّا عدم تناهيها فيما لا يزال فيدركه العقل المجرّد[1]، ويتقاعس عنه الوهم والخيال[2]، فلا يكاد[3] يتخيّل ذلك لعجزه [عن ضبط غير المتناهي، ومثاله تضعيف الأعداد يمكن تصور][4] إمكان تضاعيفها على النظام عددا بعد عدد دائما في العقل والوهم. أمّا تصوّر الأعداد الغير المتناهية على طريق الإجمال، فلا يمكن إدراكها إلّا بالعقل بأنْ يفهم عدم تناهيها بالدليل لا بالتصوير. وكان الإمام حجّة الإسلام الغزالي رحمه الله، أراد[5] أن يقرّب صورة الأبد والخلود[6] إلى أفهام العوامّ فقال: "قدّر أنّ الله تعالى خلق مثل هذه الدنيا ألف مدينة وملأها كلّها من الجاوزين، ثمّ خلق طيرا يلتقط منها في كلّ ألف ألف سنة حبّة واحدة فإنّه ينفد تلك الحبّات من المدائن كلّها ويبقى الأبد كما كان". وقد ورد مثل ذلك في حديث[7] النبيّ ﷺ.

فإنْ قيل: اللذّات الأخرويّة حسّيّة أم عقليّة أم خياليّة؟ وهذا سؤال ضلّ فيه كثير من الناس.

والجواب عنه: لا خفاء أنّ ﴿الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ (الإسراء؛ 21)، ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ (الأعلى؛ 17)، فلا يجوز أن تتقاصر لذّاتها عن لذّات النفس في الدنيا. ولذّات الدنيا من[8] ثلاثة أوجه حسيّ، خياليّ، عقليّ[9]، وقد يمكن أنْ يخلق الله تعالى[10] لأهل الجنّة إدراكات أخر زائدة[11] على هذه المدارك يدركون بها ما أخفي لهم من قرّة أعين فضلا من الله ونعمة. فأمّا

---

[1] في (س) "المحدد".

[2] في (ص) زيادة "أصلا".

[3] في (ش) فلا يزال.

[4] سقط ما بين المعقوفتين من باقي النسخ عدا (ص).

[5] ليس في (س).

[6] في (ق) "آلام القلوب" وفي (ج) و(س) و(ش) و(ع) "آلام الخلود". والصواب من (ص) ويؤيده ما جاء في نهاية كلام الغزالي رحمه الله.

[7] في (س) "الحديث" دون عبارة "النبيّ ﷺ".

[8] سقط من (ج) وفي (س) "ولذلك ان الدنيا من"

[9] في (ص) "حسيّ وخياليّ وعقليّ".

[10] في (ص) "أن الله تعالى يخلق".

[11] في (ق) "زائدات".

اللذّات الحسّيّة فما يدرك بالحواسّ الخمس كلذّة الطعام والشراب بالذوق، ||173 ولذّة النكاح وسائر الملموسات باللمس، ولذّة الألوان والصور الحسان بالعين، ولذّة المشمومات بالشمّ، ولذّة الأصوات والألحان[1] بالسمع. ولمّا قال الحسن بن هانئ:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر... ولا تسقني سرّا إذا أمكن الجهر[2]

سُئل ما الفائدة في قولك: "وقل لي هي الخمر، وأنت تشاهدها بعينك." قال: "إنّ اللذّات مداركها خمسة: الذوق ملتذّ بشربها، والشمّ ملتذّ برائحتها، والبصر يلتذّ برؤيتها، واليد ملتذّة بحملها، فبقي السمع محروما عن اللذّة بها، فقلت: "وقل لي هي الخمر" حتّى تشترك الحواسّ الخمس كلّها في اللذّة فيتكامل العيش. وقلت: "ولا تسقني سرّا" لأنّ الشرب مع المراقبة يذيب الروح".

أما ترى هذا الشاعر كيف جمع بين لذّات الحواسّ كلّها مع لذّة القلب في معاطاة شيء لا يناسب لذّته لذّات الجنّة البتّة؟ والشعراء ألسنة الدهر تجري على لسانهم الحِكَم.

وأمّا اللذّة الخياليّة فهي أيضا مطلوبة في الدنيا، فإنّ الرجل ليتخيّل أشياء يتمنّاها فيلتذّ بها. وقد يرى الشيء الذي يهواه ويشتهيه[3] في المنام فيلتذّ بذلك. قال بعض الشعراء:

إذا التقى في النّوم طيفانا... عاد إليّ الوصل كما كانا

يا قرّة العين فما بالنـــــا... نشقى ويلتذّ خيالانـــــا[4]

وقيل إنّ اللذّة الخياليّة لا تكون في الجنّة، لأنّ الجنّة دار صدق واللذّة الخياليّة من قضيّات الوهم، إذ من شأن الوهم أن يتخيّل شيئا على طريق التمنّي فتلتذّ بها النفس لموافقتها إيّاها، وتلك في نفسها أكاذيب وغرور. قال الشاعر[5]:

[لولا منى العاشقين ماتوا... أسى[6] وإنّ[7] بعض المنى غرور[1]

---

[1] في (س) و(ع) "الألحان والأصوات".

[2] مطلع قصيدة لأبي نواس، *ديوان*، بيروت، دار صادر، ص 242.

[3] في (ص) "وسسرسه".

[4] سقط فما من (س).أبو نواس، *ديوان*، ص 619.

[5] في (ص) "قال بعضهم".

[6] سقط من جميع النسخ التي ورد فيها البيت.

[7] سقط من 'ش) و(ص).

وقال آخر][2]:

إنّ المنى رأس مال المفاليس[3]

والدار الآخرة دار الحقائق ولذلك سمّيت الحاقّة، قال الله تعالى: ﴿الحاقّة، ما الحاقّة؟﴾ (الحاقة؛ 1- 2)؛ قال المفسّرون: سمّاها حاقّة لأنّ فيها حواقّ الأمور وليس فيها أباطيل وأكاذيب. قال الله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا كذّابا﴾ (النبأ؛ 35). وإذا[4] كانت اللذّة الخياليّة بالتمنّي ولا أمنيّة في الجنّة لأنّ فيها ما تشتهي الأنفس [وتلذّ الأعين][5]، فقد دلّ على أنّ اللذّة الخياليّة فيها معدومة. وهذا القول عندي صحيح، فإنّ اللذّات الخياليّة أمانيّ والأمانيّ أكاذيب وأباطيل[6]، ||174 فلا يكون ذلك في الآخرة، لكنّهم كلّما يشتهون يجدونه في الحال عيانا نقدا، فلا يكون لهم أمنيّة أبدا، بل التذاذهم يكون بالموجود المشاهد لا بالمفقود والمتمنّى المخيّل، فافهم ذلك فإنّه من غرائب أمور الآخرة[7].

وأمّا اللذّة العقليّة فلا خلاف بأنها ألذّ الأشياء وأقواها[8]، وأسرّها للنفس وأشهاها، وأبسطها[9] للروح وأحلاها. اعتبر ذلك بلذّة الفهم والعلم، فإنّك إذا أدركت مسألة تشكل عليك رأيتك تجد

---

(1) البيت للشاعر العبّاسي سلم الخاسر. تجده عند ابن عبد البرّ في بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمّد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج 1، ص 122. وما بين المعقوفتين زيادة من بهجة المجالس.

(2) سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ع).

(3) أورد الثعالبي في كتابه التمثيل والمحاضرة هذا البيت كاملا مرفقا ببيت آخر، ونسبه إلى أبي بكر الخالدي، ص 113:

إن خانك الدهر فكن عائذا ... بالبيد والظلماء والعيـــــــس

إذا تمنّيت بت الليل مغتبطا ... إنّ المنى رأس أموال المفاليس

وانظر أيضا ابن عبد البرّ، بهجة المجالس، ج 1، ص 125.

(4) في (ص) "وإن".

(5) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(6) جاء التعليق التالي في هامش (ق): "قلت: ومن أحبّ امرأة وجامعها في الرؤيا هل يجد اللّذة أم لا يجدها في عالم الخيال؟ فغايتها لا يدوم دوام عالم الحسّ. فربّما نرى في الرؤيا ربّنا فلا نراه في اليقظة، ومع ذلك المرتبة العليا نقول للخيال أماني وأكاذيب، ويا حسرة على العقول إذا لم تعلم حكم المواطن".

(7) في (ص) زيادة: "واعتقادي هذا والله أعلم".

(8) في (ص) "وأقوتها".

(9) في (ص) "وأنشطها".

في نفسك وقلبك لذّة لا يعادلها[1] شيء من لذّات الدنيا. قال الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه: "لو علم الملوك ما نحن عليه من لذّة العلم لحاربونا عليه بالسيوف"[2]. وناهيك بلذّة الملك، والولاية، والأمر، والابتهاج بالأشياء الموافقة للطبع والغرض، ولذّة الوجدان.

ضلّ لأعرابيّ بعير فكان ينادي ألا من بشّرني بوجدانه فهو له، قيل له: "فما حظّك في ذلك؟ قال: "فأين لذّة الوجدان؟" وكذلك لذّة الولد، ولذّة محادثة الإخوان.

قال بعضهم، (شعر):

وما بقيت من اللذّات إلّا... محادثة الرجال ذوي العقول[3]

إلى غير ذلك من اللذّات العقليّة وإن كانت فيها تفاوت ولها مراتب. فهذه لذّات غير منكرة في الدنيا فيجب إثباتها في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا[4]﴾ (الإسراء؛ 21) وقوله: ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون﴾ (فصّلت؛ 31)، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث[5]. وعلى هذا الأصل تكون الآلام الحاصلة في الحسّ والعقل في جهنّم لأهلها ثابتة، [نعوذ بالله منها][6]. قال [عزّ من قائل][7]: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى [وأضلّ سبيلا][8]﴾ (الإسراء؛ 72). ولا خفاء بشدّة العمى لمن ابتلي به في الدنيا. فقد بان صحّة اللذّات الحسّيّة والعقليّة جميعا، وكذلك الآلام مثلها في الآخرة. وقد سبق لنا القول في جواز إعادة الأجسام بأرواحها وأحاسيسها[9] على ما هي عليه اليوم، وأطنبنا القول فيها، وأوغلنا

---

(1) في (س) "تعارفها".

(2) ينسب هذا الكلام أيضا للشافعي والجنيد وغيرهما، وقد يرد مسبوقا بعبارات مختلفة كقولهم قال بعض العلماء أو أحد الصالحين إلخ.

(3) هذا البيت لا يعرف قائله، وتجده في كتب الأدب وغيرها كالموشى للوشاء، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1413هـ/ 1993م، ص 19، والبيهقي، شعب الإيمان، ج 6، ص 504، أثر: 9069.

(4) ليس في (س).

(5) في (س) و(ع) "من الآيات والأخبار"

(6) سقط ما بين المعقوفتين من (س).

(7) كذا في (ق) وأما في باقي النسخ فـ "قال الله تعالى".

(8) ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

(9) في (ص) "وأجسامها.

في ذلك مضايق تكيع[1] عنها عقول الفحول من العلماء، وأمدّنا الله بإلهام الصواب، وهدانا فيه إلى سواء الصراط، فله الحمد دائما.

فإذ ثبت عود الإنسان على ما هو عليه اليوم في العقل جوازا، وفي الشرع وجوبا، صحّت له في الآخرة هذه اللذّات والآلام كلّها من غير شكّ وارتياب. | |175

فإن قيل: فإذا أكل أهل الجنّة الطعام[2]، وشربوا الشراب، فأين ذهب ثفله وفضالته[3]؟

الجواب: قال النبيّ ﷺ: "إنّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون [ولا يتفلون[4]، ولا يمتخّطون][5]، ولا يتغوّطون، ولا يبولون. قالوا: "فما بال الطعام؟" قال: "جشاء[6] ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتهليل والتحميد[7] كما تلهمون النفَس."[8] هذا حديث حسن، ولولا تطويل الكتاب لأنهيت[9] الكلام في بيان استحالة طعامهم وشرابهم إلى الرشح والعرق، وتشبيه التسبيح والتهليل والتحميد لهم بالتنفُّس منّا، ولكنّي اقتصرت على المشاهدة. ولقد جرّب أنّ من غذي باللبن والعسل لم يحتج إلى الاستفراغ. وقد شاهدنا امرأة تسمّى عائشة الناسية[10] من ناحية أبيورد[11] حضرت قزوين أيّام خوارزم شاه[12]، وشاع الخبر بأنّها لم تحتج إلى المستراح منذ ثلاثين سنة[1].

---

[1] في (س) "تكبَع"، وفي (ع) "تكئع"، وفي (ص) "تكع". وكاع يكيع بمعنى جبن.

[2] سقط من (س) و(ع).

[3]في (ق) "ثفله وفضيله"، وفي (ج) و(ش) و(ع) "ثقله وفضالته".

[4] في (ش) ولا يثقلون.

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[6] سقط من (ص).

[7]في (ش) ورد التحميد قبل التهليل.

[8]ابن أبي الدنيا، صفة الجنّة، ص 117-118، حديث: 118.

[9] في (س) "لااليت".

[10] في (ج) "الفاصية".

[11]هي من مدن خراسان. ذكرها ياقوت، وأشار إلى أنّها تقع بين سَرْخَس ونَسا. فُتحت على يد عبد الله بن عامر بن كُرَيْز سنة 31هـ/ 652م، وقيل: فُتحت قبل ذلك على يد الأحنف بن قيس التميمي. ياقوت، معجم البلدان، ج 1، ص 86-87.

[12]قطب الدين محمّد بن أنوشتكين، حكم باسم الدولة السلجوقية كوالي على إقليم خوارزم ثلاثين عامًا (490هـ - 521هـ/ 1097م-1127م)، نجح في أثنائها في تثبيت سلطانه، ومدّ نفوذه، وتأسيس دولته، وعُرف باسم خوارزم شاه، أي أمير خوارزم، والتصق به اللقب

وتواترت الأخبار بأنّ تركمانا أشتريا[2] ورد بلاد الروم، فأقامه الملك مسعود[3] عنده سنين، كان يأكل أكلا لمّاً ولم يدخل الحشّ قطّ. فإذا كان هذا وأمثاله موجودة في الدنيا، مشاهدة[4] مع طعامها الثقيل، وشرابها الوبيل[5]، وهوائها العفن[6]، وماءها الأجن، فكيف ينكر ما أخبر به الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم في الجنّة وأطعمتها من فواكه مما يتخيّرون، ولحم طير مما يشتهون، وأشربتها من العسل المصفّى، والماء الغير الآسن، واللبن الذي لم يتغيّر طعمه، والشراب الذي لا يصدّعون عنه ولا ينزفون، فإنّها لطيفة، رقيقة، خالصة، صافية، لا تعتورها[7] الاستحالات، ولا تكون لها أثقال منكرات، ولا روائح منكرة[8]؟

واعلم أنّ الله تعالى وصف الجنّة بأشياء حاضرة عندنا كالعسل، والزنجبيل، والمسك، والكافور، والسندس، والحرير، والذهب، والفضّة، واللؤلؤ، والمرجان، والنخل، والرمّان، [والخيرات الحسان][9]، وغير ذلك لتهتدي بها القلوب، وتستأنس بها النفوس. أمّا تصوّر ذلك في العقل فمستحيل، لأنّ التصوّر إدراك الوهم خيال ما أدركه الحسّ، والذي لم يدركه الحسّ من ذلك جزؤه ولا كلّه عجز الوهم عن تصوّره. ولو كان للخلق طريق إلى تصوّر ذلك لما قال تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين﴾ (السجدة؛ 17)، ولا قال النبيّ ﷺ عنه جل جلاله[10]:

وعُرف به. وكانت وفاة محمّد خوارزم سنة 522هـ / 1128م. ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1417هـ/ 1997م، ج 8، ص 410- 411؛ ابن خلدون العبر، ج 5، ص 105-106.

[1] في (ص) "ثلاثة سنين".

[2] في (ص) "أسيرا".

[3] غياث الدين أبو الفتح، مسعود بن السلطان محمّد بن السلطان ملكشاه السلجوقي. مات سنة 547هـ/ 1152م. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 186؛ الذهبي سير، ج 20، ص 385-386.

[4] في (ص) "موجودة مشاهدة في الدنيا".

[5] في (ص) "الزمل".

[6] في (س) و(ع) "وهوائها العفن وشرابها الوبيل".

[7] في (ص) "يصورها".

[8] في (ص) زيادة "كريهة مؤذية" سقط منها "منكرة".

[9] سقط من (ص).

[10] في (ق) " قال الله تعالى".

"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ||176 ولا خطر على قلب[1] بشر"[2]. قال مقاتل [بن سليمان][3]: "ليس شيء ممّا[4] يكون في الجنّة من ثمرة، وشراب، وحليّ، وحلل يشبه ما في الدنيا بشيء[5]، ولكنّ الله وصفه [كذا] ما عنده فسمّى الذهب، والثياب، والحرير"[6].

فإنْ قيل: إنْ كان سمّاها بأسماء ما عندنا وهي بخلاف ذلك حقيقة كان كذبا وخلفا[7]، والله يتعالى عن ذلك؟

قلنا: إذا لم يكن عندنا شيء يناسبه ويدانيه وأراد الله أنْ يخبرنا عن ذلك فلا بدّ أنْ يسمّيها عندنا بأدنى مناسبة ليقع في أفهامنا، ومثل ذلك ذكرناه في باب الرؤيا، وأصله قوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ (النور؛ 35). واعلم أنّ كلّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه.

فإنْ قيل: فما اللذّة والرغبة في الطلح المنضود، والسدر المخضوض[8]؟

الجواب: أنّ في الجنّة كلّ ما تشتهي الأنفس على العموم، وشهوات نفوس[9] الخلق مختلفة، ولعلّ نفوس بعض أهلها تشتهي ذلك لاستطابتها في دنياها، سيّما أهل البوادي من الأعراب؛ كيف

---

[1] في (ص) "بال".

[2] البخاري، صحيح، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث: 3072؛ كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾، حديث: 4501و 4502؛ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، حديث: 7059.

[3] سقط من (س).

[4] في (ص) "فما".

[5] في (ص) "فما يكون في الدنيا من ثمرة، وشراب، وحليّ، وحلل يشبه ما في الجنة شيئا"

[6] لم نجد هذا الأثر في التفسير المطبوع لمقاتل بن سليمان بل هناك قول ابن عباس: "ليس في الجنّة شيء يشبه ما في الدنيا، إلا الأسماء". أبو نعيم، *صفة الجنّة*، ص 147، حديث: 124.

[7] سقط من (ص).

[8] سورة الواقعة؛ آية 28-29. ولم يورد الناسخ الآيتين كما وردتا في القرآن بل وقع هناك تقديم وتأخير.

[9] في (ص) "والشهوات ونفوس".

وأنّ طلح الجنّة وسدرها إنّما تشبّه[1] بما في الدنيا بالاسم فحسب، فلعلّ الله تعالى خصّ ذلك بلذّة فاقت[2] اللّذات، ونفي المكروه عنها دليل على ما ذكرته[3]، ألا تراه يقول[4]: ﴿وسدر مخضوض، وطلح منضوض﴾ (الواقعة؛ 28) قد نفى الشوك واحتمال الأذيّة في قطعها[5] دلالة على نفي ما تكرهه[6] النفس منها في الدنيا. وفي بعض التفاسير إنّ الطلح في القرآن الموز.

فإنْ قيل: هل في الجنّة نكاح؟

الجواب: نعم. سئل النبيّ ﷺ عن ذلك فقال: "نعم، دحما."[7] أي "كثيرا". وإنّما أراد به استغراقهم بذلك في لذّة عظيمة ينالونها، بخلاف لذّة الوقاع في الدنيا، فقد قيل إنّها وهميّة لا حقيقة لها.

فإن قيل: هل يولد في الجنّة؟

الجواب: قد روي عن النبيّ ﷺ: "المؤمن[8] إذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنّه في ساعة كما يشتهي"[9]. وفي رواية، "ولكنّه لا يشتهي". وأصل هذه المسائل وأشباهها نكتة واحدة، وهي أنْ تعلم أنّ شهوات النفوس في الدنيا تابعة[10] لمشتهياتها، ومشتهيات أهل الجنّة تابعة لشهواتهم فيها، قال الله تعالى: ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ (فصّلت؛ 31)، ولم يقل وأنفسكم تشتهي ما فيها، واعرف قدر هذه الكلمة.

---

[1] في (ص) "تشتبه"

[2] في (ش) فارقت.

[3] في (س) "على ما ذكروه".

[4] في (س) "أن يقول".

[5] في (ص) "قطفها".

[6] في (ش) تكره.

[7] أبو نعيم، صفة الجنّة، ج 2، ص 203-205، حديث: 367-368-369؛ و ص 244، حديث: 393.

[8] ليس في (ص).

[9] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 4، ص 695-696، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة م الكرامة، حديث: 2563.

[10] سقط من (ق). "شهوات الدنيا في النفوس تابعة".

مناجاة[1]:

سبحان مالك الملك الذي كانت الجنّة ||177 بنعيمها، وتسنيمها، وحورها، وقصورها، وسررها[2]، وسرورها، وأنهارها، وأشجارها، وأزهارها، وأطيارها، وحللها، وحليّها، وحريرها[3]، وذهبها، وفضّتها، وعِينها، ومعينها، وقطوفها، وعرفها، وظلالها، وغرفها[4]، ومساكنها، كلّها رشاشة من بحار[5] فضله، وتيّار رحمته. وكانت الجحيم بسعيرها، وزفيرها، وغسلينها، وزقّومها، وأغلالها[6]، وسلاسلها، وحميمها، ويحمومها، وشررها، وغيظها، وحيّاتها، وعقاربها، كلّها شرارة من نيران غضبه.

إلهي، أعذنا برضاك من سخطك، وبعفوك من عقابك.

إلهي، أتيناك بأعمال وآمال، فأعمالنا بضاعة مزجاة، لا ترجى بمثلها النجاة، وآمالنا مستمسكة بالعروة الوثقى من كرمك، وأنت لم تزل ولا تزال كريما، فلا تردنا عن حياض جودك هيما، يا رؤوفا[7] يا رحيما.

---

[1] بياض بـ (ع) وكتب "مناجات" في هامش الورقة، وفي (ج) "المناجات"..

[2] سقط من (س) وفي (ع) "وسرورها وسررها".

[3] في (ص) "وحريرها وحليّها"

[4] في (ج) و(س) "وغرفها".

[5] في (ص) "بخار".

[6] في (س) و(ش) و (ق) "وأغلاقها" وفي (ع) "وأغلافها"..

[7] سقط من (س).

[الباب الخامس والثلاثون][1]
في بعثة الأنبياء عليهم السلام

لله تعالى صفتا فعل هما[2] الفضل والعدل، فالفضل زيادة[3] على الاستحقاق، والعدل المعاملة بموجب المعادلة[4]، والفضل سابق على العدل، إذ كانت الكائنات كلّها من فضله ورحمته كما قال: "سبقت رحمتي[5] غضبي"[6]. خلق الخلق ابتداء بفضله، وإلّا لم يكن للكون[7] أثر ولا للمكوّن خبر فقال: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ الآية (النور؛ 14و21). وقال: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ (يونس؛ 58). ثمّ[8] لمّا خلقهم من تفضّله لم يتركهم سدى هملا غافلين عمّا يرجع إلى مصالحهم في الأمور الدينيّة والدنيويّة، وكان جلّ جلاله منزّها عن المجيء إليهم والنزول عليهم، ولم يكن كلامه[9] في حرف وصوت حتّى يسمعهم كلامه كفاحا، فبعث إليهم منهم رسلا مبشّرين ومنذرين ليبلّغوا إلى أسماع عباده كلامه. وقد ألمّ بعض الشعراء [بهذا المعنى][10] فقال:

---

[1] ترك مكان ما بين المعقوفتين فارغا في (ع)، وكتب على هامش الورقة في الزاوية اليسرى أعلاه "الباب الخامس والثلاثون". وهو الثالث والثلاثون في (س).

[2] ليس في (ق).

[3] في (ص) "زيادة الخير".

[4] في (س) "العادلة".

[5] ورد بهامش (ش).

[6] البخاري، صحيح، كتاب التوحيد، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾، حديث: 6986، كتاب التوحيد، باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرها من الخلائق، حديث: 7015؛ وباب: قول الله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾، حديث: 7114- 7115.

[7] كتب في (ج) فوق السطر.

[8] سقط من (س).

[9] في (ص) "كماله."

[10] رد بهامش (ص).

ولمّا تعذّر أن نلتقـــــــــي ... وزاد النزاع وجدّ القــرم
[سعيت إليك برجل الرسول ... وناجاك عنّي لسان القلم][1]

فقال جلّ ذكره[2]: ﴿رسلا مبشّرين ومنذرين لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل﴾ (النساء؛ 165)، وقال: ﴿يختصّ برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم﴾ (البقرة؛ 105)، وقال: ﴿تلك الرسل، فضّلنا بعضهم على بعض﴾ (البقرة؛ 253). وفضّل محمّدا ﷺ على الجميع فقال: ﴿وأنزل الله | |178 عليك الكتاب والحكمة وعلمّك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما[3]﴾ (النساء؛ 113). فظهر من مجموع هذه الآيات أنّ الله تعالى إنّما خلق الخلق بفضله، {[وأرسل الرسل بفضله][4]، ولم يَجِب عليه شيء البتّة، فالنبوّة إذن محض فضله} [5]ورحمته، وحقيقتها خطاب الله تعالى لشخص: "أنت رسولي، واصطنعتك لنفسي"[6]. "والله يعلم حيث يجعل رسالاته."[7] وليست النبوّة مكتسبة حتّى يتوسّل إليها بالنسك والرياضات، وكثرة المجاهدات، وتصفية النفس من الكدورات، كما ظنّت جماعة من الحمقى، فأذابوا نفوسهم بالكدّ والاجتهاد والجوع والعطش، فما[8] حصلوا منها إلّا على جفاف الأدمغة، والعواقب المخزيّة. أوليس الله تعالى يحكي عن الرسل بقوله: ﴿قالت لهم[9] رسلهم إنْ نحن إلّا بشر مثلكم، ولكنّ الله يمنّ على

---

[1] استدرك ما بين المعقوفتين في هامش (ج). نجد هذه الأبيات عند ابن معصوم المدني منسوبة إلى أبي إسحاق الصابي بهذه الرواية:
ولما تعذر أن نلتقــي   وطال النزاع وزاد الألم.
مشيت إليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القلم.
انظر *أنوار الربيع في أنواع البديع*، تحقيق شاكر هادي شكر، النجف، مطبعة النعمان، 1388-1389هـ / 1968-1969م، ج 6، ص97.
[2] في (ص) "جلاله".
[3] استدراك من (ش) لأنّه وقع طمس في نسخة (ق).
[4] سقط ما بين المعقوفتين (ش).
[5] استدرك ما بين القوسين المزهرين في هامش (ج).
[6] انظر الآية 41 من سورة طه.
[7] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والله أعلم حيث يجعل رسالاته﴾ (الأنعام؛ 124).
[8] في (ص) "مما".
[9] ليس في (ص).

من يشاء من عباده﴾ (إبراهيم؛ 11)؟ وأمر نبيّنا عليه السلام بقوله: ﴿قل سبحان ربّي، هل كنت إلّا بشرا رسولا﴾ (الإسراء؛ 93).

واعلم أنّ المعتزلة ومن تابعهم ادّعوا وجوب النبوّات عقلا من جهة اللطف، والبراهمة والصابئة أنكروها أصلا، وعند أهل الحقّ أنّها جائزة عقلا، واجبة تواترا ونقلا، تنتهي إلى المعاينة، وهي من فضل الله ورحمته وتدبيره [في الملك والملكوت بأوامره ونواهيه على ما يشاء كيف يشاء. و﴿يخلق ما يشاء ويختار﴾ (القصص؛ 68) الآية. فعلى هذا فاعلم أنّ النبوّة صفة][1] راجعة إلى اصطفاء الله شخصا بخطابه، ولا يرجع إلى نفس ذلك الشخص الذي هو النبيّ حتّى يقال إنّه استحقّ النبوّة لذاته وإذا كان كذلك، فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة، واشتقاقها من النبوّة وهي الرفعة، لأنّ الله رفعه برسالته من بين الخلق، ومن همزها أخذها من النبإ[2] وهو الخبر، لأنّه مخبر عن الله، فيرجع[3] إلى صفته حتّى إنّه لا يخبر بعد موته كما لا يخبر في حال نومه[4]، ولكنّ حكم النبوّة باق عليه أبدا حيّا وميّتا، كما أنّ حكم نكاحه كذلك. قال النبيّ ﷺ: "زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة."[5] وقال: "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون"[6].

فإنْ قيل: فهلّا أرسل الملائكة فإنّهم كانوا بهيئتهم الملكيّة أدعى إلى[7] الحقّ، والاستجابة لهم حتّى لم يقل الكفرة: ﴿أبشرا منّا واحدا نتّبعه﴾ (القمر؛ 24)؟

الجواب: قد سبق هذا السؤال من كفّار مكّة حيث قالوا: ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾ (الأنعام؛ 8) وقالوا: ﴿أو تأتي بالله | |178 والملائكة قبيلا﴾ (الإسراء؛ 92). وقد أجاب الله عن ذلك فقال تعالى: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[2] في (ص) "الثناء"

[3] في (ص) "فرجع".

[4] في (ص) "موته".

[5] ابن الملقن، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيط عبد الحي - محمّد عبد الله بن سليمان - ياسر بن كمال، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، 1425هـ/ 2006م، ج 7، ص 457.

[6] البيهقي، حياة الأنبياء، تحقيق فريد عبد العزيز، دار الحديث، القاهرة، 1407هـ/ 1987م، ص 15، حديث: 1.

[7] سقط من (ص).

(الإسراء؛ 95)، وقال: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ (الأنعام؛ 9). والمعنى فيه أنّ قوّة عامّة البشر لا تطيق أنْ ترى الملائكة بأعيانهم وحقائق صورهم فضلا عن أخذ الكلام عنهم[1]، وذلك أنّ الله تعالى خصّ كلّ جنس من خليقته بصورة وهيئة لائقة به على حدة ليس لغيره هي، وإنّما يستأنس الجنس بالجنس. ولا عجب في أنْ يفزع الآدمي من صورة المَلَك الذي يسدّ الخافقين بنشر جناح واحد. فلقد خلق الله في أقاصي بلاد الصين وجزائرها أناسا لو أبصرونا خرّوا لوجوههم ميّتين، ولو أبصر واحد منّا[2] صورة أحدهم انشقّت مرّارته خيفة. وحديث بدء الوحي مشهور، كان رسول الله ﷺ مع قوّته وشهامته لمّا رأى الملك أوّلا بجبل حراء قاعدا على كرسيّ بين السماء والأرض وله صوت هائل، امتلأ منه رعبا وهوى من الجبل إلى الأرض، وجاء إلى بيت خديجة وهو يقول: "زمّلوني، زمّلوني[3]"[4]. فعلى هذا لو بعث الله الملائكة رسلا إلى عباده لفرّوا[5] منهم ولم يطيقوا سماع كلامهم، بل ربّما صعقوا[6] لهيبته[7] وماتوا كما قال الله تعالى: ﴿ولو أنزلنا ملكا لقضي إليهم﴾ (الأنعام؛ 8) أي لماتوا من هيبته [في الحال][8].

اعتبر بقصة الببّغاء، فإنّ المتقدّمين لمّا وجدوا صوته مخالفا لأصوات سائر الطيور، وكان في صياحه بعض ما يشبه كلام الناس، حبسوه في القفص، وجاء من يعلّمه فجلس حذاءه وقال له: ﴿قل هو الله.﴾ فاضطرب الطائر متنفّرا منه ساكتا، فعلم انّه إنّما لا يقوله لنفرته عن غير جنسه، فجاء الرجل المعلّم[9] وغطّى وجهه بعباءة[10] وأخذ مرآة وقابلها وجه [الطائر ثمّ قال من وراء

---

[1] في (ص) "منهم".

[2] في (ج) و(س) و(ص) و(ع) "منا واحد".

[3] سقط من (ص).

[4] انظر ما ذكره المفسرون بخصوص الآية الأولى من سورة المزمّل.

[5] في (ص) "إلى الناس عباده يفرّوا".

[6] في (ق) "ضعفوا".

[7] في (ص) "بغتة".

[8] سقط من (ص).

[9] فسقط من (ص).

[10] في (ص) "وغطى الرجل بعباءة وجهه".

العباءة: ﴿قل هو الله.﴾][1] [فقال الطائر: ﴿قل هو الله.﴾][2] إذ رأى صورة نفسه في المرآة فاستأنس بها ظنّا منه أنّها هي[3] المعلّم. قال الله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ (التوبة؛ 128). وقال: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون﴾ الآية (الإسراء؛ 95). وهذه الحكاية ردّ على التعليميّة في ادّعائهم أنّ المعلّم هو الرسول، وظنّهم الكاذب في معلّمهم كظنّ ذلك الطائر في معلّمه، فإنّ المعلّم بالحقيقة هو الله تعالى كما قال: ﴿الرحمن علّم القرآن﴾ (الرحمن؛ 1-2)، وقال: "علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم." (اقرأ؛ 4-5)، وقال: ﴿وعلّمك ما لم تكن تعلم﴾ الآية (النساء؛ 113).

فعلى هذا عُلِم أنّ فائدة ||180 الرسول هي أنّه من جنس المرسل إليه ليمكنه[4] الأخذ منه لاستئناسه بحكم الجنسيّة كما قال: ﴿هو الذي بعث في الأميّين رسولا منهم﴾ (الجمعة؛ 2)، وقال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه﴾ (إبراهيم؛ 4).

فصل[5]

ولمّا اصطفى الله تعالى في علمه الأزليّ عبادا لنبوءته[6]، وأهّلهم لأداء رسالته، رشّحهم لذلك في مبادئ[7] أمورهم، وحماهم من[8] مكايد الشيطان وتسويلاته، وصفّى سرائرهم من الكدورات،

[1] ما بين المعقوفتين سقط من (ش).

[2] ما بين المعقوفتين ليس في (س) و(ع).

[3] في جميع النسخ عدا (ص) "هو".

[4] في (ص) "فأمكنه".

[5] بياض بـ (ع).

[6] في (ص) بالنبوءة"

[7] في (ص) "منادى".

[8] في (ص) "عن".

وشرح صدورهم بنوره، وزيّنهم بالأخلاق الجميلة، وطهّرهم عن الرجس والرذائل كما قال الله تعالى: ﴿[الله أعلم][1] حيث يجعل رسالاته﴾ (الأنعام، 124).

فمن ذلك ما روي في الصحاح عن أنس بن مالك " أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان فأخذه وصرعه، وشقّ عن قلبه، فاستخرج منه شبه[2] علقة[3] فقال: "هذا حظّ الشيطان منك." ثمّ غسله في طست[4] من ذهب بماء زمزم، ثمّ لَأَمَهُ وأعاده كما كان في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى ظئره فقال: "إنّ محمّدا قد قتل. "فاستقبلوه [فوجدوه ممتقع اللون"[5]. وكذلك ما عمل به مرّة ثانية في حديث المعراج. قال ﷺ: " بينا أنا في الحطيم][6] إذ أتاني آت فشقّ ما بين هذه، يعني ثغرة[7] نحره إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثمّ أتيت بطست [من ذهب][8] مملوء إيمانا فغسل قلبي، ثمّ حشي، ثمّ أعيد." وفي رواية: "ثمّ غسل البطن بماء زمزم، ثمّ ملئ إيمانا وحكمة، ثمّ أتيت بدابّة دون البغل وفوق الحمار."[9] الحديث إلى آخره. وهذا صحيح مسند، ولا يستحيل معناه في العقل حتّى يحتاج إلى التأويل، وإنّما ينكره الروافض، ولا مبالاة بإنكارهم مع ما اعتقدوه في القائم وأوردوه من الخرافات التي تضحك منها الصبيان فضلا عن العقلاء. أمّا صورة الشقّ، فاعلم أنّه ليس مثل شقّ الذبح بالسكّين، وإنّما هو كشف باطنه بيد جبريل عليه السلام من غير ألم يصيبه، أو دم يصبّه وحاشى حشاه صلوات الله وسلامه عليه عن ذلك، وهو قريب من إخراج الله تعالى الذرّية من ظهر آدم عليه السلام على ما اختلفوا ||181 فيه. وإنّما يقع الاشتباه في أمثال

---

[1] ليس في (ص).

[2] سقط من (ص).

[3] في (ج) و(س) و(ش) و(ع) "غلفة".

[4] وردت في (ق) بالشين وهي لغة في "طست".

[5] عبد بن حميد، المنتخب من مسند بن حميد، تحقيق مصطفى العدوي، الرياض، دار بلنسية، 1423هـ/ 2002م، ج 1، ص 286، حديث: 1306.

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[7] في (ع) "نقرة".

[8] سقط من (ش) فلم ترد إلا بعد كلمة قلبي ولكن كجملة غير تامة.

[9] ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبار الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1408هـ/ 1988م، ج 1، ص 236 وما بعدها، حديث: 48.

هذا لتعذّر الخروج عن المألوفات، [وقد يستخرج الأطبّاء أخلاط العلل بالأطلية والضمادات][1]. وذكرنا[2] في باب نزول عيسى عليه السلام ما فيه كفاية لمن تأمّله. وإشارته ﷺ في قوله: فشقّ ما بين ثغرة[3] النحر إلى شعرته، يريد انكشف ما بينهما من غير ألم ودم، وامتقاع لونه[4] كان من هول ما رآه لا من ألم يغشاه. هذا صحيح عند أصحاب المعاني، أمّا من لم يقنعه ذلك فليجره على الظاهر فلا بأس. والطست من ذهب كان من أواني الجنّة، وهو قطعة نور على هيئة الطست لا يشبه ذهب الدنيا إلّا بالاسم[5]، والماء ماء الرحمة، وإنّما نسبته[6] إلى زمزم [لأنّ ماء زمزم][7] ينبع من نظر الله تعالى حين نظر إلى الجوهرة التي خلق الله الأرض منها، فكما أنّ مكّة أمّ القرى، كان زمزم أمّ المياه، وإنّما سمّيت زمزما، لأنّ سابور ذا الأكتاف[8] لمّا بلغه أمر بكبسها فقال له بعض الموابذة: "إنّ هذا ماء ينبع من نظر إله الآلهة." فتركها وزمزم عندها، أي دعا وتضرّع بلسانهم. وأمّا قوله: "فاستخرج من قلبي[9] شبه علقة[10] وقال: "هذا حظ الشيطان منك ثمّ غسله." يريد بالعلقة [11] دخانا متراكما تنشأ من البشريّة، وصار على القلب كالغلاف. قال محمّد بن عليّ الترمذيّ: "إنّ معشّش الشيطان النفس، والنفس في الرئة، ومنها يتنفّس النفس، وقد جعل الله بين الرئة والقلب وعاء رقيقا فيه ريح هفّافة تجري إلى باطن القلب، فإذا نفخ الشيطان الهوى في

---

(1) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(2) في (ص) "وقد ذكرنا".

(3) في (ع) "نقرة".

(4) في (ص) "لوانه".

(5) في (س) "بالاثم".

(6) في (ش) "نسبه" وفي (ص) "تشبه".

(7) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(8) هرمز بن نرسي، وهو سابور ذو الأكتاف، وكان ملكه إلى أن هلك اثنتين وسبعين سنة. انظر الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1380هـ/ 1960م، ص 48 -51؛ ابن خلدون العبر، ج 2، ص 252.

(9) في (س) "قلبه"

(10) في (ج) و(س) و(ش) (ع) "غلفة".

(11) في (ج) و(س) و(ش) (ع) "يريد بالغلفة".

النفس[1]، ينفذ منه دخان مظلم فيجتمع في جوف القلب ويتراكم فيه، وبه يكون استيلاء الشيطان على القلب بالوسوسة، والعلقة[2] التي استخرجها جبريل عليه السلام من قلب المصطفى هي ذلك الدخان المجتمع، وكان ذلك حظ الشيطان منها[3] يتوسّل إلى القلب بالوسوسة، فلمّا غسله بماء الرحمة وردّه إلى موضعه استنار القلب وانشرح[4]، وهو قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ (الشرح؛ 1)، فلم يكن بعد ذلك فيه للهوى منفذ، ولا لدخان النفس فيه مصعد، ولا للشيطان إليه سبيل. وإنّما شرحت هذا الحديث لأن أكثرهم اهملوه فافهم.

مناجاة[5]:

سبحان من اختار[6] من البريّة أخيارا، وجعلهم سفراء وآتاهم أسفارا، فبسطوا في البسيطة دينه الحقّ، وهدوا بحجّته[7] إلى[8] محجّته الخلق، فاستقام بهديهم الدين والدنيا، وعلت بدعوتهم الكلمة العليا، وانقطع بهم شراك[9] الشرك، وانتظم بهم[10] نظام الإسلام، عليهم الصلاة والسلام.

إلهي، آمنّا بك وبملائكتك ورسلك، ونستعيذ | |182 بك من الشيطان بأنْ يضلّنا عن سبيلك.

إلهي، اجعل التوفيق سائقنا[11] وقائدنا، والسعادة ساعدنا ومساعدنا، واحفظنا من مكائد أعدائك، بحقّ أنبيائك وأوليائك يا الله[12].

---

[1] في (ص) "نفسه".

[2] في (ج) و(س) و(ش) (ع) "فالغلفة".

[3] في (ص) "إذ بها".

[4] في (ص) "وانفسح".

[5] بياض بـ (ع) وكتبت "مناجات" في الهامش، وفي (ج) "المناجات"..

[6] في (ص) "جعل".

[7] في (س) "للحجة" وفي (ج) و(ع) و(ق) "لحجته".

[8] في (ص) "على".

[9] في (س) "نيران".

[10] سقط من (ص).

[11] في (س) "سابقنا".

[12]جاء العبارات الأخيرة لهذا الباب في (ق) كالتالي: "بحقّ أوليائك وأنبيائك".

[الباب السادس والثلاثون][1]
في دلائل النبوّة

أوّلا: نبدأ بنكتة عجيبة، وهي أنّ[2] من أنكر النبوّة فلقد أثبت لنفسه من حيث لا يشعر[3]، وذلك لأنّ إثبات النبوّة إخبار عن الله بأنّه قد أرسل رسلا، ومن أنكرها فقد أخبر عن الله بأنّه لم يرسل، فيكون في إنكار النبوّة عن غيره إثبات لها لنفسه لأنّه مخبر عن الله في ذلك، والمخبر عن الله هو النبيّ، وهذا نظير من أنكر أصل النظر بالنظر، فإنّه يكون في إنكاره إيّاه إثبات للنظر، فيكون متناقضا، فلذلك[4] قول المنكر للنبوّة متناقض [من هذا الوجه.

وأمّا البرهان القاطع على ثبوت نبوّة الأنبياء فهي المعجزات، والمعجزة فعل يخلقه الله يكون خارقا[5] للعادة][6] على يدي مدّعي النبوّة مقترنا بدعواه، وذلك الفعل يقوم مقام قول الله تعالى له: "أنت رسولي." تصديقا لما ادّعاه. مثاله أنّ إنسانا قام في ملأ من الناس بحضرة ملك مطاع فقال: "يا معشر الحاضرين، إنّي رسول هذا الملك، وآية صدقي أنّ الملك يقوم ويرفع التاج من[7] رأسه." فيقوم الملك في الحال ويرفع التاج عن الرأس عقيب دعوة[8] هذا المدعي[1]. أليس ذلك

---

[1] ترك مكان ما بين المعقوفتين فارغا في (ع) وكتب في الهامش. وهو الرابع والثلاثون في (س).

[2] سقط من (ص).

[3] في (ص) "يشعرون".

[4] في (ص) "فذلك".

[5] في جميع النسخ عدا "خارجا للعادة".

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[7] كذا في جميع النسخ.

[8] في (ص) "الدعوى".

الفعل[2] منه يتنزّل منزلة قوله: "صدقت، أنت رسولي". وإنّما تراعى فيه أمور ثلاثة: الفعل الخارق[3] للعادة، واقترانه بالدعوى، وسلامته من العارضة، إذ لو رفع التاج بقول غيره أو بعد ذلك بمدّة لا يكون حجّة لهذا المدّعي. فهذه الثلاثة بمجموعها[4] برهان قاطع على دعوى المدّعي للرسالة، نازلة منزلة للتصديق بالقول، وهو مثل حصول العلم بسائر[5] الأشياء من شواهد المقال، وقرائن الحال.

واعلم أنّ خرق[6] العادة على انفراده لا يكون معجزة ما لم تقترن به القرائن من التحدّي وغيره، فإن خرق[7] العادات قد يقع بالسحر والشعبذة، وقد يكون بالكرامة للوليّ، ومثاله حمرة الوجه فإنّها تكون من غلبة الدم، ومن السكر، ومن الخجل، وإنّما يفرق بينهنّ بوجوه القرائن، فإنْ كان معها تغيّر المزاج فهي من الدم، فإنْ كان معها اختلاط[8] عقل وتمايل فهي من السكر، وإنْ كانت من حادثة دالّة على الخجالة فهي من الخجل. كذلك الفعل الخارق[9] للعادة، إنْ كان مع دعوى نبيّ[10] فهو معجزة، وإنْ كان من غير |183| ذلك[11] فهو كرامة، وإنْ كان مع حيلة وإعداد آلة[12] فهو سحر، وسيأتي الفروق بين هذه الأشياء في أبوابها من بعد إنْ شاء الله تعالى.

---

[1] في (ق) "عقيب الدعوى".
[2] سقط من (ص).
[3] في (ص) "الحاذق".
[4] في (ص) "لمجموعها".
[5] في (ص) "في سائر".
[6] في (ص) "حرف".
[7] في (ص) "حرف".
[8] في (س) "أخلاط"، وفي (ص) "اختلال لازم".
[9] في (ص) "الحاذق".
[10] في (ص) "فهي".
[11] في (ص) "دعوى النبوة".
[12] في (ص) "له".

فإنْ قيل: اقتران المعجزة بدعواه لا ينتهض[1] دليلا على صدقه لأنّ نفس الاقتران بالإضافة إلى دعواه وإلى غير دعواه من الأقوال والأفعال بمثابة واحدة.

الجواب: أنّ سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل تعريف إلهيّته[2] بالآيات الدالّة عليها، وذلك قد يكون مرّة بالفعل [ومرّة بالقول. فتصديقه بالقول كقوله للملائكة: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة؛ 30). وتصديقه بالفعل][3] كما علّم آدم الأسماء كلّها[4]، ثمّ قال لهم: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ (البقرة؛ 31)، وعلّم محمّدا القرآن ثمّ قال له: ﴿قل فأتوا بسورة من مثله﴾ (البقرة؛ 23)؛ فكما عجزت الملائكة عن معارضة آدم بالأسماء، عجزت العرب عن معارضة المصطفى[5] بالقرآن، فدلّ [كذا] الأسماء هنالك والقرآن هـهنا على صدق النبيّ الذي هو أوّل الأنبياء، وعلى صدق النبيّ الذي هو آخر الأنبياء. فعلى هذه الصفة صحّ أنّ المقترن[6] بدعواه إذا كان فعلا يعجز[7] الخلق عن المعارضة، كان له تأثير وينتهض دليلا، بخلاف الاقتران بما لا يعجز الخلق عن معارضته.

فإنْ قيل: قد شرطتم للمعجزة[8] أنْ تكون فعلا، ثمّ ادّعيتم أنّ القرآن معجزة، والقرآن كلام[9]، والكلام عندكم صفة من صفات الله كالعلم والقدرة، فلو جاز أنْ تكون صفة الكلام معجزة لجاز أنْ تكون صفة العلم والقدرة معجزة.

الجواب: اعلم أوّلا أنّ المعجز هو الله تعالى، فإنّه خالق العجز والقدرة، وإنّما سمّي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسّع والمجاز على الحقيقة، كمن نظر إلى صاعقة تقع من

---

[1] في (ص) "ينهض".

[2] في (ص) "الهيبة".

[3] سقط ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[4] سقط من (ص) وفي (ع) "كلهم"..

[5] في (س) "محمد".

[6] في (س) و(ع) "المعترف".

[7] في (ص) "فعجز".

[8] في (ص) "المعجزة"

[9] في (ص) "كلام الله".

السماء فيقول[1] انظر إلى قدرة الله، وإنّما هي آثار قدرته[2]، وذلك لأنّ العجز إنّما يكون عن مقدور عليه وليس إحياء الميّت من مقدور البشر، حتّى يقال إنّه عجز عن إحياء الموتى. والإنسان قد يحسّ من نفسه عدم القدرة على ذلك، وعدم القدرة ليس بعجز[3] كما أنّ عدم العلم ليس بجهل، إذ الجدار عادم للعلم وليس بجاهل لأنّه فاقد شرط العلم والجهل معا وهو الحياة. فأمّا العامّة فإنّهم يعبّرون عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل[4]، لأنّ العجز يقارن المعجوز عنه كالقدرة تقارن المقدور عليه.

وأمّا قولنا القرآن ||184 معجزة فلا نعني به كلام الله تعالى الذي هو صفته القائمة بذاته معجزة، وإنّما نعني[5] أنّ نظمه وتأليفه على الهيئة الغريبة[6] والأساليب العجيبة فعل الله تعالى وهو خالق كلّ شيء، وذلك معجزة للنبيّ ﷺ، والله تعالى أعجَزَ الخلقَ عن الإتيان بمثله دلالة على صدق رسوله. ولفظ القرآن في العربيّة يقع على القراءة والمقروء كما ذكرناه قبل[7].

مناجاة[8]:

سبحان جاعل المعجزات دلالة على صدق رسله، ومعجِزِ الخلق عن الإتيان بمثله، حتّى يثبت بها دعاويهم عند تحدّيهم، واستضاء بنور الشرائع حاضرهم وباديهم، فضلا منه ونعمة[9] وشفقة على خلقه ورحمة[10].

---

[1] في (ص) "فنقول".

[2] في (ص) "قدرة الله".

[3] في (ص) "معجز".

[4] في ((س) "وتخيل".

[5] هنا تنتهي المقارنة مع (ع)، للنقص الذي أخلّ بهذه النسخة.

[6] في (س) "العربية".

[7] سقط من (ق).

[8] في (ج) "المناجات".

[9] في (ج) "ورحمة".

[10] سقط من (ج)، وفي (ش) و(ق) "فضلا منه ورحمة وشفقة على خلقه ورحمة"

إلهي، أوضح صدورنا بإشراق نورك، وأقمنا بين يديك على قدم الطاعة لمأمورك، واجعل الحقّ طريقنا، والتوفيق رفيقنا، وكن بارّا بنا وشفيقنا، يا كافيا لعباده، ويا وافيا لميعاده. [وبالله التوفيق][1].

---

[1] زيادة من (ق).

الباب السابع والثلاثون[1]

في الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة

قد ذكرنا معنى المعجزة وحقيقتها، فأمّا السحر فهو في اللغة إراءة الباطل في صورة الحقّ، ومنه وقت السَّحَر للصبح الكاذب، والسحر الرئة لأنّها كاللحم وليست بلحم. والشعبذة منسوبة إلى رجل اسمه شعباذ، وهو معرّب، وأصله خفّة اليد في تقليب الأشياء. والسحر عندنا حقّ على معنى أنّه ثابت واقع، وصحّ الحديث عن النبيّ ﷺ: "السحر حقّ، والعين حقّ"[2]. وكان لبيد بن أعصم اليهوديّ[3] وبناته سحروا رسول الله ﷺ بمشط ومشاطة وجف نخل، وطرحوه في راعوفة[4] ذي أروان، وهي [بئر قديمة][5] معروفة، حتّى نزل الملكان وأخبراه بذلك، فاستخرجه عليّ رضي الله عنه، وفيه نزلت المعوّذتان. وأنكرت المعتزلة والدهرية والروافض السحر. والدليل على صحّته إجماع الأمم سلفا وخلفا، وإجماع أهل الكتاب كلّهم من الهند والروم والفرس، وآيات القرآن ناطقة به، قال الله تعالى ﴿ومن شرّ النفاثات في العقد﴾ (الفلق؛ 4)، وهنّ السحرة ينفثن عند قراءة الرقى. وكان رسول الله ﷺ كلّما حلّت عقدة ممّا سحروه وجد في نفسه خفّة، فلمّا استتمّ قام سالما كأنّما نشط من عقال. وقد قال الله تعالى: ﴿وما أنزل ||185 على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ (البقرة؛ 102).

---

[1] الخامس والثلاثون في (س).

[2] يعرف هذا الحديث بعبارة العين حقّ وليس فيه ذكر للسحر. البخاري، صحيح، كتاب الطب، باب العين حق، حديث: 5408. مسلم، صحيح، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، حديث: 2187.

[3] السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت، مؤسّسة الكتب الثقافية، 1422هـ/ 2002م، ص 314.

[4] في (س) "راغوفة".

[5] سقط من (س).

ذكر ابن قتيبة أنّ عامل عمان كتب إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "إنّا أتينا بساحرة فألقيناها في الماء فطفت." فكتب إليه: "لسنا من الماء في شيء، إنْ قامت البيّنة وإلّا فخلّها"[1]. قال أبو[2] عمرو بن العلاء: "الغول ساحرة الجنّ"[3].

واعلم أنّ الناس اختلفوا في السحر وأثره فقيل: إنّه يمكن تبديل الصور به حتّى تقلب الإنسان كلبا وخنزيرا، وأنّه يمكن أنْ يطير من بلد إلى بلد في لحظة. والظاهر أنّ أمثال هذه خرافات العوامّ وأسمار النسوة. وقيل: هو تغيير القلوب بضمّ أشياء بعضها إلى بعض، وبخورات وكلمات يتفوّه بها في أوقات مخصوصة، فيظهر حينئذ في المسحور، بحكم إجراء الله العادة، أفعال مختلفة غريبة، وهذا أقرب إلى الصواب. ثمّ إنّ أجناسه مختلفة طلسم، ونيرنج، ورقية، وحلقطيرات، وشعبذة. فالطلسم، [كأنّه يسلّط على المعتاد][4]. قيل معناه هي مقلوبه وهو المسلّط[5]. قالوا هو جمع آثار سماويّة مع آثار عقاقير الأرض ليظهر منها أمر عجيب. [والنيرنج أصله نيرنك فعرّب وهو التمويه والتخييل، قالوا إنّ ذلك تمزيج قوى جواهر الأرض بعضها بالبعض ليحدث منها أمر عجيب][6]. والرقية هي الأفسون، ومعناه أب سون فعرّب، أي يقرأ على الماء فيشربه المصاب أو يصّب عليه. وإنّما سمّيت رقية لأنّها كلمات رقيت من[7] صدر الراقي ومنه الترقوة، وتلك الكلمات بعضها فهلويّة، وبعضها نبطيّة، وبعضها كالهذيانات[8]، زعموا أنّها سمعت من الجنّ أو سمعت في المنام. والحلقطيرات[9] خطوط عقدت عليها حروف وأشكال، أي حلق ودائرات

(1) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص 167.

(2) سقط من (س).

(3) *نفسه*، ص 167.

(4) ورد ما بين المعقوفتين في هامش (ش) وسقط من(ج) و(س) و(ص).

(5) هنا حاشية من (ش): "كأنّه يسلط على المعتاد".

(6) سقط من (ق).

(7) في (س) "إلى".

(8) في (س) "كالذيانات".

(9) في (ص) "وللحلقطيرات".

زعموا أنّ لها تأثيرا بالخاصيّة وبعضها مقروء. والشعبذة ذكرنا أنّها خفّة اليد وخفّة الأعمال كالمشي على الأرسان، واللعب بالمهارق والحقاق.

واعلم أنّ الحاصل عقيب كلّ هذه الأشياء، كلّها فعل الله تعالى على وفق إجرائه العادة بها، وعلّة ذلك ووجه حكمته فيه لا يعلمه[1] أحد إلّا الله تعالى وتقّدس، وليس بيد العامل لها إلّا إعداد الآلات والجمع بينها فحسب. قال الله تعالى: ﴿وما هم بضارّين به من أحد إلّا بإذن الله﴾ (البقرة؛ 102).

جاء رجل إلى الصادق فادّعى خلق الحيوان، فأخذ قطعة لحم ودفنه في الزبل فصارت دودا فأراها إيّاه. قال له الصادق[2]: "إنْ كنت أنت[3] خلقتها فأخبرني بعددها، وعدد ذكرانها وإناثها، وعدد أرجلها، وخواصّ ظاهرها وباطنها." فعجز الرجل. وغرضنا في إيراد هذه الأشياء إبانة الفرق بين المعجزات وبين هذه التمويهات الباطلة إذا ظهرت على أيدي الكذّابين، فقد قيل "وبضدّها تتبيّن الأشياء"[4]. | |186

وأقول إنّما يظهر من هذه الطرق كلّها، فلا يخلو من حيل كسبيّة تنضاف إليها من مباشرة فعل، وضمّ شيء إلى شيء، وعمل[5] صورة وهيئة، واختيار وقت، ورصد كوكب، [وقوّة وهم][6]، وتدخين بخورات، وتعزيم كلمات، وإعداد آلات. وهذه الجملة كلّها من أوّلها إلى آخرها فعل ذلك المدّعي وحيلته وسعيه. وقد صحّ أنّ المعجزة محض فعل الله تعالى لا مدخل لقدرة العبد فيه، فإنّ العاقل يستيقن أنّ عظاما بالية إذا اجتمعت وتراكمت وقامت شخصا يتكلّم، لا مدخل

---

[1] في (س) "لا يعلم".

[2] في (ص) "رحمه الله".

[3] سقط من (ق).

[4] هذا شطر من بيت للمتنبّي يقول فيه:

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله ... وبضدها تتبيّن الأشياء

وهو من قصيدة مطلعها:

أمن ازديارك في الدجى الرقباء ... إذ حيث كنت من الظلام ضياء

ديوان، ص127.

[5] في (س) "وعمال".

[6] سقط من (ص).

لقدرة البشر فيه[1]. وكذلك انشقاق القمر في السماء بإشارة الأصبعين بحيث يراه الناس في جميع نواحي الأرض. وبلغنا أنّه قيل لجالينوس عند ظهور المسيح عليه السلام إنّه يبصّر الأعمى قال: "أنا أبصّره." قال: "إنّه يبرئ الأكمه والأبرص." قال: "هذا عجب." قيل: "وإنّه أحيا الميّت عن قبره." قال: "ليس هذا في قوّة البشر، احملوني إليه فهذا تأييد إلهي." فحمل إليه فمات في طريقه بجند سابور.

واعلم أنّ المعجزة تبقى بعد النبيّ زمانا، والسحر سريع الزوال، وهو أحد الفروق بينهما. وأيضا، المعجزة إنّما يظهرها النبيّ على رؤوس الأشهاد، وعظماء البلاد، وأكياس الناس، والشعبذة إنّما تروج على الصبيان، وضعفاء العقول، وأهل السواد، وجهلة الأكراد.

مناجاة[2]:

سبحان من أعطى النبيّ المعجزات الباهرة، وأفضح في معارضتها[3] الساحر والساحرة، وأنّى يقاوم الباطل الحقّ، وكيف يباري[4] المبطل المحقّ، وقد قال سبحانه: ﴿فوقع الحقّ [وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ (الأعراف؛ 18-19).

اللّهم[5] اربط الحقّ][6] على قلوبنا، وحلّ عقدة الباطل عن جيوبنا، وخذ بأيدينا، ولا تكلنا إلى أعادينا، سيما أنفسنا، فإنّها أعدا عدوّنا، لا تفارقنا في عشيّاتنا وغدوّنا، يا ملجأ الخائفين [ويا رحمن يا رحيم][7].

---

[1] سقط من (س).

[2] في (ج) "المناجات".

[3] في (ص) "وفضح في معارضته".

[4] في (س) "يساوي".

[5] في (ص) "إلهي".

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ج)، وسقط من (س) "فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين".

[7] ما بين المعقوفتين ليس في (ق). وفي (س) زيادة "يا أكرم الأكرمين".

الباب الثامن والثلاثون[1]
في الفرق بين المعجزة والكرامة والكهانة واستحالة المعجزة على يد الكاذب

اعلم أنّ كرامات الأولياء[2] ثابتة عند أهل السنّة والجماعة، وأكثر المعتزلة انكروها لعدمها فيما بينهم، وذلك من أجل بدعهم. وقد ذكر الأئمّة بين المعجزة والكرامة فروقا كثيرة، فمنها:

أنّ المعجزة تقع عند قصد النبيّ وتحدّيه، والكرامة قد تقع من غير قصد الوليّ، فقيل: بل[3] يجوز أن تقع الكرامة أيضا بقصد الوليّ، وإنّما الفرق بينهما أنّ المعجزة تقع مع التحدّي، والكرامة |187| لا يتحدّى بها الوليّ. وقيل: بل يجوز أيضا للوليّ أنّ يتحدّى[4] بالكرامة على ولايته إذا عرف في ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتّى يهديهم إلى الحقّ، [وإنّما الفرق بينهما هو أنّ ما كان معجزة للنبيّ لا يكون كرامة للوليّ][5]. فقيل: بل يجوز أن يكون للوليّ أيضا من الكرامة ما كان معجزة للنبيّ، وإنّما الفرق هو أن المعجزة لا تقع إلّا بعد دعوى، ولا تكون مع سكوته معجزة، والكرامة يجوز أنْ تقع مع سكوته ومع نطقه معا[6]. وهذا القدر كاف من الفرق بينهما. وحقيقة ذلك أنّ الوليّ إذا ادّعى [بفعل خارق للعادة بأنّه وليّ فإن ذلك لا يقدح في معجزة نبيّ قطّ، أمّا إذا ادعى][7] بمثل ذلك الفعل على أنّه نبيّ فقد كذب في دعواه، والكاذب لا يكون وليّا لله[1]، فلا

---

[1] السادس والثلاثون في (س).

[2] في (ص) "الكرامات للأولياء"

[3] في (ق) "بلى".

[4] في (ش) "بل يجوز أن يتحدّى الوليّ".

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[6] في (ص) "أيضا".

[7] ما بين المعقوفتين سقط من (ق).

يظهر على يديه ما يظهر على إيدي الأولياء[2]، وهذا فرق ظاهر، وهو قول المشايخ: "إنّ المعجزات علامات صدق حيث وجدت، فلا تظهر على أيدي الأولياء عند دعواهم النبوّة لأنّها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال." وقال بعض المشايخ: "زيادة المعجزات تزيد قلوب الأنبياء تثبّتا، وزيادة الكرامات تزيد قلوب الأولياء وجلا وخيفة حذرا من أنْ يكون استدراجا." وقال بعضهم: "الأنبياء يحتجّون بالمعجزات على المشركين، والأولياء يحتجّون بالكرامات على نفوسهم لتصلح، وعلى قلوبهم لتطمئنّ". وقيل: "المعجزة لا تظهر ابتداء بالاجتهاد والرياضة، والكرامة قد تظهر بها." واعتمد أبو منصور البغدادي على فروق ثلاث:

- أحدها[3]: التسميّة، وهو أن ما يدلّ على صدق النبيّ يسمّى معجزة، وما يظهر للوليّ كرامة.
- والثاني: صاحب المعجزة لا يكتم، وصاحب الكرامة يكتم.
- والثالث: صاحب المعجزة مأمون من الاستدراج، وصاحب الكرامات لا يأمن أنْ يكون حاله حال بلعام بن باعور[4].

وإنّما أنكرت المعتزلة الكرامة بناء على أنّ الفعل إنّما[5] يكون معجزة بخرق العادة فحسب وليس كذلك، بل ينضمّ إلى خرق العادة التحدّي بالنبوّة، والاقتران بدعوى النبيّ، ألا ترى أنّ آيات الساعة خارقة للعادة وليست بمعجزات[6].

أمّا الدليل على إثبات الكرامات للوليّ فهو أنّ ذلك أفعال خارقة للعادات، مقدورة لله تعالى، فإذا لم يؤدّ إلى سدّ[7] باب النبوّة، جاز ظهورها على أيدي الأولياء. وقالت المشايخ: "من عاشر الصالحين ولقي[8] المشايخ عرف صدقهم[1]، ||188 ويرى كراماتهم عيانا". وأمّا من حيث

---

[1] ليس في (س).

[2] في (ش) الأنبياء.

[3] في (ق) "أحدهم".

[4]القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 320.

[5] في (س) "أن".

[6] في (ص) زيادة "والله أعلم".

[7] في (ص) "سد إلى".

[8] في (ق) "وتلقى"، وفي (ج) و (س) و(ش) "ويلقى".

السمع فقصّة مريم عليها السلام في قوله تعالى: ﴿وهزّي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ (مريم؛ 25)، وقوله: ﴿كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا﴾ (آل عمران؛ 37)، وقوله تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به﴾ (النمل؛ 40)، حكاية عن آصف بن برخيا[2]. وقصّة أصحاب الكهف وما جرى عليهم من الحالات، هؤلاء ليسوا بأنبياء، وقد جرى عليهم أمور خارقة للعادات فتأمّل ذلك.

وأمّا الكهانة فهي الإخبار عن الغيب، وكان في الزمن الأوّل يعنون بالكهانة العلم، وكانوا يسمّون العالم بالعبرانية كاهنا، وكان في التوراة اسم هارون أخي موسى كهنا ربا[3]، يعني[4]: عالم ربّانيّ. فلمّا جاء الله بالإسلام ونسخ أمر الكهانة صار هذا الاسم مذموما لانقراض[5] تلك الأديان، إذ كان في العرب رجال ونساء يتكهّنون لهم، وكانوا يختلفون إليهم في استعلام خبر الغائب، وتدبير الأمر المحذور، واشتباه النسب، فكان الكاهن يسجع لهم ويخبرهم به. وكانت سوانح الأسجاع[6] في خواطرهم كسوانح الطير والوحش لأصحاب الطيرة، والواردات للرهابين وأصحاب الصوامع. وقد رويت في ذلك قصص وأخبار كثيرة، وربّما تحاكموا إلى الكاهن فيخبّئون له خبيئة يمتحنون بها[7] صِدقه، فإنْ استخرج[8] الخبيئة رضوا[9] بحكمه حتّى قيل: "إنّ قوما أخذوا جرادة صفراء، وأدرجوها في قطعة شنّ، وعلّقوها في عنق كلب لهم اسمه سوار، فلمّا أتوا الكاهن قالوا: قد خبّأنا لك خبيئة[10] فأخبرنا ما هي؟ قال الكاهن: "خبّأتم شيئا طار[11] يشبه الدينار." قالوا: "نريد أبين من

---

(1) في (ص) "ولقي المشايخ فصدقهم".

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 13، ص 204-205.

(3) في (ج) و(س) "كهناريا".

(4) في (س) "يعني هذا".

(5) في (س) "بالانقراض".

(6) في (س) "الأشجاع".

(7) في (س) "له".

(8) في (س) "استخراج".

(9) في (ص) "رضوا هنالك".

(10) في (ص) "خفية".

(11) سقط من (ص).

هذا." فقال: "خبّأتم جرادة في عروة مزادة في عنق سوار ذي قلادة." فقالوا: "لقد أصبت فاحكم بيننا"[1].

وكانوا يسمّون الكاهن الطاغوت، قال الله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ (الزمر؛ 17)؛ قال أبو عبيد[2]: " إنّما أنّثها لأنّه يريد بها الكاهنة[3]". قال النبيّ عليه السلام: "إيّاكم والنجوم فإنّها تدعوا إلى الكهانة"[4]. واختلفوا فيما يقول الكاهن من أين علمه؟ قال بعضهم: إنّما يكون ذلك من قوّة بعض النفوس الألمعيّة[5] في أصل الخلقة والجبلّة. وزعم المنجّمون أنّ ذلك لوقوع سهم[6] الغيب في درجة الطالع[7] أو برج التاسع. وبعضهم يقول: إنّ الكاهن مخدوم الجنّ، فيأتونه بالأخبار. وهذا أقرب[8].

واعلم أنّه لم ير قطّ كاهن[9] إلّا وفيه خبل ونقص في الخلقة[10]. | |189 والصحيح من ذلك أنّهم يقولون ممّا يلقي إليهم الشيطان من استراق السمع [حين يرمى بالشهب، فإنّ الشياطين إذا استرقوا السمع][11] ربّما يحترق بعضهم بها، وربّما يتساقط بعضهم إلى نواحي الأرض وقد بقي معه بعض أخبار الغيب ممّا[12] استرقه من الملائكة المدبّرات أمرا من السماء الأولى، فيلقي ذلك إلى الكهنة، فيخبر الكاهن بها. قال الله تعالى: ﴿وإنّ الشياطين ليوحون إلى أولياءهم﴾ (الأنعام؛

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، عمان، مكتبة الأقصى، 2002هـ/ 1982م، ج 1، ص 398.

(2) في (س) "عبيدة".

(3) في (ج) و(س) و(ق) "الكاهنة".

(4) السهمي، تاريخ جرجان، ص 429.

(5) سقط من (ص).

(6) في (س) "منهم".

(7) في (س) "الطبائع".

(8) في (س) الأخبار وهذا أقرب"، وفي (ص) "وهذا أقرب إلى الصواب".

(9) في (ص) "كاهنا قط".

(10) في (ص) "ونقص للخلقة ".

(11) سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

(12) في (ص) "فيما".

121)، وأولياؤهم هم الذين يقاربونهم في مشاكلة خبث الطبع، وخبل الخلقة، ونقصان العقل، وفساد الدين، وهم هؤلاء الكهنة. واختلف العلماء في استراق السمع فقال بعضهم: إنّه كان في الجاهليّة قبل المبعث، ولذلك كثرت الكهانة في[1] ذلك الزمن، فأمّا بعد المبعث فقيل: قد بطل ذلك. وقيل: هو باق ولكنّهم يرمون بالشهب على ما دلّ عليه الآيات في مواضع من الكتاب.

هذا هو المختار من حقيقة الكهانة إذ ﴿لا يعلم ما في السماوات والأرض الغيب إلّا الله﴾ (النمل؛ 65). فليس للإنسان[2] أنْ يطّلع على علم الغيب، وقد أبطلنا أحكام النجوم فيما تقدّم، فلم يبق إلّا المستفاد من استراق[3] السمع فاعلم.

وأمّا الفرق بين ذلك والمعجزة، فهو أنّ المعجزة فعل خارق للعادة عند التحدّي يقوم مقام تصديق الله النبيّ عليه السلام بالقول، والكهانة كلمات تجري على لسان الكاهن ربّما توافق وربّما تخالف، والنبيّ يكون كامل الخَلق والخُلُق، صادق اللهجة، والكاهن مخبّلا[4] ناقص الخلق مأوفا[5]، فإنْ ادّعى النبوّة بكهانته فربّما يقابله بدعواه كاهن آخر، فلا تجد الفرق بينهما البتّة، بخلاف النبوّة فإنّ النبيّ إذا تحدّى بالمعجزة، والمعجزة كتصديق الله له بالقول، فإذا قابله مدّع كاذب لا يجوز أن يظهر له معجزة مثل معجزة الصادق، لأنّ المعجزة قد ذكرنا أنّها تصديق الله[6] الصادق، فكيف يكون تصديقا للكاذب[7]؟ والله سبحانه لا يصدّق الكاذب. وفي استحالة المعجزة على يد الكاذب كلام كثير. والحقّ أنّه مستحيل.

فإن قيل: إنّكم إذا جوّزتم إضلال الله الخلق وإغوائهم، فما يشعركم أنّه تعالى يظهر الآيات على أيدي الكذابين إضلالا وإغواء، فإنّ ساحة ربوبيّته بريئة عن ضلال الخلق وهدايتهم؟

---

[1] في (ص) "من".

[2] في (ص) "فليس في نفس الآدمي".

[3] في (ص) "استرقاق".

[4] في (ش) و(ص) "مختلا".

[5] في (س) "موصوفا".

[6] ليس في (ص).

[7] في (ص) "تصديق الكاذب".

الجواب: نحن إنّما نجوّز الإضلال لنصوص القرآن مثل قوله: ﴿يضلّ به كثيرا[1]﴾ (البقرة؛ 26)، وقوله: ﴿كذلك يضلّ الله الكافرين[2]﴾ (غافر؛ 74)؛ وغيرها من الآيات، وإنّما نجوّزه فيما لا يؤدّي إلى المحال، إذ[3] ما أدّى إلى المحال محال، والمحال لا يكون مقدورا البتّة، وذلك من وجوه، إمّا أنْ يقع على خلاف المعلوم، وإمّا أن يناقض | |190 الدليل والمدلول فيه، وإمّا أن يلتبس الدليل بالمدلول، وإمّا أن يؤدّي إلى تعجيز الربّ وتكذيبه. فهذه أربعة تؤدّي إلى المحال فلا تتعلّق القدرة بها. والمعجزة على يد الكاذب من جملتها، لأن المعجزة مقرونة بالتحدّي نازلة منزلة قوله: "صدقت، وأنت رسولي". وتصديق الكاذب[4] من[5] المحال لذاته[6] وعينه، إذ كلّ من قال له: "أنت رسولي" صار رسولا، وخرج عن كونه كاذبا، [والجمع بين كونه كاذبا][7] وبين كونه رسولا صادقا محال، لأنّ كونه كاذبا هو من لا يقول[8] "أنت رسولي". ومعنى المعجزة أنّه قيل له: "أنت رسولي." فإنّ رفْع الملك تاجه عن الرأس كقوله: "أنت رسولي." بالضرورة، فصحّ من ذلك أنّ هذا محال، والمحال غير مقدور.

وذكر بعض الأئمّة أنّ إظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على أنّ ما علم الله أنّه لا يكون لا يخرج عن كونه مقدورا، وخلاف المعلوم مقدور[9]، ثمّ هو وإنْ كان[10] مقدورا فلا يقع ذلك قطعا، كما لا يقع خلاف المعلوم. فهذه مسألة مختلف فيها، وخلاصتها أنّ من قال خلاف[11] المعلوم غير مقدور صحيح من وجه، لأنّه [لو][1] قدّر وقوعه لكان معلوما فينقلب

---

[1] في (ص) زيادة "ويهدي به كثيرا".

[2] في باقي النسخ "الظالمين"، والصواب من (ق). وأما الآية القريبة منها فهي قوله تعالى في سورة إبراهيم ؛7، و"يضل الله الظالمين".

[3] في (ص) "إذا".

[4] استدراك من هامش (ش) سقط من (سج) و(س) و(ق).

[5] سقط من (ص).

[6] في (س) "بذاته".

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[8] في (س) "يكون".

[9] في (ص) "وخلاف المقدور معلوم".

[10] في (ش) ثمّ وإن كان هو.

[11] سقط من (ص).

جنس العلم وهو محال، ومن قال غير مقدور فصحيح أيضا من وجه وهو أن القدرة صالحة له من غير التفات[2] إلى العلم به، فإذن قد[3] صحّ القولان باعتبارين[4].

مناجاة[5]:

سبحان من خصّ الأنبياء بالمعجزات، والأولياء بالكرامات، وهما في الصورة على منهاج، غير أنّه جعل الفارق بينهما توقع الاستدراج، فالنبيّ يتقّوى قلبه بتتابع المعجزات وتظاهر الحجاج، والوليّ خائف وجل من المكر والاستدراج.

إلهي، امددنا بالتوفيق على تصديق ما جاءت به رسلك وأنبياؤك، وارزقنا من الكرامة ما خصّت به أولياؤك، يا ذا الجلال والإكرام.

---

(1) سقط من (ق).

(2) في (ص) "الثقات".

(3) سقط من (ص).

(4) في (ص) "زيادة "والله أعلم".

(5) في (ح) "المناجات".

الباب التاسع والثلاثون[1]
في إثبات نبوّة المصطفى ﷺ[2]

اعلم أنّ مثل النبوّة مثل بيت فسيح ممتدّ الأطناب، واسع الرحاب[3]، وكان المصطفى ﷺ عماده، والباقون من أولي العزم أوتاده، والمرسلون أعضاده، وسائر الأنبياء أمداده[4]. واعتماد البيت أبدا على عماده، إذ به قوامه، وارتفاع سمكه، واتساع هوائه، فالعماد هو أوّل ما يقدّر، وآخر ما ينصب، كما قيل: "أوّل الفكر آخر العمل." وذلك قوله ﷺ: ["أنا أوّل الأنبياء خَلقا، وآخرهم بعثا"[5]. والخلق في اللغة التقدير. وقال ﷺ][6]: "أوّل ما خلق الله نوري"[7]. وهذا البيت، أعني بيت النبوّة، هو ما حكى الله عن نوح عليه السلام: ﴿ولمن دخل بيتي مؤمنا﴾ (نوح؛ 28)، ||191 فإنّه وإنْ فسّر في الظاهر على السفينة، وكان في[8] الحقيقة بيت نبوّته لقوله مؤمنا. وحكى جبريل عليه السلام في قصّة لوط عليه السلام: "سلام عليكم أهل البيت."[9] وقال تعالى للنبيّ عليه السلام[10]: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ الآية (الأحزاب؛ 33).

قال بعض الشعراء:

والبيت لا يبنى إلّا علـــى عمــــد ... ولا عماد إذا لم يرس أوتـــاد

---

[1] السابع والثلاثون في (س).

[2] في (ق) "نبوة محمد المصطفى". وفي (س) في إثبات محمد عليه السلام"، دون لفظ نبوة.

[3] في (ص) "الجناب".

[4] في (ج) "أبداده"، وفي (س) "أحداده"، وفي (ش) (أبداده". وسيأتي ذكر الأمداد لاحقا مؤكدا الصواب.

[5] أبو نعيم، *دلائل النبوة*، تحقيق محمّد رواس قلعه جي وعبد البرّ عبّاس، بيروت، دار النفائس، 1406هـ/ 1986م، ص 42، حديث: 3.

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[7] انظر ما قاله أحمد بن الصدّيق الغماري بصدد هذا الحديث في مقدّمة كتابه *المغير على الأحاديث الموضوعة*، ص 6-7.

[8] في (ص) "على".

[9] ربما يقصد قوله تعالى: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ (هود؛ 73)".

[10] في (ص) "لمحمّد عليه السلام ".

فإن تجمع أوتـــــــــاد وأعمـــــدة ... وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

[لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهّالهم ســـادوا][1]

وإلى هذا المعنى أشار النبيّ ﷺ في قوله: "مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل ابتنى دارا فيها بيوت، فأحسنها وأجملها إلّا موضع لبنة من زاوية[2] من زواياها[3]، فالناس[4] يطوفون فيها ويعجبهم البنيان فيقولون: "ألا وضعت ههنا لبنة فتمّ بناؤك؟" فقال ﷺ: "فأنا تلك[5] اللبنة"[6]. رواه أبو هريرة. ومعنى[7] أنا اللبنة، يعني أنا الذي استكمل بي بيت النبوّة، والبيت إذا كمل وتمّ بناؤه يختم عليه، فلذلك سميّ خاتم النبيئين عليهم السلام، وإلى هذا المعنى أشار في قوله: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها"[8]. وإنّما سمّي بابا لكثرة سؤاله إيّاه عن الأمور الدينيّة، والسؤال استفتاح باب العلم. فعلى هذا المعنى لم تزل في سالف الزمان عيون أولئك الأوتاد والأعضاد والأمداد مادّة[9] إلى دنوّ أوان ظهوره ليرتفع به هذا العماد، ويستتمّ بيت النبوّة، وتظهر زواياهم منه ومراتبهم فيه للخلق. فلذلك أوصى كلّ نبيّ أمّته به وبمجيئه[10]، وأعلموهم بما بيّن في صحفهم من أسمائه ونعوته وسيره، [وصفة أمّته][11] ﷺ.

---

[1] سقط البيت الثالث من (ص)، وتنسب الأبيات للأفوه الأودي، *ديوان*، شرح محمّد التونجي، بيروت، دار صادر، 2009هـ/ 1998م، ص 65-66.

[2] وردت في حاشية (ح).

[3] في (ص) "زواياه".

[4] في (ص) "فجعل الناس".

[5] ليس في (ص).

[6] البخاري، *صحيح*، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، حديث: 3342.

[7] في (ص) "ومعنى قوله".

[8] انظر بخصوص هذا الحديث الغماري أحمد، فتح الملك العليّ بصحّة حديث باب مدينة العلم عليّ، تحقيق عماد عبد الكريم سرور، القاهرة، المطبعة الإسلاميّة. 1428هـ/ 2007م.

[9] سقط من (ص).

[10] في (س) "تلجيئه".

[11] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

فكان في التوراة في الفصل العشرين من السفر الخامس "أنّ الربّ جاء من طور سينا، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، ومعه عن يمينه ربوات[1] القاسين، فمنعهم العزّ[2]، وجنبهم إلى الشعوب، ودعا لجميع[3] قدّيسيه بالبركة".

تفسيره: مجيء الله من الطور إنزاله التوراة على موسى بالطور، وإشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل[4] على عيسى، وساعير أرض الخليل من قرية يقال لها الناصرة [5]، والنصارى ينسبون إليها، واستعلانه[6] من جبال فاران إنزاله القرآن على محمّد ﷺ، وفاران هو مكّة [7]. جاء في التواريخ أنّ إسماعيل كان يتعلّم الرمي في تربة[8] فاران، أي أرض[9] مكّة، وربوات[10] هي منارات[11] ||192 الرهبان، والقاسون[12] جمع قاس، والقسّ والقسّيس هو الراهب، والقسّ في اللغة عظام الصدر، سمّوا بذلك لأنّهم كانوا يتكلّمون من صدورهم بالعلم[13] من غير تعلّم، والشعوب الطرق في الجبال.

---

(1) في (ص) "أبواب".

(2) في (ح) "العزة".

(3) في (ح) و(س) و(ق) "بجميع".

(4) سقط من (ص).

(5) في (ش) ناصرة.

(6) في (ص) "واستعلا به".

(7) قال ياقوت: " فاران: بعد الألف راء وآخره نون كلمة عبرانية معرّبة، وهي من أسماء مكّة، ذكرها في التوراة. قيل هو اسم لجبال مكّة. قال ابن ماكولا أبو بكر نصر بن القاسم بن قضاعة القضاعي الفاراني الإسكندراني: " سمعت أن ذلك نسبته إلى جبال فاران، وهي جبال الحجاز. " وفي التوراة: جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من فاران؛ مجيئه من سيناء تكليمه لموسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير، وهي جبال فلسطين، هو إنزاله الإنجيل على عيسى عليه السلام، واستعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمّد ﷺ. قالوا وفاران جبال مكة... وقال أبو عبد الله القضاعي: " فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية". معجم البلدان، ج 4، ص 225.

(8) في (ص) "قرية".

(9) سقط من (ص).

(10) في (س) "ربوان".

(11) في (ص) و(ق) "منازل".

(12) في (س) "القاسيون".

(13) زيادة من (ص).

وفي الإنجيل قال المسيح: "إنّي ذاهب وسيأتيكم البارقليط روح الحقّ، لا يتكلّم من قبل نفسه، يشهد لي كما شهدت[1] له، يعلّمكم كل شيء".

تفسيره: البارقليط[2] بلغتهم الحمد، يعني به محمّد ﷺ. قال النبيّ عليه السلام: "أنا أحمد، [وأنا محمود][3]، وأنا محمّد"[4]. والپارقليط تحت الباء ثلاث نقط، وفي بعض النسخ الفارقليط بالفاء. وقوله[5]: "يعلّمكم كلّ شيء." يعني هو صاحب شريعة.

وفي الزبور، في الثالث والخمسين والمائة من مزامير داود عليه السلام: "ليرتاح البوادي وقراها، وليصير أرض قيذار[6] مروجا ويسبّح سكان الكهوف، وليهتفوا من قلل الجبال بحمد الربّ، فإنّ الربّ[7] يأتي كالجبّار[8] المتلظّي المتكبّر، وهو يزجر[9] ويقتل أعداءه".

[قالوا في][10] تفسيره: أرض قيذار هي أرض العرب لأنّهم أولاد قيذار، والمروج ما حول مكّة من الأشجار والنّخل والعيون، وإتيان الربّ إنزال وحيه بجبل حيراء على محمّد ﷺ.

وفي كتاب اشعياء عليه السلام: "قال لي الربّ: "أقم نظارا[11] ليخبر ما رأى[12]، فكان الذي رأى صاحب المنظرة إنْ أقبل راكبان أحدهما على حمار، والآخر على جمل. يقول راكب الجمل:

---

[1] في (ص) "شهد".

[2] في (ص) "الباقليط".

[3] ليس في (ص).

[4] ابن عبد البرّ، كتاب الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كلّه بالإيجاز والاختصار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دمشق/ بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر، 1414هـ/ 1993م، ج27، ص 441، حديث 1897.

[5] في (ص) "وهو قولكم".

[6] من ولد إسماعيل، يكتب: قيدر، قيذر، قيدار، وقيذار. انظر على سبيل المثال، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 272- 276.

[7] استدركت عبارة "فإن الرب" في هامش (ج).

[8] في (ج) "كالجبال".

[9] في (س) "بين جر".

[10] سقط من (س).

[11] في (ص) "بظا".

[12] في (ص) "يرى" وفي (س) رأى إلى".

"هوت بابل وتكسّرت أصنامها، فهذا الذي سمعت من الربّ إله بني إسرائيل [قد نبّأتكم به][1]".
[قالوا في][2] تفسيره: يعني براكب الحمار عيسى عليه السلام، وبراكب الجمل محمّدا ﷺ، وكان على يده فتحت بابل، وكسرت أصنامها.

وفي كتاب حبقوق النبيّ عليه السلام: "لقد انكشفت السماء من بهاء محمّد، وامتلأ [كذا] الأرض من جدّه." أي من عظمته.

وفي كتاب دانيال عليه السلام: "رأيت على سحاب السماء[3] كهيئة إنسان جاء فانتهى إلى العتيق، وقدّموه بين يديه، فخوّله الملك والسلطان والكرامة، وأن يتعبّد له جميع الشعوب والأمم واللغات، سلطانه دائم إلى الأبد، وملكه لا يتغيّر".

قالوا[4] في تفسيره: هذا الإنسان نبيّ آخر الزمان، ويعني بالعتيق القديم جلّ جلاله.

وفي كتاب زكريا بن برخيا عليه السلام: "رجع الملك الذي ينطق على لساني وأيقظني وقال لي: "ما الذي رأيت؟" فقلت: "رأيت منارة من ذهب، وكفّة على رأسها، وعلى الكفّة سبعة سرج، لكلّ سراج سبعة أفواه، وفوق الكفّة شجرتا زيتون، أحداهما عن يمينه والأخرى على يساره، ||193
هذا قول الربّ في زربايال، وهو يدعو باسمي وأنا استجيب له، وأصرف عن الأرض إتيان[5] الزور والأرواح النجسة".

[ذكر في][6] تفسيره: [أنّ شجرتي][7] الزيتون هما النبوّة والملك، والزربايال بلغتهم هو محمّد ﷺ، والمنارة من ذهب هي النبوّة المرتفعة يراها كل أحد من النواحي، والسرج[8] السبعة[1] قالوا هي أسباع المصحف. قوله لكلّ سراج سبعة أفواه هي آيات العزائم والقوارع من القرآن.

---

[1] سقط من (س)، وفي (ج) "وقد يأتيكم به".
[2] سقط من (س).
[3] في (ص) "رأيت على سماء".
[4] في (ص) "قال". وسقط من (س).
[5] في (ج) و (س) و(ش) "انتان"، وفي (ص) "اثنان".
[6] سقط من (س)
[7] سقط من (ق).
[8] في (ص) "المسرج".

وعن [عبد الله][2] بن عباس في قوله تعالى: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ (الأنبياء؛ 11)، قال: "كان إرميا بن برخيا أمره بخت نصر أن يغزو العرب، فدخل بخت نصر بلاد العرب، فقتل وسبا حتّى انتهى إلى تهامة[3] فأتي إليه بمعدّ بن عدنان، فأمر بقتله فقال له إرميا: "لا تقتله فإنّ في صلب هذا نبيئا يبعث في آخر الزمان يختم الله به الأنبياء." فخلّى سبيله وحمله معه".

وحكى ابن قتيبة أنّ أبا بكر بن أسعد[4] الحميري آمن بالنبيّ ﷺ قبل مبعثه بسبعمائة سنة لمّا رأى بعثه في كتب الأوّلين وكان يقول في شعره:

شهدت على أحمد أنّــه ... رسول من الله باري النسم

فلو مدّ عمري إلى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عــمّ[5]

وقال سيف بن ذي يزن لعبد المطّلب بن هاشم: "إنّي مفض إليك بسرّ لم أبح به لغيرك، وليكن عندك مطويا[6]، إنّي أجد في كتاب عندنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الممات، وهو للناس عامّة ولرهطك خاصّة، إذا ولد بتهامة غلام به علامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة، وقد حان حينه، اسمه محمّد بين كتفيه شامة، يموت أبوه وأمّه ويكفله جدّه وعمّه. "فخرّ عبد المطّلب لوجهه[7] ساجدا وقال: "هذا والله ابن ابني بعينه[8]"[9].

ولمّا ولد ﷺ، كانت تباشير النبوّة في جبينه متظاهرة، ولآلئ الحكمة من فيه متناثرة، كما قال بعضهم:

---

[1] في (س) "الشمعة".

[2] ليس في (س).

[3] في (س) "نهاية".

[4] في (ق) سعد، والصواب من (ش) وهو المشهور.

[5] ابن قتيبة، المعارف، ص 631؛ وهب بن منبّه، التيجان في ملوك حمير، صنعاء، مركز الدراسات والأبحاث اليمني، 1347هـ/ 1929م، ص 308.

[6] في (ج) "عندك مطلوبا"، وفي (س) "عندي مطويا".

[7] سقط من (ج) و(س) و(ق) واستدرك في هامش (ش).

[8] في (ج) و(س) و(ش) و(ص) "ابن عمّي بعينه"، وفي (ق) "ابن بعينه". والصواب ما أثبتناه.

[9] أبو جعفر محمّد بن حبيب البغدادي، المنمّق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، بيروت، عالم الكتب، 1405هـ/ 1985م، ص 429-431.

إنّ الهلال إذا رأيت نموّه ... أيقنت أنْ سيصير بدرا كاملا[1]

كان يوما ﷺ بين الصفا والمروة قائما وهو ابن سبع سنين، إذ نزل جماعة من تجّار الشام كانوا على ملّة المسيح عليه السلام، فنظر إليه أحدهم فعرفه بعلامات وجدها في كتابهم من نعوته وسيره فقال له: "من أنت؟ "فقال أنا: "محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب." فقال له: "ومن ربّ هذه؟" وأشار إلى السماء. فقال: "الله ربّها." فقال: " ومن | |194 ربّ هذه وأشار إلى الأرض؟" فقال: "الله ربّها." فقال: "ومن ربّ هذه؟" وأشار إلى الجبال؟ فقال: ﷺ: "ربّها لا شريك له." فقال النصرانيّ: "فهل لها ربّ غيره؟" فقال: "لا، جئت لتشكّكني في الله، ما له شريك، ولا ضدّ".

ولمّا ترعرع كانت قريش تسمّيه محمّدا الأمين لما شاهدوا فيه من الأمانة والصدق. وكان يقول ﷺ: "أنا دعوة إبراهيم، وكرامة موسى، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة."[2] وذلك أن أمّه رأت في المنام أنّ نورا خرج منها فأضاءت قصور بُصرى. ولمّا أتاه الوحي، وادّعى الرسالة، وأقام عليه الدلالة، تظاهرت على الخلق معجزاته الباهرة تظاهر القطر من السماء، خارجة[3] لكثرتها عن العدّ والإحصاء، قد صنّف فيها[4] الكتب الكبار فلا يسعها هذا الاختصار.

فيا عجبا منّي أحاول وصفه ... وقد فنيت فيه القراطيس والصحف[5]

فالصواب أنْ نقتصر[6] على القدر الذي ذكرناه من بشارات كتب الأنبياء قبله في إتيانه[7]، وإشاراتهم إلى عظم شأنه، [ففي طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل][1].

---

[1] هذا البيت لأبي تمام من مرثية له مطلعها:

مازالت الأيام تخبر سائلا أن سوف تفجع مسهلا أو عاقلا

انظر *ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي*، ج 4، ص115، قصيدة: 200.

[2] البيهقي، شعب الإيمان، ج 2، ص 134، حديث: 1385.

[3] في (ص) "الخارجة".

[4] في (س) "فنئت فيه".

[5] في (ق) "الكتب"، والبيت في ديوان المتنبي من قصيدة مطلعها:

لِجِنّية أم غادة رفع السجف ... لوحشية لا ما لوحشية شنف

الديوان، ص 107.

[6] في (ص) "أقتصر".

[7] في (ق) و(ص) "إثباته".

ونذكر[2] [من معجزاته ما هو من أعظم آياته][3] وهو الكتاب الذي جاء به من عند الله، فإنّه البحر المحيط الذي لا تنقضي عجائبه[4]، ولا تنتهي درره وغرائبه. فأقول: إنّ وجوه الإعجاز في القرآن العظيم كثيرة، منها الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة كقوله تعالى: ﴿لتدخلنّ المسجد الحرام إنْ شاء الله آمنين {محلّقين رؤوسكم [ومقصّرين لا تخافون﴾][5] (الفتح؛ 27)، فكان كذلك[6]}؛ وكقوله: ﴿ليظهره على الدين كلّه﴾ (التوبة؛ 33)، وكقوله: ﴿ألم، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ الآية (الروم؛ 1-3)، [وكان كذلك][7]. وكقوله: ﴿سيهزم الجمع ويولّون الدبر﴾ (القمر؛ 45)، [وقد هزموا][8]. وكقوله: ﴿إذ همّت طائفتان منكم أنْ تفشلا﴾ (آل عمران؛ 123)، وكقوله: ﴿وتودّون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ (الأنفال؛ 7)، هذه أخبار عن الغيب فكان كما أخبره كتابه المنزّل عليه.

ومنها اشتماله على غرائب الحكم وبدائع الكلم التي أعجزت الحكماء الأوائل عن الإتيان بمثلها، فإنّ القرآن ينطوي على الحكم كلّها، علمها وعملها. قال الله تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ص) وهو الشطر الثاني من بيت للمتنبي أوّله:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به " وهو من قصيدة مطلعها:

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلبّاه قبل الركب والإبل

الديوان، ص 338.

[2] هنا أنهى ناسخ (س) الباب وختمه بمناجاة ملفقة أوله آيات من سورة النجم وآخرها دعاء مستقى من حديث لكنه صيغ بغير ما ورد به الحديث الأصل، فجاءت كالتالي: "سبحان من لا يضل [كذا] ﴿صاحبكم وما غوىٰ؛ وما ينطق عن الهوىٰ؛ إن هو إلّا وحي يوحىٰ؛ علمه شديد القوىٰ؛ ذو مرة فأستوىٰ؛ وهو بالأفق الأعلىٰ؛ ثمّ دنا فتدلىٰ؛ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾. اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعثي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي". ثم تلاه عنوان الباب الثامن والعشرين حسب ترتيب نفس النسخة وهو "في المعجزات".

[3] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[4] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 5، ص 172-173، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، حديث: 2906.

[5] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[6] سقط ما بين القوسين المزهرين من (س).

[7] ليس في (س).

[8] ليس في (س).

لكلّ شيء﴾ الآية (النحل؛ 89)، وقال: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام؛ 38)، وقال: ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ (يس؛ 12)، وإنّما تقاصرت عن معرفتها أفهام الخلق لشيئين:

- أحدهما راجع إلى اللفظ من الإيجاز، والحذف والمجازات، والاستعارات، والتشبيهات، والإشارات اللطيفة، والأساليب الغامضة | |195 البديعة.

- والثاني راجع[1] إلى المعنى، وذلك لإتيانه[2] بأصول تنطوي على فروع وشعب بعضها يبيّنها[3] المصطفى عليه السلام، وبعضها مفوّض إلى استنباط الراسخين في العلم.

فما من برهان، ودلالة، وتقسيم، وتحديد عن مجملات العقليّات والسمعيّات إلّا والقرآن قد نطق بها على عادة العرب دون طريق المتكلّمين، والحكماء المنطقيّين. ولذلك [قال الله تعالى: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾][4] (الأنعام؛ 38). وقال النبيّ ﷺ: "إن لكلّ آية ظهرا وبطنا، ولكلّ حرف حدّا ومطلعا". فعلى ذلك، إنّ كلّ من كان حظّه من العلوم أوفر، كان نصيبه من علم القرآن أكثر.

ومنها ترك المعارضة [له][5] إلى يومنا هذا مع كثرة الخصوم، وتوفّر دواعيهم، ومساس حاجتهم إليها، فلقد سلّ عليهم السيوف وتغشّاهم الحتوف، وسبيت ذراريهم، وانتهبت نفائس أموالهم، [إلا إن قالوا ﴿بمثل هذا القرآن﴾[6]، ثمّ لمّا عجزوا عن الإتيان بمثله [كما قال: ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾][7] (هود؛ 13)؛ ثم لما عجزوا عن ذلك قال: ﴿قل فأتوا بسورة من مثله﴾ (يونس؛ 10)؛ فلمّا عجزوا عن ذلك قال: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾[8] (الطور؛ 33)؛ فلمّا اشتهر عجزهم عند الجميع قال: ﴿فإنْ لم تفعلوا، ولن تفعلوا فاتّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ الآية (البقرة؛ 24)؛

---

[1] في (ص) "يرجع".

[2] في (ص) "لإثباته".

[3] في (ج) "بينية"، وفي (س) "ببينة"، وفي (ق) "يبينه"، وفي (ص) "نسها".

[4] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[5] زيادة من (ش).

[6] ما بين المعقوفتين ليس في (ص) " وورد بدله: "﴿على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ (الإسراء؛ 88)".

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ش).

[8] في (ج) و(س) و(ش) و(ق) "قل فأتوا بحديث من مثله، وفي (ص) " قل فاتوا بحديث مثله".

وكانوا هم الفصحاء اللدّ، والبلغاء اللسن، أهل الخطابة والنثر والنظم، بها يتبجّحون، وعلى العجم بذلك يتباهون. ومع ذلك قد عدلوا عن المعارضة، ورضوا بالذل والصغار، ووطّنوا[1] أنفسهم على القتل والقتال، والتعرّض للنوائب، وقبول الجزية والذل والاسترقاق. ولا يخفى أنّ العاقل إذا خيّر بين أمرين، فعَدَل عن أحدهما إلى الآخر أنّه إنّما عدل عن الأشقّ الأشدّ[2] إلى الأهون الأسهل، "كفى بك داء أنْ ترى الموت شافيا."[3] وسبب عجزهم عن ذلك هو أنّ نظم القرآن على غاية البلاغة، وكمال الفصاحة ونهاية الجزالة، وهذه الأشياء الثلاثة إذا استجمعت[4] في نظم كان لا محالة معجزة للخلق. والنظم مطلق التركيب، وقد يكون ركيكا ويكون رفيعا، ولهذا يقال: "يزين اللآلئ في النظام ازدواجها"[5]. ثمّ للنظم درجات أوّلها كلام البِذْلَة في المحاورات، وفوقه المكاتبات والمراسلات، وفوقها الخطب والمواعظ والأمثال والمزدوج، وفوق ذلك نظم الشعر، وليس للعرب فوقها درجة للنظم البتّة. فإذا اجتمعت الفصاحة والجزالة والنظم أطلق عليها لفظ البلاغة، لأنّ الكلام بها قد بلغ درجة[6] الكمال.

وتحقيق هذا الكلام أنْ تعلم أنّ الفصاحة دلالة اللفظ على المعنى ||196 مع [الإفصاح والإيضاح. والجزالة دلالة اللفظ على المعنى مع][7] قلّة الحروف والاختصار، وتناسب مخارجها،

---

[1] في (ص) "وقطنوا".

[2] في (س) و(ص) "الأشدّ الأشقّ"

[3] في (ص) عافيا بدل "شافيا: هذا هو الشطر الأوّل من قصيدة قالها المتنبي في مدح كافور الإخشيدي وتمامه:

وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا.

انظر ديوان المتنبي، ص 441.

[4] في (ص) "اجتمعت".

[5] عجز بيت شطره الأول:

فإنْ تلحق النعمى بنعمى فإنّه

وهو من قصيدة للبحتري مطلعها:

سفاها تمادى لومها ولجاجها ... وإكثارها فيما رأت وضجاجها

انظر ديوان البحتري، ج1، ص 427.

[6] في (ص) "لوجه".

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(ق) و(ص).

فإذا اجتمع المعنيان يقال له لفظ فصيح جزل كقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ (البقرة؛ 179). والنظم ترتّب الأقوال[1] بعضها على بعض، ويكون الحسن فيه على قدر تناسب الكلمات في أوزانها، وتوازن حركاتها وسكناتها ودلالتها على المعنى. والبلاغة عبارة عن اجتماع هذه المعاني الثلاثة، أعني الفصاحة والجزالة والنظم، فذلك بلوغ الكمال، وبه فاق القرآن على كلام العرب كما فاقت العربية على سائر الألسن. وعجزت العرب عن الإتيان بمثله كما عجز المفحم[2] عن نظم الشعر. فالقرآن إذن معجز من حيث البلاغة التي هي مجموع هذه المعاني الثلاثة. والعرب قد أحسّت من نفسها أنّ القرآن خارج عن جنس كلامهم جملة، كما أنّ سحرة فرعون أحسّوا من أنفسهم أنّ [انقلاب العصا ثعبانا ليس من جنس السحر. وأحسّ الأطباء من أنفسهم][3] أنّ إحياء الموتى ليس من جنس الطبّ.

وجاء في الأخبار أنّ الوليد[4] بن المغيرة المخزومي جاء إلى النبيّ ﷺ فسمع منه سورة حم السجدة، فرجع إلى قريش وكان[5] من أفصحهم وأبلغهم فقال: "أيّها القوم، إنّي عارضت كلام محمّد بالرجز[6] والمديد والسريع وسائر النظم فما أراه بشيء منها، وإنّ في كلامه حلاوة، وعليه طلاوة، وإنّ أعلاه لمغدق، وإنّ أسفله لمعرق، وإنّه ليعلوا ولا يعلى عليه، وما أراه بكلام[7] البشر." فقال له أبو لهب: "لقد صبوت وأفسدت[8] قريشا بهذا القول فارجع عنه." فقال: "إنّه سحر[9] يؤثر"[10].

---

[1] في (ص) "لأقوال".

[2] في (ص) "المعجم".

[3] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش) وسقط من (ص).

[4] في (ج) "وليد".

[5] في (س) وكان هو".

[6] في (ص) "الوجيز".

[7] في (س) "كلام".

[8] في (س) "وانسدت".

[9] في (س) "بحر".

[10] انظر الجرجاني، الرسالة الشافية، نشرت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، د-ت، ص 111-114.

وذكر محمد[1] بن طباطبا العلويّ[2] في عروضه[3] أن تأليفات العرب ثمانية: "النثر، والسجع، والخطب، والرسائل، [والمزدوج][4]، والأمثال، والشعر، والمُسَمَّط. فالنثر ما يجري في كلامهم البذلة من المخاطبات، والسجع في الأوصاف والحكايات، وهو نثر مقيّد بقوافيه[5]، والخطب هو النثر خالط السجع على طول[6] الكلمات وتباين الأسجاع، والرسائل كالخطب، غير أنّ أسجاعها تختلف، والأمثال قصار الكلمات المودعة حكما[7]، [والمزدوج هو المثنوي على قواف مختلفة][8]، والشعر ما ينطوي على العروض، والمُسَمَّط شعر أُلِّفت خمس مصارع منه على سجع المصراع السادس مقفّى بقافية يدور عليها الشعر. ||197 فجميع تأليفات العرب هذه الثمانية [فقط، والقرآن جنس تاسع من التأليفات خارج عن هذه الثمانية،][9] فمتى قسته[10] بنوع من [هذه التأليفات وجدته مخالفا، ولا يوقف على مخالفته إيّاها إلّا بفهم][11] هذه التأليفات كلّها وهي ما ذكرته".

فمن هذا تبيّن أنّه[12] مباين لكلام البشر، ومن تكلّف من المعارضين له، وأجهد نفسه أنْ يخترع كلاما يخالف[13] هذه التأليفات الثمانية، [أعجزه الله تعالى عن تجاوز ذروة هذه الثمانية][1] علوا

---

[1] في الأصل "علي"، والصواب ما أثبتناه.

[2] أبو الحسن محمد بن طباطبا محمّد بن أحمد بن محمّد الهاشمي القرشي، عالم وشاعر وأديب ولد في أصبهان، توفي فيها سنة 322 هـ/ 934م. المرزباني، أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى، معجم الشعراء، تحقيق فاروق اسليم، بيروت، دار صادر، 1425هـ/ 2005م، 493- 494، رقم: 936؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج 5، ص 2310-2317.

[3] ذكره ياقوت في معجمه ج 5، ص 2310. وهو كتاب يعدّ إلى يومنا هذا مفقودا.

[4] ما بين المعقوفتين سقط من (ج) و(ق) واستدركناه من هامش (ش)، وفي (س) و(ص) "الأمثال والمزدوج".

[5] في (س) "نصبوا فيه" وسقط من (ص).

[6] في (س) "طناب".

[7] هناك كلمة لم نستطع قراءتها وردة في (ش) وسقطت من (ق).

[8] ورد ما بين المعقوفتين في (س) بعد تعريف الشعر أي بعد لفظ "العروض".

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[10] في (ص) "يشتبه".

[11] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[12] في (س) "له".

[13] في (ص) "بخلاف".

وارتفاعا، فينحطّ إلى حضيض العيّ[2] والركاكة التي هي أخسّ[3] منازل الكلام، فيأتي بما يُضحك العقلاء مثل مسيلمة الكذاب[4] وغيره من المعارضين، فافتضحوا بما تقوّلوه، وانسلخ عن طباعهم بلاغة كانوا عهدوها قبل تعرّضهم للمعارضة، وهو الذي سمّاه بعضهم الصَّرْفَة[5]. فقال مسيلمة[6]: "يا ضفدع بن ضفدعين[7]، نقّي كما تنقّين، لا الماء تكدّرين، ولا الشرب[8] تمنعين." فسمع الصدّيق رضي الله عنه قوله فقال: "هذا كلام لم يخرج من إل."[9] وقال العنسيّ[10]: "ألم تر كيف فعل ربّك بالحبلى[11]، أخرج من بطنها نسمة، تسعى من بين[12] شراسيف[13] وحَشا". وقال نضر بن الحارث[14] وكان من فصحائهم: "والزارعات زرعا، والحاصدات حصدا، والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا، واللاقمات لقما." وقال: "قد أفلح من هَيْنَم[15] في صلاته،

---

[1] ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

[2] في (ص) "الغي".

[3] في (ص) "أحسن".

[4] مسيلمة بن حبيب اختلِف في اسمه، فقالوا: مسيلمة بن حبيب الحنفي، وقالوا: مسيلمة بن ثُمامة بن كثير بن حبيب الحنفي، ويكنى: أبا ثُمَامَة، وقيل: أبا هارون. قُتل مسيلمة في معركة اليمامة عام 12 هـ / 633 م. البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، مؤسّسة المعارف، 1407هـ/ 1987م، ص 119-121.

[5] في (ح) و(س) "الصدفة".

[6] في (ص) "مسيلمة الكذاب".

[7] في جميع النسخ عدا (ق) "ضفدع".

[8] في (س) "التقرب" وفي (ش) و (ص) "الشراب".

[9] وفي (ص) زيادة "من الله ووحيه". وفي حديث أبي بكر الصديق أنّه لمّا قدم وفد اليمامة بعد مقتل مسيلمة قال لهم: "ما كان صاحبكم يقول؟" فاستعفوه من ذلك فقال: "لتقولنَ." فقالوا: "كان يقول: يا ضفدع نقّي كم تنقّين، لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدّرين." في كلام من هذا كثير فقال أبو بكر: "ويحكم! إن هذا الكلام لم يخرُج من إلّ ولا بِرّ فأين ذُهِب بكم". الطبري، تاريخ، ج 3، ص 300.

[10] في (ص) "العبسي". ويتعلق الأمر بعبهلة بن كعب بن غوث العنسي المذحجي المعروف باسم "الأسود" و"ذي الخمار". قتل سنة 11هـ/ 632م، البلاذري، فتوح البلدان، ص 146-148.

[11] في (ص) "بأصحاب الحبلى".

[12] سقط من (ق).

[13] في (س) "شرائف".

[14] النضر بن الحارث بن علقمة العبدري، أحد أعداء الإسلام منذ بداية الدعوة. مات سنة 2هـ/ 624م. ابن هشام، السيرة، ج 1، ص 358-359.

[15] في (ص) "بن اسم".

وأطعم المسكين من مخلاته، [وأخرج الواجب من زكاته". وقال آخر[1]: " والنجم إذا سما،][2] والبحر إذا طما، ما زاغ منذركم وما طغى."[3] فأنزل الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء﴾ الآية (الأنعام؛ 93). فصارت[4] تلك المعارضات فضائح لهم[5] إلى يوم الدين. ومن جملة ذلك "الفصول والغايات" لبعض المتأخرين[6]، فأصبحت[7] بعد بلاغة صاحبها[8] في النظم والنثر ضحكة للعالمين. هيهات هيهات، ما أبعد الثريّا من الثرى. "تَبَصَّر خليلي بعين البصيرة فصاحة القرآن، كيف تسحب ذيول الإعجاز أينما توجّه من القصص، والأخبار، والحكم، والأمثال، وبيان الحرام والحلال، وأدلّة التوحيد، وترديد الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب والتهديد، وتبيين الفرائض والأحكام في أحسن السياقة والنظام. وانظر كيف يخرج ويتخلّص[9] من فنّ إلى فنّ، وكيف ينتقل من معنى إلى معنى من غير | |198 خلل يقع في خلال البلاغة، ولا نقص يأخذ من المعاني، ولا مقطع ينبو الطبع عنه، ولا مطلع يكد السمع منه، وناهيك اعتبارا من القصص سورة [10] يوسف بكمالها[11]. وَقِفْ بفكرك عند قوله تعالى: ﴿فلمّا استيأسوا منه خلصوا نجيّا﴾ (يوسف؛ 80)؛ ترى ماء البلاغة يترقرق من تحاسين نظمه. ومن أدلّة التوحيد تأمّل قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء؛ 22)؛ وقوله: ﴿إذاً لذهب كلّ إله بما خلق﴾ (المؤمنون؛ 91)، كيف يلعب بالعقول من وجازة لفظه، ومتانة معناه. ومن باب الوعد والترغيب فتصفّح قوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ الآية

---

[1] استدرك في هامش (ج).

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[3] وردت بعض النماذج من هذه الأقوال عند الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 50-53.

[4] في (ق) و (ش) "فسارت".

[5] في (ق) "لهم فضائح".

[6] المعرّي، الفصول والغايات، تحقيق محمّد حسين زناتي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.

[7] في (ش) "فأضحت".

[8] في (ص) "صاحبه"

[9] سقط من (ش).

[10] في (ق) قصّة.

[11] في (ص) ""فتأملها".

(الأنعام؛ 160)؛ وقوله: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾ (الإسراء؛ 84)؛ وقوله: ﴿هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان﴾ (الرحمن؛ 60). ومن باب الوعيد قوله: ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ (النساء؛ 123)؛ ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا [ويلههم الأمل](1)﴾ (الحجر؛ 3)؛ ﴿قل تمتّع بكفرك قليلا﴾ (الزمر؛ 8).

وأمّا من قسم الفرائض(2) والأحكام فتأتى(3) في عشر ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ (النساء؛ 11)؛ كيف بيّن حظوظ الورثة من غير إخلال بالفصاحة؛ ومن باب الطبّ قوله: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ (الأعراف؛ 31)؛ ومن باب أحكام الحلال والحرام فتفحّص(4) [قوله: ﴿أحلّ الله البيع وحرّم الربا﴾ (البقرة؛ 275)؛ ومن قبيل الحكم والأمثال فتأمّل](5) قوله: ﴿لكلّ نبإ مستقرّ﴾ (الأنعام؛ 67)؛ ﴿لكلّ أجل كتاب﴾ (الرعد؛ 39)؛ ﴿لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا مما تحبّون﴾ (آل عمران؛ 92)؛ ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ (الحجّ؛ 18)؛ ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ (الحجّ؛ 73)؛ وامتصّ(6) بفكرك مُصاص البلاغة وطراوة الفصاحة من أفانين نظم قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ (التوبة؛ 5)؛ ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ (البقرة؛ 93)؛ ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ (مريم؛ 4)؛ ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ (الحجر؛ 94)؛ وقد سمع بها(7) أعرابيّ فسجد لفصاحتها؛ وقوله: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا﴾ (الزخرف؛ 5)؛ ﴿فضربنا على آذانهم﴾ (الكهف؛ 11)؛ ﴿فلمّا سقط في أيديهم﴾ (الأعراف؛ 149)؛ ﴿بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه﴾ (الأنبياء؛ 18)؛ ﴿فطوّعت له نفسه قتل أخيه﴾ (المائدة؛ 30).

---

(1) ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

(2) في (س) "القرابة".

(3) في (ص) "فيأتى". وجاء في هامش (ش) كحاشية بتعبير الناسخ ما يلي: "تأتى أي تأمّل آيته. قال الشاعر وتأتّى إنك غير صاغر"، بينما أقحم ناسخ (ج) هذه الحاشية في النص بعد عبارة "ولا تسرفوا". أما في (ق) فسقط لفظ " فتأتى" واستبدل بعبارة: "فبأي آي تأمل في"، وهي عبارة استهل بها ناسخ (ج) الحاشية التي أقحمها في النص.

(4) في (س) "فتحفض"، وفي (ص) "فيفحص".

(5) ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

(6) في (س) "وامتعن".

(7) سقط من (ص).

هذه وأمثالها، إذا طرقت الأسماع تلذّذها، وإذا لاقت الطباع تمازجها، وإذا وردت القلوب تروّحها، وإذا هبّت على الأرواح تصقلها. نعم، ولو عرّجت إلى فواصل آياته بالحروف المتقاربة المخارج حتى[1] لا تشبه أسجاع الكهّان، ولا توافق قوافي الشعر، قضيت منها العجب. بل لو أطرت فكرك حول الحروف المفصّلة في أوائل السور[2] لرأيتها كيف ترمز[3] بإيجازها إلى بحار المعاني، وأفنان الحكم. فأيّ[4] كتاب احتوى على هذه اللطائف، واختصّ بمجامع هذه ||199 المعارف، وانتظم في سلكه هذه الدرر واليواقيت، انتظام العقد المفصّل كما قال بعضهم:

من اللؤلؤ والنضر المؤلّف نظمه ... فما خانه سلك وما شانه ثقب[5]

إن التوراة مقسومة على خمسة أسفار، كل سفر منها مفرد بمعنى: السفر الأول لذكر بدء الخلق، والسفر الثاني لخروج بني إسرائيل من مصر، والسفر الثالث [لأمر القرابين، والسفر الرابع لإحصاء موسى بني إسرائيل، والسفر الخامس][6] لتكرير النواميس. فكان اختلاف معانيها موجبا[7] لتفاصيلها، والنواميس عندهم الملائكة، والناموس الأكبر جبريل عليه السلام، سمّوا بذلك لخفائهم عن الأبصار، والنمس دابّة تخفي نفسها عن الناس. وكان أفضل ما في التوراة العشر آيات، وأفضل ما في الإنجيل الصحف الأربعة المنسوبة إلى تلاميذ المسيح الأربعة، وهي المخصوصة بالقراءة في صلواتهم وأعيادهم. والزبور كلّه[8] أدعية وتحاميد وتسابيح، وأفضله ما اتّفق أهل الكتابين على اختياره. وهذه الكتب كلّها أوحيت معانيها إلى أصحابها، فعبّر كلّ نبيّ عنها بعباراته، فلم تكن أساليب نظمها معجزة لهم. بخلاف القرآن، فإنّ جبريل عليه السلام أنزله على المصطفى ﷺ بلفظه ونظمه ومعناه معا، فكان له معجزة من هذه الوجوه كلّها.

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[2] في (س) "الشعر".

[3] في (س) "يؤمر".

[4] في (س) "يأتي".

[5] ابن شاهاور الرازي، منارات السائرين ومقامات الطائرين، تحقيق سعيد عبد الفتاح، الكويت، دار سعاد الصباح، 1993، ص 172.

[6] سقط ما بين المعقوفتين من (ق).

[7] في (س) "موسيا".

[8] في (س) و(ص) "كلها".

مناجاة[1]:

سبحان من جعل محمّدا نقطة دائرة الوجود، ودرّة بحر الجود، ولؤلؤة صدف الشرف، وقرّة عين السلف والخلف، وصفوة الكرم، وقدوة الأمم، وخَتْم النبوءة، ونجم المروءة، وقلب الحقيقة، وقطب الخليقة، وتاج الشريعة، وسراج الطريقة، ومنهاج الرسالة، ومجاج[2] الدلالة، وواسطة الخلق، ورابطة الحقّ. محا به الكفر، ومدّ به الدين، فسمّاه محمّدا، وخاط خلعة النبوّة على قدّه فجعله مُقتدى، وآتاه كتابا ينابيع الحكم فوّارة في درجه، وشموس الغيوب[3] طالعة [من برجه][4]، فأصبح والعالم في سِرْباله، وكلّ العلوم في سِرِّ باله، صلّى الله عليه [وعلى آله][5].

إلهي، وفّقنا على طاعتك وطاعته، وأدمنا[6] على سنّته وتباعته، ولا تحرمنا غدا من شفاعته، واحشرنا في زمرته وجماعته، [يا الله][7].

---

[1] في (ج) "المناجات".

[2] في (ص) "ونجاح".

[3] في (ج) "الغيب" وكتب صوابها تحت السطر.

[4] سقط من (س).

[5] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[6] في (س) "وأذقنا".

[7]ليس في (ق).

الباب الأربعون[1]

في تكفير الفرق[2]

اعلم أنّ الكفر ضدّ الإيمان، قال الله تعالى: ﴿فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ (البقرة؛ 253). والإيمان ||200 هو التصديق بالرسول [وما جاء به][3]، والكفر التكذيب بذلك[4]، وفي تصديق الرسول تصديق الله، وفي تكذيبه تكذيبه، ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء؛ 80). فعلى هذا فاعلم أنّ العمدة في التكفير تكذيب الرسول، وتفصيله هو أنّ الكفر[5] [مخالفة نصّ مقطوع به، أو مخالفة إجماع الخواصّ والعوامّ في أمر دينيّ، وفيهما جميعا تكذيب الرسول،][6] وهذه مسألة فقهيّة لا مجال فيها للعقل والنظر، وذلك على أربعة أنواع:

النوع الأول: تكذيب اليهود، والنصارى، والمجوس، وعبدة الأوثان، وتكفيرهم نصّ الكتاب والإجماع.

والنوع الثاني: تكذيب المنكرين لأهل النبوّة، وتكفيرهم يكون على الطريق الأولى لأنّهم كذّبوا جميع الأنبياء. ومنهم الدهريّة لأنّهم كذّبوا بالله وبالرسل جميعا. ومنهم الملاحدة التعليميّة لأنّهم لبّسوا التكذيب في صورة التصديق لتعليقهم معرفة الله بمعرفة[7] الرسول، وقد عُلم قطعا أنّ معرفة الرسول معلّقة بمعرفة المرسِل، فتكون المسألة دورا لا يمكن إثبات واحد منهما. وفي ضمن دعواهم هذه نفي الرسول والمرسِل جميعا. فأمّا اليوم فقد أفشوا ما كانوا يكتمونه من الأسرار

---

[1] التاسع والثلاثون في (س).

[2] في (ص) "في تكفير الخلق الفرق".

[3] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[4] في (ص) "به".

[5] في (ص) "الفكر".

[6] ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

[7] في (س) "معرفة".

والتبطّن، وأعلنوا الإباحة، وإنكار الشرائع، ونكاح البنات والأمّهات، فالتحقوا بالمجوس والدهريّة.

والنوع الثالث: تصديق الرسول، ولكنّه يعتقد صاحبه أنّ ما أخبره الرسل من الشرائع، والحشر، والنشر، وغيرها إنّما يكون على طريق المصالح للخلق، إذ لم يمكنهم التصريح بالحقّ، لكلال أفهامهم عن إدراكه، وهم الفلاسفة. وكفرهم لتجويزهم[1] الكذب على الأنبياء عليهم السلام، وفي ذلك سدّ باب النبوّة أصلا، إذ يبطل الثقة بقولهم، فيجب تكفيرهم بالطريق الأولى.

والنوع الرابع: تصديق الرسول في قوله، ولكنّ صاحبه قد أخطأ في تأويل بعض ما ورد به، وهؤلاء هم المتأوّلون من أهل القبلة، كالمعتزلة والنجاريّة، والروافض، والخوارج، والمشبّهة، وغيرهم. واختلف أئمّتنا في أنّ الخطأ في التأويل، هل يبلغ حدّ التكذيب فيكفّر به قائله أم لا؟ فصاروا في ذلك فريقين:

الفريق[2] الأوّل: ادعوا أنّ من خالف الرسول في شيء أخبره فقد كذّبه، سواء كان بمجرّد الإنكار أو بخطأ التأويل، وعلى ذلك أجروا عليهم أحكام الكفرة[3]، ولم يميّزوا[4] بين الغلاة منهم والمقتصدين في[5] ذلك. وهؤلاء مع ما ||201 ضيّقوا رحمة الله التي وسعت كلّ شيء، لم يتابعهم الجمهور من العلماء، والخلفاء، والسلاطين، ولم يهرقوا دماء القوم بقولهم، ولا استباحوا أموالهم وحريمهم بفتواهم[6]، بل مكّنوهم بين المسلمين كما تراهم[7].

وقال بعض الأصحاب: "إنّما أطلق لفظ الكفر على هؤلاء تغليظا وتشديدا لتفاحش خطئهم وبدعتهم، أما حكمهم حكم المسلمين لدخولهم في غمار الأمة بإجماع الأمّة في قوله ﷺ:

---

[1] في (ص) "عن تجويزهم".

[2] في (ص) "التفريق".

[3] في (ص) "الكفر".

[4] في (ص) "يمهروا".

[5] سقط من (س).

[6] سقط من (ج)، وفي (س) "بشراهم".

[7] وفي (س) "شراهم".

"ستفترق أمّتي بثلاث وسبعين فرقة."[1] سمّاهم أمّة، وأضافهم إلى نفسه. والأمّة على ضربين: أمّة دعوة، وأمّة إجابة. فالكفّار كلّهم أمّة دعوة وهم أكثر من نيّف وسبعين، إذ قد جاء أنّ الكفر سبعمائة ملّة، فصحّ أنّهم أمّة[2] إجابة[3]. وأمّة الإجابة هم المسلمون فمن سمّاهم كفرة فقد ظلم. ومعنى قوله في آخر الحديث: "كلّهم في النار إلّا واحدة"[4] فقد يروى "كلّهم في الجنّة إلّا واحدة وهم الزنادقة."[5] ويروى أيضا " الهالكة منها واحدة." فأمّا الرواية الأولى فمعناه كلّهم يرد النار، أو في النار وُرودُه لقول الله تعالى: ﴿وإنْ منكم إلّا واردها﴾ (مريم؛ 71). ومن روى الناجي منها واحدة يكون هو المتّقي في قوله تعالى: ﴿ثمّ ننجّي الذين اتّقوا﴾ (مريم؛ 72)، وهو المشار إليه بقوله عليه السلام: "هو على ما أنا عليه اليوم وأصحابي." ذكره أبو طالب المكي. فتعيّن أنّ هؤلاء هم[6] المسلمون ولكنّهم فسقة، ضالّة، مبتدعة، مخطئة، فلو سمّاهم أحد كفرة، كان تشديدا وتغليظا لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة، فشبّهوا ذلك بالكفر لمقاربته[7] إيّاه.

---

[1] عن عوف بن مالك الأشجعيّ، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: " ستفترق أمّتي على بضع وسبعين فرقة، شرّ فرقة منها قوم يقيسون الدين بالرأيِ، فيحلّون به الحرام ويحرّمون به الحلال ". ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 62، ص 151-152.

[2] في (ح) "الأمة".

[3] سقط من (ح).

[4] عن أنس بن مالك، قال: ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلا، فذكروا قوّته في الجهاد، واجتهاده في العبادة، ثمّ إنّ الرجل طلع عليهم، فقالوا: يا رسول الله هذا الرجل الذي كنّا نذكر، قال: "والذي نفسي بيده، إنّي لأرى في وجهه سفعة من الشيطان". ثمّ أقبل فسلّم، فقال رسول الله: "هل حدثت نفسك حين أشرفت علينا أنّه ليس في القوم أحد خير منك؟" قال: "نعم." فانطلق فاختط مسجدا وصفّ بين قدميه يصلّي." فقال رسول الله: "أيّكم يقوم إليه فيقتله؟" قال: قال أبو بكر: "أنا." فانطلق فوجده قائما يصلّي، فهاب أن يقتله، فرجع إلى رسول الله، فقال له: "ما صنعت؟" قال: "وجدته يا رسول الله قائما يصلّي، فهبت أن أقتله." فقال رسول الله: "أيّكم يقوم إليه فيقتله؟" فقال عمر: "أنا." فانطلق ففعل كما فعل أبو بكر، فقال رسول الله: "أيّكم يقوم إليه فيقتله؟" فقال عليّ: "أنا." قال: "أنت إن أدركته". فانطلق فوجده قد انصرف، فرجع إلى النبيّ ﷺ، فقال: "ما صنعت؟" قال: "وجدته يا رسول الله قد انصرف." فقال رسول الله: "هذا أوّل قرن خرج من أمّتي، لو قتلته ما اختلف اثنان بعده من أمّتي". وقال: "إنّ بني إسرائيل تفرّقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمّتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا واحدة". ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 65، ص 73.

[5] أخرجه الحافظ الديلمي في فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج عن كتاب الشهاب، تحقيق فؤاد أحمد الزمرلي ومحمّد المعتصم بالله، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م، ج 2، ص 98، حديث: 2177.

[6] سقط من (س).

[7] في (س) و(ص) "لمقارنته".

ونظيره ما جاء في الحديث: "المراء في القرآن كفر."[1]؛ و"بين العبد والكفر[2] ترك الصلاة."[3]؛ "من ترك صلاة متعمدا فقد كفر."[4]؛ "إذا قال المسلم للمسلم أنت عدوّ لي[5] فقد كفر."[6]؛ "لا يزني الزاني [حين يزني][7] وهو مؤمن"[8]. هذا كلّه ورد على جهة التغليظ والتشديد في الزجر، إذ يطلق الكلمة على الشيء بنوع من التشبيه، ولا يقتضي حقيقة الحكم عند التفصيل كقول الرجل لأجنبيّ: "أنت أخي." أو "ولدي" على طريق التقريب والإكرام، ثمّ لا يرثه إذا مات، ولا يحرّم بناته وأخواته. وكذلك إذا قال لآخر: "أنا عبدك." على معنى التواضع والطاعة، ولا يجوز بذلك بيعه وامتلاكه[9]. كذلك حكم هؤلاء، إنّما يكون معنى الكفر في حقّهم إخبارا عن إفحاش مقالاتهم، لا لإجراء أحكام الكفرة عليهم.

وأمّا الفريق الثاني من الأئمّة فقد أمسكوا عن التكفير أصلا ولكن سمّوهم ضالّة[10]، مبطلة[11]، مبتدعة، ||202 مخطئة، لأنّهم لو كذّبوا الرسل [لردوا القرآن أصلا ولأنكروا قول الرسول][12] كما فعل سائر الكفرة ولم يشتغلوا بتأويله، فلمّا عدلوا إلى تأويله كان مشعرا بأنّهم قبلوه وصدّقوا

[1] البيهقي، شعب الإيمان، ج 2، ص 416، حديث: 2255.

[2] في (ص) "بين الكفر والعبد".

[3] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 5، ص 13، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث: 2620.

[4] الترمذي، الجامع الصحيح، ج 5، ص 13-14، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث: 2621.

[5] سقط من (ص).

[6] عن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلّا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منّا، وليتبوّأ مقعده من النار، ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدوّ الله وليس كذلك إلّا حار عليه." مسلم، صحيح، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، حديث: 61.

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[8] قال رسول الله ﷺ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن، ولا يغلّ أحدكم حين يغل وهو مؤمن، فإياكم إياكم. " البخاري، صحيح، كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، حديث:2343؛ كتاب الحدود، باب السارق حين يسرق، حديث: 6400؛ كتاب المحاربين، باب إثم الزناة، حديث: 6424؛ مسلم، صحيح، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ...، حديث: 57.

[9] في (س) واملاكه".

[10] في (ص) "ضلالة".

[11] سقط من (ص).

[12] سقط ما بين المعقوفتين من باقي النسخ عدا (ص).

الرسل، غير أنّهم لم يوفّقوا للصواب في تأويله فأخطأوا فيه، فكأنّهم فرّوا من الكفر فوقعوا في البدعة بخطئهم فصاروا مبتدعة ضالّة عن سنن السنّة وصوب الصواب. قال أبو سليمان الخطّابي[1] رحمه الله في كتاب *شعار الدين*[2]: "إنّ أوّل من فارق الجماعة في عهد عليّ رضي الله عنه الخوارج[3]، وقد أخبره النبيّ ﷺ أنّهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، وقد سئل عليّ عنهم: "أكفّار هم؟" فقال: "إنّهم من الكفر فرّوا." فقيل: "أمنافقون؟" قال: "إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلا وهم يذكرون الله كثيرا." قيل: "فما هم؟" قال: "قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها[4] وصمّوا." قال الخطّابيّ: "وإنّما لا نجعلهم كفّارا لأنّهم تعلّقوا بضرب من التأويل وإنْ كان فاسدا، وهو أنّ عليّا رضي الله عنه حكّم الحكمين فأخرجاه من الإمامة فلم يخرج نفسه منها، فأورث ذلك شبهة في قلب القوم الذين خرجوا عليه. قالوا: "وقول النبيّ ﷺ: "إنّهم يمرقون من الدين." أي من الطاعة كما قال الله تعالى: ﴿في دين الملك﴾ (يوسف؛ 76)، أي في طاعته. وحجّة هؤلاء في منع تكفيرهم أنّه قد ثبت عصمتهم بقولهم: "لا إله إلا الله"، لقول النبي ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله، فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها"[5]. ثمّ لم يثبت لنا أنّ الخطأ في التأويل كفر أم لا، فلا بدّ من دليل على ذلك إمّا بنصّ، أو قياس صحيح على نصّ أو إجماع، ولا نجد من ذلك شيئا، فبقي القوم في الإسلام. فإنْ اتّفق في زمان مجتهد تكامل فيه شرائط الاجتهاد كالشافعي وأبي حنيفة وغيرهما من الأئمّة الكبار، وبان له بدليل قاطع أنّ الخطأ في التأويل موجب للكفر، كفّرناهم بقوله، وهيهات أنْ يكون ذلك في مثل زماننا هذا[6].

---

[1] الإمام، الحافظ اللغوي أبو سليمان حَمْد بن محمّد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (319-388هـ/ 931م -988م) ولد بمدينة بُست، كان فقيها محدثا أديبا. من أبرز مؤلفاته: معالم السنن؛ شرح سنن أبي داود؛ شرح البخاري؛ أعلام الحديث. ابن الأثير، تتمة جامع الأصول، ص 319؛ النووي، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1430هـ/ 2009م، ص 22-24.

[2] في (س) "الديوان". قال الإمام النووي في طبقات الفقهاء الشافعية، ص 223: "...كتابه الموسوم بـ"شعار الدين" في أصول الدين التزم فيه إيراد أوضح ما يعرفه من الدلائل من غير أن يجرد طريقة المتكلّمين، عاب فيها ما هو المتداول بين الناس من قولهم في صفات الله الذاتية أنّها قديمة، واختار أن يقال فيها أزليّة... ".

[3] سقط من جميع النسخ عدا (ش) حيث استدرك في هامشها.

[4] سقط من (ص).

[5] البخاري، صحيح، كتاب الإيمان، باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾، حديث: 25.

[6] سقط من (ص)، وفي (س) زيادة "والله أعلم".

فصل

واعلم أنّ الفرق المنتسبين إلى الإسلام قد تشعّبوا[1] شعبا كثيرة، واختلفت أهواءهم [اختلافا خارجا عن الضبط، وهم][2] على كثرة اختلافهم بين غلاة ومقتصدين، فالغلاة زعماءهم الأقدمون كانوا مع خطائهم[3] انتحلوا فضائح توجب الكفر كالحلول. فإنّ المغيرة[4] بن سعد العجلي[5] زعم أنّ روح الإله فيه. ومنهم من زعم أنّ لله أعضاء على صورة حروف الهجاء. والخطّابية [6] ادّعوا الإلهية لجعفر بن محمّد الصادق. والسبئية[7] ادّعوا الإلهية أيضا لعليّ بن أبي طالب وزعموا أنّه في السحاب. وقد | 203| أحرق عليّ رضي الله عنه جماعة منهم إذ قالوا له: "أنت هو." فقال: "ومن هو؟" قالوا: "الله." وفي ذلك يقول:

لمّا رأيت الأمر أمرا منكرا... أوقدت نارا ودعوت قنبرا[8]

وكالتشبيه والتجسيم، فإنّ بنان بن سمعان[1] زعم أنّ الله على صورة إنسان، وأنّه سيفنى كلّه [إلّا وجهه][2]. وكان السيّد الحميري[3] من الغلاة مكفّرا للصحابة رضي الله عنهم، فلقي كميتا [4] في طريق الحجّ فعاتبه، فقال أنت الذي تقول:

---

[1] في (س) "شعبوا".

[2] سقط ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[3] في (س) "خطابهم".

[4] في (ص) "مغيرة".

[5] المغيرة بن سعد العجلي، هكذا ذكره القزويني، وقد اختلفت المصادر في اسمه، فمنهم من نسبه لبجيلة وقال البجلي كابن قتيبة، (المعارف، ص 623)، والذهبي (ميزان، ج 4، ص 160-163) وقيل المغيرة بن سعيد العجلي وإليه تنسب المغيرية. البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 238-241، الحميري، نشوان، الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1367هـ/ 1948م، ص 168.

[6] البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 255.

[7] في (ج) و(س) و(ش) و(ق) "السبابية"، في (ص) "السسه". البغدادي، الفرق بين الفرق، 233-236.

[8] ابن حجر، فتح الباري، ج 10، ص 282.

ولا أقول وإنْ لم يعطيا فدكا ... بنت الرسول ولا ميراثه كفرا[5]

الله أعلم ماذا يأتيان بـه ... يوم القيامة من عذر إذا حضرا[6]

فاختصما في ذلك طويلا، وكان كميت لم يكن مكفّرا للصحابة.

فلّما اطّلع أئمّتنا على فضائحهم، حكموا للقدريّة[7] بأحكام المجوس لقول النبيّ ﷺ: "القدريّة مجوس هذه الأمّة"[1]؛ وحكموا للحلوليّة[2] بأحكام أهل الردّة، وحكموا للمجسّمة بأحكام عبدة

---

[1]في النسختين بنان بن سمعان، وورد في أغلب كتب الفرق باسم بيان بن سمعان التميمي النهدي اليمني، ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني، أصله من سواد الكوفة، كان تباناً. يعتبر من الغلاة، وهو من الباطنية، قبض عليه خالد بن عبد الله القسري مع خمسة عشر من رجالهم، جيء بهم إلى مسجد الكوفة، وعلّقهم بأوتاد من قصب، ثم صبّ عليهم النفط وأحرقهم. له آراء عجيبة غريبة، كان يفسر القرآن تفسيراً باطنياً، ويقول: "أنا الوارد في قوله تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتّقين﴾ [آل عمران؛ 138] ". ويقول: " إنّي هدى وموعظة للمتقين، من أراد الهداية والتقوى فليتبعنِ. " وكان يقول: " إنّ عليّا إله. " ويفسر قول الله تعالى: ﴿هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ [البقرة؛ 210] ". قال: إنّ هذا هو علي بن أبي طالب. " الأشعري، مقالات، ص 5-6 و ص 23؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص،40 و ص 226، و ص 236-238؛ الحميري، نشوان، الحور العين، ص 161، و ص 260.

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

[3] في (ص) "الحصري". والسيّد الحميري هو إسماعيل بن محمّد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري أبو هاشم أو أبو عامر. (105-173 هـ / 723 – 789 م). شاعر إمامي أكثر من الشعر ومن الوقيعة في الصحابة وهجوهم، وكان في أول أمره كيسانيا ثم رجع عن ذلك. ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 32- 36؛ الدارقطني، أبو الحسن عليّ بن عمر، المؤتلف والمختلف، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/ 1986م، ج3، ص 1308؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 150؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ 1996م، ج 1، ص 196؛ أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج9/ 1، ص 267-268.

[4] الكميت بن زيد الأسدي الكوفي الشاعر، كان عالما بلغات العرب خبيرا بأيّامها، كان مشهورا بالتشيّع لبني هاشم، وقصائده فيهم تسمّى الهاشميات، وهي من جيّد شعره ومختاره، وكانت أوّل منظوماته، يقال: ما جمع أحد من علماء العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت. وكان في أيّام بني أميّة، له قصص وحكايات. وتوفي سنة 126هـ/ 810م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 50، ص 229-247؛ الذهبي، سير، ج 5، ص 388- 389؛ أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج 9/ 3، ص 922.

[5] في (س) "لم يعطينا قد كانت".

[6]هاشميّات الكميت، تحقيق داوود سلوم ونوري حمّودي القيسي، بيروت، عالم الكتب ومكتبة النهضة، 1404هـ/ 1984م، ص 202؛ ديوان الكميت، جمع وتقديم داوود سلوم، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1417هـ/ 1997م، ج 2، ص 229.

[7]قال البيهقي: " وإنّما سموا قدرية لأنّهم أثبتوا القدر لأنفسهم، ونفوه عن الله سبحانه وتعالى، ونفوا عنه خلق أفعالهم وأثبتوه لأنفسهم، فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، وأن الخير من فعل النور، والشرّ من فعل الظلمة ". كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ص237. وقال الخطّابي: " إنّما جعلهم ﷺ مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، يزعمون أنّ الخير من فعل النور، والشرّ من فعل الظلمة، فصاروا ثنويّة. وكذلك القدريّة

الأوثان، وإنّما تجري عليهم هذه الأحكام بعد أنْ ينبّهوا[3] على كفرهم ويستتابوا عنه، فإنْ لم ينتهوا عمّا يقولون وعَتَوْا عُتُواً، رفع أمرهم إلى السلطان في سفك دمائهم وأخذ أموالهم، وليس للرعيّة وعامّة الناس أنْ يتعرّضوا لهم بشيء من ذلك بأنفسهم البتّة. هذا ما اجتمع عليه أئمّة الدين.
وقال بعض المكفّرين لأهل الأهواء إنّهم مع ما اعتقدوه، ما لم يتعرّضوا لنا لا نتعرّض لهم، فإن قاتلونا قاتلناهم لما روي عن عليّ رضي الله عنه، أنه[4] قال للخوارج بعد ما كفّروه وقاتلهم: "إنّ لكم علينا ثلاثا، لا نبدأكم بالقتال، ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله"[5]. وأمّا المقتصدون من الفرق فقد وافقونا على تكفير هؤلاء الغلاة لأجل ما حكينا عنهم من الفضائح وأوردوه في كتبهم.
غير أن بقيت عليهم مسائل كانوا فيها مخطئين، فتردّد نظر العلماء[6] في حقّهم، وأكثر المتديّنين من الأئمّة مالوا فيهم[7] إلى ترك التكفير، والسبب في ذلك هو أنّ التكفير أمر هائل عظيم الخطر كما قال الله تعالى: ﴿وتحسبوه هيّنا وهو عند الله عظيم﴾ (النور؛ 15)، [إذ التكفير[8] عبارة عن الإخبار عن شخص أن عاقبته في الآخرة][9] العقوبة الدائمة، وأنّه في الدنيا مباح الدم والمال، لا يمكّن من نكاح مسلمة، ولا يجري عليه أحكام أهل الإسلام في حياته وبعد مماته، وإنّما الخطأ

يضيفون الخير إلى الله تعالى والشرّ إلى غيره، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشّرّ جميعا، لَا يكون شيء منهما إلّا بمشيئته، فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا". انظر النووي، شرح مسلم، القاهرة، المطبعة المصرية بالقاهرة، 1347هـ/ 1929م، ج 1، 154.

[1]عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: "القدريّة مجوس هذه الأمّة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم". البيهقي، الاعتقاد، ص 236.

[2]انظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 254 – 266.

[3] في (ص) "ينتهوا".

[4] سقط من (ص) و(ق).

[5]الطبري، تاريخ، ج5، ص 73.

[6] في (ص) "الفقهاء".

[7] سقط من (س) وفيها "قالوا" بدل "مالوا".

[8] في (س) "والتكفير".

[9]ما بين المعقوفتين ورد في هامش (ش).

في ترك ألف[1] كافر| |204 أهون عند الله من سفك محجمة من دم مسلم. ثمّ إنّ تلك المسائل التي يحكم فيها هذا الحكم في غاية الدقّة والغموض لكثرة شعبها، واختلاف قرائنها[2]، وتفاوت دواعيها، والاستقصاء في معرفة الخطأ مع صنوف وجوهه، والاطّلاع على حقيقة التأويل وشرائطه في الأماكن، ومعرفة الألفاظ المحتملة[3] للتأويل وغير المحتملة، وذلك يستدعي معرفة طرق أهل اللسان العربيّة [كذا] في حقائقها، ومجازاتها، واستعاراتها، ومعرفة دقائق التوحيد، وعوارضه، إلى غير ذلك، وهذا متعذّر جدّا. على أنّ ذلك مع انضمام الأغراض، واختلاف الأهواء والتعصّبات، وتفاوت دواعي الخاصّة والعامّة في الأزمنة المختلفة إلى تلك الفتوى. وقد قال النبيّ ﷺ: "أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار"[4]. فالعالم المتديّن يتثبّت، ويتوقّف[5]، ويحتاط، ولا يتجازف مخافة النار، فإنّ المفتي على شفير جهنّم كما قال حامد اللفّاف[6]، سيما[7] والفتوى هذه. فلهذا السبب تردّد [كذا] أقوال الكبراء من أئمّتنا فيها. قال الإمام أبو القاسم الأنصاريّ: "إنّ القاضي أبا بكر، والأستاذ أبا إسحاق الإسفراييني، ذكرا أقوالا لأبي الحسن الأشعريّ في تكفير المتأوّلين متعارضة". فالظاهر أنّه قد تردّد في ذلك. وروى عبد الجبّار البيهقي الخواري[8] عن

---

[1] سقط من (ص).

[2] في (س) "قوانينها".

[3] في (س) "المشتملة".

[4] في (ص) "أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتيا". رواه الإمام الدارمي، المسند الجامع، نشر بعناية نبيل بن هاشم الغمري، مكّة المكرمة، دار البشائر الإسلامية، 1434هـ/ 2013م، ص 132، حديث: 162.

[5] في (ش) و(ص) "يتوقّف ويتثبت".

[6] أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي، من كبار مشايخ خراسان، مات سنة 240هـ/ 854م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 103-106؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 10، ص 42- 43، رقم: 459؛ حاجي خليفة، سلم الوصول، ج 1، ص 144، رقم: 374.

[7] في (س) "مخافة".

[8] سقط من (س). أبو محمّد عبد الجبار بن محمّد بن أحمد، الخواري البيهقي. 445-536هـ/ 1052-1143م إمام فاضل، عارف بالمذهب، مفت مصيب. تفقّه على الإمام أبي المعالي الجويني، وعلّق المذهب عليه، وبرع فيه، وكان سريع القلم، نسخ بخطه المذهب الكبير للجويني أكثر من عشرين مرّة، وكان يكتبه ويبيعه. السمعاني المروزي، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الرياض، دار عالم الكتب، 1417هـ / 1996م، ص 1034-1037. الذهبي، سير، ج 20، ص 71-72. السبكي، طبقات، ج 7، ص 144.

الإمام أحمد [بن الحسين][1] البيهقي[2] عن أبي حازم العبدويي[3] عن [الإمام أبي عليّ زاهر بن][4] أحمد السرخسي[5] يقول: "لمّا قرب حضور أجل الإمام العالم[6] أبي الحسن الأشعريّ رحمة الله عليه في داري ببغداد، دعاني وقال لي: "اشهد عليّ أنّي لا أكفّر أحدا من أهل القبلة لأنّهم يشيرون إلى معبود واحد"[7]. وقال أبو الحسن الأشعريّ [في صدر كتاب المقالات][8]: "اختلف المسلمون في أشياء كثيرة ضلّل فيها بعضهم بعضا، وبرئ بعضهم من بعض، إلّا أنّ الإسلام يشملهم ويعمّهم"[9]. ألا ترى كيف سمّاهم المسلمين وإن كانوا مختلفين. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: "أقبل شهادة من قال بالوعيد، والخوارج إلّا الخطّابية، وهم قوم يشهد بعضهم لبعض من غير معرفة إذا اتّفقوا في المذهب"[10]. ووافقه الإمام أبو حنيفة رحمه الله في ذلك. وحكى القاضي أبو العبّاس[11] عن [أبي حازم][1] عن المزنيّ[2] أنّه كان يجعل أهل القبلة مع اختلافهم في مذاهبهم

---

[1] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[2] صاحب شعب الإيمان، وقد سبقت ترجمته.

[3] سقط من (س). أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدويي النيسابوري الحافظ، من كبار المحدثين، توفي سنة 417هـ/ 1026م. ابن نقطة البغدادي، تكملة الإكمال، تحقيق عبد القيّوم عبد ربّ النبيّ، مكّة المكرمة، جامعة أم القرى، 1410هـ/ 1990م، ج 4، ص 248-249.

[4] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[5] الإمام أبو عليّ زاهر بن أحمد السرخسي، الفقيه المحدث، شيخ عصره بخراسان، كان قد قرأ على أبي بكر بن مجاهد، وتفقّه عند أبي إسحاق المروزي، ودرس الأدب على أبي بكر بن الأنباري. توفي سنة 389هـ/ 999م، وله ست وتسعون سنة. ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص 161؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 15، رقم: 2955؛ الذهبي، سير، ج 16، ص 476- 478.

[6] في (ش) الأجل.

[7] ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص: 119.

[8] ما بين المعقوفتين ليس في (س). والمقصود هنا كتاب مقالات الإسلاميين.

[9] جاءت هذه العبارة في المقالات المطبوعة بهذه الصيغة: " اختلف المسلمون بعد نبيّهم ﷺ في أشياء كثيرة ضلّل فيها بعضهم بعضا، وبرئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقا متباينة وأحزابا متشتّتين، إلّا أنّ الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم. " مقالات الإسلاميين، ص 1-2.

[10] الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، دائرة المعارف العثمانية، 1357هـ/ 1937م، ص 120.

[11] أحمد بن محمّد بن أحمد القاضي أبو العباس الجرجاني، كان إماما في الفقه والأدب، قاضيا بالبصرة ومدرسا بها، صاحب "المغاياة"، و"الشافي"، و"التحرير"، له النظم المليح، صنّف كتاب " كنايات الأدباء وإشارات البلغاء " جمع فيه محاسن النظم والنثر وغير ذلك. توفي سنة 482هـ/ 1089م. ابن الجوزي، المنتظم، ج 16، ص 285، رقم: 3598؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج 4، ص 74-76؛ حاجي خليفة، سلم الوصول، ج 1، ص 206، رقم: 555.

مسلمين، وكان يمتنع عن تكفيرهم لأنّ المسائل التي اختلفوا فيها لطاف دقاق[3] يدّق النظر فيها. وقال | |205 الإمام إمام الحرمين أبو المعالي الجويني [في كتاب "غياث الأمم]"[4]: "إنْ قيل لنا فصِّلوا[5] ما يقتضي التكفير وما يوجب التضليل والتبديع، قلنا هذا طمع في غير مطمع، فإنّ هذا بعيد المدرك، وعر المسلك، يستمّد من تيّار بحار التوحيد، ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يتحصّل من التكفير على وثائق، ولو أوغلت في جميع ما يتعلّق بأذيال الكلام في هذا الباب لبلغ مجلّدات ثمّ لا يبلغ منتهى الغايات"[6]. وقال الإمام أبو القاسم الأنصاريّ [في "نكت الأدلّة]"[7]: "سمعت الأستاذ أبا القاسم القشيريّ[8] رحمه الله يقول: "راجعت الأستاذ أبا بكر بن فورك في هذه المسألة مرارا فلم يحر جوابا وقال: " حتّى أنظر فإنّه دين". وقال القاضي أبو المحاسن[9] الرويانيّ[10] في "الحلية"[11]: "ولا ينبغي أن يُصَلّي خلف المبتدع، فإنْ صلّى لا يلزمه الإعادة لأنّا

---

[1] سقط ما بين المعقوفتين من (س). أبو حازم العبدويي سبقت ترجمته.

[2]أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، 175- 264هـ/ 792- 876م. تلميذ الشافعي. الإمام العلامة، فقيه الملّة، علم الزهاد، صنف كتبا كثيرة منها مختصر في الفقه اهتم العلماء بشرحه ودراسته وتدريسه، توفي بمصر. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 217- 219، رقم: 93؛ الذهبي، سير، ج 12، ص 292-297؛ السبكي، طبقات، ج 2، ص 93-109.

[3] في (ص) "دقائق".

[4] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[5] سقط من "(ص).

[6]غياث الأمم في التياث الظلم، ص 137.

[7] ما بين المعقوفتين ليس في (س).

[8]سبقت ترجمته.

[9] في (س) "الحسن".

[10]القاضي العلّامة، فخر الإسلام، شيخ الشافعية أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمّد الروياني، الطبري، الشافعي. تفقّه ببخارى مدّة وارتحل في طلب الحديث والفقه جميعا، وبرع في الفقه، ومهر، وناظر، وصنّف التصانيف الباهرة. كان نظام الملك كثير التعظيم له. قتل بعد فراغه من مجلس الإملاء في المحرّم، قتلته الإسماعيلية.501-415هـ/ 1025م -1107م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 198- 199، رقم: 390؛ الذهبي، سير، ج 19، ص 260-262؛ السبكي، طبقات، ج 7، ص 193-203.

[11]حلية المؤمن واختيار الموقن، قد حُقق هذا الكتاب في خمس رسائل ماجستير بجامعة أمّ القرى بالسعودية، وهي: الرسالة الأولى: من أول الكتاب إلى باب "صلاة المسافر"، تحقيق فخري بن بريكان بن بركي القرشي 1428هـ/ 2007م. والرسالة الثانية: من أوّل" باب صلاة المسافر "إلى نهاية" كتاب الحجّ"، تحقيق: محمّد بن مطر بن علي المالكي، 1428هـ/ 2007م. والرسالة الثالثة: من أول" كتاب البيوع "إلى نهاية" كتاب إحياء الموات"، تحقيق: حسن ابن مرغني بن حسن البسيسي، 1429هـ/ 2008م. الرسالة الرابعة: من

لا نكفّر أحدا من أهل المذاهب المختلفة". وقد قال النبيّ ﷺ: "من صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فله ما لنا وعليه ما علينا"[1]. ولهذا يناكحون، ويقرّون عليه[2] مع وجوب الاحتياط.

هؤلاء هم العلماء الذين كانوا أعضاد الدين وأعلام الإسلام، تراهم كيف يحترزون من إطلاق التكفير، فبهداهم اقتده[3]. وإيّاك والاغترار بقول مجازف يوهمك التعصّب للدين، وقصده فيه استتباع العوامّ، واجتذاب الحطام والأغراض الدنيويّة، وملاك الأعمال النيّة. ومن خادع بالتمويه مولاه فقد باع دينه بدنياه، وخسر أولاه وعقباه. أما يدري المسكين أنّ الدنيا زجاج ذو تلاويح، وسراج في مدرج الريح، والآخرة ملك أبديّ، وبقاء سرمديّ، عند جوار الحقّ في مقعد صدق، فانظر أيّ الفريقين أحقّ بالأمن. [ونختم الباب بتفاريق مسائل من التكفير][4].

مسألة: من ادّعى أنّ المعدوم شيء، قيل يكفَّر لأنّه قال بالقدم[5]، وقيل لا يكفّر لأنّه قدّر معلوما وهميّا هو متعلّق العلم غير موجود فسمّاه شيئا لقول تعالى: ﴿ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غدا﴾ (الكهف؛ 23)، وقوله: ﴿إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (الحجّ؛ 1) فيكون ذلك منه خطأً في التأويل.

أول "كتاب الوقف" إلى نهاية "كتاب النفقات"، تحقيق عابد بن محمّد سعيد اليوبي. الرسالة الخامسة: من أول "كتاب القصاص" إلى آخر الكتاب، تحقيق عبد الله بن سعيد الحريري الزهراني.

[1] البخاري، صحيح، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، حديث: 384.

[2] في (س) "ويعودون" دون "عليه".

[3] في (س) "أفئدة".

[4] ما بين المعقوفتين ليس في (س). قسم ناسخ (س) الباب 40، والذي يحمل حسب ترتيبه رقم 39، إلى قسمين ووضع بعد هذه الفقرة العنوان التالي: "الباب الأربعون في تفاريق مسائل التكفير". ولم يستثن هذه العملية من وضع مناجاة هذا نصها: "سبحان العلي الأعلى سبحان من نأى ودنا، سبحان من يغشى الأبد نوره، سبحان من أشرق كل ظلمة ضوءه، سبحان من يدان بدينه، سبحان من لا يدان بغير دينه، سبحان من يهدي القلوب بهدايته، سبحان من لا تبلغ الأعمال بشكره، اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين، واجعلني أخشاك حتى كأني أراك، وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك، ونسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة في سبيلك، يا هادي المضلين، وراحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذي الخطر العظيم، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم".

[5] في (ص) "بالقديم".

مسألة: من نفى صفات الله تعالى، قيل يكفّر لجهله بالله، وقيل إنّ نفاة الصفاة من أهل القبلة هم المعتزلة، وكان أبو هاشم[1] منهم، أثبت الصفات غير ||206 أنّه فسّرها بالحال[2] التي سمّاها العالميّة والقادريّة، فيلزمه في الحال وتعليقها بالمتعلّقات ما ألزمنا في الصفات الموجودة، فلذلك لا يوجب التكفير، كيف وقد نفى القاضي أبو بكر منها صفة البقاء. أمّا من نفى كونه تعالى موصوفا بهذه الصفات فقد انعقد الإجماع على تكفيره.

مسألة: من نفى الرؤية، قيل يكفّر لأنّها تَتْبَع الوجود، فمن نفاها فقد نفى الوجود[3]، وقيل لا يكفّر. قال أبو القاسم الأنصاريّ في *نكت الأدلّة*: "إنّ المعتزلة أثبتوا الرؤية بالقلب على طريق العلم، ونفوا عن البصر احترازا عن المحاذاة واتّصال الشعاع". وقال ضرار[4]: "يجوز أنْ يرى في الجنّة بغير هذه الحاسّة". والتكفير في أمثال هذه المواضع مما يتوقّف فيه.

{مسألة: من نفى كلام النفس، قيل كفر. قال الأنصاريّ: "فأمّا مسألة الكلام، فالعاقل لا ينكر حديث النفس [والعبارة عنه". فنفت المعتزلة عن الله حديث النفس][5] وأثبتوا له كلاما ووصفوه بالخلق، وهذا ممّا[6] يوجب التضليل والتخطئة دون التكفير[7]}.

مسألة: من اعتقد أنّ الله جسم، هل يكون عارفا بالله؟

قيل يكون جاهلا ويكفّر. قال الإمام أبو نصر القشيري في "المرشد"[8]: "قد يجوز ذلك في العقل، ولا يكفّر على طريقه، لأنّه يتصوّر أنْ يعرف [وجود شيء من وجه ويجهل من وجه، فيجوز أنْ يعرف][9] وجوده وإنْ جهل، كذب من قال إنّه جسم. ولوكان من عرف وجوده واعتقد أنّه جسم ما

---

[1] يعني الجبائي.

[2] في (ص) "بالأحوال".

[3] في (ص) "الوجود له".

[4] سبقت ترجمته.

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(ق) و (ش).

[6] في (ص) "بما".

[7] ما بين القوسين المزهرين ليس في (س).

[8] ذكره الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار التراث، د ت، ج 2، ص 177.

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(ص).

عرفه لوجب أن يكون من قال آدم يشبه ربّه لم يعرف آدم وإن شاهده وعاينه، وكذلك من شاهد السواد واعتقد أنّه الجسم وجب يقال أنّه ما عرف السواد، فصحّ بذلك أنّ من علم وجوده، ولم يقل ما اجتمعت عليه الأمّة على أنّه كفر، لم يجز تكفيره، [والله أعلم]"[1].

مسألة: من استحلّ دماءنا وأموالنا بتأويل من الخوارج والروافض وغيرهما هل يكفّر[2]؟

قيل نكفّرهم، وقال القاضي أبو بكر: "من استحّل دماءنا وأموالنا بتأويل لا نكفّرهم لأنّ هذا جهل منه بأوامر الله ونواهيه، لا بنفس وجود الله تعالى، وليس على تكفيرهم إجماع".

وهذه الطريقة، أعني ترك التكفير تبتني[3] على أنّ الشيء الواحد يجوز أنْ يكون معلوما من وجه، مجهولا من وجه كما بيّنا من قبل. والدليل عليه أنّ العرض يعلمه موجودا بالحسّ من يجهل أنّه غير الجسم، وإنّما هو[4] عرض لنفسه، وغير الجسم لنفسه، فالجهل بأنّه غير الجسم جهل بنفسه لأنّه غيره بنفسه. فيجوز أنْ يعلم أحد الربّ تعالى شيئا لنفسه ويجهل أنّه قديم ||207 لنفسه، فتكون الصفتان العائدتان إلى النفس بمثابة جنسين أو نوعين في المحدثات من أن يجوز أنْ يعلمه على إحدى الصفتين من لا يعلمه على الصفة الثانية. فلو أخبرنا نبيّ لونا[5] في جسم ولم نعلمه أنّه سواد أو بياض فنفس[6] اللون معلوم لنا من وجه، مجهول من وجه، وهو شيء واحد.

مسألة: إنْ قيل قد روي عن النبيّ ﷺ: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء أحدهما به"[7]. والمبتدعة يكفّرون الصحابة وإيّانا.

الجواب اختلفوا فيه، قال القاضي[1] رحمه الله: "لا نكفّرهم بذلك لأنّ تكفيرهم لأهل الحقّ إنّما صدر عن الجهل بحال أهل الحقّ، وظنّوا أنّهم مكذّبون للرسول[2]، وذلك غلط منهم، وإنّما

---

[1] زيادة من (ق).

[2] في (ص) "نكفرهم".

[3] في (س) "نفسي".

[4] سقط من (ص).

[5] في (س) "بدلونا".

[6] في (ص) "فنقش".

[7] البخاري، صحيح، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث: 5752 و 5753؛ ابن عبد البرّ، التمهيد، ج 17، ص 13.

يبنى[3] تكفيرنا إيّاهم على أنْ يستيقنوا[4] أنّا مصدّقون للرسول[5]، ثمّ يرون ذلك التصديق كفرا، فحينئذ نكفّرهم". وهو معنى الحديث. فإنّ من[6] كفّر أخاه مع معرفته أنّه مصدّق لله وللرسول يكون ذلك المكفّر كافرا، وهذا فيه دقّة فاعلمه.

فرجع حاصل الكلام في التكفير إلى ما قال القاضي أبو بكر[7] أنّ من قال قولا أجمعت الأمّة على تكفير قائله فهو كافر، وما لم يجمعوا على تكفيره فلا يكفّر به[8]. وكلّ من قال قولا يمتنع مع ذلك القول وجود العلم بالله وبصفاته وتصديق رسوله في معتقده فهو كافر.

وقال الأستاذ[9] أبو إسحاق في الجملة: "من كَفَّرَنا على مسألة يعلم أنّها هي صحيحة بالدليل فقد انفرد بالكفر، ومن لم يخالف ما اتّفق عليه كلّ الأمّة في العصر الأوّل كان من جملة الأمّة".

وقال الأنصاري[10]: "العمدة في التكفير مخالفة النصّ القاطع، وإجماع الخاصّ والعوامّ".

وهذه العبارات[11] في أقوالهم راجعة إلى أصل واحد وهو التكذيب بالرسول كما بيّنا من قبل.

مناجاة[12]:

سبحان من جعل أمّة محمّد "طرائق قددا"[1]، وجعل الناجي من جملتهم أحدا، والباقون ﴿ودّوا لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفّارا حسدا﴾ (البقرة؛ 109). دبّ فيهم داء الحسد، دبيب الروح في

---

[1]يتعلق الأمر هنا بالقاضي أبي بكر الباقلاني.

[2] في (ص) "الرسول" وفي (س) "للرسل"..

[3] في (س) نفى"

[4] في (ص) "يسبقوا".

[5] في (س) "للرسل"..

[6] سقط من (ص).

[7] يعني به دائما الباقلاني.

[8] في (ش) وما لم يجمعوا على تكفيره وما لم يجمعوا عليه فلا يكفّر به.

[9] سقط في (س)

[10]يقصد أبا القاسم الأنصاري النيسابوري.

[11] في (ق) "العبارة".

[12] في (ج) "المناجات".

الجسد، فافترقوا على عدد حروف الحسد[2]، فرقا بددا، ثمّ هم[3] راجعون إلى ستّة كانوا لها أصولا وعمدا، مشبّهة، معطّلة، جبريّة، قدريّة، رافضة، خارجيّة، ضالّين عن الهدى، ثمّ انشعب من كلّ واحدة منهم اثنا عشر عددا، والستّة المضروبة فيها يكون ذلك العدد الأوّل أبدا، ||208 فرق سدروا[4] في تيه الجهالة وتمادوا في الغيّ والضلالة سدى[5]، ولم ينالوا من أمرهم رشدا، لقد[6] خبّأت مفاتح[7] قلوبهم في خزانة الغيب فلا يعلمها إلّا عالم الغيب ﴿فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ (الجن؛ 26).

إلهي، ثبّتنا على سنن السنّة والجماعة، واسبل على وجوهنا قناع القناعة، ومل بقلوبنا عن مذاهب الشناعة، ولا تتلف بضاعة أعمارنا في وادي الإضاعة، وزيّن جوارحنا بأعمال البرّ والطاعة، ولا تكلّف أنفسنا فوق الاستطاعة، واحفظنا من فتن آخر الزمان وأهوال الساعة، يا من لا ملجأ ولا منجى إلّا إليه[8].

---

[1] سورة الجنّ، آية 11.

[2] في (ص) "جسدهم".

[3] في (ص) "إنهم".

[4] يقال سدر البعير بالكسر يسدَرُ سَدرًا تحي من شدة الحر فهو سدر، والسادر المتحير.

[5] سقط من (ص).

[6] سقط من (ص).

[7] في باقي النسخ "مصابيح" والصواب من (ص).

[8] في أتبع ناسخ (س) هذه المناجاة بالعنوان التالي: "الخاتمة للكتاب".

هذا وقد استتبّ الفراغ واتّجه البلاغ[1] من كتاب *سراج العقول في منهاج الأصول* بعون الله وتوفيقه وهديه إلى أوضح طريقه، وقد أودعته جملا من بدائع العلوم والحكم، وجلائل الحجج وروائع الكلم، وأوردت فيه شواهد الآيات والأخبار، ونتائج العقول والأفكار، فمن وفّى حقّ النظر فيه، ونشر بالبحث سرّ مطاويه، واطّلع على كنه معانيه، ولم تردعه العصبيّة والدخلة[2] الرديئة، اعترف بأنّي

...وإن كنت الأخير زمانه... لآت بما لم تأت قبلي[3] الأوائل[4]

ولا يعرف قدر ذلك إلّا العلماء بالله، الراسخون في العلم، والديّانون من أولي الفهم[5]، الذين هم أوتاد الأرض، وحجج الله على الخلق، والسلام[6] عليهم ورحمة الله وبركاته.

على أنّي لم أدّع فيه العصمة عن إمكان السهو والغلط، فإنّ الإنسان يعرض للنسيان "وسمّيت إنسانا لأنّك ناس."[7] وأوّل ناس أوّل الناس. فإنْ اطّلع عالم فيه على موضع سهو وغلط فليصلحه

---

[1] في (ص) "القلاع".

[2] في (س) "والرحلة".

[3] في (ص) "قبل".

[4] البيت من قصيدة للمعرّي مطلعها:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ... عفاف وإقدام وحزم ونائل

سقط الزند، ص 193. والحاشية التي في هامش (ش) تورد الشطر الثاني من البيت كما هو وارد في سقط الزند وكما هو مشهور ومتداول. والحاشية جاءت كالتالي: " رواية: بما لم تستطعه الأوائل. "

[5] في (س) أنفسهم".

[6] في (ص) "والسلم".

[7] هذا هو الشطر الثاني من بيت لأبي تمام أوّله: لا تَنْسَيَنْ تلك العهود فإنّما...

وهو بيت من قصيدة في مدح المعتصم العبّاسي مطلعها:

ما في وقوفك ساعة من باس ... نقضي ذمام الأربع الأدراس

انظر ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ج 2، ص 245، قصيدة، 81.

بقلمه بفضله وكرمه، [بشرط أنْ يكون على يقين دون تخمين][1]، ولا يكوننّ ممّن إذا رأى ألف صواب غطّاه، وإذا وجد سهوا نادى عليه وأبداه كما قيل:

صُمٌّ إذا سمعوا خيرا ذُكِرتُ به ... وإنْ ذُكِرتُ بسوء عندهم أذّنوا[2]

ورحم الله من كان من المنصفين، ولعن[3] الذين جعلوا القرآن عضين.

---

[1] ورد بهامش "(ص)".

[2]البيت لقعنب بن أمّ صاحب بن ضمرة من قصيدة مطلعها:

بانتْ سليمَى فأمستْ دونها عدن ... وغلقتْ عندها من قلبكَ الرهنُ

انظر ابن الشجري، مختارات شعراء العرب، تحقيق علي محمّد البيجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر، 1395هـ/ 1975م، ج 1، ص 28.

[3] في (ق) ولعن الله.

الخاتمة للكتاب[1]

واعلم[2] أنّ من لم يستحكم العربيّة، ولم يمارس أصول الكلام، ولم ينظر في كتب المشايخ وأرباب الطريقة، ولم يتعوّد الفكر في استنباط المعاني الخفيّة، لم يحظ من هذا الكتاب بطائل، لأنّ فيه مواضع، وإنْ طال الكلام فيها، فلا يتفطّنها | |209 إلّا من أوتي قريحة ذكيّة، وبنية[3] صالحة مرضيّة، ويكون مع ذلك متديّنا، صبورا على كدّ النظر وإمعان الفكر، جُلّ مطلبه درك حقائق العلوم، وتحلّي النفس بها دون مغالبة الخصوم، والمباهاة في المحافل، وطلب الصيت في الناس، فإنّ أنفع العلم ما كان لله.

هذا، ولعلّ قائلا يقول لي: إنّك ما راعيت الترتيب في هذا الكتاب، ولم تودعه جميع مسائل الأصول. ولعمري كان كذلك غير أنّي لم أصنّف كتابا حاويا لجميع الأصول[4] [برأسه][5]، ولكنّي سُئلت عن مسائل معدودة فتكلّمت عليها، وبسطت القول فيها خاصّة حتّى انشعب من حواشي الكلام فيهنّ[6] مسائل كثيرة، وإشارات لطيفة، ومستنبطات غريبة، فصار الكتاب بها[7] مجمعا للدقائق، مشرعا للحقائق[8]، مترعا[9] بالنكت اللطاف، مودعا درر الأصداف، على طريقة بديعة، سهلة منيعة.

---

[1] في (ص) "خاتمة الكتاب" ولم يذكره صاحب (س).

[2] في (س) "ثم اعلم".

[3] في (س) و(ص) "ونيته".

[4] في (س) "أصول".

[5] سقط من (س) وورد بهامش (ش).

[6] في (ش) فيه.

[7] سقط من (ص).

[8] ورد بهامش (ص).

[9] سقط من (س).

وحرام على من يقع هذا الكتاب بيده أن يغيّره، أو يبدّله، أو ينسبه إلى غيري، أو ينتحله، فلقد عرض عليّ عدّة كتب كنت تولّيت جمعها في صباي، فصادفتها منحولة إلى سواي، فأنشدت في ذلك قول الفرزدق (شعر)

إذا ما قلت قافية شرودا ... تنحلّها ابن حمراء العجان[1]

ولعمري إنّ تصانيف المرء بمنزلة أولاده، وعلى إسنادهنّ معوّل[2] استناده، إذ كان بها يرجو الترحّم[3] ممّن نظر بعده فيها، [واستفاد معنى من معانيها][4]؛ فمن نسبها إلى غير مصنّفها فقد أغلق باب رحمة الله عليه شرّ إغلاق، لقوله[5] تعالى: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق﴾ (الإسراء؛ 100). وأيضا من نسب كلاما إلى غير منشئه كان كمن نسب ولدا إلى غير أبيه[6]، ومن فعل ذلك كان في لعنة الله مغموسا، ويحشر يوم القيامة على عينيه مطموسا، اعتبارا بحديث أبي هريرة: "لعن الله من انتسب إلى غير أبيه"[7]. ومن غيّر كتابا أو زاد أو نقص منه أبوابا كان كمن قطّع شخصا [سالما] إربا[8].

حكي أنّ الجاحظ صنّف كتابا وبوّبه أبوابا، فحذف منه بعض أهل عصره أشياء [واختصره فبعث إليه][9]، فأحضره وقال له: "[يا هذا إنّ المصنّف كالمصوّر، وإنّي قد صوّرت في تصنيفي صورة

---

[1] أبو عبيدة معمر بن المثنى، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق محمّد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 1418هـ/ 1998م، ج1، 294.

[2] سقط من (ص).

[3] في (ش) إذ كان يرجو بها الترحم.

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق) و (ش).

[5] في (ص) "كقوله".

[6] في (س) "أمه".

[7] أخرج ابن ماجة في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " من انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين ". سنن، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دمشق، دار الرسالة العلميّة، 1430هـ/ 2009م، ج 3، ص 632، حديث: 2609.

[8] في جميع النسخ إرابا.

[9] سقط من (س) و(ق) و (ش).

كانت][1] لها[2] عينان فعورتهما، عور الله عينيه [كذا]، وكانت | |210 لها أذنان فجدعتهما جدع[3] الله أذنيه [كذا]، وكانت لها يدان فقطعتهما قطع الله يديه [كذا]... حتّى عدّ أعضاء الصورة، فخجل الرجل وتاب على يديه، فاعلم[4].

فعلى هذا المعنى رأيت الصواب أن أثبت ههنا[5] فهرست كتب وأجزاء[6] ورسائل كنت ألّفتها منذ صباي في فنون العلوم لتكون إرشادا لطلابهنّ، ودلالة لخطابهنّ، وسجلّا لحفظ أنسابهنّ، [ولي قصائد شعر ما دونتها][7]. فمنها[8] هذا الكتاب المعنون[9] بسراج العقول في منهاج الأصول، ومنها[10] كتاب لطيف في المعرفة موسوم بنور الحقيقة ونَور الحديقة، ومنها كتاب مسالك البحث عن مدارك البعث، ومنها كتاب نقض[11] التعليم وكشف التوهيم، [وجزء أخر موسوم بنقض التعاليم كلاهما بالعجمية][12]، [وعملت باسم الأمير الاسفهسالار السعيد مظفر الدين ألب أرغو بن يرنقش[13] روح الله روحه عدة كتب بالعجمية][1] ومنها يواقيت[2] العلوم ودراري النجوم،

---

[1] ورد ما بين المعقوفتين بهامش (ص)

[2] في (ص) "له".

[3] في (ص) "فجدع".

[4] سقط من (س). وجاء بعد هذا الكلام في (ش) ما يلي: تمّ وحصل الفراغ من كتابته يوم الأربعاء الخامس والعشرون من ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وخمسمائة. ثم جاء بعد هذا الختم كلام آخر قدّم له ب: " قال مؤلف الكتاب دام علوه... " وهذا الاستدراك يأتي في نسخة (ق) بعد سرد المؤلف لعناوين مختلف كتبه وسرد.

[5] سقط من (س) (ق).

[6] في (ص) "الكتب والأجزاء".

[7] في (ق) "ما دونها". وسقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(ص). انظر ما ذكرناه بخصوص مؤلفات القزويني في مقدّمة التحقيق.

[8] سقط من (س)، وتجد مكانها باللون الأحمر "خاتمة".

[9] في (ص) "فمنها في علوم الأصول الكتاب المعنون بسراج العقول"

[10] سقط لفظ "منها" بالكامل من هذا العرض المخصص لعناوين الكتب.

[11] في (ج) "نقيض"، وفي (ص) "تنقيص".

[12] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[13] الأمير مظفّر الدّين أبو الفتح ألب أرغو بن يرنقش بن عبد الله التركي صاحب زنجان، أمير فارس مقدام كان مولعا بحب العلم والعلماء قرّب إليه الفقهاء وعلماء الحديث، وكانت عادته أن يجتمع بهم يوم خميس في كل أسبوع، يعقد لهم مجلسا للعلم والمناظرة والبحث، ثم يقدّم لهم أنواع الأطعمة، ثم يمضى معهم إلى الجامع فيصلّي معهم. وقد ذكره الرافعي في تدوينه في ترجمة صاحب سراج العقول، ج 3، ص 102- 103. انظر، ابن الفُوَطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، 5، ص 263- 264، رقم: 5049.

يحتوي على مسائل[3] من ثلاثين فنا[4] [من فنون العلوم من كل فن اثنى عشر مسألة][5]، ومنها ذخر الخواصّ في فسر[6] سورة الإخلاص، [فيه نكت وعجائب ونتف غرائب][7] [ومنها الموازنة بين نجوم الأرض ونجوم السماء: (في ذكر النبيّ ﷺ والخلفاء)][8]؛ومنها رسالة قوت[9] الروح [لأهل الفتوح، فيها رموز وإشارات عجيبة][10].

[ومن الأدبيات][11]: صوان[12] الأدب في لسان العرب، [أودعت فيه أصول الأسماء والأفعال المتجانسة مترجمة، وأصول الأدوات، والتصريف، والنحو، مجدولا في ثلاث جداول على ترتيب لم أسبق إليه[13]. وقد شاعت نسخة في هذه الناحية، غير أن المعلّمين قد مسخوها[14] بالتصحيف، وأنا أتبرأ منه][15]. ومنها[16] كتاب رفع الخيال عن[17] رؤية الهلال، [عن مسألة وقعت. ومنها جزء أمليتها [كذا] بأردبيل بالفارسية وسمّيته[18]: "بحدر[19] اللثام عن الحرف[1] والكلام." ومنها رسالة

---

[1] انفردت (ج) بما بين المعقوفتين وهو ما أشرنا إليه في المقدمة معتمدين على كتاب الذريعة في تصانيف الشيعة.

[2]في (ص) "مواقيت".

[3] سقط من (ص) وفي (ح) "على ثلاثين فنا.

[4] في (ق) "علما"، وفي (س) "من بلغت علما".

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[6] في (ق) "تفسير".

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[8] لا ذكر لما بين المعقوفتين لا في س) ولا في (ق).

[9] في (ج) "قوة".

[10] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[11] سقط ما بين المعقوفتين من (ج) و(ص).

[12] في (ص) "صواب".

[13] سقط من (ص).

[14] في (ص) "نسخوها".

[15] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[16] زيادة من (ص).

[17] في (ص) "في".

[18] في (ج) "وسم".

[19] في (ص) "

وسمت بالاستبحاث[2] عن الأحوال الثلاث، أعني حال المتكلمين والنحاة[3] والصوفية ومنها جزء فيه][4] شرح تسبيحة الأبدال ومعنى الجمال والجلال[5]، ومنها جزء مقاربة القضيّة عن مقارنة النيّة، [ومنها جزء بالفارسية في إبطال القول بوجوب وجود العالم][6]، والإبانة عن معنى الإمالة[7]، وحلّ العيبة عن حال الغيبة في كلام المشايخ، ومنها جزء في شرح كلمات مشكلة[8] من قوت القلوب، وكتاب الياقوت في تسبيح الملك والملكوت، [ومنها جزء بالفارسية وسميت [كذا] بشهقة المصلي، في شخص كان ينعز في صلاة][9]، ومنها مصفاة الصفات[10] والردّ على النفاة، ومنها شرح بدء النحو[11] من كلام الترمذي، ورسالة[12] الفتوى في قوله: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ (الفتح؛ 26)، [ومنها جزء يشتمل على][13] شرح كلمات شتّى[14] من خطب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه [في التوحيد][15]، ومنها كتاب المناهج في علم المخارج، ومنها المسائل المستدركة

---

[1] في (ح) "الخوف".

[2] في (ص) "الاستيجاب".

[3] في (ص) "النجاة".

[4] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[5] اختل الترتيب هنا بين النسخ فجاء الترتيب في (ح) كالتالي: "ومنها جزء وسم بحلّ العيبة عن حال الغيبة في التصوف، ومنها جزء وسم بالإفادة عن ترجمة الشهادة، ومنها جزء وسم بمقاربة القضيّة عن مقارنة النيّة، ومنها جزء بالفارسية في إبطال القول بوجوب وجود العالم، ومنها جزء في شرح كلمات مشكلة من قوت القلوب ومنها جزء بالفارسية في إبطال أحكام النجوم، ولأما الأدبيات فمنها: لباب الألباب في مراسم الإعراب ومنها غاية التعريف في علم التصريف وهما كتابان مرتّبان كافيان في هذين العلمين فيهما نكت وإشارات غريبة..." إلخ مما يلي عبارة "وأمّا في علم العربيّة" في النص.

[6] لا ذكر لما بين المعقوفتين في (ق)

[7] لا ذكر له في (ص).

[8] في (ص) "وكذلك جزءان من مساءلات".

[9] لا ذكر لما بين المعقوفتين لا في (س) ولا في (ق).

[10] في (ق) "مصفاة الصفاة"، وعند ابن الساعي في الدر الثمين ص 402، "مصافاة الصفاء".

[11] في (ص) "شرح النحو في علم البدو".

[12] في (ص) "ومنها جزء وسم برسالة".

[13] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[14] سقط من (ص).

[15] سقط ما بين المعقوفتين من (ص).

من سؤالات القرآن للغزنوي[1]، [ومنها الرسالة الواوية فيها إشارات معنوية ونكت لغوية][2] ومنها[3] زبدة الأقوال في قوله: ﴿ثمّ آتينا موسى الكتاب تماما﴾ (الأنعام؛ 154) الآية؛ ومنها مقامات شتّى عملتها بساوة على لسان الفقيه المصري، [ومنها الفاكهة في إعراب الفاتحة، وضاعت النسخة][4]؛ والإفادة عن ترجمة الشهادة، وجزء في مقاربة القضيّة عن مقارنة النيّة، وحدر اللثام عن الحرف والكلام، ورسالة الاستيجاب عن الأحوال الثلاث.

وأمّا في علم العربيّة[5] فمنها: لباب الألباب في مراسم الإعراب، ومنها[6] غاية التعريف في علم التصريف، [وهما كتابان مرتّبان كافيان في هذين العلمين فيهما نكت وإشارات غريبة][7]، ومنها[8] جملة الحديث عن التذكير والتأنيث، ومنها الذرّ المنظوم في التعديّة واللزوم، ومنها الأصول والفصول، || 211 والنكت في النحو [مختصر مفيد][9]، واللمحة في النحو على غاية الاختصار، والشمّة في النحو[10]، وقاعدة في النحو[11]، [وجوهرة التصريف على الحروف][12]، والرائقة في التصريف[13] [أوراق لطيفة][14]، ومنها الفائقة في شرحها[15].

---

[1] سقط من (س) و(ق).

[2] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و (ق).

[3] في (ص) "ومنها جزؤية [كذا]".

[4] لا ذكر لما بين المعقوفتين في (س) ولا (ق).

[5] في (ص) "وأما في الأدبيات".

[6] سقط من (س) ق).

[7] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و (ق).

[8] سقط من (س) و(ق).

[9] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[10] لا ذكر له في (ص).

[11] لا ذكر له في (ص)

[12] لا ذكر له في (ص).

[13] ذكر باسم "الرائعة في التصريف" في (ص).

[14] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ق).

[15] اختل الرتيب هنا أيضا فاختلفت نسخة (ج) عن باقي النسخ فجاء عرضها لعناوين المؤلفات المتبقية كالتالي: " ومنها شرح بيتين للمتنبي يعرف أحدهما بتكملة الهلال في روح تردد في مثل الخلال" والثاني نزهة الناظرة ونزهة الخاطرة، ومنها المسائل المستدركة من سؤالات القرآن للغزنوي، [ومنها الرسالة الواوية فيها إشارات معنوية ونكت لغوية، ومنها رسالة وسمت الإيماء إلى لفظ ما، كتبتها

ورسالة[1] في مشاجرة المتعلّم والفقيه والأديب والمتكلّم[2]. ومنها مراسلات وقصائد كتبتها إلى القاضي ظهير الدين البسطامي[3]، ورسالة[4] في نسبة الليالي إلى اللآلئ كتبتها إلى الرئيس عماد الدين بن قائد[5]] بخُوَيّ [6]، ومنها[7] تفسير الفاتحة وقدر عشرين آية[8] من سورة[9] البقرة، أمليتها في جامع[10] قزوين فيها المعاني والمسائل الدقيقة، وقد عاقتني[11] العوائق عن الإتمام[1] [مشتمل

بهمذان، ومنها كتاب المناهج في علم المخارج، ومنها مجرّد قراءة أبي عمرو بن العلاء وهو أول ما جمعته في الصبى، ومنها تفسير الفاتحة وقدر عشرين آية من سورة البقرة، أمليتها بقزوين، فعاقتني العوائق عن إتمامه يشتمل على أبكار المعاني والمسائل الدقيقة وقد سميته غرر التفاسير ودرر التقاصير، ومنها المراسلات في نسبة الليالي إلى اللآلئ كتبتها ببلد خوي إلى رئيسها عماد الدين بن القائد، ومنها مراسلات وقصائد كتبتها إلى القاضي ظهير الدين البسطامي، ومنها جزء وسم برسالة الفتوى في قوله: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ (الفتح؛ 26)، ومنها جزء فيه زبدة الأقوال في قوله عز وجل: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما﴾ (الأنعام؛ 154)، ومنها جزء مشتمل على شرح كلمات من خطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، في التوحيد، ومنها جزء في مشاجرة المتعلّم من الفقيه والأديب والمتكلّم، ومنها مقامات شتّى عملتها بساوة على لسان الفقيه البصري، ومنها الفاكهة في إعراب الفاتحة، وضاعت النسخة، ومنها سلوة الوزراء، ومنها شرح النحو في علم البدء من كلام الترمذي، ومنها مصفاة الصفات والرد على النفاة، وكتاب الياقوت في تسبيح الملك والملكوت، ومنها جزء بالفارسية وسم بشهقة المصلي، في شخص كان ينعر في الصلاة، ومنها لمحة في النحو على غاية الاختصار ومنها زاد الزهاد إلى المعاد وهو كتاب شريف في التصوف بالعجمية ولم يتم بعد ..."

(1) في (ص) "ومنها جزء".

(2) في (ص) "المتعلّم بين الفقيه والمتكلّم"

(3) لم نتمكن من الوقوف على هويته حتى نقف له على ترجمة.

(4) في (ص) "مراسلات".

(5) في (ص) "كتبتها ببلد خوي إلى رئيسها عماد الدين بن قائد". هو أحمد بن القائد، ذكره عماد الدين الأصفهاني الكاتب، في خريدة القصر وجريدة العصر، في عداد رؤساء خوي وأضاف أنه عاش 70 سنة ومات بعد سنة 550هـ/ 1155م. لم يذكره صاحب الخريدة لقبه ولكنه أورد أبياتا لابنه عبد الرحيم ينعته فيها بعماد الدين. خريدة القصر وجريدة العصر ذكر فضلاء الفرس، بتحقيق عدنان محمّد آل طعمة، بغداد، المجمع العراقي، وزارة الإعلام العراقية / ومرآة التراث، 1419هـ/ 1999م، ج 3، ص 119- 120؛ وراويني، سعد الدين، مرزبان نامه، تحقيق محمد روشن، طهران، نشر نو، 1408هـ / 1988م، ص 587.

(6) قال عنها ياقوت: " بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والفواكه، ينسب إليها الثياب الخوئية، وينسب إليها أيضا أبو معاد عبدان الطبيب الخوئي، يروي عن الجاحظ...". ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 408-409.

(7) سقط من (ص).

(8) في (ق) "آيات".

(9) سقط من (ص).

(10) سقط من (ج) و(ص).

(11) في (س) "عاقبني".

على أبكار المعاني والمسائل الدقيقة فقد سميته غرر التفاسير ودرر التقاصير][2]، ومجرّد[3] قراءة أبي[4] عمرو بن العلاء [وهو أول ما جمعته في الصبى][5]، ومنها رسالة وسمت[6] الإيماء إلى لفظ ما، كتبتها[7] بهمذان[8] [إلى الشيخ أبي العلاء الحافظ] [9]، [وبهجة القرّاء في أسرار القراءات[10]، والبرهان على ﴿إنّ هذان...﴾ (طه؛ 63)، وكتاب التلقين في مهمّات الدين مختصر بالعجمية، والاكتفاء في علم الاستيفاء][11]، وشرح [بيتين للمتنبّي روح تردد والآخر ها فانظري أو فظنّي بي[12]]؛ [ومنها مختصر في تنزيه الحقّ وبدء الخلق، فيه مسائل غوامض[13]؛ ومنها كتاب الإفادة

---

[1] في (ص) "فعاقتني العوائق عن إتمامها مشتمل على أبكار المعاني والمسائل الدقيقة".

[2] ما بين المعقوفتين سقط (س) و(ق).

[3] في (ص) "مجرة".

[4] في (س) "ابن".

[5] سقط ما بين المعقوفتين من (س) (ق).

[6] سقط من (س) و(ص).

[7] في (ص) "عملتها".

[8] في (س) "لايذان".

[9] لا ذكر لاسم هذا العالم في (ص)، ويتعلق الأمر بالإمام الحافظ المقرئ العلامة شيخ الإسلام أبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمّد بن سهل بن سلمة بن عثكل بن إسحاق بن حنبل الهمذاني العطار، شيخ همذان في عصره. توفي سنة 569هـ/ 1173م، حصل من القراءات ما إنه صنّف فيها العشرة والمفردات، وصنّف في الوقف والابتداء، وفي التجويد، وكتابا في ماءات القرآن، وفي العدد، وكتابا في معرفة القراء في نحو من عشرين مجلّدا، استحسنت تصانيفه، وكتبت، ونقلت إلى خوارزم وإلى الشام، وبرع عنده جماعة كثيرة في القراء. الذهبي، سير، ج 21، ص 40؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1431هـ/ 2010م، ج 5، ص 136- 137، رقم: 44؛ الدلجي، أحمد بن علي، الفلاكة والمفلوكون، القاهرة، مكتبة الشعب، 1322هـ/ 1904م، ص 99- 100؛ الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 180- 181.

[10] في (ج) "القرآن".

[11] لا ذكر لما بين المعقوفتين في (ص).

[12] سقط من (س). وأما في (ج) و(ص) فقد جاء ذكر هذا الشرح كالتالي: "يعرف أحدهما بتكملة الهلال في مثل الخلال، والثاني نزهة الناظرة ونزهة الخاطرة،

[13] هنا انتهت نسخة (س) وقد ختمها الناسخ بما يلي: "والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين، وقد تم الفراغ من تصنيف هذا الكتاب على يد الشيخ الإمام الأجل العالم الزاهد بهاء الدين حجة الإسلام شرف الأفاضل أبي محمد طاهر بن أحمد بن محمد القزويني رحم الله من أمعن النظر فيه واطلع على حقائق معانيه، ودعا لمنشئه وسهل إلى الخيرات طريقه صباح يوم الجمعة لسبع مضين من شهر الله المحرم الحرام من سنة اثنين وسبعين وخمسمائة".

في تسهيل الولادة، ومنها الرسالة بثّ الشكوى][1]، ومنها جزء بالفارسية[2] في إبطال أحكام النجوم. [وهذه الأبيات ممّا قلته في صباي:

إنْ كان يقدمني نذل بلا خطـــر ... أو كان يجلس فوقي جاهل جلف

فَقَدِّم الألِف المحسوب واحدة ... وَأَخِّر الغين ظلما إذ هي الألـــف

ومنه أيضا:

الحرص خالطني لمّا رزقت غنا ... وقد زهدت وما لي خرقة دفيئة

كالطاء إذ تسعة كانت مجـــردة ... فأصبحت بونيم البق تسعمائة][3]

[ومنها زاد الزّهّاد إلى المعاد وهو كتاب شريف في التصوف بالعجمية ولم يتم بعد وقد لخصت كثيرا من الكتب ولكني تركت ذكر أساميها في فنون العلوم والفضل للمتقدم فيها][4].

---

(1) ما بين المعقوفتين ليس في (ص).

(2) في (ق) "ومنها الرسالة في نقض أحكام النجوم"

(3) لا ذكر لما بين المعقوفتين في (ص).

(4) لا ذكر لما بين المعقوفتين في (ق). وهنا تنتهي (ج) و(ص) وكتب ناسخ (ج) ما يلي: "تم الكتاب بعون الله تعالى وحسن تيسيره وآخر دعواي إن الحمد لله رب العالمين؛ وقد فرغ منه كاتبه وصاحبه العبد الفقير الراجي عفو الله وغفرانه أحمد بن إبراهيم بن محمد بن الحسن الساوي أحسن الله عاقبته ببلد أبهر في الخانكاه [كذا] المنسوب إلى شير كبير رحمه الله في شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة (570هـ)"

"نجز الكتاب وآخر دعواي إن الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين في صبيحة يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة ست وسبعين وخمسمائة وكتبه أضعف خلق الله وأحوجهم إلى مغفرته عبد الرزاق بن عبد الغفار بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي مصليا ومسلما ومستغفرا".

قال مؤلّف الكتاب[1]

رحمه الله[2]

اعلم أنّي نقلت في باب الأرواح في[3] هذا الكتاب قول بعضهم أنّ الروح لم تخرج من "كن"، لأنّها لو خرجت من "كن" كان عليه الذلّ، فلم يعجبني هذا القول فنسبته إلى الشطح والطامّات الفارغة[4]. ثمّ وجدت[5] ذلك بعينه في تفسير عبد الرحمن السلمي المسمّى بالحقائق[6]. وقد نسبه إلى الشيخ أبي بكر الواسطيّ، وكان من المشايخ الكبار الذي لا يتجازف، وذكر أنّه قيل للواسطي: "فمن أين خرجت؟" قال: "من بين جماله وقدسه، جَمَّله بملاحظة الإشارة، فردّاه رداء الجمال[7]، وقدّسه عن لوث الكدورات، فأحبّه كما قال في الحديث "إن الله جميل يحبّ | |212 الجمال"[8]. ولهذا [المعنى] قال: ﴿كتب ربّكم على نفسه الرحمة﴾ (الأنعام؛ 54)؛ قالوا معناه، أعتقهم من ذلّ الكون إذ أظهرهم من خبايا محبوباته المصونات المكنونات، فكانوا أعجب العجاب، وأشهدهم

---

[1] هذا الملحق لا ذكر له في باقي النسخ، ولم تحتفظ لنا بنصه الكامل إلا (ق) بينا سقط مقدار سطر من (ش).

[2] في (ش) دام علوّه.

[3] في (ق) "من".

[4] قال القزويني في الباب المذكور: "وأمّا الشطّاحون فقد رويت منهم أقوال منكرة، فقال بعضهم: الروح لم يخرج من كن لأنّها لو خرجت منه لكان عليه الذل. قيل له فمن أين خرجت؟ قال من بين جماله وقدسه. وهذا من الطامّات الفارغة".

[5] في (ق) ووجدت.

[6] يقصد بهذا تفسير السلمي وهو حقائق التفسير المذكور سابقا.

[7] في تفسير السلمي المطبوع لم ينسب هذا الكلام للواسطي وإنّما جاء بهذه الصيغة: " وقيل: الروح لم تخرج من الكون لأنّها لو خرجت من الكون لكان عليها الذلّ، فقيل: من أي شيء خرجت؟ قال: من بين جماله، وقدس جلاله، بملاحظة الإشارة غشاها بجماله، وردها بحسنه واشتملها بسلامه، وحياها بكلامه، فهي معتقة من ذل الكون." ج 1، ص 396. وقد قابلنا النص المطبوع بمخطوط الحقائق للقيام ببعض التصويبات (مخطوط مكتبة فاتح، رقم: 262، ورقة 122ظ).

[8] مسلم، صحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ...، حديث: 147؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج 5، ص 163، حديث: 6201.

بالسلام فقال: ﴿سلام عليكم، كتب ربّكم على نفسه الرحمة﴾ (الأنعام؛ 54)، فاستحقّوا اسم السلام.

وقال الجنيد: "خلق الله جميع الأشياء بذلّ الافتقار، فقال لها كوني فكانت مستصغرة، وأظهر [الروح بعزّ الافتخار فقال: ﴿ثمّ أنشأناه...﴾ (المؤمنون؛ 14)، وأثنى بذلك][1] على نفسه فقال: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون؛ 14)، وأسجد الملائكة عند نفخ الروح فيه فقال: ﴿ونفخت[2] فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر؛ 29). قال: "ولولا أنّه سترها لسجد لها كلّ كافر، بل كلّ شيء من الخليقة"[3].

هذا كلام المشايخ في هذه المسألة. فتأمّلت أنا فيه فوجدته صحيحا، وذلك لأنّ الجمال عبارة عن استكمال جملة صفات الله تعالى التي تستحسنها البصيرة الباطنة من كمال الربوبيّة وتستلذّها كما تستحسن العين ويستلذّ البصر الظاهر بالصورة الجميلة، والقدس عبارة عن التنزيه المطلق عن كلّ صفة يدركها الحسّ ويصوّرها الخيال، وهاتان الصفتان كانتا لله واجبتين أزلا وأبدا، وليستا تنافيان العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، بل جميع صفاته تتضمّنها لأنّها بجملتها جميلة على الإجمال، مقدّسة عن نقائص الحدثان. غير أنّ الكلام أخصّ والأمر من الكلام كما[4] قال: ﴿إنّما أمره إذا أراد شيئا أنْ يقول له كن، فيكون﴾ (يس؛ 83) فأخبر أنّ التكوين متأخّر عن الأمر فكان أخصّ من الإرادة؛ والروح هو من أمره كما قال: ﴿قل الروح من أمر ربّي﴾ (الإسراء؛ 85)، فيكون ذلك قبل تكوين الخلق. فلهذا قالوا الروح لم تخرج من ذلّ كن، والألفاظ هـهنا ثلاثة: خلق، وأمر، وتكوين. فالخلق في اللغة التقدير العلميّ في الأزل، فكان أعمّ؛ والأمر من الكلام فكان أخصّ من العلم، والروح من أمره، واختصاصُه هو خروجه من بين جماله وقدسه اللذيْن هما عبارتان عن الصِّفتين الحاويتين لجملة[5] صفات الربوبيّة، ولذلك أضافه إلى نفسه فقال: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾

[1] لا سبيل لقراءة ما بين المعقوفتين في (س) لرداءة صورة النسخة.
[2] في النسختين فنفخت.
[3] عزا السلمي بعض هذا الأثر للحسن ولعله الحسن بن منصور الحلاج، حقائق التفسير، ج 2، ص 378
[4] زيادة من (ق).
[5] في (ش) بجملة.

(الحجر؛ 29). والتكوين[1] رتبته متأخّرة عن الخلق لأنّ الخلق تقديره في العلم والإرادة على ما سبق ذكره. ولهذا قال: "خلق الله[2] الأرواح قبل الأجساد[3] بكذا عام". والخواطر عن تصوير تلك الأعوام في عماية، ولم يقل: "كوّن الله." وكان بينها التعارف والتناكر حينئذ ولات حين، ولكنّه يخبر عن تقدير الله ومشيئته لها[4] في الأزل.

فقول أبي بكر الواسطيّ رحمه الله: "الروح لم يدخل تحت ذلّ كن." أي في التقدير قبل التكوين، وإنّما ظهر بين جماله وقدسه. والتكوين يكون بعد ||213 التقدير، قال الله تعالى[5]: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثمّ قال له كن، فيكون﴾ (آل عمران؛ 59)، أي خلق جسده من التراب، ثمّ أبرز روحه من الغيب عند تهيُّؤِ الجسد لقبولها، فعند ذلك تعلّقت به الروح وصار حيّا، وانقلب التراب لحما ودما [6] وعظاما بتقديره وتدبيره والله أعلم. وهذا معنى قوله: ﴿ثمّ قال له كن، فيكون﴾.

رحم الله امرأ أمعن نظره في هذا الكلام، وأنصف من نفسه إذ هو العلم القليل الذي أعطاه الخلق بقوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾ (الإسراء؛ 85). وصلّى الله على محمّد وآله وصحبه وسلّم كثيرا إلى يوم الدين.

وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الجمعة خامس عشر، شهر جمادى الأولى، سنة ثمانمائة، بالقدس الشريف، والحمد لله ربّ العلمين ||214.

---

[1] زيادة من (ش) بالرغم من أنها مستدركة في الهامش.

[2] زيادة من (ق).

[3] في (ق) الأجسام قبل الأرواح.

[4] في (ش) ومشيئته في الأزل لها.

[5] في (ش) وقوله تعالى.

[6] هنا تنتهي نسخة (ش).

فهرست المصادر والمراجع

الآجري، أبو بكر محمّد بن الحسين، كتاب الشريعة، تحقيق عبد الله بن عمر الدميجي، الرياض، دار الوطن، 1418هـ/ 1997م.

ابن أبي الحديد، عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد إبراهيم، بغداد، دار الكتاب العربي، 1428هـ/2007.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد القرشيّ، كتاب الزهد، دمشق، دار ابن كثير، 1420هـ/ 1999م.

نفسه، صفة الجنّة وما أعدّه الله لأهل النعيم، تحقيق عبد الرحيم أحمد العساسلة، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1417هـ/ 1997م.

نفسه، محاسبة النفس، تحقيق المستعصم بالله ومصطفى بن عليّ، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1406هـ/ 1986م.

نفسه، كتاب المنامات، تحقيق مجدي السيّد إبراهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، 1409هـ/ 1988م.

ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني، الآحاد والمثاني، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، الرياض، دار الراية، 1411هـ/ 1991م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، 1383هـ/ 1963م.

نفسه، تتمة كتاب جامع الأصول، تحقيق بشير محمّد عيون، بيروت دار الفكر، 1411هـ/ 1991م.

ابن الأعرابي، أحمد بن بشر، معجم ابن الأعرابي، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، جدة، دار ابن الجوزي، 1418هـ/ 1997م.

ابن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق رضا بن نعسان معطي وآخرين، الرياض، دار الراية، 1415هـ/ 1994م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمّد معوّض وآخرون، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1417هـ/ 1996م.

نفسه، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1417هـ/ 1997م.

ابن تغري بردي الأتابكي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي اليشبقاوي الظاهري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، وزارة الثقافة، 1383هـ/ 1963م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمّد بن محمّد، غاية النهاية في طبقات القرّاء، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1427هـ/ 2006م.

ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصليّ، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، 1413هـ/ 1993م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ القرشيّ التيميّ البكريّ. زاد المسير في علم التفسير، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت، المكتب الإسلاميّ، الطبعة الثالثة، 1404هـ/ 1984م.

نفسه، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1412هـ/ 1992م،

ابن حبّان، أبو حاتم محمّد بن حبّان التميميّ البستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبار الفارسيّ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1408هـ/ 1988م.

نفسه، كتاب الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1393هـ/ 1973م.

نفسه، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1995م،

ابن حبيب البغدادي، محمّد بن حبيب بن أميّة بن عمرو الهاشمي، المنمّق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، بيروت، عالم الكتب، 1405هـ/ 1985م.

ابن حجر، العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ، لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبي غدّة، بيروت، مكتبة المطبوعات الإسلاميّة، 1423هـ/ 2002م،

نفسه، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1415هـ/ 1995م.

نفسه، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدين الخطيب، القاهرة، دار الريّان، 1407هـ/ 1986م.

ابن حجر الهيثمي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمّد، الدرّ المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، تحقيق بو جمعة عبد القادر ومحمّد شادي مصطفى عربش، جدة، دار المناهج، 1426هـ/ 2005م.

ابن حميد، أبو محمّد عبد الحميد، المنتخب من مسند بن حميد، تحقيق مصطفى العدويّ، الرياض، دار بلنسيّة، 1423هـ/ 2002م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني الذهليّ، المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م.

ابن خلدون، وليّ الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الفكر، 1421هـ/ 2001م.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1398هـ/ 1978م.

ابن خميس، الحسين بن نصر، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار في طبقات الصوفية، تحقيق محمد أديب الحادر، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، 1427هـ/ 2006م.

ابن الروميّ، أبو الحسن عليّ بن العباس، ديوان، تحقيق حسين نصّار، القاهرة، دار الكتب القوميّة، الطبعة الثالثة، 1424هـ/ 2003م.

ابن ريان، شرف الدين حسين بن ريان الحلبي (شعره ومقاماته)، جمع وتحقيق محمد بنات وحسن عبد الهادي، بيروت دار الكتب العلمية، 1439هـ/ 2018م.

ابن الساعي، أبو طالب تاج الدين عليّ بن أنجب، الدرّ الثمين في أسماء المصنّفين، تحقيق أحمد شوقي بنبين ومحمّد سعيد حنشي، تونس، دار الغرب الإسلامي، 1430هـ/ 2009م.

ابن السراج القاري، جعفر بن أحمد بن الحسين البغدادي، مصارع العشاق، بيروت، دار صادر، د. ت.،

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1421هـ/ 2001م.

ابن السكّيت، يعقوب بن إسحاق، كتاب الألفاظ، نشره الأب لويس شيخو تحت عنوان كنز الحفّاظ في تهذيب الألفاظ، بيروت، المطبعة الكاتوليكيّة،1313هـ/ 1895م.

نفسه، إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمّد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، 1369هـ/1949م.

ابن سيده، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل المرسيّ، المخصّص في اللغة، طبعة بيروت المصوّرة عن طبعة بولاق، بتصحيح الشيخ محمّد محمود الشنقيطي، 1317-1321 هـ/ 1899-1903م.

ابن سينا، أبو عليّ الحسين بن عبد الله، كتاب المبدأ والمعاد، تحقيق عبد الله نوراني، طهران، 1363هـ/ 1944م.

ابن الشجريّ، هبة الله بن عليّ، مختارات شعراء العرب، تحقيق علي محمّد البجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر، 1395هـ/ 1975م.

ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، النجف، المطبعة الحي درية، 1376 هـ/ 1956م.

ابن الصلاح، تقي الدين أبو عمرو عثمان الشهرزوري، طبقات الفقهاء الشافعيّة، تهذيب الإمام النووي، تبييض الإمام المزّي، تحقيق محيي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1413هـ/ 1992م.

ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبيّ، كتاب الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، وعلماء الأقطار، فيما تضمّنه الموطّأ من معاني الرأي والآثار، وشرح ذلك كلّه بالإيجاز والاختصار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دمشق/بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر، 1414هـ/ 1993م.

نفسه، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق عليّ محمّد البجاوي، بيروت، دار الجيل، 1412هـ/ 1992م

نفسه، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمّد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلميّة، د. ت.

نفسه، التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلويّ وآخرون، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، 1387-1412هـ/ 1967-1992م.

نفسه، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، الدمّام، دار ابن الجوزي، 1414هـ/ 1994م.

ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن، تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، 1415هـ/ 1995م.

ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر ومحمّد الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، 1414هـ/ 1993م.

ابن عمر الصوفيّ وابنته أرجوزة بنت الصوفيّ، كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين، تحقيق الأمير إلغ بيك كوركان، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1401هـ/ 1981م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، المجمل في اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسّسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1986م.

ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني، الحدود في الأصول الحدود والمواضعات، تحقيق محمد السليماني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م.

ابن الفُوَطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، (إيران)، 1416هـ/ 1986م.

نفسه، مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تحقيق دانيال جيماريه، بيروت، دار المشرق، 1407هـ/ 1987.

ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله الدينوريّ، أدب الكاتب، تحقيق أحمد محمّد شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1385هـ/ 1966م.

نفسه، تأويل مشكل الحديث، تحقيق محمّد محيي الدين الأصفر، بيروت، المكتب الإسلامي، 1419هـ/ 1999م.

نفسه، تعبير الرؤيا، القاهرة، دار المدائن، 1425هـ/ 2005م.

نفسه، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمّد شاكر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1386هـ/ 1967م.

نفسه، عيون الأخبار، تحقيق يوسف عليّ الطويل، بيروت، دار الكتب العلميّة، د.ت.

نفسه، كتاب المعارف، تحقيق ثروة عكاشة، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة،1400هـ/ 1981م.

ابن اللبّانة، أبو بكر محمّد بن عيسى بن محمّد اللخمي الداني، ديوان، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، بغداد، دار الحريّة، 1397هـ/ 1977م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دمشق، دار الرسالة العلميّة، 1430هـ/ 2009م.

ابن المبارك، عبد الله بن المبارك المروزيّ، كتاب الزهد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1425هـ/ 2004م.
ابن مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349هـ/ 1930م.
ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد فلتزر، فيسبادن، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1380هـ/ 1961م.
ابن المعتز، أبو العبّاس عبد الله بن المُعتَزّ بن المُتوكِّل بن المعتصِم بن هارون الرشيد، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، القاهرة، دار المعارف، 1396هـ/ 1976م.
ابن الملقّن، عمر بن عليّ بن أحمد الأنصاريّ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيط عبد الحيّ - محمّد عبد الله بن سليمان - ياسر بن كمال، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، 1425هـ/ 2006م
ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرّم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د-ت.
ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق أيمن فؤاد سيّد، مؤسّسة الفرقان، لندن، 1429هـ/ 2009م.
ابن نقطة البغدادي، تكملة الإكمال، تحقيق عبد القيّوم عبد ربّ النبيّ، مكّة، جامعة أم القرى، 1410هـ/1990م.
ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبويّة، تحقيق مصطفى السقّا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة. الطبعة الثانية، 1375هـ/1955 م.
ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفَّر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ 1996م.
أبو الحسن التهامي، ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن الربيع، الرياض، مكتبة المعرف، 1402هـ/ 1982م.

أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1380هـ/ 1960م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق محمّد عبد العزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1416هـ/1996م.

أبو الشيخ الأصبهاني، كتاب العظمة، تحقيق رضاء الله المباركفوري، الرياض، دار العصمة، 1408هـ/ 1988م.

أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويّين، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، د.ت.

أبو عبيد القاسم ابن سلام، الغريب المصنّف، تحقيق المختار لعبيدي، بيت الحكمة، قرطاج، 1409-1412هـ/ 1989-1993م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنّى، مجاز القرآن، تحقيق فؤاد سيزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1408هـ/ 1988م.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة، مكتبة الخانجي،1416هـ/ 1996م.

نفسه، دلائل النبوة، تحقيق محمّد رواس قلعه جي، بيروت، دار النفائس، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1986م.

نفسه، صفة الجنّة، تحقيق علي رضا بن عبد الله، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية، 1415هـ/ 1995م.

نفسه، معرفة الصحابة، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن للنشر، 1419هـ/ 1998م.

أبو نواس، الحسن بن هانئ، ديوان، بيروت، دار صادر، د.ت.

أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون، 1406هـ/ 1986م.

الإتليدي، محمّد أو محمود دياب، إعلام الناس بما وقع للبرامكة، بيروت، دار صادر، 1410هـ/ 1990م.

الأرّجاني، أبو بكر أحمد بن محمّد، ديوان، طبع تحت إشراف قدري مايو، بيروت، دار الجيل، 1418هـ/ 1998م.

أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1380هـ/ 1960م.

نفسه، كتاب الديار والمنازل، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت، مطبعة سعاد الصباح، الطبعة الثانية، 1412هـ/ 1992م.

الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/ 1987م.

الأشعري، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تحقيق هلموت ريتر، فيسبادن، الطبعة الثالثة، 1400هـ/1980م.

الأصفهاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد، كتاب الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرون، بيروت، دار صادر، 2002/1423.

الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، الطبعة الرابعة، 1430هـ/2009م.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، الأصمعيّات، تحقيق أحمد محمّد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، 1375هـ/1955م.

نفسه، كتاب خلق الإنسان، نشره أوغست هفنر (في الكنز اللغوي)، بيروت، 1341هـ/1923م.

نفسه، كتاب الخيل، تحقيق نور حمّدي القيسي، مجلة كلّية الآداب، بغداد، 1389هـ/1969م.

أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الثالثة، 1404هـ/1983م.

الأفوه الأودي، ديوان، شرح محمّد التونجي، بيروت، دار صادر، 1419هـ/1998م.

امرئ القيس، بن حجر بن الحارث، ديوان، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1410هـ/ 1990م.

أمية بن أبي الصلت، ديوان، تحقيق سجيع جميل الجبيلي، بيروت، دار صادر، 1419هـ/1998م.

الأنباري، أبو البركات، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرّائي، مكتبة المنار، الزرقاء، (الأردن)، 1406هـ/1985م.

الأنصاري، أبو إسماعيل عبد الله الأنصاريّ الهرويّ، منازل السائرين، القاهرة، طبعة مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الثانية، 1386هـ/1966م. و بيروت، دار الكتب العلميّة، 1408هـ /1988م.

البارودي، محمود سامي، مختارات البارودي، تحقيق السيد إبراهيم محمّد وآخرون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1413هـ/1992م.

البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد التنوخيّ الطائيّ، ديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار المعارف.

البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل، التاريخ الصغير، تحقيق محمّد إبراهيم زيد، بيروت، مكتبة المعرف، 1406هـ/1986م.

نفسه، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دمشق/بيروت، دار ابن كثير، 1397هـ/1976م.

بدوي، عبد الرحمن، مؤلفات الغزالي، الكويت، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، 1398هـ/1977م.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكيّ، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 1409هـ/ 1988م.

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ت عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.
نفسه، كتاب أصول الدين، إسطنبول، دار الفنون التوركية [كذا]، 1346هـ/ 1928م.
البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إستانبول، 1367هـ/ 1947م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
نفسه، هديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، إستانبول، وكالة المعرفة، ج 1: 1371 هـ/ 1951م- ج 2: 1376هـ/1955م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، 1418هـ/ 1997م.
البغوي، الحسين بن الفرّاء، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1403هـ /1983.
البكري، محمد بن أبي الحسن، ترجمان الأسرار، تحقيق مصطفى عبد الغفار مغازي ز آدم عبد الحميد صبرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1442هـ/ 2021م
البيضاوي، القاضي ناصر الدين، طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، تحقيق عباس سليمان، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 1411هـ/ 1991م.
البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، إثبات عذاب القبر، تحقيق شرف محمود القضاة، عمان، دار الفرقان، 1403هـ/ 1983م.
نفسه، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تحقيق أحمد عصام الكاتب، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1401هـ/ 1981م.
نفسه، الأسماء والصفات، تحقيق محمّد زاهد الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، دون تاريخ.
نفسه، حياة الأنبياء، تحقيق فريد عبد العزيز، دار الحديث، القاهرة، 1407هـ/1987م.

نفسه، كتاب الدعوات الكبير، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الكويت، شركة غرس للطباعة والنشر، 1429هـ/2009م.

نفسه، دلائل النبوة، بيروت. القاهرة، دار الكتب العلمية/ دار الريان، 1408هـ/ 1988م.

نفسه، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق محمّد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1421هـ/2000م.

التبريزي، أبو خليل أحمد بن محمد بن عبد الملك الأشعري، سراج القلوب، مخطوط محفوظ بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية-جامعه طوكيو، مجموعة دبير، مخطوط lMs.67 [2136].

الترمذي، محمّد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمّد شاكر ومحمّد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي،1397هـ/1977م.

الترمذي، محمّد بن عبد الله، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، تحقيق إسماعيل إبراهيم متولي عوض، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، 1429هـ/2008م

نفسه، غور الأمور، تحقيق أحمد عبد الحليم السايح وآخرون، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ/2002م.

التفتازاني، شرح المقاصد، تحقيق عبد الرحمن عميرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م.

التهامي أبو الحسن علي، ديوان، تحقيق محمّد بن عبد الرحمن الربيع، الرياض، مكتبة المعارف، 1402هـ/1982م.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيديّ البغداديّ، الإشارات الإلهية، تحقيق وداد القاضي، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الثانية 1402هـ/ 1982م، ص

ثعلب، أبو العباس، الفصيح، نشره عبد المنعم خفاجي مع شروحه بالقاهرة، المطبعة النموذجية،1369هـ/1949م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، تتمة يتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمّد قميحة، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1403هـ/، 1983م.

نفسه، يتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمّد قميحة، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1403هـ/1983م.

نفسه، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمّد الحلو، الرياض، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، 1403هـ/ 1983م.
الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، البيان والتبيين، تحقيق محمّد عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، 1418هـ/ 1998م.
نفسه، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1384هـ/ 1965م.
الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، الرسالة الشافية، نشرت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، د-ت.
نفسه، شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، بغداد، 1403هـ/ 1982م.
الجرجاني، عبد الله بن عديّ، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1418هـ/ 1997م.
الجمحيّ، محمّد بن سلّام، طبقات الشعراء، تحقيق جوزيف هِل، ليدن، بريل، 1335هـ/ 1916م، بيروت، دار النهضة العربية.
جميل بك مصطفى، عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر، بيروت، المطبعة الأهلية، 1325هـ/ 1908م
حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستانبول، 1360هـ/ 1941م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1401هـ/ 1980م.
نفسه، سُلّم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق، محمود عبد القادر الأرناؤوط، أكمل الدين إحسان أوغلي، إستانبول، مكتبة إرسيكا، 1431هـ/ 2010م.
الحاكم، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله، المستدرك على الصحاح، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1422هـ/ 2002م.
الحاكم الكبير، أبو أحمد محمد بن محمد بن أَحمد بن إِسحاق النيسابوري الكرابيسي، الأسماء والكنى، القاهرة، دار الفاروق، 1436هـ/ 2015م.

حسّان بن ثابت، ديوان، تحقيق عبد أ علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية، 1414هـ/ 1994م.
الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق حلمي محمّد فودة، بيروت، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.
الخازن، علاء الدين محمّد، لباب التأويل في معاني التنزيل المسمّى تفسير الخازن، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1425هـ/ 2004م.
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1422هـ/ 2001م.
نفسه، الكفاية في علم الرواية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1357هـ/ 1937م.
الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمّد عبده عزّام، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، دون تاريخ.
نفسه، الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحسني حسن عبد الله، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1415هـ/ 1994م.
خيري بك، أحمد، إزالة الشبهات عن قول الأستاذ: كنا حروفا عاليات، مخطوط مكتبة أحمد خيري، رقم 50.
الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، المؤتلف والمختلف، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/ 1986م.
دفتر كتبخانة آيا صوفيا، إستانبول، در سعادت، 1304هـ/ 1886م.
الدلجي، أحمد بن علي، الفلاكة والمفلوكون، القاهرة، مكتبة الشعب، 1322هـ/ 1904م.
الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمّد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر، 1426هـ/ 2005م.

الدينوري، أبو بكر المالكي، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن، أم الحصم (البحرين)، دار ابن حزم، 1419هـ/ 1998م.

ديوان أبي النجم العجلي، جمع وشرح وتحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1427هـ/ 2006م.

ديوان البُرَعي، عبد الرحيم بن أحمد بن علي، نشر بعناية إبراهيم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1391هـ/ 1971م.

ديوان جِران العَوْد النميري، رواية أبي سعيد السكري، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1420هـ/ 2000م.

ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعة يحيى بن مدرك الطائي ورواية هشام بن محمد الكلبي، تحقيق عادل سليمان جمال، القاهرة، مطبعة المدني، 1401هـ/ 1380م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1401هـ/ 1981م.

نفسه، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمّد البجاوي، بيروت، دار المعرفة، 1382هـ /1963م.

الرازي، ابن شاهاور، منارات السائرين ومقامات الطائرين، تحقيق سعيد عبد الفتاح، الكويت، دار سعاد الصباح، 1414هـ/ 1993م.

الرافعي، عبد الكريم، التدوين في أخبار قزوين، تحقيق عزيز الله العطاردي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1408هـ/ 1987م.

نفسه، مخطوط لنفس الكتاب بعنوان التدوين في تاريخ قزوين، نسخة محفوظة بمكتبة بغداتلي وهبي، رقم: 1058، (وهي نسخة ناقصة).

الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد الله بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار التراث، د. ت.

الزرقاني، حمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك وبهامشه صحيح سنن المصطفى ﷺ جمع الإمام أبي داود، القاهرة، المطبعة الخيرية، 1310هـ/ 1893م.
الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الخامس عشرة، 1421هـ/ 2002م.
الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق الأمير مهنّا، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ، 1412هـ/ 1992م.
الزوزنيّ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، المصادر، تحقيق تقي بينش، مشهد، جاب طوس، 1381هـ/ 1961م.
السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعيّة الكبرى، تحقيق محمّد محمود الطناحي وعبد الفتاح محمّد الحلو، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي 1383هـ/ 1964م.
السفيري، شمس الدين، المجالس الوعظيّة في شرح أحاديث خير البريّة من صحيح الإمام البخاري، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1425هـ/ 2004م.
السِّلفي، أبو طاهر أحمد بن محمّد بن أحمد، الطيوريّات، تحقيق دسمان يحيى معالي وعبّاس صخر الحسن، الرياض، أضواء السلف، 1425هـ/ 2004م.
نفسه، الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، تحقيق محمد خير البقاعي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/ 1991م.
السلمي، أبو عبد الرحمن، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، تحقيق سيّد عمران، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1421هـ/ 2001م.
نفسه، طبقات الصوفيّة، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1418هـ/ 1997م.
السمعاني، عبد الكريم بن محمد، كتاب الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، 1408هـ/ 1988م.
السهمي، حمزة، تاريخ جرجان، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، 1407هـ/ 1987م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، 1384هـ/ 1964م.
نفسه، الحاوي للفتاوي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1402هـ/ 1982م، (طبعة مصوّرة عن طبعة قديمة بتاريخ 1352هـ/ 1934م).
نفسه، طبقات المفسّرين، تحقيق عليّ محمّد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1396هـ /1976م.
نفسه، طبقات الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1402هـ/ 1982م.
نفسه، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت، مؤسّسة الكتب الثقافية، 1422هـ/ 2002م.
شرح ديوان الهذليين، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج ومحمود محمّد شاكر، القاهرة، مطبعة دار العروبة، 1384هـ/ 1965م.
الشريشي، أبو العباس أحمد، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1413هـ/ 1992م.
الشعراني، أبو المواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الأنصاري، لطائف المنن والأخلاق بوجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، تحقيق أحمد عزّو عناية، دمشق، دار التقوى، 1425هـ/ 2004م.
نفسه، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.
الشهرستاني، أبو الفتح محمّد، نهاية الإقدام، تحقيق ألفريد جيوم، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1430هـ/ 2009م.
نفسه، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمّد الوكيل، القاهرة، مؤسسة البابي الحلبي وشركاه [كذا]،1387هـ/ 1968م.
صَرَّدُرَّ، أبو الفصل علي بن الحسن بن علي الكاتب البغدادي، ديوان صَرَّدُرَّ، تحقيق محمد سيد علي عبد العال، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1429هـ/ 2008م،

الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/ 2000م.

الصيادي أبو الهدى، سمير الغرباء ونديم الأدباء، تحقيق عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط، حماة، 1410هـ/ 1990م.

نفسه، ديوان الدر المنتظم مختصر براهين الحكم، استانبول، 1322هـ/ 1904م.

الطباخ، راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، حلب، دار القلم الغربي، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1988م.

الطبراني، سليمان بن أحمد، الأوائل، محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م.

نفسه، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد، القاهرة، مكتبة ابن تيميّة،1397هـ/ 1977م.

الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل أبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، د. ت.

نفسه، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، 1422هـ/ 2001م.

الطبري، أبو معشر، التلخيص في القراءات العشر، تحقيق محمّد حسن عقيل موسى، جدة، 1390هـ/ 1970م.

عبد الرزاق، أبو بكر بن همّام الصنعانيّ، المصنّف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، جوهانسبرغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1403هـ/ 1983م.

عبد الله بن رواحة، ديوان، تحقيق وليد قصّاب، بيروت، دار العلوم، 1401هـ/ 1981م.

العجلوني، إسماعيل، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق أحمد القلاش، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1405هـ/ 1985م.

العسكري، أبو بكر أحمد، التصحيف والتحريف، تحقيق عبد العزيز أحمد، القاهرة، البابي الحلبي، 1383هـ/ 1963م.

عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ديوان، تحقيق مطاع الطرابيشي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، 1405هـ/ 1985م.

العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1431هـ/ 2010م.

العيني، بدر الدين، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تحقيق ياسر بن إبراهيم أبو تميم، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، 1429هـ/ 2008م.

الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، جدة، دار المنهاج، 1432هـ/2011م

نفسه، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السابعة، 1407هـ/ 1987م.

نفسه، فتاوى الإمام الغزالي، تحقيق مصطفى محمود أبو صوى، كوالالمبور، المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلاميّة،1416هـ/ 1996م.

نفسه، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق محمود بيجو، دمشق، مطبعة الصباح، 1420هـ/ 1999م.

نفسه، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمّد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1413هـ/ 1993م.

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م

غلام ثعلب، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، تحقيق محمّد بن يعقوب التركستاني، المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم، 1423هـ/ 2002م.

الغماري، أحمد بن الصدّيق، فتح الملك العليّ بصحّة حديث باب مدينة العلم عليّ، تحقيق عماد عبد الكريم سرور، القاهرة، المطبعة الإسلاميّة، 1428هـ/ 2007م.

نفسه، المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، بيروت، دار الرائد العربي، 1402هـ/ 1982م.

الغماري، عبد الله، إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، بيروت، عالم الكتب، 1427هـ/ 2006م.
الفركاوي، محمود بن حسن بن محمّد القادري، شرح منازل السائرين للفركاوي، تحقيق دي لوجييه دي بوركاي الدومنكي، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة بالقاهرة، 1373هـ/ 1953م.
القاسمي، محمد جمال الدين، دلائل التوحيد، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1405هـ/ 1984م.
القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم البغدادي، الأمالي، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1395- 1396هـ/ 1975- 1976م.
قره بلوط، علي رضا وقر بلوط، أحمد طوران، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، قيصري، دار العقبة، د. ت.
القرطبي، محمّد بن أحمد الأنصاري، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987م.
نفسه، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصريّة، الطبعة الثانية، 1353هـ/ 1935م.
القسطلاني، أحمد بن محمّد، المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة، تحقيق صالح أحمد الشامي، بيروت، المكتب الإسلامي، 1425هـ/ 2004م.
القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1427هـ/ 2007م.
نفسه، الرسالة القشيريّة، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، مطابع مؤسّسة دار الشعب، 1409هـ/ 1989م.
القشيري، أبو نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة 514/ 1120م، المجموع في التفسير والتأويل، نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة أحمد الثالث، تحت رقم 93.

القضاعي، محمّد بن سلامة، مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1405هـ/ 2005م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1426هـ/ 2005م.

نفسه، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، 1406هـ/ 1986م.

الكاشاني، حبيب الله الشريف، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث، تحقيق نزار الحسن، قم، دار جلال الدين، 1424هـ/ 2003م.

كحالة، عمر، معجم المؤلّفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت، مكتبة المثنّى، 1376هـ/ 1957م.

نفسه، المنتخب من مخطوطات المدينة المنوّرة، مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، عدد 48/، 1392هـ /1973م. ج1، ص 65-98 وج2، ص 323-358، وج3، ص 596-611، وج4، ص 893-908؛ عدد 49، 1393هـ/ 1974م، ج1، ص 58-73، ج2، ص 377-401.

الكلاباذي، أبو بكر محمّد، التعرّف لمذهب أهل التصوّف، تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1413هـ /1993م.

نفسه، معاني الأخبار، تحقيق محمّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1420هـ/ 1999م.

الكميت، أبو المستهلّ، هاشميّات الكميت، تحقيق داوود سلوم ونوري حمّودي القيسي، بيروت، عالم الكتب ومكتبة النهضة، 1404هـ/ 1984م.

نفسه، ديوان، جمع وتقديم داوود سلوم، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ص1417هـ/ 1997م.

نفسه، ديوان، تحقيق محمّد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، 1420هـ/ 2000م.

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق نشأت بن كمال المصري، الإسكندرية، مكتبة دار البصيرة، 1422هـ/ 2001م.
المالح، محمد رياض، الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي: سلطان العارفين وإمام المحققين وبقية المجتهدين، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 1428هـ/ 2007م.
نفسه، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، قسم التصوف، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربي بدمشق، 1398هـ/ 1978م.
الماوردي، أبو الحسن، أعلام النبوّة، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1406هـ/ 1986م.
المتنبّي، أبو الطيّب، ديوان، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1403هـ/ 1983م.
مجنون بني عامر، (قيس بن الملوّح)، ديوان أشعار، رواية أبي بكر الوالبي، تحقيق هدى وائل عامر، بيروت، المؤسّسة العربيّة للطباعة والنشر، 1432هـ/ 2011م.
المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة، المطبعة الوهبيّة، 1284هـ/ 1868م.
نفسه، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1388هـ/ 1968م.
محمود الورّاق، ديوان، تحقيق وليد قصّاب، عجمان، مؤسّسة الفنون، 1412هـ/ 1991م.
مطبعة البابي الحلبي، 1380هـ/ 1960م.
المرزباني، أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى، معجم الشعراء، تحقيق فاروق اسليم، بيروت، دار صادر، 1425هـ/ 2005م.
المرزوقي، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، كتاب الأزمنة والأمكنة، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1417هـ/ 1996م.
مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى الحلبي، 1376هـ/ 1955م
المعرّي، أبو العلاء، سقط الزند، بيروت دار صادر، 1376هـ /1957م.

نفسه، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق حسين محمّد نقشة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/1991م.

نفسه، شرح اللزوميّات، أبو العلاء، تحقيق سيّدة حامد وآخرون، القاهرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1412-1414هـ/ 1992-1994م.

نفسه، الفصول والغايات، تحقيق محمّد حسين زناتي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.

المفضل بن سلمة، الفاخر، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، القاهرة، البابي الحلبي، 1380هـ/ 1960م.

المقدسي، أبو الفضل، الأنساب المتفقة في الخطّ المتماثلة في النقط والضبط، تحقيق المستشرق دي يونغ، ليدن، بريل، 1282هـ/ 1865م.

مهيار الديلمي، ديوان، القاهرة، دار الكتب المصريّة، 1344هـ/ 1925م.

الميداني، السامي في الأسامي، تحقيق محمّد موسى هنداوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1419هـ/ 1998م.

النسائي، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، بيروت، دار المعرفة، 1420هـ/ 1999م.

النيسابوري، أبو القاسم، الغنية في الكلام، (قسم الإلهيّات)، تحقيق مصطفى حسين عبد الهادي، القاهرة، دار السلام، 1431هـ/ 2010م.

نووي الجاوي، محمد بن عمر، مراح لبيد لكشف معني القرآن المجيد، تحقيق محمّد أمين الضناوي، بيروت، دار الكتب العلميّة،1417هـ/ 1997م.

النووي، محيي الدين يحيى، شرح صحيح مسلم، القاهرة، المطبعة المصريّة بالقاهرة، 1347هـ/ 1929م.

نفسه، طبقات الفقهاء الشافعيّة، تحقيق عليّ عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينيّة، 1430هـ/ 2009م.

الوأواء الدمشقيّ، أبو الفرج، ديوان، تحقيق سامي الدهان، الطبعة الثانية، بيروت، 1414هـ/ 1993م،
الورجلاني، أبو يعقوب، كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول ﷺ، جمع نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، مسقط، مكتبة مسقط، 1424هـ/ 2003م.
الوشّاء، أبو الطيّب محمّد، الموشى، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1413هـ/ 1993م.
وهب بن منبّه، التيجان في ملوك حمير، صنعاء، مركز الدراسات والأبحاث اليمني، 1347هـ/ 1928م.
اليافعي، عفيف الدين أبو السّعادات، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/ 1997م.
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/ 1993م.
نفسه، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1397هـ/ 1993م.
مؤلف مجهول، يواقيت العلوم ودراري النجوم، تصحيح: محمّد تقي دانش پژوه، طهران، بنياد فرهنگ إيران، 1345هـ/ 1966م. (وهو من تأليف القزويني كما ذكرنا في المقدّمة).

المصادر باللغات الأجنبية:

Ahlwardt, Wilhelm, ***Die Handschriften-verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin***, Berlin, A. ASHER & C°., 1892
al-Anṣārī, Ḥasan ʿAlī, ***L'imamat et l'occultation selon l'imamisme : étude bibliographique et histoire de textes*****,** Brill, Leiden, 2016.
Arberry, A.J. ***The Chester Beatty Library, A Handlist of the Arabic Manuscripts*****,** Dublin, 1955-1964

Brockelmann, Carl**, *Geschichte der arabischen Literatur***, Weimar, Verlag von Emil Felber, 1998, band 1.
Brockelmann, Carl, ***Geschichte der arabischen Literatur***, Leiden, E.J. Brill, 1937, Supplement, band 1.
De Laugier de Beaurecueil, ***Chemin de Dieu, trois traités spirituels***, Paris, Sindbad, 1985, Actes Sud, 1997
Hitti, Phillip K., ***Descriptive Catalog of the Garett collection of the Arabic manuscripts in de Princeton University Library***, Princeton, Princeton University Press, 1938.
Orfali Bilal, The Anthologist's Art: ***Abū Manṣūr Al-Tha`ālibī and His Yatīmat Al-Dahr***, Leiden, Brill, (Brill Studies in Middle Eastern Literatures, 37), 2016.

ABSTRACT

Sirāǧ l-`uqūl fī minhāǧ l-usūl is a work in which the author strives to answer forty fundamental questions about faith, seeking to unveil their interpretations and deepen their meaning, to reconcile similar and related issues, and to refute those that might appear contradictory. The author draws upon relevant verses from the Holy Quran, supplementing them with prophetic traditions, hadiths, writings of imams, and the teachings of Sufi mystics. Faced with a question that defies rational explanation and whose mysteries elude scholarly interpretations, he studies it, providing examples and presenting them in a style accessible to both students and the general public. He sometimes approaches the question from a grammatical, linguistic, or symbolic perspective, and may also resort to custom, which he considers divine proof.

RÉSUMÉ

Sirāǧ l-`uqūl fī minhāǧ l-usūl est une œuvre dans laquelle l'auteur s'efforce de répondre à quarante questions fondamentales sur la foi, en cherchant à en dévoiler les interprétations et à en approfondir le sens, à concilier les problématiques similaires et connexes et à réfuter celles qui pourraient paraître contradictoires. L'auteur s'appuie sur des versets du Saint Coran relatifs à ces questions, qu'il complète par des traditions prophétiques, des hadiths et des écrits d'imams, ainsi que par les enseignements des mystiques soufis. Face à une question qui défie toute explication rationnelle et dont les interprétations savantes ne parviennent pas à percer les mystères, il l'étudie en fournissant des exemples et en les présentant dans un style accessible aux étudiants comme au grand public. Il aborde parfois la question sous un angle grammatical, linguistique ou symbolique, et peut également recourir à la coutume, qu'il considère comme une preuve divine.

فهرست الكتاب

سراج العقول

في منهاج الأصول

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

سراج العقول في منهاج الأصول"، عملٌ يسعى فيه مؤلفه للإجابة على أربعين مسألةً من مسائل أصول الدين، محاولاً كشفَ تأويلاتها والتعمّق في معانيها، جامعاً بين المتشابه منها والمتقاربات، ومفندا لما قد يبدو منها متعارضا أو متضادا. وقد استند صاحب الكتاب في عمله هذا إلى ما ورد في القرآن الكريم من الآيات المتعلقة بهذه المسائل وأضاف إليها الأحاديث النبوية وأقوال العلماء والأئمة وإشارات أهل التصوف. أما إذا عرضت له مسألةٍ يعجز العقل عن حلّها، وينضب معين أقوال العلماء عن فك رموزها فإنه يكتفي بدراستها بقدر ما يقتضيه قبولها فيضرب لذلك الأمثلة، ويعرضها بأسلوب يسهل على الطلاب وحتى على عامة الناس فهمه. وقد يحصل له في بعض الحيان تناول المسألة من منظور نحوي أو لغوي، أو إشاري، وربما لجأ في ذلك أيضا إلى العادة لأنها كما يقول حجة من حجج الله تعالى.